أجود البيان
في تفسير القرآن

الجزء الثالث

تأليف

آية الله الأستاذ الشيخ هادي النجفي

بِاسْمِهِ تَعالىٰ[1]

تأرِيْخُ وَضْعِ (اللَّمَساتِ ٱلْأَخِيْرَةِ) علىٰ ٱلْمُجَلَّدِ ٱلثالِثِ مِنَ ٱلتَّفْسِيْرِ ٱلْمَوْسُوْمِ بِـ (أَجْوَد ٱلْبَيان في تفسير ٱلْقُرْآن) مِنْ إفاضاتِ يَراعَةِ سَماحَةِ آيةُالله ٱلْفَقِيْهِ ٱلْمُجْتَهِدِ ٱلنِّحْرِيْرِ وٱلْعَلّامَةِ ٱلكبير الشَّيْخِ هٰادِي آل أبي ٱلْمَجْدِ ٱلْنَجَفِيّ دامَ ظِلُّه.

تَفْسِيْرُ سَلِيْلِ أَبِيْ ٱلْمَجْدِ ٱلْـ ... ـوارِثِ عَلْياءَ ٱلْأَجْدادِ
بِبَيانٍ وافٍ وافانا ... يُطْرِيْهِ ٱلرّائحُ وَٱلْغادِيْ
قَدْ أَوْضَحَ آياتِ ٱلْبارِي ... بِشُعاعِ سَنا (لُغَةِ ٱلضّادِ)
فَغَدَتْ كَالشَّمْسِ لِذِيْ بَصَرٍ ... وَٱلْبَحْرِ ٱلزّاخِرِ لِلصّادِيْ
لا غَرْوَ؛ فَمِرْقَمُ (هادِيْنا) ٱلْـ ... ـمَوْلىٰ ذِيْ ٱلْفِكْرِ ٱلْوَقّادِ

---

١. باسْمِهِ تعالىٰ، هكذا الصَّوابُ في كِتابَتِها بالْألِفِ في (بِاسْمه)وَهِيَ (أَلِفُ ٱلْوَصْلِ) ٱلْمُعَبَّرُ عَنْها في عَصْرِنا خَطَأً بِـ (هَمْزَةِ ٱلْوَصْلِ). وَمِنَ ٱلْمُؤْسِفِ أَنْ تَصْدُرَ ٱلْفَتاوىٰ مِنْ مَكاتِبِ بَعْضِ ٱلْمَراجِعِ دامَتْ ظِلالُهُمُ ٱلْوارِفَةُ مَسْبُوْقَةً بِعِبارَةِ (بِسْمِهِ تعالىٰ) وَهُوَ خَطَأٌ فاحِشٌ؛ إذْ لاتُحْذَفُ أَلِفُ ٱلْوَصْلِ إلّا في (ٱلْبَسْمَلَةِ ٱلْكامِلَةِ): ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ . وَٱللهُ ٱلْهادِيْ إلىٰ مَهْيَعِ ٱلسَّدادِ.

بِمِدادِ ٱلْفِطْنَةِ جَلّاها لابِنَدىٰ ٱلنِّقْسِ[1] ٱلْمُعْتادِ
أَعْظِمْ بِخَصائِصِ تَفْسِيْرٍ ماشِيْنَ بِعَيْبِ ٱسْتِطْرادِ
بَلْ جاءَ بَمْنَهجِهِ وَسَطاً وَخَلا مِنْ شُبَهِ ٱلنُّقّادِ
فَهُوَ (ٱلْكَشَّافُ) لِإِعْجازِ ٱلْـ ـقُرْآنِ بِفَيْضِ ٱلْإِمْدادِ
وَبِمَضْمُوْنٍ أَرِّخْ: وَٱسْمٍ بُشْراكَ بِتَفْسِيْرِ ٱلْهادِيْ
١٠٧ ٥٢٣ ٧٥٢ ٥١

سنة ١٤٣٣هـ

قُمّ المقدّسة
مكتب الحوزة العِلْمِيَّةِ ٱلعِراقيّة
١٥ / رَجَب المُرَجّب / ١٤٣٣هـ
الأقلّ عبدالستار الحسني عَفِيَ عَنْهُ

١. النِّقْسُ: الحِبْرُ، المِدادُ.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تمهيد

الحمدلله الذي أنزل على عبده الكتاب والصلاة والسلام على مَنْ خوطب به خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد المصطفىٰ صاحب القرآن وعلى وصيّه وخليفته ـ بلافصلٍ ـ أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب والأَحَدَ عَشَرَ مِنْ ولده الأئمة المعصومين المفسرين للقرآن ولا سيّما على خاتم اوصيائه المنتظَر المهدي عجل الله فرجه.

أمّا بعد فقد ابتدأتُ بتفسير القُرْآن الكريم بعد نزولي موطن آبائي أصفهان في سنةَ ١٤٢٢هـ وبعد وفاة والدي العلّامة قدس سره حيث قمتُ مقامه في مسجده وسائر شُؤوْنِه وبعد الاستشارة مع عدّة من الأساتذه والأصدقاء حيث أكملت موسوعتي الحديثية[1] فشرعتُ بتفسير القرآن الكريم على النهج الروائي وجمعتُ منها ما شئت وأردت. وعلى هذا النهج أَلَّفتُ وجمعتُ مجلدين ضخمين في الجزئين الأوّل والثاني من القرآن الكريم في ثلاث سنوات أو أكثر.

ثمّ حال بيني وبين مُنيتي عوائق الزمان وكثرة الاشتغالات العلميّة من التدريس و التأليف وغيرها ولم أتمكن من إكمال التفسير في جزئه الثالث.

حتّى ابتدأت في جمادي الاولىٰ سنة ١٤٢٩ هـ . ق باصرارٍ من بعض الأصدقاء بتدريس تفسير القرآن الكريم في يوم الأربعاء بدلاً من دَرْس الأصول الذي كنت

---

١. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام في آثنى عشر مجلداً طبعت ثلاث مرّات في بيروت.

أُلْقيه علىٰ مستوى بحث الخارج في أيام الأُسبوع، وبعد الفراغ من دورة كاملة من قواعد علم الرجال[١] التي ألقيتها في أربع سنوات في يوم الأربعاء فقط أيضاً بدلاً من البحوث الاصولية.

وكتبتُ ما ألقيتُه في مجلس الدرس وابتدأت بالجزء الثالث من القرآن الكريم استتماماً للمجلدين السابقين.

ولكنّ هناك فَرْقاً بين المجلدين الأوّلين وبين هذا المجلد في المنهج حيث لم يرد فيهما إلّا الروايات الواردة حول الآيات ولكن في هذا المجلد يجد القارئ الكريم أوّلاً توضيح حول الآية الشريفة وشرح لمعانيها وما ورد فيها من اللغات والإعراب والقراءات وما هو المراد منها والمستفاد عنها وبعد ذلك أذكر بعض الروايات الواردة في شأن الآية الشريفة. فبين المنهجين فرق، وأملي أن يوفقني الله تعالى بإكمال هذا التفسير الشريف المسمىٰ بـ«**أجود البيان في تفسير القرآن**» وتطبيق المجلدين الأوّلين مع هذا المجلد الثالث من حيث المنهج وإكماله إلى ختام الجزء الثلاثين بإذن الله تعالى وإرادته وهو ولي التوفيق.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يوفقني لفهم كتابه الكريم ولإكمال هذا التفسير وأن يجعله في ديوان حسناتي في ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٢] وأن يغفر خطايانا وزلّاتنا وسيئاتنا بمنّه وكرمه فإنّه الغفور الرحيم وبمحمّدﷺ وآلهعليهم السلام الطاهرين.

وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

عيدالفطر ١٤٣٣هـ

اصفهان ـ هادي النجفي

---

١. تقرير هذه الدورة الرجالية سوف يطبع في أكثر من ألف صفحة بإذن الله تعالى.

٢. سورة الشعراء / ٨٨ و ٨٩.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ﴿٢٥٣﴾

﴿تِلْكَ﴾ اشارة تفخيمية إلى مقام الرسالة وعظمتها حيث ٱسْتُعْمِلَ اسم الإشارة إلى البعيد.

﴿ٱلرُّسُلُ﴾ يشمل جميع الأنبياء والمرسلين وقد يقال: منْ ذُكِرَتْ قصصهم وحكاياتهم في الآيات الماضية والأوّل أظهر.

﴿مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ إشارة إلى موسى كليم الله أو رسول‌الله ﷺ حيث كلّم بلا واسطة في ليلة المعراج وغيرها أو كليهما.

﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ المراد بها هورسول الله محمّد المصطفى ﷺ حيث يكون منزلته أرفع من جميع الأنبياء والإتيان بضمير الجمع للتفخيم والتبجيل.

ويمكن أن تكون إشارة إلى رَفْعِ درجات بعض الأنبياء علىٰ بعض نحو: أُولي‌العزم من الرسل، أو إشارة إلى ابراهيم عليه السلام بقوله تعالى: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[1]، أو إلى نوح عليه السلام حيث يقول الله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]، أو إلى

---

١. سورة البقرة/ ١٢٤.

ادريس عليه السلام لأنّ الله تعالى قال: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[٢]، أو إلى يوسف عليه السلام لقول الله تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾[٣]، أو إلى داود عليه السلام لأنّ الله تعالى قال في شأنه: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[٤]؛ والأوّل أظهر.

﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي الدلالات الواضحات والعلامات الظاهرات نحو: إحياء الموتى وإبراء الْأَكْمهِ والأبرص وخلق الطير ونزول المائدة من السماء.

﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ التأييد هوالنصرة والتقوية وتأييده بروح القدس غير خلقه من نفخة روح القدس لأنّ التأييد لا يصدق إلاّ بعد الخروج من الرحم، وقد ورد تأييده بروح القدس في القرآن الكريم ثلاث مرات في آية ٨٧ من سورة البقرة وهنا وسورة المائدة، الآية ١١٠ ولعل الوجه في ذلك كَوْنُهُ رداً على اليهود في تحقيرهم إيّاه ورداً على النصارى القائلين بالوهيته كما ذهب إليه السبزواري[٥].

وروح القدس: الروح: جِبْريل أو ملك أعظم من كلِّ الملائكة، القدس: الله وعلى هذا يكونُ معناه روح الله، وقال ابنعباس[٦]: روح القدس: الاسم الذي كان يحيي به الموتى أي الاسم الأعظم لله تعالى، وقد يقال[٧]: بأنّها الروح المقدسة لأنّه لم تضمّه الأصلاب والأرحام الطوامث.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ مشيئة إلجاءٍ وقَسْرٍ وجبرٍ وهو إخبار عن قدرته تعالى على إلجائهم على الامتناع من القتال أو بأن يمنعهم من ذلك والآية الشريفة بفقرتها تدل على بطلان مذهب الجبر.

﴿مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِن بَعْدِهِم﴾ أي من بعد الأنبياء والمرسلين سلام الله عليهم أجمعين.

---

١. سورة الصافات / ٧٩.
٢. سورة مريم / ٥٧.
٣. سورة يوسف / ٧٦.
٤. سورة النساء / ١٦٣.
٥. مواهب الرحمن ٤/ ١٨٦.
٦. نقل عنه الطوسي في التبيان ٢/ ٣٠٤.
٧. جوامع الجامع ١/ ٦١.

﴿مِّن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ أي جائت الدلالات الواضحة لأمّم الأنبياء وأتباعهم وأشياعهم.

﴿وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُواْ﴾ في دين الله وفي ماجاء به الأنبياء وكان السبب في أنفسهم لا في دين الله.

﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ﴾ لالتزامه دين الله بتوفيق منه تعالى ولطفه وحسن اختيار العبد.

﴿وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ لإعراضه عن دين الله بسوء اختياره وبتبعيته هواه.

وهذه الآية تبيّن لنا صورة الحروب التي وقعت في دين واحد.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ﴾ كرّر ذلك إمّا تأكيداً وتنبيهاً عليه. وقيل: الأوّل مشيئة الاكراه أي لوشاء الله ٱضْطَرَّهُمْ إلى حال يرتفع معها التكليف، والثاني: يأمر المؤمنين بالكف عن قتالهم، وكذا يمكن[1] التفرقةُ بينهما بالاختلاف بحسب الحدوث والبقاء أو بحسب دفع الاختلاف قبل الفطرة بأنّ يجبرهم على الاتحاد أو بعد جعل الفطرة فيرفع عنهم الاختلاف أو يُلْجِئُهُمْ على الاتحاد.

وقيل[2]: لابدّ أنْ يحمل علىٰ إنّ الله إذا شاء ما اقتتلوا بأن يهلك الكفار أو يضعّفهم ويغلّب المؤمنين عليهم ويقويهم كما فعله في قضية طالوت وجالوت وفي غزوات بدر وأُحُدٍ وَحُنَيْنٍ، ولكن في بعض الموارد تنعكس المصلحة كما في قضية كربلاء ونحوها.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ يفعل ما تقتضيه المصلحة والحكمة، ومن الخذلان والعصمة.

الروايات

خبر الأصبغ بن نباته قال جاء رجلٌ إلى أميرالمؤمنين صلوات الله عليه فقال: يا أميرالمؤمنين إنّ ناساً زعموأنَّ العبد لايزني وهومؤمنٌ ولايسرق وهومؤمنٌ ولايشرب الخمر وهومؤمنٌ ولايأكل الرّبا وهومؤمن ولايسفك الدَّم الحرام وهومؤمنٌ، فقد ثقل

---

١. مواهب الرحمن ٤/ ١٨٨.
٢. أطيب البيان ٣/ ٥.

عليَّ هذا وحرج منه صدري حين أزعم أنَّ هذا العبد يصلّي صلاتي ويدعودعائي ويناكحني وأنا كحه ويوارثني واُوارثه وقد خرج من الإيمان من أجل ذنب يسير أصابه، فقال أميرالمؤمنين صلوات الله عليه: صدقتَ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: والدَّليل عليه كتاب الله.

خلق الله عزَّوجلَّ الناس على ثلاث طبقات وأنزلهم ثلاث منازل وذلك قول الله عزَّوجلَّ في الكتاب: أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقون[١]، فأمّا ما ذكر من أمر السّابقين فإنّهم أنبياء مرسلون وغير مرسلين، جعل الله فيهم خمسة أرواح: روح القدس وروح الإيمان وروح القوَّة وروح الشهوة وروح البدن، فبروح القدس بعثوا أنبياء مرسلين وغير مرسلين وبها علموا الأشياء وبروح الإيمان عبدوا الله ولم يشركوا به شيئاً وبروح القوَّة جاهدوا عدوَّهم وعالجوا معاشهم وبروح الشهوة أصابوا لذيذ الطّعام ونكحوا الحلال من شباب النساء، وبروح البدن دبّوا ودرجوا[٢] فهؤلاء مغفور لهم مصفوح عن ذنوبهم[٣] ثمَّ قال: قال الله عزَّوجلَّ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ ثمَ قال: في جماعتهم ﴿وأيدهم بروح منه﴾[٤] يقول: أكرمهم بها ففضّلهم على من سواهم، فهؤلاء مغفورٌ لهم مصفوحٌ عن ذنوبهم، الحديث.[٥]

وخبر عمرو بن أبي‌المقدام عن أبيه قال: قلت لأبي‌جعفر عليه السلام: إنّ العامة يزعمون أنَّ بيعة أبي‌بكر حيث اجتمع النّاس كانت رضا لله جلَّ ذكره وما كان الله ليفتن اُمّة محمّد ﷺ من بعده؟ فقال أبوجعفر عليه السلام: أو ما يقرؤون كتاب الله أو ليس الله يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ۖ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ

---

١. اشارة إلى قوله سبحانه في سورة الواقعة: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ الآية.
٢. دب: مشي كالحية ودرج بمعناه.
٣. هاتان الفقرتان ليستافي البصائر وعلى ما في الكتاب كأنّ الذنب هنا مادل على ترك الأولىأؤ كنايتان عن عدم صدورها عنهم. [علي‌اكبر الغفاري].
٤. البقرة / ٢٥٣.
٥. الكافي ٢/ ٢٨١، ح١٦.

وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾[١] قال: فقلت له: إنّهم يفسّرون على وجه آخر، فقال: أو ليس قد أخبر الله عن الّذين من قبلهم من الأُمم أنّهم قد اختلفوا من بعد ما جاءتهم البيّنات حيث قال: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَلَـٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[٢] وفي هذا ما يستدلُّ به على أنَّ أصحاب محمّد قد اختلفوا من بعده فمنهم من آمن ومنهم من كفر.[٣]

رجال السند كلّهم ثقات إلّا أبا المقدام وهو ثابت بن هرمز إمامي مجهول.

ومرسلة أبي عمرو الزبيري عن أبي عبدالله قال: بالزيادة بالايمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عندالله. قلت: وإنّ للإيمان درجات ومنازل يتفاضل بها المؤمنون عندالله؟ قال: نعم.

قلت: صِف لي ذلك ـ رحمك الله ـ حتّى أفهمه، قال: ما فضّل الله به أولياءه بعضهم علي بعض، فقال: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ﴾ [٢٥٣] الآية، وقال: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[٤]، وقال: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ﴾[٥] وقال: ﴿هُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾[٦] فهذا ذِكرُ[٧] درجات الإيمان ومنازله عندالله.[٨][٩]

وقد ورد مسنداً ومفصلاً في الكافي[١٠] فراجعه إن شئت.

---

١. آل‌عمران / ١٤٤. «ينقلب» أي يرتدد.
٢. البقرة / ٢٥٣. في القاموس تقاتلوا واقتتلوا بمعني.
٣. الكافي ٨/ ٢٧٠، ح ٣٩٨.
٤. الإسراء / ٥٥.
٥. الإسراء / ٢١.
٦. آل‌عمران / ١٦٣.
٧. زيادة في النسخ: الله، وما أثبتناه من البحار.
٨. بحارالأنوار ٦٩: ١٧١/ ١٤.
٩. تفسير العياشي ١/ ٢٥٥، ح٥٥١.
١٠. الكافي ٢/ ٤٠، ح١، باب السبق إلى الإيمان.

ومرسلة الأصبغ بن نُباتة قال: كنت واقفاً مع أميرالمؤمنين عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام يوم الجمل فجاء رجل حتّى وقف بين يديه، فقال: يا أميرالمؤمنين، كَبَّر القَومُ وكبَّرنا، هلَّل القوم وهَلَّلنا، وصلّى القوم وصلّينا، فعلام نُقاتِلهم؟

فقال علي عليه السلام: على هذه الآية: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم﴾ فنحن الذين من بعدهم ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [٢٥٣] فنحن الذين آمنّا وهم الذين كفروا.

فقال الرجل: كَفَر القوم وربِّ الكعبة، ثمّ حَمَل فقاتل حتّى قُتِل[١] رحمه الله.[٢]

وروى أبومنصور الطبرسي نظيرها في الإحتجاج[٣].

وخبر آخر لأصبغ بن نباتة ـ يمكن اتحاده مع ماضيه ـ قال: جاء رجل إلى علي عليه السلام فقال: يا أميرالمؤمنين هؤلاء القوم الذين تقاتلهم الدعوة واحدة والرسول واحد والصلاة واحدة والحج واحد فبم نسمّيهم؟ قال: سمّهم بما سمّاهم الله (تعالى) في كتابه. فقال: ما كلّ ما في كتاب الله أعلمه. قال: أما سمعت الله (تعالى) يقول في كتابه: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾[٤]؟ فلمّا وقع الاختلاف كنّا نحن أولى بالله عزّ وجلّ وبالنبيّ صلى الله عليه وآله وبالكتاب، وبالحقّ، فنحن الذين آمنوا وهم الذين كفروا، وشاء الله قتالهم بمشيئته وإرادته.[٥]

وقد ورد في تفضيل نبيّنا رسول الله محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله عَلىٰ غيره من الأنبياء والمرسلين ومن بعده عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام والأئمة المعصومين من ولده عليهم السلام خبر

---

١. بحارالأنوار ٢٩: ٤٥١/ ٤٠.
٢. تفسير العياشي ١/ ٢٥٦، ح٥٥٢.
٣. الاحتجاج ١/ ٣٩٨.
٤. سورة البقرة/ ٢٥٣.
٥. أمالي الطوسي، المجلس السابع، ح ٣٩/ ١٩٧، الرقم ٣٣٧.

أبي الصَّلْتِ عبدالسلام بن صالح الهروي عن الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، عن عليّ عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ما خلق الله خلقاً أفضل منّي ولا أكرم عليه منّي، قال علي عليه السلام: فقلت: يا رسول الله فأنت أفضل أم جبرئيل؟ فقال صلى الله عليه وآله : يا علي إنّ الله تبارك وتعالى فضّل أنبيائه المرسلين على ملائكة المقربين وفضّلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا عليّ وللأئمة من بعدك، وإنّ الملائكة لخدامنا[1] وخدام محبّينا يا عليّ، الذين يحملون العرش ومَنْ حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا[2] بولايتنا. يا عليّ، لولا نحن ما خلق الله آدم عليه السلام ولا الحواء ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الأرض، فكيف لانكون أفضل من الملائكة؟! وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه، لأنّ أوّل ما خلق الله عزّ وجلّ أرواحنا فانطقها بتوحيده وتمجيده[3] ثمّ خلق الملائكة، فلما شاهدوا[4] أرواحنا نوراً واحداً استعظمت أمرنا، فسبحنا لتعلّم الملائكة أنّا خلق مخلوقون وأنّه منزه عن صفاتنا، فسبحت الملائكة بتسبيحنا ونزهته عن صفاتنا، فلما شاهدوا عظم شأننا، هللنا لتعلم الملائكة أنْ لا اله إلّا الله وأنّا عبيد ولسنا بآلهة[5] يجب أن نعبد معه أو دونه، فقالوا: لا إله إلّا الله فلما شاهدوا كبر محلّنا كبرنا لتعلم الملائكة أنّ الله أكبر من أن ينال عظم المحلّ إلّا به، فلما شاهدوا ما جعله الله لنا من العزّة[6] والقوّة فقلنا: لا حول ولا قوة إلّا بالله[7] لتعلم الملائكة انه لا حول لنا ولا قوة بالله، فلما شاهدوا ما أنعم الله به علينا وأوجبه لنا من فرض الطاعة، قلنا: الحمدلله، لتعلم الملائكة ما يستحق لله تعالى[8] ذكره علينا من الحمد على نعمه، فقالت الملائكة: الحمدلله، فبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد الله عزّ وجلّ وتسبيحه

---

١. وفي نسخة: «كخدامنا».
٢. اشارة إلى قوله تعالى في سورة المؤمن، الآية ٧.
٣. خ ل «تحميده».
٤. خ ل «فلما شهدوا» وكذا فيما بعده.
٥. هكذا في أكثر النسخ، وفي النسخة المطبوعة الجديدة: «بالالهة».
٦. خ ل «من العزة».
٧. خ «العلي العظيم».
٨. خ ل «ما يحق لله عزوجل».

وتهليله وتحميده وتمجيده، ثمّ ان الله تبارك وتعالى خلق آدم فاودعنا صلبه وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا واكراماً، وكان سجودهم للهﷻ عبودية ولآدم اكراماً وطاعة، لكوننا في صلبه، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة؟ وقد سجدوا لادم كلّهم أجمعون[١] وأنّه لما عرج بي إلى السماء أذن جبرئيل مثنى مثنى، وأقام مثنى مثنى، ثمّ قال لي: تقدّم يا محمّد، فقلت له: جبرئيل أتقدّم عليك؟ قال: نعم،لأنّ الله تبارك وتعالى[٢] فضّل أنبيائه علي ملائكته أجمعين وفضلك خاصة، قال:[٣] فتقدمت فصليت بهم ولا فخر، فلما انتهيت[٤] إلى حجب النور قال لي جبرئيل:تقدّم يا محمّد وتخلّف عنّي، فقلت له: يا جبرئيل في مثل هذا الموضع تفارقني؟! فقال: يا محمّد إنّ انتهاء حدي الذي وضعني اللهﷻ فيه إلى هذا المكان، فان تجاوزته احترقت اجنحتي[٥] بتعدّي حدود ربّيﷻ فزخ بي النور زخة[٦] حتّى انتهيت إلى ماشاء اللهﷻ من علومكانه فنوديت:[٧] فقلت: لبيك ربّي وسعديك تباركت وتعاليت، فنوديت: يامحمّد أنت عبدي وأنا ربك، فإيّاي فاعبد وعليَّ فتوكَّلْ، فإنّك نوري في عبادي ورسولي إلى خلقي وحجتي على بريتي لك ولمن تبعك خلقت جنتي، ولمن خالفك خلقت ناري ولأوصيائك أوجبت كرامتي، ولشيعتهم أوجبت ثوابي، فقلت: يا ربِّ ومَنْ أوصيائي؟ فنوديت: يا محمّد

---

١. كما قال الله تعالى في سورة الحجر، الآية ٣٠ وغيرها من السور.
٢. خ ل «إنّ الله عزوجل».
٣. خ ل «وفضلك يا محمّد خاصة».
٤. خ ل «فلما انتهيت به».
٥. لنعم ما قيل بالفارسية:

اگر يك سر موى برتر پرم　　فروغ تجلى بسوزد پرم

***

گفت جبريلا بپر اندر پيم　　گفت رو رو من حريف تو نيم!

٦. زخ الجمريزخ زخاوزخيخا: برق شديداً. زخ الحادي: سار بالإبل سيراً عنيفاً. وفي بعض النسخ: «فرج بي في النور رجة». رج الشيء يرجه رجا: حرّكه وهزّه، فرج هواي اهتزوتحرك «لازم متعد» وفي نسخة: «فزج بي في النور زجة». زج بالشي: رمي به.
٧. خ ل «ملكه».

أوصيائك المكتوبون على ساق عرشي[١] فنظرت وأنا بين يدي ربّيﷻ إلى ساق العرش، فرأيت إثناعشر نوراً في كلِّ نورٍ سطر أخضر عليه اسم وصي من أوصيائي بعدي؟ فنوديت: يا محمّد هؤلاء أوصيائي وأحبائي وأصفيائي وحججي بعدك على بريتي وهم أوصياؤك وخلفاؤك وخير خلقي بعدك، وعزّتي وجلالي لأظهرنَّ بهم ديني، ولأعلينَّ بهم كلمتي، ولأطهرنَّ الأرض بآخرهم مِنْ أعدائي، ولأملكنّه مشارق الأرض ومغاربها، ولأسخرنَّ له الرياح، ولأذللنّ له السحاب الصعاب، لأرقينه في الأسباب، ولأنصرنّه بجندي، ولأمدنّه بملائكتي حتّى يعلن دعوتي ويجمع الخلق على توحيدي، ثمّ لأديمنَّ ملكه ولأداولن الأيّام بين أوليائي إلى يوم القيامة.[٢]

وفي خبر مرفوع إلى أميرالمؤمنينؑ أنّه كان جالساً بالكوفة بعد منصرفه من صفين إذ أقبل شيخ فجثا بين يديه[٣] ثم قال له: يا أميرالمؤمنين أخبرنا عن مسيرنا إلى أهل الشام أبقضاء من الله وقدر؟ فقال: أميرالمؤمنينؑ أجل يا شيخ ما علوتم تلعة ولا هبطتم بطن وادٍ إلّا بقضاء من الله وقدر، فقال له الشيخ: عندالله أحتسب عنائي[٤] يا أميرالمؤمنين؟ فقال له: مه يا شيخ! فوالله لقد عظّم الله الأجر في مسيركم وأنتم سائرون وفي مقامكم وأنتم مقيمون وفي منصرفكم وأنتم منصرفون ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا إليه مضطرّين.

فقال له الشيخ: وكيف لم نكن في شيء من حالاتنا مكرهين ولا إليه مضطرّين وكان بالقضاء والقدر مسيرنا ومنقلبنا ومنصرفنا؟ فقال له: وتظنُّ أنّه كان قضاء حتماً وقدراً لازماً؟ إنّه لوكان كذلك لبطل الثواب والعقاب والأمر والنهي والزجر من الله وسقط معني الوعد والوعيد فلم تكن لائمةٌ للمذنب ولا محمّدةٌ للمحسن ولكان المذنب أولى بالإحسان من المحسن ولكان المحسن أولى بالعقوبة من المذنب، تلك

---

١. وفي نسخة: «علي سراديق العرش ـ علي ساق العرش».
٢. عيون أخبار الرضاؑ ١/ ٢٦٢، ح٢٢.
٣. جثا يجثوجثواً وجثياً بضمهما جلس على ركبتيه وقام على أطراف أصابعه. والتلعة ما ارتفع من الأرض.
٤. أي منه أطلب أجر مشقتي.

مقالة إخوان عبدة الأوثان وخصماء الرحمن وحزب الشيطان وقدريّة هذه الأُمّة ومجوسها.

إنَّ الله تبارك وتعالىٰ كلّف تخييراً ونهي تحذيراً وأعطى على القليل كثيراً ولم يُعص مغلوباً ولم يطع مكرهاً ولم يملّك مفوَّضاً ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، ولم يبعث النبيّين مبشّرين ومنذرين عبثاً، ذلك ظنُّ الّذين كفروا فويلٌ للّذين كفروا من النار[1] فأنشأ الشيخ يقول:

---

١. قال العلّامة السيّد محمّدحسين الطباطبائي صاحب الميزان في تعليقه على الكافي الشريف: «مسألة القضاء والقدر من أقدم الأبحاث في تاريخ الاسلام، اشتغل به المسلمون في أوائل انتشار الدعوة الاسلامية وتصادفها مع أنظار الباحثين من علماء الملل والأديان، ولما كان تعلق القضاء الحتم بالحوادث ومن بينها بالأفعال الاختيارية من الانسان يوجب بحسب الأنظار العامية الساذجة ارتفاع تأثير الإرادة في الفعل وكون الانسان مجبوراً في فعله غير مختار، تشعب جماعة الباحثين (وهم قليل البضاعة في العلم يومئذ) علي فرقتين:

أحديهما: وهم المجبرة أثبتوا تعلق الإرادة الحتمية الألهية بالأفعال كسائر الأشياء وهوالقدر وقالوا بكون الإنسان مجبوراً غير مختار في أفعاله والأفعال مخلوقة لله تعالى وكذا أفعال سائر الأسباب التكوينية مخلوقة له.

وثانيتهما: وهم المفوّضة أثبتوا اختيارية الأفعال ونفوا تعلق الإرادة الالهية بالأفعال الإنسانية فاستنتجوا كونها مخلوقة للإنسان، ثمّ فرع كلّ من الطائفتين علي قولهم فروعاً ولم يزالوا على ذلك حتّي تراكمت هناك أقوال وآراء يشمئز منها العقل السليم، كإرتفاع العلية بين الأشياء وخلق المعاصي والإرادة الجزافية ووجود الواسطة بين النفي والإثبات وكون العالم غير محتاج في بقائه إلى الصانع إلى غير ذلك من هوساتهم.

والأصل في جميع ذلك عدم تفقههم في فهم تعلق الإرادة الالهية بالأفعال وغيرها والبحث فيه طويل الذيل لا يسعه المقام على ضيقه، غير أنا نوضح المطلب بمثل نضربه ونشير به إلى خطأ الفرقتين والصواب الذي عقدوا عنه فلنفرض إنسانا أوتي سعة من المال والمنال والضياع والدار والعبيد والإماء ثمّ اختار واحداً من عبيده وزوجه إحدىٰ جواريه وأعطاه من الدار والأثاث ما يرفع حوائجه المنزلية ومن المال والضياع ما يسترزق به في حياته بالكسب والتعمير، فإن قلنا: إن هذا الإعطاء لا يؤثر من تملك العبد شيئا والمولى هو المالك وملكه بجميع ما أعطاه قبل الأعطاه وبعده على السواء كان ذلك قول المجبرة، وإن قلنا: ان العبد صار مالكاً وحيداً بعد الأعطاء وبطل به ملك المولى وإنّما الأمر إلى العبد يعمل ما يشاء في ملكه كان ذلك قول المفوّضة، وإن قلنا: كما هو الحقّ إنّ العبد يتملّك ما وهبه له المولىٰ في ظرف ملك المولى وفي طوله، لا في عرضه فالمولى هو المالك الأصلي والذي للعبد ملك في

أنت الإمام الّذي نرجو بطاعته يوم النجاة من الرحمن غفرانا
أوضحت من أمرنا ما كان ملتبساً جزاك ربُّك بالإحسان إحسانا[1]

ملك، كما أنّ الكتابة فعل اختياري منسوب إلى يد الإنسان وإلى نفس الإنسان، بحيث لا يبطل احدي النسبتين الأُخرىٰ، كان ذلك القول الحقّ الذي يشير إليه في هذا الخبر.

فقوله: «لوكان كذلك لبطل الثواب والعقاب» إلى قوله: «وأعطي على القليل كثيراً» انتهى، له اشارة إلى نفي مذهب الجبر بمحاذير ذكرها ومعناها واضح، وقوله: «ولم يعص مغلوباً» انتهى، اشارة إلى نفي مذهب التفويض بمحاذيرها اللازمة فإن الأنسان لوكان خالقاً لفعله، كان مخالفته لما كلفه الله من الفعل غلبة منه على الله سبحانه وقوله: «ولم يطع مكرها»انتهى، نفي للجبر ومقالبة للجملة السابقة فلوكان الفعل مخلوقاًلله وهوالفاعل فقد أكره العبد على الإطاعة وقوله: «ولم يملك مفوضاً» انتهى، بالبناء للفاعل وصيغة اسم الفاعل نفي للتفويض أي لم يملك الله ما ملكه العبد من العلل بتفويض الأمر إليه وإبطال ملك نفسه وقوله: «ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ولم يبعث النبيين مبشرين ومنذرين عبثاً» الجملتان يحتمل أن يشار بهما إلى نفي كلّ من الجبر والتفويض فإنّ الأفعال إذا كانت مخلوقة لله قائمة به سبحانه كان المعاد الذي هوغاية الخلقة أمراً باطلاً لبطلان الثواب والعقاب إلى آخر ما ذكره وكان بعث الرسل لإقامة الحجة وتقدمة القيامة عبثاً ولا معنى لأنّ يقيم تعالى حجة على فعل نفسه وإذا كانت مخلوقة للإنسان ولا تأثير لله سبحانه فيها لزم أن تكون الخلقة لغاية لا يملك الله تعالى منه شيئاً وهوالباطل وبعث الرسل لغرض الهداية التي لا يملكها إلّا الإنسان ليس لله فيها شأن وهوالعبث.

واعلم أن البحث عن القضاء والقدر كانت في أوّل الأمر مسألة واحدة ثمّ تحولت ثلاث مسائل أصلية الاولى: مسألة القضاء وهو تعلق الارادة الإلهية الحمية بكلّ شيء والأخبار تقضي فيها بالإثبات كما مر في الابواب السابقة. الثانية: مسألة القدر وهو ثبوت تأثير ما له تعالى في الأفعال والأخبار وتدلّ فيها أيضا على الإثبات. الثالثة: مسألة الجبر والتفويض والأخبار تشير فيها إلى نفي كلا القولين وتثبيت قولا ثالثاً وهو الأمر بين الأمرين، لا ملكاً لله فقط من غير ملك الانسان ولا بالعكس، بل ملكاً في طول ملك وسلطنة في ظرف سلطنة.

وأعلم أيضاً أن تسمية هؤلاء بالقدرية مأخوذة ممّا صح عن النبي «أن القدرية مجوس هذه الأُمّة»، الحديث. فأخذت المجبرة تسمّىٰ المفوضة بالقدرية لأنّهم ينكرون القدر ويتكلّمون عليها والمفوضة تسمي المجبرة بالقدرية لأنّهم يثبتون القدر والذي يتحصل من أخبار أئمة أهل البيت أنّهم يسمون كلتا الفرقتين بالقدرية ويطبقون الحديث النبوي عليهما، أمّا المجبرة فلأنّهم ينسبون الخير والشر والطاعة والمعصية جميعاً إلى غير الإنسان، كما أن المجوس قائلون بكون فاعل الخير والشر جميعاً غير الإنسان وقوله في هذا الخبر مبني على هذا النظر، وأمّا المفوضة فلأنّهم قائلون بخالقين في العالم هما الإنسان بالنسبة إلى أفعاله والله سبحانه بالنسبة إلى غيرها، كما أن المجوس قائلون بإله الخير واله الشر، وقوله في الروايات التالية: «لا جبر ولا قدر» انتهى ناظر إلى هذا الاعتبار».

١. الكافي ١/ ١٥٥، ح١، ونقلت عنه في موسوعة أحاديث أهل البيت ٩/ ١٦٢، ح٦.

وعن الحارث الأعور قال: قام رجل إلى عليعليه السلام فقال: يا أميرالمؤمنين أخبرني عن القدر، قال: طريق مظلم لا تسلكه.

قال: يا أميرالمؤمنين أخبرني عن القدر، قال: بحر عميق لا تلجه.

قال: يا أميرالمؤمنين أخبرني عن القدر، قال: سرّ الله قد خفي عليك فلا تفشه.

قال: يا أميرالمؤمنين أخبرني عن القدر، فقال عليّعليه السلام: أيُّها السائل إن الله خلقك كما شاء أو كما شئت؟ فقال: كما شاء.

قال: فيبعثك يوم القيامة كما شاء أو كما شئت؟ قال: كما شاء.

قال: أيّها السائل ألك مع الله مشيئة أو فوق الله مشيئة أو دون الله مشيئة؟ فإن زعمت أن لك دون الله مشيئة فقد أكتفيت عن مشيئة الله، وإن زعمت أنّ لك فوق الله مشيئة فقد زعمت أن مشيئتك غالبة على مشيئة الله، وإن زعمت أن لك مع الله مشيئة فقد أدعيت الشركة، ألست تسأل ربّك العافية؟ قال: بلى.

قال: فمن أي شيء تسأله، أمن البلاء الذي ابتلاك به، أم من البلاء الذي ابتلاك به غيره؟ قال: من البلاء الذي ابتلاني به.

قال: ألست تقول: لا حول ولا قوّة إلّا بالله؟ قال: بلى.

قال: فتعلّم تفسيرها؟

قال: لا، علّمني يا أميرالمؤمنين ممّا علمك الله. قال: تفسيرها: أن العبد لايقدر على طاعة الله ولايكون له قوّة علي معصية الله في الأمرين جميعاً إلّا بالله، أيّها السائل [إن اللهعزوجل يصح ويداوي، منه الداء ومنه الدواء] أعقلت عن الله أمره؟ قال: نعم.

قال عليعليه السلام: الآن أسلم أخوكم قوموا فصافحوه.

ثمّ قال: لووجدت رجلاً من القدرية لأخذت برقبته فلاأزال أطأ عنقه حتّى أكسرها[1] فإنّهم يهود هذه الأمّة ونصاراها ومجوسها.[2]

---

١. العُنُقُ يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ.

٢. الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي ٢/ ٢٢٥.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ الخطاب للمؤمنين لأنّهم المؤهلون لقبول الواجبات المالية.

﴿أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم﴾ الإنفاق يشمل الواجب والمندوب ويستفاد من نسبة الرزق أوّلاً إلى الله ثمّ إليهم الترغيب علي الإنفاق. وإذا انفقوا، هم انفقوا من مال الله الذي رزقهم. خلافاً لما توهّمه البعض بأنّهم أنفقوا من مالهم.

﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾ والمراد به يوم ٱلْقِيامَةِ كما قاله الشيخ.[١]

﴿لا بَيْعٌ فِيهِ﴾ البيع هُوَ ٱستبدالُ ٱلثَّمَنِ أَوِ ٱلْمَتاعِ بالْمَتاعِ[٢] بالفارسية «فروختن». أي لا بيع يوم القيامة لأجل حفظ نفسه أو التفدية به.

﴿وَلا خُلَّةٌ﴾ أي خالص المودّة، لتخلل الأسرار بينهما، أو بحيث تخلل في جميع الجسد كتخلل الروح فيه. أي لاتنفع الصداقة في يوم القيامة لانقطاع الأسباب الظاهرية كقوله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٣].

﴿وَلَا شَفَـٰعَةٌ﴾ عام يراد به الخاص بلاخلاف لأنّ الأُمّة اجتمعت على إثبات الشفاعة يوم القيامة وان اختلفوا في كيفيتها كما قاله الطبرسي.[٤]

وقال الشيخ: «وإن كان على لفظ العموم فالمراد به الخصوص بلاخلاف، لأنّ عندنا قد تكون الشفاعة في اسقاط الضرر، وعند مخالفينا في الوعيد قد يكون في زيادة المنافع فقد أجمعنا على ثبوت الشفاعة، وإنّما تنفي نحن الشفاعة قطعاً عن الكفار.

---

١. التبيان ٢/ ٣٠٥.

٢. الباء فى الاستبدال لا تَدْخُلُ إلّا علىٰ المتروك، تقولُ: ٱسْتَبْدَلْتُ الجديدَ بالقديم أي أَخَذْتُ الجديدَ وأعطيتُ القديمَ. قال تعالى: ﴿...أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [سورة البقرة/ ٦١].

٣. سورة الزخرف/ ٦٧.

٤. جوامع الجامع ١/ ١٣٩.

ومخالفونا عن كلِّ مرتكب كبيرة إذا لم يتب منها»[١].

والشفاعة عندي جارية في العوالم الثلاثة: الدنيا والبرزخ والقيامة لعدم ورود المخصص.[٢]

والمراد من الشفاعة المنفية في هذه الآية ونظائرها شفاعة بعض أهل الدنيا لبعضهم الآخر لأغراضهم الدنيوية كما قاله السبزواري رحمه الله.[٣]

﴿وَٱلْكَٰفِرُون هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ انحصر الظالمونَ في الكافرين لأنّ الكفر هوغاية الظلم، لأنّه أضرّ نفسه بالخلود في النار وحرمان ثواب الله وجنته، وفيها ترهيب إلى ترك الإنفاق حيث سَمّىٰ الله التاركين بالكافرين الحقيقيين حيث لم يعملوا بما أمرهم الله به كما ورد في آية الحج.[٤]

الرواية

وقد ورد في صحيحة البزنطي في كتاب أبي‌الحسن الرضا عليه السلام إلى ولده أبي‌جعفر الجواد عليه السلام: ... فانفق ولا تخف من ذي العرش إقتاراً.[٥]

وفي مواهب الرحمن[٦] بحث جيد في الشفاعة فَراجِعْهُ إن شئت.

---

١. التبيان ٢/ ٣٠٦.
٢. وما ورد مثل خبر عمروبن يزيد المروي في الكافي ٣/ ٢٤٢، ح٣ لم يكن مخصصاً.
٣. مواهب الرحمن ٤/ ٢٠٨.
٤. سورة آل‌عمران / ٩٧.
٥. الكافي ٤/ ٤٣٤، ح٥ ونقلت عنه في موسوعة أحاديث أهل‌البيت عليهم السلام ٩/ ٣٠١، ح٨.
٦. مواهب الرحمن ٤/ (٢٥١-٢١٤).

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ ﴿٢٥٥﴾

﴿ٱللَّهُ﴾ مُبْتَدَأٌ مرفوعٌ، عَلَمٌ لواجب الوجود، الذات المستجمع لجميع صفات الكمال وَٱلْمُنَزَّه عن النقائص والأوهام وروي عن النبي ﷺ : إنّ هذا هوالاسم الأعظم الذي يتأثر منه العالَم.١

﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ خبر الْمُبْتَدَأُ، نفي للمعبود مطلقاً وحصره في الله تعالى.

﴿ٱلْحَىُّ﴾ صفة للخبر الذي يصح أن يكون قادراً عالماً وهوالباقي لا يتطرق إليه الفناء. وحصر الحياة الواقعية الدائمية بالله تعالى.

﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ صفة أُخرى للخبر الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظهم، القائم بالأمر، المتعهد للحفظ والتدبير والمراقبة. وهوالله تعالى قائم بأمر خلقه وتدبير شُؤُوْنِهم.

﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ﴾ النعاس وهوما يَتَقَدَّمُ النوم من الفتور.

﴿وَلَا نَوْمٌ﴾ النوم معروف وهوخلاف اليقظة. والمراد هنا الاستثقال في النوم. حتّى يتغيّر مع السنة والنعاس. والجملة الأخيرة تأكيد للقيوم لأنّ من جاز عليه النوم والسنة لا يكون قيوماً.

﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يملكهما ويملك تدبير ما فيهما، لأنّه علىٰ سبيل الانحصار هوالحي القيوم فيكون له كلّ ما في السموات وما في الأرض. والقيومية تقتضي سعة قدرته وملكه وإحاطته بجميع ما في السموات والأرض. وهي تدل على انفراده بالقيومية وأنّ السلطنة المطلقة لاتكونُ إلّا لَهُ عَزَّتْ قُدْرَتُهُ.

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ استفهام إنكاري أي الشفعاء ليس لهم

---

١. مواهب الرحمن ٤/ ٢٥٣.

الشفاعة إلّا بعد إذنه وأمره بها لأنّ الحي القيوم منحصر به تعالى. وفي المحاسن عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: نحن أولئك الشافعون.[١]

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ والضمير يرجع إلى ما في السموات وما في الأرض لأنّ فيهم العقلاء. كناية عن كمال احاطته بالموجودات وسعة علمه بالمخلوقات. والمراد بما بين أيديهم: الحاضر المشهود، وبما خلفهم: الغائب المستور.

فيشمل جميع سلسلة الزمان الحاضر والماضي والمستقبل.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ من علمه أي من علومه ومعلوماته، تأكيد لسعة علمه وكمال احاطته ونفي علم ماسواه به تعالى وبعلمه.

﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ أي بما علّم وأطلع عليه. أي إذا شاء أطلع وعلّم من شاء بما شاء.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ قال ابن‌عباس: كرسيه: علمه وهوالمروي عن أبي‌جعفر[٢] عليه السلام. وفي الجوامع: روي ذلك عنهم[٣] عليهم السلام وهوالمروي في المعاني والتوحيد[٤] وقيل: هوسرير دون العرش وقد روي ذلك عن أبي‌عبدالله[٥] عليه السلام. وقد عبّر عن الارتفاع بالكرسي وسبب ارتفاعه هوالعلم والعلم الحقيقي يختص به. وعلمه يسع السموات والأرض.

﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ أي لايُثْقِلُهُ، ولا يشقّ عليه حفظ السموات والأرض.

الأود: الْمَشَقَّة والثقل والجهد. والضميرُ في (هُما) يَرْجِعُ إلى السموات والأرض.

﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ هذه الجملة الاخيرة تدل علي حصر جميع الكمالات فيه جل جلاله العليُّ: بالفارسية «برتر»، في ذاته وجميع شئونه وصفاته، وبالاقتدار ونفوذ السلطان

---

١. المحاسن / ١٨٣، ح ١٨٤.
٢. التبيان ٢/ ٣٠٩.
٣ الجوامع الجامع ١/ ١٤٠.
٤. معاني الأخبار / ٣٠، ح٢؛ التوحيد / ٣٢٧، ح١.
٥. التبيان ٢/ ٣٠٩.

والعلومنقول إلى معنى لا إلى المكان.

العظيم: معناه عظيم الشأن بأنّه قادر ولايعجزه شيء وعالم لايخفى عليه شيء فلا نهاية لمقدوره ومعلومه. وهو ٱلْعَلِيُّ الشأن، العظيم الملك.

الروايات

روي عن الأمير عليه السلام أنّه قال: سمعت نبيكم عَلىٰ أَعْوادِ المنبر وهويقول: من قراء آية الكرسي في دبر كلّ صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلّا الموت، ولا يواظب عليها إلّا صديق أو عابد ومن قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله.[١]

وروي عن علي عليه السلام: سيّد القرآن البقرة وسيّد البقرة آيةالكرسي.[٢]

وسُئل عن النبي صلى الله عليه وآله: عن أفضل ما أنزل عليك؟ قال: آيةالكرسيّ، ما السّماوات السبع والأرضون السبع في الكُرسيّ إلّا كحَلقةٍ مُلقاةٍ بأرض فَلَاةٍ[٣]، وإنّ فَضله علي العَرش كفضل الفَلاة على الحَلقة.[٤][٥]

عن الصادق عليه السلام ولكلّ شيء ذروة وذروة القرآن آيةالكرسي؛ من قرأ آيةالكرسي مرّةً صَرَفَ الله عنه ألف مَكْروهٍ من مكاره الدنيا، وألف مَكْروهٍ من مكاره الآخرة، أيسر مكروه الدنيا الفَقْر، وأيسر مَكْروه الآخرة عذاب القبر، وإنّي لأستعين بها على صُعُود الدَّرّجّة.[٦]

وعن النبي صلى الله عليه وآله: أُعطيت آيةالكرسي من كنز تحت العرش ولم يؤتها نبيٌّ كان قبلي. قال علي عليه السلام: فما بتُّ ليلة قط منذ سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى أقرأها.[٧]

---

١. جوامع الجامع ١/ ١٤٠؛ الكشاف ١/ ٣٠٢.
٢. الكشاف ١/ ٣٠٣.
٣. في «ج ، ٥» بَلَاقِع، والبَلْقَع: الأرض القَفْر التي لا شيء بها.
٤. معاني الأخبار ١/ ٣٣٣ «قطعة منه»؛ والخصال ١٣/ ٥٢٤؛ والدر المنثور ٢/ ١٧؛ بحارالأنوار ٥٨: ٥/ ١.
٥. وفي تفسير العياشي عن أبيذر ١/ ٢٥٨، ح٤٥٨.
٦. تفسير العياشي ١/ ٢٥٧، ح٤٥٤.
٧. أمالي الشيخ الطوسي،المجلس الثامنعشر، ح١٩/ ٥٠٨، الرقم ١١١٢.

وفي حسنة أبان بن عثمان عن أبيعبدالله عليه السلام قال: شكا إليه رجل عبث أهل الأرض بأهل بيته وبعياله فقال: كم سقف بيتك؟ فقال: عشرة أذرع فقال: إذرع ثمانية أذرع ثمّ اكتب آيةالكرسيّ فيما بين الثمانية إلى العشرة كما تدور فإنّ كلّ بيت سمكه أكثر من ثمانية أذرع فهومحتضر تحضره الجنُّ يكون فيه مسكنه.[١]

رواها البرقي في المحاسن[٢]، والصدوق في الخصال[٣].

وفي خبر الأصبغ بن نباتة عن أميرالمؤمنين عليه السلام: أنّه قام رجل فقال: يا أميرالمؤمنين إنّ في بطني ماء أصفر[٤] فهل من شفاء؟ فقال: نعم بلا درهم ولا دينار ولكن اكتب علي بطنك آيةالكرسيّ وتغسلها وتشربها وتجعلها ذخيرة في بطنك فتبرأ بإذن الله عزّ وجلّ ففعل الرّجل فبرأ بإذن الله، الحديث.[٥]

ونحوها في الفقيه[٦].

وفي الخصال: في ما علّم أميرالمؤمنين عليه السلام أصحابه: وإذا اشتكى أحدكم عينه فليقراء آيةالكرسي وليضمر في نفسه أنّها تبرأ فإنّه يُعافى إن شاء الله.[٧]

وفي العيون عن الرضا عليه السلام عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله : من قرأ آيةالكرسي مائة مرّة كان كمن عبدالله طول حياته.[٨]

وفي ثواب الأعمال بإسناده عن رجل سمع الرضا عليه السلام يقول: من قرأ آيةالكرسي عند منامنه لم يخف الفالج إن شاء الله ومن قرأها بعد كلّ صلاة لم يضره ذوحمة.[٩]

ذوحمة: أي ذوالسم.

وفي خبر عبدالله بن يحيى الكاهلي قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: إذا لقيتَ السبع ماذا

---

١. الكافي ٦/ ٥٢٩، ح٣ (١٣/ ٢٣٦ من طبعة دارالحديث).
٢. المحاسن / ٦٠٩، كتاب المرافق، ح١٥.
٣. الخصال / ٤٠٨، باب الثمانية، ح٨.
٤. هوالصفراء التي تدفع من المثانة ممزوجة بالبول.
٥. الكافي ٢/ ٦٢٤، ح٢١.
٦. من لا يحضره الفقيه ٤/ ٣٧١، ح٥٧٦٢.
٧. الخصال / ٦١٦، ح١٠، باب المأة.
٨. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/ ٦٥، ح٢٨٩.
٩. ثواب الأعمال / ١٠٤.

تقول؟ قُلْتُ: لا أدري، قال: إذا لقتيه فاقرأ في وجهه آيةالكرسي، الحديث.[١]

وسُئل النبي صلى الله عليه وآله : القرآن أفضل أم التوراة؟ فقال: إن في القرآن آية هي أفضل من جميع كتب الله وهي آيةالكرسي.[٢]

قال رسول الله عليه السلام: «من قرأ آيةالكرسي مرّة محي اسمه من ديوان الأشقياء، ومن قرأها ثلاث مرّات، استغفرت له الملائكة، ومن قرأها أربع مرّات، شفع له الأنبياء، ومن قرأها خمس مرّات، كتب الله اسمه في ديوان الأبرار، واستغفرت له الحيتان في البحار، ووقي شر الشيطان، ومن قرأها سبع مرّات، اغلقت عنه أبواب النيران، ومن قرأها ثماني مرّات، فتحت له أبواب الجنان، ومن قرأها تسع مرّات، كفي همّ الدنيا والآخرة، ومن قرأها عشر مرّات، نظر الله إليه بالرحمة، ومن نظر الله إليه بالرحمة، فلا يعذِّبه».[٣]

عن الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لما نزلت آيةالكرسي، نزلت آية من كنز العرش، ما من وثن في المشرق والمغرب، إلّا وسقط على وجهه، فخاف إبليس وقال لقومه: حدثت في هذه الليلة حادثة عظيمة، فالزموا مكانكم، حتّى أجوب المشارق والمغارب، فاعرف الحادثة، فجاب حتّى أتى المدينة، فرأي رجلاً فقال: هل حدث البارحة حادثة؟ قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله : نزلت عليَّ آية من كنوز العرش، سقطت له أصنام العالم لوجهها، فرجع إبليس إلى أصحابه وأخبرهم بذلك. وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا يقرأ هذه الآية في بيت، إلّا ولايحوم الشيطان حوله ثلاثة أيّام، إلى أن ذكر ثلاثين يوماً، وعلّمها أولادك وجيرانك، فإنّه لم ينزل عليَّ آية أعظم من هذا».[٤]

ورواها الثعلبي في تفسيره[٥].

ورَوىٰ عمروبن المقدام عن أبيجعفر الباقر عليه السلام قال: من قرأ آيةالكرسي مرّة

---

١. الخرائج / ٦٠٧.
٢. مستدرك الوسائل ٤/ ٣٣٤، ح٢١، نقلاً من لب اللباب للقطب الراوندي.
٣. مستدرك الوسائل ٤/ ٣٣٥، ح٢٥، نقلاً من لب اللباب.
٤. مستدرك الوسائل ٤/ ٣٣٥، ح٢٦، نقلاً من تفسير أبيالفتوح الرازي ٣/ ٣٩٧.
٥. تفسير الثعلبي ٢/ ٢٢٨.

صرف الله عنه ألف مكروه من مكاره الدنيا وألف مكروه من مكاره الآخرة أيسر مكروه الدنيا الفقر وأيسر مكروه الآخرة عذاب القبر.[١]

ورواها الثعلبي في تفسيره[٢].

عن أبي‌أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله قال: إنّ اسم الله الأعظم لفي سور من القرآن ثلاث: البقرة وآل‌عمران وطه.

قال بعضهم: فنظرت في هذه السور الثلاث فرأيت فيها اسماً ليس في شيءٍ من القرآن.

في آية‌الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾.

وفي آل‌عمران: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾[٣].

وفي طه: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِ﴾[٤].[٥]

وفي الخصال بإسناده عن الرضا عليه السلام عن آبائه عن علي عليه السلام قال: إذا أراد أحدكم الحاجة فليباكر في طلبها يوم الخميس وليقرأ إذا خرج من منزله آخر سورة آل‌عمران وآية‌الكرسي وإنّا أنزلناه وأمّ الكتاب، فإنّ فيها حوائج الدنيا والآخرة.[٦]

ولمَزيد الوقوف علىٰ ماجاء في فضل آية‌الكرسي راجع الباب الذي عَقَدَهُ السيّد البحراني في هذا المجال مِنْ تفسيره (البرهان)[٧].

---

١. مستدرك الوسائل ٤/ ٣٣٧، ح٢٩، نقلاً من أبي‌الفتوح الرازي ٣/ ٣٩٩.
٢. تفسير الثعلبي ٢/ ٢٢٩.
٣. سورة آل‌عمران / ٢.
٤. سورة طه/ ١١١.
٥. تفسير الثعلبي ٢/ ٢٣٠.
٦. الخصال / ٦٢٣، ح١٠ وعنه في البرهان ١/ ٥٢٨، ح٩.
٧. البرهان في تفسير القرآن / ٥٢٦ وفيه ٩ رواياتٍ.

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٥٦﴾

﴿لَآ إِكۡرَاهَ﴾ أي لم يجر الله أمر الدين على الجبر والقسر بل أمور الدين جارية علي الاختيار، مادة كُرْه تدل علي زوال الرضا وطيب النفس أو الرغبة.

﴿فِي ٱلدِّينِ﴾ الدين هو الاعتقاد الصحيح المستتبع للعمل بل هو العقائد والأعمال والأخلاق الحسنة.

وفيه أربعة أقوال كما في التبيان[١] ومجمع البيان[٢] وزاد في تفسير مقاتل[٣] ونقل عنه في تفسير الثعلبي[٤].

﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ الغَيُّ ضد الرشد نقول غوي يغوي غيّاً وَغَواية[٥] إذا سلك خلاف طريق الرشد. أي قد تميّز الإيمان من الكفر بالدلائل الواضحة.

﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ الطاغوت من الطغيان وَٱلْلَفْظُ من صيغ المبالغة يوصف به الواحد والجمع ويستوي فيه التذكير والتأنيث وقد ذكر هذا ٱلْلَفْظُ ثماني مرّات في القرآن.

وفيه خمسة أقوال: كما في التبيان[٦] ومجمع البيان[٧].

﴿وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ بعد الكفر بالطاغوت يأتي الإيمان بالله، كما ورد في كلمة التوحيد لا اله إلّا الله.

﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ وهي شدة التمسك وإحكامه، الحبل: الوثيق

---

١. التبيان ٢/ ٣١١.
٢. مجمع البيان ١/ ٣٦٣.
٣. تفسير مقاتل ١/ ١٣٦.
٤. تفسير الثعلبي ٢/ ٢٣٥.
٥. بفتح الغَيْن المعجمة لا بكَسْرِها كما شاع خَطَأً.
٦. التبيان ٢/ ٣١٢.
٧. مجمع البيان ١/ ٣٦٤.

المحكم المأمون انفصامها أي انقطاعها، وهي مثال المعقول بالمحسوس.

﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ أي لا انقطاع لها.

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ سميع للأقوال، عليم بِالنِّيَاتِ والأعمال وفيه ترغيب وترهيب.

الروايات

وفي العياشي عن زرارة وحمران ومحمّد بن مسلم عن أبيجعفر عليه السلام وأبيعبدالله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ قال: هي الإيمان بالله وحده.[١]

وفي الكافي بسند صحيح عن محمّد بن مسلّم عن أحدهِما عليهما السلام قال: هي الإيمان، الحديث.[٢]

وفيه أيضاً بسند صحيح عن عبدالله بن سنان عن أبيعبدالله عليه السلام قال: هي الإيمان بالله وحده لا شريك له، الحديث.[٣]

وفي المحاسن بسند معتبر عن محمّد بن مسلم عن أبيجعفر عليه السلام قال: عروة الله الوثقى: التوحيد، والصبغة: الإسلام.[٤]

وفي العيون بإسناده عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من أحب أن يركب سفينة النجاة ويستمسك بالعروة الوثقى ويعتصم بحبل الله المتين فليوال علياً بعدي وليعاد عدوه وليأتم بالأئمة الهداة من ولده.[٥]

وفي المعاني بسنده عن عبدالله بن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من أحب أن يستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها فليستمسك بولاية أخي ووصيي علي بن أبيطالب فإنّه لايهلك من أحبّه وتولاه ولاينجومن أبغضه وعاداه.[٦]

وفي التوحيد عن أبيبصير عن أبيعبدالله عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام في خطبة:

---

١. تفسير العياشي، ح٤٦٢.
٢. الكافي ٢/ ١٤، ح٣.
٣. الكافي ٢/ ١٤، ح١.
٤. المحاسن ١/ ٣٧٥، ح٢٢٤.
٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/ ١٩٢، ح٤٣.
٦. معاني الأخبار / ٣٦٨، ح١.

أنا حبل الله المتين وأنا عروة الله الوثقى.[١]

وفي الخصال عن ابن‌عباس قال: قام رسول الله ﷺ فينا خطيباً فقال في آخر خطبته: نحن كلمة التقوى وسبيل الهدى والمثل الأعلى والحجة العظمى والعروة الوثقى.[٢]

وفي كمال الدين عن الرضا عليه السلام في حديث طويل: نحن حجج الله في أرضه ونحن كلمة التقوي والعروة الوثقى.[٣]

وفي العيون عن الرضا عليه السلام قال رسول الله ﷺ : الأئمة من ولد الحسين عليه السلام من أطاعهم فقد أطاع الله ومن عصاهم فقد عصى الله هم العروة الوثقى وهم الوسيلة إلى الله تعالى.[٤]

وفيه عن الرضا عليه السلام أنّه ذكر القرآن يوماً وقال في حديث: هوحبل الله المتين وعروته الوثقى وطريقته المثلى.[٥]

وفي النهج عن أميرالمؤمنين عليه السلام في توصيف القرآن:... وحبلاً وثيقاً عروته، الخطبة.[٦]

أقول: التوحيد والإيمان والقرآن ورسول الله ﷺ وأميرالمؤمنين علي بن أبي‌طالب عليه السلام والأئمة اَلْأَحَدَ عَشَرَ من ولده عليهم السلام كلّهم من أعظم وأفضل مصاديق العروة الوثقى. فلا تنافي بين الروايات كما هو الواضح، بل التوحيد والإيمان والقرآن والرسالة والإمامة كُلُّها تَظْهَرُ وتبقىٰ ببركة أميرالمؤمنين علي ابن أبي‌طالب عليه السلام فهوعروة الله الوثقى العظمى وكذلك أولادُهُ الأئمة المعصومون عليهم السلام وكلّهم نور واحد.

---

١. التوحيد / ١٦٤،ح٢.
٢. الخصال / ٤٣٢، ح١٤.
٣. كمال الدين / ٢٠٢.
٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/ ٥٨، ح٢١٧.
٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/ ١٣٠، ح٩.
٦. نهج‌البلاغه، الخطبة ١٩٨.

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ ﴿٢٥٧﴾

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ حيث مرّ حديث الإيمان اتبعه بهذه الكرامة وهي ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

قال الشيخ: «معني ﴿وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: نصيرهم ومعينهم في كلّ ما بهم إليه الحاجة وممّا فيه صلاح لهم في دينهم ودنياهم وإنّما يوصف بالولي من كان أولى بغيره وأحقّ بتدبيره. ومنه الوالي، لأنّه يلي للقوم بالتدبير والأمر، والنهي، ومنه المُولىٰ[1] من فوق، لأنّه يلي أمر العبد بسد الخلّة، وما به إليه الحاجة، ومنه المولى من أسفل لأنّه يلي أمر المالك بالطاعة، والمولى ابن العم لأنّه يلي أمره بالنصرة لتلك القرابة، وولي اليتيم لأنّه يلي أمر ماله بالحفظ له والقيام عليه. والولي في الدين وغيره، لأنّه يلي أمره بالنصرة والمعونة لما توجبه الحكمة، وللعاقدة لجميع هذه المواضع الأولى والأحقّ ملحوظ فيه. وولّى: إذا أدبر عن الشيء لأنّه زال عن أن يليه بوجهه واستولى على الشيء: إذا احتوي عليه، لأنّه وليه بالقهر. والله تعالى يتولى المؤمنين علي ثلاثة أوجه: يتولاهم بالمعونة على إقامة الحجة، ويتولاهم بالنصرة لهم في الحرب حتّى يغلبوا، ويتولاهم بالمثوبة على الطاعة»[2].

﴿يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان قال الشيخ: «لأنّ الكفر كالظلمة في المنع من إدراك الحقّ كما أن الظلمة مانعة من إدراك البصر. وقال قتادة: يخرجهم من ظلمة الضلالة إلى نور الهدى، وهذا قريب من الأوّل، ووجه إخراج الله تعالى المؤمنين من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الإيمان باهدائهم إليه، ونصب الأدلّة لهم، وترغيبهم فيه، وفعله بهم من الألطاف ما يقوّي دواعيهم إلى

١. التحقيقُ أَنَّ (المولىٰ) مَشْتَرَكٌ مَعْنَوِيٌّ وليس مُشْتَرَكاً لفظِيّاً.
٢. التبيان ٢/ ٣١٤.

الإيمان، فإذا اختاروا هم الإيمان، فكأنّ الله أخرجهم منها»[١].

أقول: نور الهداية واحدٌ والظلمات متعددات إشارة لطيفة إلى وحدة طريق النجاة وكثرة سبل الضلال.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ ثمّ ابتدأ الله تعالى بذكر الكفار وأوليائِهم وفعل أوليائِهِمْ وعاقبتهم، ليس للكفار وليٌّ واحِدٌ بل لهم أولياء مُتَعَدِّدُوْنَ مُخْتَلِفُوْنَ وهم الطواغيت أتي بالمفرد لأنّه اسم جنس تصغيراً لهم قال الشيخ «لأنّه في معنىٰ الجميع»[٢].ولاتحاد عملهم، يلي لهم مايلي الله تعالى للمؤمنين فبئس البدل تبديل الله تعالى بهم، وما يوجب هذا التبديل هوالكفر بالله تعالى.

﴿يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ نَسَبَ إخراجَهُمْ من النور ـ أي نور العقل والفطرة والهداية ـ إلى ظلمات الكفر والغَوايةِ إلى الطاغوت لما كان ذلك بإغوائهم ودعائهم.

وأمّا صِدْقُ إخراجهم من النور فَإمّا ما مَرّ من نور العقل والفطرة السليمة وهما موجودان في الجَميع، وإمّا على سبيل منعهم من دخولهم في نور الإيمان ولولم يفعلوا بهم ما فعلوا لدخلوا فيه فهم بمنزلة الداخلين فيه الذين أخرجوا منه. نحوقولهم: أخرجني والدي من ميراثه ـ أي منعني منه.

وقال مجاهد: إنّه في قوم ارتدوا عن الإسلام، وقال الشيخ: «والأوّل ـ أي على سبيل منعهم من دخولهم ـ أليق بمذهبنا لأنّ عندنا لايجوز أن يرتد المؤمن على الحقيقة»[٣].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ وهذه الجملة من قبيل ٱلْقَضايا الطبيعية التي يُؤْتىٰ بها لبيان ترتيب الأثر عَلىٰ المؤثر كقوله ﷺ: حفّت النار بالشهوات وقوله ﷺ: من حفر لِأَخِيْهِ بئراً وقع فِيْها.[٤]

---

١. التبيان ٢/ ٣١٤.
٢. التبيان ٢/ ٣١٥.
٣. التبيان ٢/ ٣١٥.
٤. مواهب الرحمن ٤/ ٣٠٢.

وقال الشيخ: «وفي الآية دليل على فساد قول المجبرة في المخلوق والإرادة لأنّه تعالى نسب الإخراج من نور الهدي إلى ظلمة الكفر والضلال إلى الطاغوت منكراً لتلك الحال، ولم يكن لينكر شيئاً أراده ولايغيب شيئاً عنه فعله ـ تعالى الله عن ذلك ـ»[١].

الروايات

وفي خبر عبدالله بن أبييعفور المروية في الكافي الشريف[٢] قال: قلت لأبيعبدالله عليه السلام: إنّي أُخالط النّاس فيكثر عجبي من أقوام لا يتولّونكم ويتولّون فلاناً وفلاناً، لهم أمانةٌ وصدقٌ ووفاءٌ، وأقوام يتولّونكم، ليس لهم تلك الأمانة ولا الوفاء والصدق؟ قال: فاستوى أبوعبدالله عليه السلام جالساً فأقبل عليَّ كالغضبان، ثمَّ قال: لا دين لمن دان الله بولاية إمام جائر ليس من الله؛ ولا عتب على من دان بولاية إمام عادل من الله، قلت: لا دين لأُولئك ولا عتب على هؤلاء؟! قال: نعم لا دين لأُولئك ولا عتب على هؤلاء، ثمَّ قال، ألاتسمع لقول الله عزّ وجلّ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ يعني [من] ظلمات الذُّنوب إلى نور التّوبة والمغفرة لولايتهم كلَّ إمام عادل من الله وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ إنّما عني بهذا أنّهم كانوا علي نور الإسلام فلمّا أن تولّوا كلَّ إمام جائر ليس من الله عزّ وجلّ خرجوا بولايتهم [إيّاه] من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر، فأجب الله لهم النّار مع الكفّار، فـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

ولكن في نقل العياشي يختلف آخر الحديث وقال بعد قوله تعالى: ﴿يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ قال: أليس الله عني بها الكفار، الحديث.[٣]

ونقل العياشي ذيل الحديث بنحوثالث من رواية محمّد بن الحسين وفيه: فأعداء على أميرالمؤمنين عليه السلام هم الخالدون في النار، الحديث.[٤]

---

١. التبيان ٢/ ٣١٥.
٢. الكافي ١/ ٣٧٥، ح٣.
٣. تفسير العياشي ١/ ٢٥٩، ح٤٦٣.
٤. تفسير العياشي ١/ ٢٦١.

وفي مرسلة مسعدة بن صدقة عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: فالنور هم آل محمد عليهم السلام والظلمات عدوهم.[١]

وفي مرسلة مِهْزَم الأسدي قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: قال الله تبارك وتعالى: لأُعذّبنّ كلّ رَعيّةٍ دانت بإمامٍ ليس من الله، وإن كانت الرَّعيّة في أعمالها بَرَّةً تقيّةً ولأعْفونّ عن كُلّ رَعيّةٍ دانت بكُلّ إمامٍ من الله وإنّ كانت الرَّعيّة في أعمالها سيّئة.

قلت: فيعفو عن هؤلاء، ويعذّب هؤلاء؟ قال: نعم، إنّ الله يقول: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾.[٢]

وفي صحيحة[٣] أبي‌بصير عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: كلّ رايةٌ تُرْفَعُ قبل قيام القائم عجل الله فرجه فصاحبها طاغوت يُعْبَدُ من دون الله عزوجل.[٤]

وفي أمالي الشيخ بإسناده إلى عليٍّ عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله أنه تلا هذه الآية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ قيل: يا رسول الله مَنْ أصحاب النار؟ قال: مَنْ قاتل عليّاً بعدي فاولئك هم أصحاب النار مع الكفار فقد كفروا بالحقّ لمّا جاءهم، الحديث.[٥]

قد مرّ تمامه ذيل الآية ٨١ من سورة البقرة.

وفي مرسلة السروي عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بولاية علي ابن أبي‌طالب عليه السلام ﴿أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ نزلت في أعدائه ومن تبعهم أخرجوا الناس من النور ـ والنور: ولاية عليّ ـ فصاروا إلى ظلمة ولاية أعدائه.[٦]

---

١. تفسير العياشي ١/ ٢٦٠، ح٤٦٤.
٢. تفسير العياشي ١/ ٢٦٠، ح٤٦٥.
٣. وفي مرآه العقول ٢٦/ ٣٢٥ موثق.
٤. الكافي ٨/ ٢٩٥، ح٤٥٢.
٥. أمالي الشيخ الطوسي، المجلس الثالث‌عشر ح١٤/ ٣٦٤، الرقم ٧٦٣.
٦. المناقب ٣/ ٨١ ونقل عنه في البرهان ١/ ٥٢٥، ح١٦.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿٢٥٨﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ الكلام للتعجب كما يقولون: أما ترى إلى فلان كيف يقول أو يصنع، والتعجب لأجل هذه المحاجّة وكفر المُحاجّ بالله تعالى.

﴿إِلَى﴾ إلى هنا بمنزلة كاف التشبيه من حروف الجر ويطلق عَلىٰ ما إذا كان يَنْدُرُ مثله ويبعد وقوعه.

﴿ٱلَّذِى﴾ هونمرود بن كنعان الملك المعروف المعاصر لإبراهيم عليه السلام وهوأوّل من ٱدَّعىٰ الربوبية لم يصرح سبحانه باسمه تحقيراً له.

﴿حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ المحاجة هي تبادل الحجة مع الخصم ومادة حجج تأتي بِمَعْنىٰ القصد والمحاجة لقصد الغلبة على الخصم وتطلق الحجة على ما يقصد به إثبات شيء. في ربّه متعلّق بحاجّ والضمير في ربّه يرجع إلى إبراهيم عليه السلام.

﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ الضمير في آتاه كناية عن المحاج لإبراهيم أي نمرود وقيل: أنّه يرجع إلى إبراهيم عليه السلام لِأَنَّهُ هوالملك الواقعي على الشجر والمدر وعلى الجن والإنس.

ولكن الأصح رجوع الضمير إلى نمرود لأنّ السلطنة والملك والرياسة المصطلحة نعمة من أنعم الله فلابدّ من شكره من إصلاح أمور النّاس وتقوية الدين وأهله وترويجه ورفع حاجات عبادالله وأمّا كفره فهو الظلم والعدوان والتعدي علىٰ ٱلنّاس والمقابلة لدين الله وترويج الكفر والنفاق. فيصح انتساب هذه النعمة إلى الله، لا أنّه تعالى جعل نمرود حاكماً شرعياً على عباده وبطلان هذا الأخير واضح.

والجملة ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ في موضع التعليل للمحاجة أي أنّما حاجَّ نمرود إبراهيم لأنّه رأىٰ نفسه مَلِكاً والملك يوجب تكبره وإعجابه بنفسه فحمله على

الغرور فحاجَّ إبراهيم في رَبِّهِ.

ويصح ارجاع الضمير إلى إبراهيم في آتاه فيكون المراد الملك المعنوي بقرينة قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[1]، مِنْ جِهَةِ هذه السلطنة المعنوية حاج نمرود إبراهيم لأنّه يَرىٰ نفسه ملكاً ظاهريّاً ماديّاً.

﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ أي يحيي الميت ويميت الحي، الإحياء وَٱلإماتَةُ هما من فعل الله تعالىٰ وهو يختص بهما دون خلقه والحياة هي أُولىٰ نعم الله تعالى في الظاهر.

نعم: على سبيل المعجزة يمكن للنبي والوصي الإحياء أو الإماتة بإذن الله تعالى.

وسرّ استشهاد إبراهيم عليه السلام بهذه الحجة هواختصاصهما بالله تعالى دون خلقه كما مرّ. والآنَ مع هذه التنمية الماديّة وَٱلأَجْهِزَةِ العالية والمستشفيات الكبيرة والنَّطاسِيِّيْنَ ٱلْمُهَرَةِ الْمُخْتَصِين لايمكنهم التأخير في الموت ولو لَحْظَةً واحدة. فالموت والحياة بيدالله تعالى خاصة وهذا من أظهر مصاديق الحجة التي يعترف بها الجميع.

﴿قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ قَدَّمَ نَفْسَهُ على فعله لعُجبه وغروره وقال أنا والأنانية معروفة في هذه الطائفة المفسدة كما قال إبليس وهورئيسهم ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾[2].

ومراده من الإحياء والإماتة عنده التخلية لمن حكم عليه بالقتل، وقتل الآخر كما فعل في أعين النّاس. ولم يأت نمرود في مقابل حجة إبراهيم عليه السلام إلّا بالمغالطة الواضحة. فليس هذا العملُ إِحْياءً ولذا ورد عن الصادق عليه السلام: أن إبراهيم عليه السلام قال له: أحيي مَنْ قتلتَهُ إن كنت صادقاً.[3] تذكاراً بمغالطته.

﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ عدل عن الربّ بذكر اسم الجلالة لأنّ ربوبية الله تعالى صارت واضحة بالحجة الأولى. ولعلّ ذكر الشمس لأنّها كانت من أعظم المعبودات عندهم وذكر أنّها مسخرّة تحت إرادة الله

---

١. سورة النساء / ٥٤.
٢. سورة ص / ٧٦.
٣. التبيان ٢/ ٣١٨؛ مجمع البيان ٢/ ٣٦٧.

تعالى.

وعدل عن الحجة السابقة إلى هذا الاستدلال لأنّ نمرود لمّا أتى في مقابلها بالمغالطة الواضحة بيّن إبراهيم مغالطته كما مرّ عن الصادق عليه السلام وَٱبْتَدَأَ بالحجة الثانية بحيث لا يقدر نمرود على عملية المغالطة. وأمره بالإتيان على خلاف ما أمرها الله تعالى أي الإتيان بالشمس من المغرب.

﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ البهت: هوالتحير عند قيام الحجة بحيث لا يقدر على الرد، الذي كفر نمرود أو من حضر مجلسه وقال بقوله أو كلّ من قال بهذه المقالة الباطلة.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الهدى هوالدلالة على الطريق المؤدي إلى البغية والله تعالى قد هدى جميع المكلفين على طريق الحقّ وَخَصَّ المؤمنين في هدايته لهم بالمعونة على سلوك طريق الحقّ كما قاله الشيخ.[١]

وذكر الوصف مشْعرٌ بِالْعِلِّيَّةِ والظلم علّة لعدم سلوكهم طريق الهداية.

وفي الآية الشريفة دلالة ظاهرة على جواز المحاجة والجدل مع الكافرين.

ووقت هذه المحاجة عند كسر الأصنام وقبل القائه في النار التي جعلها الله عليه برداً وسلاماً كما هوالمروي عن الصادق عليه السلام.[٢]

الروايات

وورد في صحيحة حُجر بن زائدة عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: خالف إبراهيم قومه وعاب آلهتهم حتّى أُدخل على نمرود وخاصمه، الحديث.[٣]

معتبرة حنان بن سدير عن رجل من أصحاب أبي‌عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ أشدّ النّاس عذاباً يوم القيامة لسبعة نفر أوّلهم ابن آدم الّذي قتل أخاه، ونَمرود الّذي حاجَّ إبراهيم في ربّه، واثنان في بني‌إسرائيل هوَّدا قومهما ونَصّراهما، وفرعون الّذي قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[٤]، واثنان من هذه الأمّة أحدهما شرَّهما في تابوت من

---

١. التبيان ٢/ ٣١٩.
٢. مجمع البيان ٢/ ٣٦٧.
٣. الكافي ٨/ ٣٦٨، ح٥٥٩؛ تفسير العياشي ١/ ٢٦١، ح٤٦٧.
٤. سورة النازعات / ٢٤.

قوارير تحت الفلق في بحار من نار.[١]

خبر إسحاق بن عمار الصيرفي عن أبي‌الحسن الماضي عليه السلام قال: قلت: جعلت فداك حدثني فيهما بحديث فقد سمعت عن أبيك فيهما أحاديث عدَّة، قال: فقال لي: يا إسحاق، الأوَّل بمنزلة العجل والثاني بمنزلة السامريِّ، قال: قلت: جعلت فداك زدني فيهما قال: هما والله نصّرا وهوَّدا ومجّسا، فلا غفرالله ذلك لهما، قال: قلت: جعلت فداك زدني فيهما، قال: ثلاثة لا ينظر الله إليهم ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم، قال: قلت: جعلت فداك فمن هم؟ قال: رجل ادَّعى إماماً من غير الله، وآخر طعن في إمام من الله، وآخر زعم أنَّ لهما في الإسلام نصيباً، قال: قلت: جعلت فداك زدني فيهما، قال: ما أُبالي يا إسحاق محوت المحكم من كتاب الله أو جحدت محمّداً صلى الله عليه وآله النبوَّة أو زعمت أن ليس في السماء إلهٌ، أو تقدَّمت على عليِّ بن أبي‌طالب عليه السلام، قال: قلت: جعلت فداك زدني، قال: فقال لي: يا إسحاق إنَّ في النار لوادياً يقال له: سقر لم يتنفّس منذ خلقه الله، لوأذن الله له في التنفّس بقدر مخيط[٢] لأحرق من على وجه الأرض وإنَّ أهل النار يتعوَّذون من حرِّ ذلك الوادي ونتنه وقذره وما أعدَّ الله فيه لأهله، وإنَّ في ذلك الوادي لجبلاً يتعوَّذ جميع أهل ذلك الوادي من حرِّ ذلك الجبل ونتنه وقذره وما أعدَّ الله فيه لأهله، وإنَّ في ذلك الجبل لشعباَ يتعوَّذ جميع أهل ذلك الجبل من حرِّ ذلك الشعب ونتنه وقذره وما أعدَّ الله فيه لأهله، وإنَّ في ذلك الشعب لقليباً يتعوَّذ أهل ذلك الشعب من حرِّ ذلك القليب ونتنه وقذره وما أعدَّ الله فيه لأهله، وإنّ في ذلك القليب لحيّة يتعوَّذ جميع أهل ذلك القليب من خبث تلك الحيّة ونتنها وقذرها وما أعدَّ الله عزوجل في أنيابها من السمِّ لأهلها، وإنَّ في جوف تلك الحيّة لسبع صنادق فيها خسمة من الأُمم السالفة وإثنان من هذه الأُمّة. قال: قلت، جعلت فداك ومَنْ الخمسة، ومَنْ الإثنان؟ قال: أمّا الخمسة فقابيل الّذي قتل هابيل، ونمرود الّذي حاجَّ إبراهيم في ربّه، قال: ﴿أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ﴾، وفرعون الّذي قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾، ويهودا الّذي هوَّد

١. عقاب الأعمال / ٢٥٥، ح١ ونقل مختصره في تفسير العياشي ١/ ٢٦١، ح٤٦٨ إلى نمرود.
٢. في بعض النسخ «لو طلع منه شرارة».

اليهود، وبولس الّذي نصّر النصاري ومن هذه الأُمة أعرابيّان.١

صحيحة محمّد بن خالد بإسناده رفعه إلى أبي‌عبدالله عليه السلام قال: مَلِكَ الأرض كلّها أربعة مؤمنان وكافران، فأمّا المؤمنان فسليمان بن داود عليه السلام وذوالقرنين، والكافران نمرود وبختنصر، واسم ذي‌القرنين عبدالله بن ضحاك بن معد.٢

مرسلة ومضمرة أبي‌بصير قال: لما دخل يوسف علي الملك قال له: كيف أنت يا أبراهيم؟ قال: إنّي لست بإبراهيم، أنا يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم. قال: وهوصاحب ابراهيم الذي حاجّ ابراهيم في ربّه، قال: وكان أربعمائة سنة شاباً.٣

﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

﴿أَوْ﴾ حرف عطف هذه الآية معطوفة على الآية السابقة ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾.

﴿كَ﴾ موضع الكاف نصب بـ ﴿تَرَ﴾ ومعناه التعجب منه لأنّ كلّما خرج في بابه يعظمه عن حد نظائره ممّا يتعجب منه. نحوقولك: هل رأيت كزيد الجاهل.

﴿ٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ هوعزير ورُوي ذلك عن أبي‌عبدالله عليه السلام.٤

وقيل: هو أرميا وهوالمروي عن أبي‌جعفر عليه السلام.٥

---

١. عقاب الأعمال / ٢٥٥، ح٣.
٢. الخصال ١/ ٢٥٥، ح١٣٠.
٣. تفسير العياشي ١/ ٢٦١، ح٤٦٦.
٤. التبيان ٢/ ٣٢٠؛ مجمع البيان ٢/ ٣٧٠.
٥. التبيان ٢/ ٣٢٠؛ مجمع البيان ٢/ ٣٧٠.

وقيل: هوا لخضر كما عن ابن إسحاق.

والقرية: قد يقال بأنّه بيت المقدس لما خرَّبه بخت نّصر.

وقيل: هي الأرض المقدسة.

وقيل: هي القرية التي خرج منها الألوف حذر الموت كما مَرَّتْ قصته في الآية ٢٤٣ من هذه السورة.

والقرية أصلها من قريت الماء: إذا جمعته سميت بذلك لِاجتماع النّاس فِيْها اللإقامة بها.

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ أي خالية، أصل الخواء: الخلاء، الخواء: الفرجة بين الشيئين بخلو ما بينهما، خوت الدار فهي خاوية: إذا باد أهلها بِخُلِوِّها منهم. وخلوها وإِبادة أهلها يستلزم خرابها.

﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ يعني على ابنيتها، وكلُّ بناءٍ عرشٌ. العرش: البيت، سمي لإرتفاعه. العرش: السرير لِإرتفاعه على غيره. عرش البيت: سقفه و... وأصل الباب: ٱلارتفاع.

﴿أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾ أي كيف يحيي الله، هذه اشارة إلى الأجساد البالية والعظام الرميمة، لا خراب القرية، وإن كانَتْ حياة ساكنيها توجب إحْياءَها وقال ذلك استعظاماً للإحياء لا استبعاداً منه لقدرة الله تعالى.

﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ﴾ أي مائة سنة، رُوي أنّه مات ضُحىً وبُعث بعد مائة سنة. قبل غيبوبة الشمس.[1]

﴿ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ أي أحياه كما كان قبل الإماتة.

﴿قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَ﴾ الْلَبْثُ: المكث. «وفي التفسير أنّه سمع نداءً من السماء كم لبثت يعني في مبيتك ومنامك»[2].

﴿قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٍ﴾ لأنّ الله تعالى أماته في أوّل النهار وأحياه بعد مائة سنة في آخر النهار فقال: يوماً، ثمّ التفت فرأىٰ بقية من الشمس فقال: أو بعض يوم.

---

١. جوامع الجامع ١/ ١٤٢.
٢. مجمع البيان ٢/ ٣٧٠.

﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾ أي مكثت مائة عام، والفرض من السؤال إظهار عجزه وبيان ٱلْمَشِيْئَة الإلهية التي تعلقت بجعله مورداً للقدرة على إحياء الموتى.[١]

﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ معناه لم تغيره السنون ومرّ الأزمان. وإنّما قال لم يتسنّه على الواحد لأنّه إراد به جنس الطعام والشراب.

وقيل: كان زاده عصيراً وتيناً وعنباً وهذه الثلاثة أسرع الأشياء تغيّراً وفساداً فوجد العصير حلواً والتين والعنب كما جنيا لم يتغيرا.[٢]

﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ بأن صار رَمِيْماً تفرّقت عظامه وتقطّعت أوصاله وَبَلَتْ أجزاؤه كيف يحييه الله تعالى صحيحاً سوياً يصلح للركوب عليه.

﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ أي عظام الحمار كيف نحييها، نُنْشِزُها: أي تحرّكها ونرفع بعضها إلى بعض للتركيب. والنشز في اللغة: الظهور والبروز.

وبعض قرأها بالراء وهومن النشور أي الحياة بعد الموت.

﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ نغطيّها باللحم كما نُغطّىٰ باللباس.

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ﴾ قدرة الله تعالى وهذه المعجزة.

﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ قائله النبي الذي وَقَعَتْ لَهُ هذه المعجزة لِإظْهار قدرة الله تعالى. وَأَنَّهُ على كلّ شيء قدير ومنها إحياء الموتى.

الروايات

وفي صحيحة هارون بن خارجة[٣] عن أبيعبدالله عليه السلام قال: لما عملت بنوإسرائيل بالمعاصي وعتوا عن أمر ربهم أراد الله أن يسلط عليهم من يذلهم ويقتلهم، فأوحى الله إلى إرميا يا إرميا ما بلد انتجبته من بين البلدان وغرست فيه من كرائم الشجر فأخلف فأنبت خرنوباً، فأخبر ارميا أحبار بنيإسرائيل فقالوا: راجع ربّك ليخبرنا ما معنى هذا المثل، فصام إرميا سبعاً فأوحي الله، إليه يا إرميا أما البلد فبيت المقدس، وأمّا ما أنبت فيها فبنوإسرائيل الذين أسكنتهم فيه فعملوا بالمعاصي وغيّروا ديني وبدّلوا نعمتي

---

١. كما في مواهب الرحمن ٤/ ٣٢١.
٢. مجمع البيان ٢/ ٣٧٠.
٣. تفسير القمي ١/ ٨٦.

كفراً، فبي حلفتُ لأمتحننّهم بفتنة يظلّ الحكيم فيها حيراناً، ولأُسلطنَّ عليهم شرّ عبادي ولادة، وشرّهم طعاماً فليتسلطنَّ عليهم بالجبرية فيقتل مقاتليهم، ويسبي حريمهم، ويخرب بيتهم الذي يعتزون به، ويلقي حجرهم الذي يفتخرون به على النّاس في المزابل مائة سنة، فأخبر إرميا أحبار بني‌إسرائيل فقالوا له، راجع ربّك ما ذنب الفقراء والمساكين والضعفاء؟ فصام إرميا سبعاً ثمّ أكل أكلة فلم يوح إليه شيء، ثمّ صام سبعاً فأوحى الله إليه، يا إرميا لتكفنَّ عن هذا أو لأردنَّ وجهك إلى قفاك.

قال: ثمّ أوحى الله إليه قل لهم: لأنّكم رأيتم المنكر فلم تنكروه، فقال إرميا: ربّ أعلمني من هوحتّى آتيه وآخذ لنفسي وأهل بيتي منه أماناً، قال: ائت موضع كذا وكذا فانظر إلى غلام أشدهم زمانة، وأخبثهم ولادة، وأضعفهم جسماً، وشرّهم غذاءً فهوذلك، فأتي إرميا ذلك البلد فإذا هوبغلام في خان زمن ملقى على مزبلة وسط الخان، وإذا له أم تزبي ـ بالكسر[1] ـ وتفت الكسر في القصعة، وتحلب عليه خنزيرة لها. ثمّ تدنيه من ذلك الغلام فيأكله. فقال ارميا: إن كان في الدنيا الذي وصفه الله فهوهذا. فدنا منه فقال له: ما اسمك؟ فقال: بخت نصر. فعرف إنّه هو، فعالجه حتّى بريء ثمّ قال له: أتعرفني؟ قال: لا، أنت رجل صالح، قال: أنا ارميا نبي بني‌إسرائيل أخبرني الله أنه سيسلطك على بني‌إسرائيل فتقتل رجالهم وتفعل بهم وتفعل، قال: فتاه[2] في نفسه في ذلك الوقت ثمّ قال ارميا: اكتب لي كتاباً بأمان منك، فكتب له كتاباً وكان يخرج إلى الجبل ويحتطب ويدخل المدينة ويبيعه، فدعا إلى حرب بني‌إسرائيل وكان مسكنهم في بيت المقدس، وأقبل بخت نصر فيمن أجابه نحوبيت المقدس وقد اجتمع إليه بشر كثير، فلما بلغ ارميا إقباله نحوبيت المقدس استقبله على حمار له ومعه الأمان الذي كتبه بخت‌نصر، فلم يصل إليه إرميا من كثرة جنوده وأصحابه فصير الأمان على خشبة ورفعها، فقال: من أنت؟

فقال: أنا ارميا النّبي الذي بشّرتك بأنّك سيسلطك الله على بني‌إسرائيل وهذا

---

١. زبي اللحم: نثره في الزبيه، والزبية: حفيرة يشتوى فيها ويخبز. والكسر كعنب جمع الكسرة: الخبز المتكسر اليابس.
٢. تاه: تكبر، تحير.

أمانك لي،قال: أما أنتَ فقد أمنتك، وأما أهل بيتك فإني أرمي من هاهنا إلى بيت المقدس، فإن وصلت رميتي إلى بيت المقدس فلا أمان لهم عندي، وإن لم تصل فهم آمنون، وانتزع قوسه ورمي نحوبيت المقدس فحملت الريح النشابة[١] حتّى علقتها في بيت المقدس، فقال: لا أمان لهم عندي، فلما وافى نظر إلى جبل من تراب وسط المدينة وإذا دم يغلي وسطه، كلما أُلقي إليه التراب خرج وهو يغلي، فقال: ما هذا؟ فقالوا: هذا دم نبيّ كان لله فقتله ملوك بنىإسرائيل ودمه يغلي وكلّما ألقينا عليه التراب خرج يغلي، فقال بخت نصر: لأقتلن بنيإسرائيل أبداً حتّى يسكن هذا الدم وكان ذلك الدم دم يحيى بن زكريا عليهما السلام وكان في زمانه ملك جبار يزني بنساء بنيإسرائيل، وكان يمرّ بيحيى بن زكريا فقال له يحيى: اتق الله أيها الملك لا يحلّ لك هذا، فقالت له امرأة من اللواتي كان يزني بهنّ حين سكر: أيّها الملك اقتل يحيى، فأمر أن يؤتى برأسه فأُتى برأس يحيى عليه السلام في طشت وكان الرأس يكلمه ويقول له: يا هذا اتق الله ولا يحل لك هذا، ثمّ غلي الدم في الطشت حتّى فاض إلى الأرض، فخرج يغلي ولا يسكن، وكان بين قتل يحيى وخروج بخت نصر مائة سنة فلم يزل بخت نصر يقتلهم وكان يدخل قرية قرية فيقتل الرجال والنساء والصبيان وكلّ حيوان والدم يغلي ولايسكن، حتّى افنى من بقي منهم، ثمّ قال: بقي أحد في هذه البلاد؟ قالوا: عجوز في موضع كذا وكذا، فبعث إليها فضرب عنقها على الدم فسكن، وكانت آخر من بقي، ثمّ أتي بابل فبنى بها مدينة وأقام وحفر بئراً فألقي فيها دانيال وألقى معه اللبوة[٢] فجعلت اللبوة تأكل طين البئر ويشرب دانيال لبنها، فلبث بذلك زماناً فأوحى الله إلى النّبي الذي كان ببيت المقدس إن اذهب بهذا الطعام والشراب إلى دانيال وأقرئه مني السلام، قال: وأين هويا رب؟ قال: في بئر بابل في موضع كذا وكذا، قال: فأتاه فاطلع في البئر فقال: يا دانيال قال: لبيك، صوت غريب، قال: إن ربك يقرئك السلام وقد بعث إليك بالطعام والشراب فدلاه إليه[٣] قال:فقال دانيال: الحمدلله الذي لاينسى من ذكره، الحمدلله الذي لايخيب

---

١. النشابة: السهم.
٢. اللبوة: الإنثى من الأسد.
٣. دلا الدلو: أرسلها في البئر.

من دعاه، الحمدلله الذي من توكّل عليه كفاه، الحمدلله الذي من وثق به لم يكله إلى غيره، الحمدلله الذي يجزي بالإحسان إحساناً، الحمدلله الذي يجزي بالصبر نجاة والحمدلله الذي يكشف ضرّنا عند كربتنا، والحمدلله الذي هوثقتنا حين تنقطع الحيل منّا، والحمدلله الذي هو رجاؤنا حين ساء ظنّنا بأعمالنا قال: فأُري بخت نصر في نومه كأن رأسه من حديد ورجليه من نحاس وصدره من ذهب، قال:فدعا المنجمين فقال لهم: ما رأيت؟

فقالوا: ما ندري ولكن قص علينا ما رأيت، فقال لهم: وأنا أُجري عليكم الأرزاق منذ كذا وكذا لاتدرون ما رأيت في المنام؟ فأمر بهم فقتلوا، قال: فقال له بعض من كان عنده: إن كان عند أحد شيء فعند صاحب الجب فإن اللبوة لم تعرض له وهي تأكل الطين وترضعه، فبعث إلى دانيال فقال: ما رأيت في المنام؟ فقال: رأيت كأن رأسك من كذا، ورجلك من كذا، وصدرك من كذا قال: هكذا رأيت فما ذاك؟ قال: قد ذهب ملكك وأنت مقتول في ثلاثة أيام، يقتلك رجل من ولد فارس، قال: فقال له: إنّ عليّ لسبع مدائن على باب كلّ مدينة حرس، وما رضيت بذلك حتّى وضعت بطة[1] من نحاس على باب كلّ مدينة، لا يدخل غريب إلّا صاحت عليه حتّى يؤخذ، قال: فقال له: إن الأمر كما قلتُ لك، قال: فبث الخيل[2] وقال: لاتلقون أحداً من الخلق إلّا قتلتموه كائناً من كان، وكان دانيال جالساً عنده، وقال: لاتفارقني هذه الثلاثة الأيام فإن مضت قتلتك، فلما كان في اليوم الثالث ممسياً أخذه الغم، فخرج فتلقاه غلام كان يخدم ابنا له من أهل فارس وهولايعلم أنّه من أهل فارس، فدفع إليه سيفه وقال له: يا غلام لا تلقى أحداً من الخلق إلّا وقتلته وإن لقيتني أنا فاقتلني فأخذ الغلام سيفه فضرب به بخت نصر ضربة فقتله، وخرج إرميا على حماره ومعه تين قد تزوده، وشيء من عصير، فنظر إلى سباع البر وسباع البحر وسباع الجوتأكل تلك الجيف، ففكر في نفسه ساعة ثمّ قال أنىٰ يحيى الله هؤلاء[3] وقد أكلتهم السباع، فأماته

---

١. البطة واحدة البط: الإوز.

٢. من بث الخبر: نشره واذاعه.في المصدر: (أني يحيي هذه الله بعد موتها): اه.

٣. في المصدر: (أني يحيي هذه الله بعد موتها): اه.

الله مكانه مائة عام ثمّ بعثه أي أحياه فلما رحم الله بني‌إسرائيل وأهلك بخت نصر ردّ بني‌إسرائيل إلى الدنيا، وكان عزير لما سلط الله بخت‌نصر على بني‌إسرائيل هرب ودخل في عين وغاب فيها، وبقي ارميا ميتاً مائة سنة ثمّ أحياه الله، فأوّل ما أحيا منه عينيه في مثل غرقيء البيض فنظر فأوحى الله إليه ﴿كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا﴾ ثمّ نظر إلى الشمس قد ارتفعت فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ فقال الله تبارك وتعالى: ﴿لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ أي لم يتغير ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ فجعل ينظر إلى العظام البالية المنفطرة تجتمع إليه، وإلى اللحم الذي قد أكلته السباع يتألف إلى العظام من هاهنا وهيهنا، ويلتزق بها حتّى قام وقام حماره، فقال: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وفيها نسب القضية إلى إرْمِيا النبي عليه السلام.

ونحوها مختصراً روت في مرسلة أبي‌بصير[1]، وفي سعد السعود[2] هارون بن خارجة عن أبي‌بصير نقلاً من تفسير القرآن عن أهل‌بيت رسول الله صلى الله عليه وآله رواية ابن‌عقدة وسنده صحيح.

وفي خبر إبراهيم بن محمّد[3] قال: ذكر جماعة من أهل العلم أنّ ابن الكوّاء قال لعليّ عليه السلام: يا أمير المؤمنين، ما وَلَدٌ أكبر من أبيه من أهل الدنيا؟ قال: نعم، أُولئك وُلد عُزير، حيث مرّ على قريةٍ خَربةٍ، وقد جاء من ضَيعةٍ له تحته حمار، ومعه شَنَّة[4] فيها تينٌ، وكُوز فيه عصيرٌ، فمرّ على قريةٍ خَربةٍ فقال: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ﴾ فتوالد وُلده وتَنَاسَلُوا، ثمّ بعث الله إليه فأحياه في المَوْلِد الذي أماته فيه، فأُولئك وُلده أكبر من أبيهم.[5]

وروي عن علي عليه السلام أنّ عزيراً خرج من أهله وإمرأته حامل وله خمسون سنة فأماته الله مائة سنة ثمّ بعثه فرجع إلى أهله ابن خمسين سنة وله ابن له مائة سنة فكان

---

١. تفسير العياشي ١/ ٢٦٢، ح٥٧٠.
٢. سعد السعود / ٢٣٦.
٣. تفسير العياشي ١/ ٢٦٣، ح٥٧٢.
٤. الشّنّ والشَّنَّة: الخَلَق من كل آنيةٍ صُنِعَت من جلد، وفي نسخة: سلة.
٥. بحارالأنوار ٤: ٣٧٤/ ١٦.

ابنه أكبر منه فذلك من آيات الله.[١]

وفي مرسلة اسماعيل بن أبي‌رافع[٢] عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وآله قال في حديث طويل، إنَّ جبرئيل عليه السلام نزل عليَّ بكتاب فيه خبر الملوك ـ ملوك الأرض ـ قبلي وخبر من بُعث قبلي من الأنبياء والرُّسل ـ وهوحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة إليه ـ قال: لما ملك أشج بن أشجان[٣] وكان يسمّى الكيّس و[كان قد] ملك مائتين وستّاً وستّين سنة، ففي سنة إحدى وخمسين من ملكه بعث الله عزوجل عيسى بن مريم عليه السلام واستودعه النور والعلم والحكمة وجميع علوم الأنبياء قبله وزاده الإنجيل وبعثه إلى بيت المقدّس إلى بني‌إسرائيل يدعوهم إلى كتابه وحكمته وإلى الإيمان بالله ورسوله فأبى أكثرهم إلّا طغياناً وكفراً، فلمّا لم يؤمنوا به دعا ربّه وعزم عليه فمسخ منهم شياطين ليريهم آية فيعتبروا، فلم يزدهم ذلك إلّا طغياناً وكفراً، فأتى بيت المقدّس فمكث يدعوهم ويرغبّهم فيما عندالله ثلاثاً وثلاثين سنة حتّى طلبته اليهود وادَّعت أنّها عذَّبته ودفنته في الأرض حيّاً وادَّعي بعضهم أنّهم قتلوه وصلبوه، وما كان الله ليجعل لهم سلطاناً عليه وإنّما شبّه لهم وما قدروا على عذابه ودفنه ولا على قتله وصلبه لقوله عزوجل: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[٤] فلم يقدروا على قتله وصلبه لأنّهم لوقدروا على ذلك كان تكذيباً لقوله تعالى: ولكن ﴿رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾[٥] بعد أن توفّاه عليه السلام فلمّا أراد أن يرفعه أوحى إليه أن يستودع نورالله وحكمته وعلم كتابه شمعون بن حمون الصّفا خليفته على المؤمنين ففعل ذلك فلم يزل شمعون يقوم بأمر الله عزوجل ويحتذي بجميع مقال عيسى عليه السلام في قومه من بني‌إسرائيل ويجاهد الكفّار، فمن أطاعه وآمن به وبما جاء به كان مؤمناً ومن جحده وعصاه كان كافراً حتّى استخلص ربّنا تبارك وتعالى وبعث في عباده نبيّاً من الصالحين وهويحيى بن زكريّا[٦] ثمّ قبض شمعون وملك عند ذلك

---

١. مجمع البيان ٢/ ٣٧٠.
٢. كمال الدين / ٢٢٤، ح٢٠، باب إتصال الوصية.
٣. معرب «أشك بن أشكان».
٤. سورة آل عمران / ٥٥.
٥. كذا في جميع النسخ. وفي المصحف ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ النساء / ١٥٨.
٦. .في أكثر التواريخ وبعض الروايات كان قتل يحيى قبل عروج عيسى عليه السلام.

أردشير بن بابكان أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وفي ثماني سنين من ملكه قتلت اليهود يحيى بن زكريّا عليه السلام فلمّا أراد الله عزّ وجلّ أن يقبضه أوحى إليه أن يجعل الوصيّة في ولد شمعون ويأمر الحواريين وأصحاب عيسى بالقيام معه، ففعل ذلك وعندها ملك سابور بن أردشير ثلاثين سنة حتّى قتله الله، وعلم الله ونوره وتفصيل حكمته في ذرِّيّة يعقوب بن شمعون ومعه الحواريّون من أصحاب عيسى عليه السلام وعند ذلك ملك بخت نصّر مائة سنة وسبعاً وثمانين سنة وقتل من اليهود سبعين ألف مقاتل على دم يحيى بن زكريّا[1] وخرَّب بيت المقدّس وتفرَّقت اليهود في البلدان، وفي سبع وأربعين سنة من ملكه بعث الله عزّ وجلّ العزير نبيّاً إلى أهل القرىٰ التي أمات الله عزّ وجلّ أهلها ثمّ بعثهم له، وكانوا من قرى شتّى فهربوا فرقاً من الموت فنزلوا في جوار عزير، وكانوا مؤمنين وكان عزير يختلف إليهم ويسمع كلامهم وإيمانهم وأحبّهم على ذلك وواخاهم عليه، فغاب عنهم يوماً واحداً، ثمّ أتاهم فوجدهم صرعى موتى فحزن عليهم وقال: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[2] تعجّباً منه حيث أصابهم وقدماتوا أجمعين في يوم واحد فأماته الله عزّ وجلّ عند ذلك مائة عام فلبث فيهم مائة سنة ثمّ بعثه الله وإيّاهم وكانوا مائة ألف مقاتل، ثمّ قتلهم الله أجمعين لم يفلت منهم أحدٌ على يدي بخت نصّر، الحديث.

وفي خبر عمر بن عبدالله الثقفي[3] قال: أخرج هشام بن عبدالملك أباجعفر محمّد بن علي زين‌العابدين عليه السلام من المدينة إلى الشام وكان ينزله معه[4]، وكان يقعد مع النّاس في مجالسهم، فبينا هوقاعد وعنده جماعة من الناس يسألونه إذ نظر إلى النصاري يدخلون في جبل هناك، فقال: ما لهؤلاء القوم ألهم عيد اليوم؟ قالوا: لا يابن رسول الله ولكنّهم يأتون عالماً لهم في هذا الجبل في كلّ سنة في هذا اليوم فيخرجونه ويسألونه عما يريدون وعما يكون في علمهم، قال أبوجعفر: وله علم؟ قالوا: من أعلم النّاس قد

---

١. استيلاء بخت نصر على بيت المقدس كان في سنة ٥٧٦ قبل الميلاد وملك أردشير بابكان في المائة الثالثة بعد الميلاد.
٢. سورة البقرة / ٢٥٩.
٣. تفسير القمي ١ / ٩٨؛ الكافي ٨ / ١٢٧، ح٩٤ (١٥ / ٢٩٤).
٤. وفي الكافي: فأنزله منه.

أدرك أصحاب الحواريين من أصحاب عيسىعليه السلام قال: فهلموا نذهب إليه، فقالوا: ذاك إليك يابن رسول الله قال: فقنع أبوجعفرعليه السلام رأسه بثوبه ومضى هووأصحابه فاختلطوا بالنّاس حتّى أتوا الجبل، قال: فقعد أبوجعفرعليه السلام وسط النصارى هو وأصحابه، فأخرج النصارى بساطاً ثمّ وضع الوسائد ثمّ دخلوا فأخرجوه ثمّ ربطوا عينيه فقلب عينيه كأنّهما عينا أفعي ثمّ قصد أباجعفرعليه السلام. فقال: أمنّا أنت أم من الأمة المرحومة؟ فقال أبوجعفرعليه السلام: من الأمة المرحومة، فقال: أفمن علمائهم أنت أم من جهالهم؟ قال: لست من جهالهم، قال النصراني أسألك أو تسألني؟ فقال أبوجعفرعليه السلام: سلني؛ فقال: يا معشر النصارى رجل من أمة محمّد يقول: سلني إن هذا العالم بالمسائل، ثمّ قال: يا عبدالله أخبرني عن ساعة ما هي من الليل ولا من النهار أي ساعة هي؟ قال أبوجعفرعليه السلام: ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، إلى أن قال النصراني: فأسألك أو تسألني؟ قال أبوجعفرعليه السلام: سلني، فقال: يا معشر النصارى والله لأسألنه مسألة يرتطم فيها[1] كما يرتطم الحمار في الوحل، فقال له: سل، قال: أخبرني عن رجل دنا من امرأته فحملت منه باثنين[2] حملتهما جميعاً في ساعة واحدة، وولدتهما في ساعة واحدة، وماتا في ساعة واحدة، ودفنا في ساعة واحدة في قبر واحد، فعاش أحدهما خمسين ومائة سنة، وعاش الآخر خمسين سنة مَنْ هما؟ قال أبوجعفرعليه السلام: هما عزير وعزرة، كان حمل أمهما على ما وصفت، ووضعتهما على ما وصفت، [وعاش عزير وعزرة خمسين سنة، ثمّ امات الله عزيراً ثمّ أحياه[3]] فعاش عزرة مع عزير ثلاثين سنة، ثمّ أمات الله عزيراً مائة سنة، وبقي عزرة حيّ ثمّ بعث الله عزيراً فعاش مع عزرة عشرين سنة، قال النصراني: يا معشر النصارى ما رأيت أحداً قط أعلم من هذا الرجل لاتسألوني عن حرف وهذا بالشام، ردوني فردوه إلى كهفه

---

١. ارتطم في الوحل: وقع فيه.

٢. كذا في النسخ والظاهر كما في المصدر والبحار (بابنين) فصحف.

٣. مابين المعقوفتين غير موجود في المصدر ونسخة البحار ومعه يصح المعنى أيضاً لأن المراد من الخمسين المذكور فيه هم تمام الزمانين الذي عاشا معاً فذكرهعليه السلام أوّلاً ثمّ فصله بقوله: (فعاش عزرة مع عزير، ثلاثين سنة ثمّ امات الله... إلى قوله. ثمّ بعث الله عزيراً فعاش مع عزرة عشرين سنة) فصار المجموع خمسين الذي ذكره أوّلاً على نحوالإجمال.

ورجع النصارى مع أبي‌جعفر صلوات الله عليه.

وفي تفسير الثعلبي[١] عن ابن‌عباس قال: لما أحيا الله عزيراً بعدما أماته مائة سنة ركب حماره حتّى أتى محلّته فأنكره النّاس وأنكر النّاس وأنكر منازله، فانطلق على وهم منه حتّى أتى منزله فإذا بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة كانت أمةً لهم فخرج عنهم عزير وهي بنت عشرين سنة كانت عرفته وكفلته فلما أصابها الكبر أصابها الزمانة فقال لها عزير: يا هذه أهذا منزل عزير؟

قالت: نعم هذا منزل عزير وبكت وقالت: ما رأيت أحداً من كذا وكذا سنة يذكر عزيراً وقد نسيه النّاس، قال: فإنّي أنا عزير.

قالت: سبحان الله إنّ عزيراً قد فقدناه من مائة سنة فلم نسمع بذكره.

قال: فإنّي أنا عزير كان اللهﷻ أماتني مائة سنة ثمّ بعثني.

قالت: فإنّ عزيراً كان مستجاب الدعوة يدعوللمريض وصاحب البلاء بالعافية والشفاء، فادع الله حتّى يردّ عليّ بصري حتّى أراك فإنّ كنت عزيراً عرفتك، قال: فدعا ربّه ومسح يده على عينيها ففتحت وأخذ بيدها وقال: قومي بإذن الله، فاطلق اللهﷻ رجليها فقامت صحيحة بإذن الله كأنّها نشطت من عقال، فنظرت فقالت: أشهد إنّك عزير، فأنطلقت إلى محلّة بني‌إسرائيل وهم في أنديتهم ومجالسهم، وابن لعزير شيخ ابن مائة سنة وثمانية عشر سنة وبني بنيه شيوخ في المجلس فنادت: هذا عزير قد جاءكم، فكذّبوها.

فقالت: أنا فلانة مولاتكم دعا لي ربّهﷻ فردّ علي بصري وأطلق رجلي وزعم إنّ الله تعالى كان أماته مائة سنة ثمّ بعثه.

قال: فنهض النّاس فأقبلوا إليه، فقال ابنه: كانت لأبي شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه، فكشف عن كتفيه فإذا هوعزير.

وفيه[٢]: إنّ عزيراً رجع إلى قريته وقد أحرق بخت نصّر التوراة ولم يكن من الله تعالى عهد بين الخلق فبكى عزير على التوراة، فأتاه مَلَك بأناء فيه ماء فسقاه من ذلك

---

١. الكشف والبيان ٢/ ٢٤٩ ونقلها أبوالفتوح الرازي في تفسيره ٤/ ٢٥.

٢. الكشف والبيان ٢/ ٢٥٠ ونقلها أبوالفتوح الرازي في تفسيره ٤/ ٢٥.

الإناء فمثلت التوراة في صدره، فرجع إلى بني‌إسرائيل، وقد علّمه الله التوراة وبعثه نبيّاً.

فقال: أنا عزير، ولم يُصَدِّقُوْهُ.

وقال: حدّثنا آباؤُنا إنّ عزيراً مات بأرض بابل.

فقال: أنا عزير بعثني الله إليكم لأجدد لكم توراتكم.

فقالوا: أملها علينا إن كنت صادقاً، فأملاها عليهم من ظهر قلبه.[1]

وقال رجل منهم: حدّثني أبي عن جدّي أنّه دفن التوراة يوم سُبينا في خابية في كرم لأبي، فإنّ أريتموني كرم جدي أخرجتها لكم، فأروه، فأخرجها لهم، فعارضوها بما أملى عزير فما اختلفا في حرف، ولم يقرأ التوراة منذ أنزلت عن ظهر قلبه إلى هذا اليوم غير عزير.

وقال الرازي بعد قصة خال عزير ما نصه: «فربّ خال يدل على حال، او را ميان كتف بود در زير جامه و اين را بر روى راست باشد ناپوشيده به جامه، على خده الأيمن خالٌ...، ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾».[2]

وفي بعض نسخه: يعنى به صاحب الأمر عليه وعلى آبائه المعصومين أفضل التحية والسلام، وفي حاشية بعضها: اشارة إلى المهدي عجل الله فرجه.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾

﴿وَ﴾ حرف عطف، عطف الآية على الآية السابقة من إثبات البعث والنشور. أو على الآية ماقبلها وتثبت بهما المبداء والمعاد، والظاهر الثاني.

---

١. راجع تاريخ دمشق ٤٠.٣٢٢؛ وتفسير الدر المنثور ١/ ٣٣٢.

٢. روض الجنان ٤/ ٢٥.

﴿إِذْ﴾ قال الشيخ: «العامل في قوله ﴿وَإِذْ﴾ يحتمل أن يكون أحد شيئين:

أحدهما: ما قال الزجاج: واذكر إذ قال.

والثاني: ألم تر إذ قال عطفاً على ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾»[1]

﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ﴾ هذا إقرارٌ من خليل الرحمن بالتوحيد وربوبية الله ﷻ للكون والعالم الوجود والمخلوقات وعمومية قدرته واقتداره عليه.

﴿أَرِنِى﴾ بَصِّرني كما في الكشاف[2] وجوامع[3].

﴿كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ ذكر الشيخ[4] في سبب هذا السؤال ثلاثة أقوال وزاد صاحب المجمع واحِداً عليها فصارَتْ أربعة قال في مجمع البيان: «أحدها: ما قاله الحسن والضحاك وقتادة وهو المروي عن أبي‌عبدالله أنّه رأى جيفة تمزقها السباع فيأكل منها سباع البر وسباع الهواء. ودواب البحر، فسأل الله إبراهيم فقال: يا ربّ قد علمت إنّك تجمعها من بطون السباع والطير ودواب البحر فأرني كيف تحييها لأعاين ذلك.

وثانيها: ما روي عن ابن‌عباس وسعيد بن جبير والسدّي أن الملك بشّر إبراهيم ﷺ بأن الله قد اتخذه خليلاً وأنّه يجيب دعوته ويحيي الموتي بدعائه فسأل الله تعالى أن يفعل الله ذلك ليطمئن قلبله بأنه قد أجاب دعوته واتخذه خليلاً.

وثالثها: أن سبب السؤال منازعة نمرود إيّاه في الإحياء إذ قال إنا أُحي وأميت وأطلق محبوساً وقتل انساناً، فقال إبراهيم: ليس هذا بإحياء، وقال: يا ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ ليعلم نمرود ذلك، وروي إنّ نمرود توّعده بالقتل إن لم يحيي الله الميت بحيث يشاهده فلذلك قال: ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾، إي بأنّ لا يقتلني الجبار عن محمّد بن إسحاق بن يسار.

ورابعها: أنّه احب أن يعلم ذلك علم عيان بعد إن كان عالماً به من جهة

---

١. التبيان ٢/ ٣٢٦.
٢. الكشاف ١/ ٣٠٨.
٣. جوامع الجامع ١/ ١٤٣.
٤. التبيان ٢/ ٣٢٦.

الاستدلال والبرهان لنزول الخواطر ووساوس الشيطان وهذا أقوى الوجوه»[١].

وفي سعد السعود[٢] ذكراً وجهاً خامساً: نقلاً عن البلخي: إنّه طلب رؤية إحياء الموتى ليكون مشاهداً لكيفية الإحياء.

﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ الهمزة للإستفهام والمراد التقرير والإيجاب، ومعناه قد آمنتَ لا محالة، فلِمَ تسأل ذا؟ كما في التبيان[٣].

﴿قَالَ بَلَىٰ﴾ إيجاب لما بعد النفي معناه: بلى آمنتُ.

﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ اطمأن إليه: إذا وثق به، لسكون نفسه إليه. ليضاف العلم الضروري إلى العلم الاستدلالي أو تُضاف مرتبة عين اليقين إلى علم اليقين، واللام في ليطمئن يتعلّق بمحذوف، تقديره هكذا: ولكن سألتُ ذلك ارادة طمأنينة القلب.

﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾ قيل أنّها: الديك، والطاووس، والغراب، والحمام. وروي غير ذلك وَلايهمنا نوع الطير.

﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ قُرِئَ فيها بِضَمِّ الصّاد وكسره: مادّة صرر: يأتي بمعنى الشدِّ والضم والقطع، وهذه الثلاثة متقاربة متلازمة ويصحّ أن يجعل الجامع الضم. أي ٱختلط وانضم بعضها إلى بعض.

﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ بعد ٱلاخْتِلاطِ ٱجْعَلْ على كل جبل يحيط بك جُزْءً من هذا المختلَط. وقيل: أربعة جِبال وقيل: سبعة ولكن المروي في روايات أهل البيت عليهم السلام: عشرة.

﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾ الدعاء هوالتكلّم مع الغير مع ذكر اسمه ويستعمل في القريب والبعيد. أي أُذكر يا إبراهيم كلّ طير باسمه الخاص وقل لهنَّ: تعالين بإذن الله.

﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ أي ساعيات مسرعات في طَيَرانِهِنَّ أو في مشيهنَّ على أرجلهنَّ.

﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ عزيز: لا يغلبه شيء ولا يعجزه أمر. حكيم في أفعاله. جاء في الآية السابقة فعل أعلمُ لِلْمُتَكَلِّمِ ٱلْواحِدِ وجاء في هذه الآية فعل الأمر

---

١. مجمع البيان ١/ ٣٧٢.
٢. سعد السعود / ٣٧٩.
٣. التبيان ٢/ ٣٢٧.

إعْلَم.

الروايات

وفي صحيحة صفوان بن يحيى، قال: سألت أباالحسن الرضاعليه السلام عن قول الله لإبراهيمعليه السلام: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ أكان في قلبه شكّ؟ قال: لا، كان على يقين، ولكنّه أراد من الله الزيادة في يقينه.[١]

وفي صحيحة أبيبصير عن أبيعبدالله عليه السلام قال: لما رأى إبراهيمعليه السلام ملكوت السماوات والأرض[٢] التفت فرأى رجلاً يزني فدعا عليه فمات؛ ثمّ رأى آخر فدعا عليه فمات حتّى رأى ثلاثة فدعا عليهم فماتوا، فأوحى الله عزَّ ذكره إليه يا إبراهيم إنَّ دعوتك مجابة فلا تدع على عبادي فإنّي لوشئت لم أخلقهم، إنّي خلقت خلقي على ثلاثة أصناف عبداً يعبدني لايشرك بي شيئاً فأُثيبه وعبداً يعبد غيري فلن يفوتني وعبداً عبد غيري فأُخرج من صلبه من يعبدني،ثمَّ التفت فرأى جيفة على ساحل البحر نصفها في الماء ونصفها في البر تجيئ سباع البحر فتأكل ما في الماء، ثمّ ترجع فيشدُّ بعضها على بعض فيأكل بعضها بعضاً وتجيئ، سباع البرّ فتأكل منها فيشدُّ بعضها على بعض فيأكل بعضها بعضاً فعند ذلك تعجّب إبراهيمعليه السلام ممّا رأى وقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ قال: كيف تخرج ما تناسل الّتي أكل بعضها بعضاً؟ ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ يعني حتّى أرى هذا كما رأيت الأشياء كلّها ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ فقطّعهنَّ واخلطهنَّ كما اختلطت هذه الجيفة في هذه السباع التي أكل بعضها بعضاً، فخلّط ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ فلمّا دعاهنَّ أجبنه وكانت الجبال عشرة.[٣]

وفي صحيحة عبدالرحمن بن سيابة قال: إنّ امرأة أوصت إليّ فقالت: ثلثي

---

١. المحاسن ١/ ٣٨٥، ح٢٥٣.

٢. اشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ والملكوت هوالملك والتاء للمبالغة كالرغبوت من الرغبة والرهبوت من الرهبة. والآية في سورة الأنعام / ٧٥.

٣. الكافي ٨/ ٣٠٥، ح٤٧٣؛ تفسير العياشي ١/ ٢٦٤، ح٤٧٢.

يقضى به ديني وجزء منه[١] لفلانة فسألت عن ذلك ابن أبي‌ليلى فقال: ما أرى لها شيئاً ما أدري ما الجزء، فسألت عنه أباعبدالله عليه السلام بعد ذلك وخبّرته كيف قالت المرأة وما قال ابن أبي‌ليلى فقال: كذب ابن أبي‌ليلى لها عشر الثلث إنّ الله عزّ وجلّ أمر إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا﴾ وكانت الجبال يومئذ عشرة والجزء هوالعشر من الشيء[٢].[٣]

ونحوها في موثقة معاوية بن عمار[٤] وصحيحة أبان بن تغلب[٥] وغيرها.

وفي خبر علي بن محمّد بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى كان أوحى إلى إبراهيم عليه السلام: إنّي متخذ[٦] من عبادي خليلاً إن سألتي إحياء الموتى أجبته، فوقع في نفس إبراهيم: أنه ذلك الخليل، فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي﴾ على الخلة، قال: ﴿فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾[٧] فأخذ إبراهيم عليه السلام نسراً وطاووساً وبطاً وديكاً، فقطعهنَّ وخلطهنَّ، ثمّ جعل على كلِّ جبل من الجبال التي حوله، وكانت عشرة منهنَّ جزء، وجعل مناقيرهن بين أصابعه، ثمّ دعاهن بأسمائهن ووضع عنده حباً وماء، فتطايرت تلك

---

١. قوله عليه السلام: «وجزء منه» الضمير راجع إلى الثلث فلا يخالف الأخبار الآتية. (مرآة العقول).

٢. إعلم أنّه ذهب المحقّق وجماعة إلى أن الجزء هوالعشر استناداً إلى تلك الروايات كما اختاره الكليني رحمه الله وذهب أكثر المتأخرين إلى أنه السبع استناداً إلى صحيحة البزنطي وغيرها حيث دلت عليه وعللت بقوله تعالى: ﴿لها سبعة أبواب لكلّ بابا منهم جزء مقسوم﴾ وجمع الشيخ بينها بحمل أخبار السبع على أنّه يستحب للورثة أنْ يعطوا السبع ويمكن حملها على ما إذا مادلت القرائن على ارادته. (مرآة العقول).

٣. الكافي ٧/ ٣٩، ح١؛ تفسير العياشي ١/ ٢٦٧، ح٤٧٧.

٤. الكافي ٧/ ٤٠، ح٢.

٥. الكافي ٧/ ٤٠، ح٣.

٦. في بعض النسخ الخطبة: «مختار».

٧. وليعلم أنه قريء لفظة ﴿فَصُرۡهُنَّ﴾ في الآية الشريفة بضم الصاد وكسرها، قال الاخفش يعني وجههن، يقال: صر إلى وصر وجهك إلى أي أقيل على. وصار جاء مضارعه «يصور» من باب نصر وجاء أيضاً يصير من باب.ضرب فمن قراصر بضم الصاد أخذه من تصور بالواو، ومن قرء صر بكسر الصاد أخذه من تصير.

الأجزاء بعضها إلى بعض حتّى استوت الأبدان، وجاء كلّ بدن حتّى انضم إلى رقبته ورأسه، فخلى إبراهيم عليه السلام عن مناقيرهن، فطرن، ثمّ وقعن فشربن من ذلك الماء والتقطن من ذلك الحبِّ. وقلن: يا نبي الله أحييتنا، أحياك الله، فقال إبراهيم: بل الله يحيي ويميت وهوعلى كلّ شيء قدير، قال المأمون: بارك الله فيك يا أباالحسن، الحديث.[١]

وفي هذا المجال راجع قصة حميد بن مهران الملعون مع الرضا عليه السلام في العيون.[٢]

وفي خبر صالح بن سهل عن أبي‌عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ﴾ قال: أخذ الهدهد والصرد والطاووس والغراب فذبحهنَّ وعزل رؤوسهنَّ ثمَّ نحز أبدانهنَّ في المنحاز[٣] بريشهنَّ ولحومهنَّ وعظامهنَّ حتّى اختلطت ثمّ جزَّأهنَّ عشرة أجزاء على عشرة أجبل، ثمّ وضع عنده حَبّاً وماءً، ثمّ جعل مناقيرهنَّ بين أصابعه، ثمّ قال: آتين سعياً بإذن الله عزّ وجلّ، فتطاير بعضها إلى بعض اللّحوم والرِّيش والعظام حتّى استوت الأبدان كما كانت وجاء كلُّ بدن حتّى التزق برقبته التي فيها رأسه والمنقار، فخلّى إبراهيم عن مناقيرهنَّ فوقعن[٤] وشربن من ذلك الماء، والتقطن من ذلك الحبِّ، ثمّ قلن، يا نبيَّ الله أحييتنا أحياك الله، فقال إبراهيم: بل الله يحيي ويميت، فهذا تفسير الظاهر؛ قال عليه السلام وتفسيره [في] الباطن خذ أربعة ممّن يحتمل الكلام فاستودعهم علمك ثمّ ابعثهم في أطراف الأرضين حججاً لك على النّاس وإذا أردت أنْ يأتوك دعوتهم بالاسم الأكبر يَأْتُوْكَ[٥] سعياً بإذن الله عزّ وجلّ.[٦]

وفي تفسير الثعلبي: «وبطنها (الآية) إنّ إبراهيم عليه السلام أُمر بذبح أربعة أشياء في

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/ ١٩٨، ح١.
٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام.٢/ ١٧٢، ح١.
٣. النحز: الدق بالمنحاز وهوالهاون.
٤. في بعض النسخ «فوقفن».
٥. في المصدر: «يأتونك».
٦. الخصال / ٢٦٤، ح١٤.

نفسه بسكين [اليأس] كما ذبح في الظاهر الأربعة الأطيار بسكين الحديد، فالنسر[١]: مثل لطول العمر، والطاووس زينة الدنيا وبهجتها والغراب الحرص والديك الشهوة».[٢]

أقول: التفسير الباطن: وهذا ما يُصْطَلَحُ عليه بالتفسير الإِشارِيّ وقد جرىٰ عليه السيّد ابوالفضل شهاب‌الدين محمود الآلوسي البغدادي الشافعي ثمّ الحنفي (ت١٢٧٠ق) في تفسير (رُوح المعاني) بعد تفسير الظاهر.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٦١﴾

قال الشيخ: «هٰذِهِ الآية متصلة بقوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[٣] ومابينهما الإعتراض إلى الحقّ ممّا أمر الله بالحُجَجِ والعِبَرِ...»[٤].

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ لابدّ من تقدير حذف مضاف أي ﴿مَّثَلُ (نفقةِ) ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ كما في الجوامع[٥].

وفي الكشاف: «لابدّ من حذف مضاف: أي مثل نفقتهم كمثل حبة، أو مثلهم كمثل باذر حبة»[٦].

المَثَل: تبيين أحد الشيئين بالآخر لما بينهما من المشابهة والمناسبة قال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٧] وقال عز شأنه: ﴿ضَرَبَنَا لِلنَّاسِ فِي

---

١. النسر: بالفارسية كركس.
٢. تفسير الثعلبي ٢/ ٢٥٧ ونحوها في روض الجنان ٤/ ٣٠ مع زيادة راجعها.
٣. سورة البقرة / ٢٤٥.
٤. التبيان ٢/ ٣٣١ ونحوفي مجمع البيان ٢/ ٢٧٤.
٥. جوامع الجامع ١/ ١٤٤.
٦. الكشاف ١/ ٣١٠.
٧. سورة الحشر / ٢١.

هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾١.

الإنفاق: «النون والفاء والقاف أصلان صحيحان يدل أحدهما على انقطاع الشيء وذهابه، والآخر على إخفاء الشيء وإغماضه ومتى حُصِّل الكلام فيهما تقاربا»٢.

الإنفاق: أي المخارج والمصارف لأنّ للمال أَمْرَيْنِ: الأوّل: طريق تحصيله وهويترد بين الحلال والحرام، الثاني: طريق إنفاقه ومصرفه وهوأيضاً يترد بين الحلال والحرام.

قال في التبيان: «الإنفاق: إخراج الشيء عن ٱلْمُلْك»٣.

﴿أَمْوَالَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أموال جمع مال أُضِيْفَ إليهم لأنّهم في الاعتبار والظاهرهم المالكون له.

سبيل الله: قال الشيخ: «أبواب البرّ كلّها من سبيل الله فيمكن أن يقال ذلك عام في جميع ذلك والذي ذكرناه مروي عن أبيعبدالله﵇»٤.

وقال: «قال ابن‌زيد: هو الجهاد. وقال ٱلْجُبَّائِيُّ: أبواب البرّ كلّها؛ وهوالصحيح عندنا والمروي عن أبيعبدالله﵇»٥.

﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ «الحَبة: بالفتح واحدة الحَبْ اسم جنس لكلّ مايقتاته الإنسان والطير وغيرهما من ٱلْحِنْطَةِ والشعير ونحوهما من المطعومات وبذور الرياحين». كما في مواهب الرحمن٦.

﴿أَنۢبَتَتْ﴾ «النبت: الحشيش، وكلّ ما ينبت من الأرض يقال نبت نبتاً ونباتاً وأنبته الله انباتاً»، كذا في المجمع٧. والمنبِت هو الله تعالى ولكنّ الحبّة لما كانت سبباً

---

١. سورة الروم / ٥٨.
٢. معجم مقاييس اللغة ٥/ ٤٥٤.
٣. التبيان ٢/ ٣٣٣.
٤. التبيان ٢/ ٣٣٢.
٥. التبيان ٢/ ٣٣٣.
٦. مواهب الرحمن ٤/ ٣٥٨.
٧. مجمع البيان ٢/ ٣٧٣؛ والتبيان ٢/ ٣٢٢.

أُسْنِدَ إليها الإنبات كما يسند إلى الأرض وإلى الماء»[١] كما في الكشاف[٢].

﴿سَبْعَ﴾ العدد المعلوم ويمكن أن يراد به الكثرة لأنّه تعالى أتى بالعدد ثمّ بالجمع ثمّ بالكثرة ثمّ بالضعف.

﴿سَنَابِلَ﴾ جمع: السنبلة: وهي ما علا الزرع من الحبّ. قال في المجمع: «السنبلة على وزن فُنْعلة كقولهم أسبل الزرع بمعنى سنبل إذا صار فيه السنبل والأصل فيه الإسبال وهوإرسال الستر ونحوه، فكما يسترسل الستر بالإسبال، يسترسل الزرع بالسنبل ولأنّه صار فيه حب مستور كما يستر بالإسبال»[٣].

والقاعدة تقتضى الإتيان بجمع القلّة في التمييز نحوقوله تعالى: ﴿وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ﴾[٤] ولكن أتى بِجَمْعِ ٱلكَثْرَةِ ـ هُنا ـ لبيان إثبات الكثرة.[٥]

﴿فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ أي النفقة في سبيل الله بسبعمأة ضعف. قال الشيخ: «فإن قيل هل رُئِيَ في سنبلة مائة حبة حتّى يضرب المثل بها؟ قيل عنه ثلاثة أجوبة: أوّلها: أنّ ذلك متصور فشبّه لذاك وإن لم يركما قال ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ:

ومسنونة زُرْق كانياب أغْوالِ

وقال تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[٦].

الثاني: أنّه قدرُئِىَ ذلك في سنبل الدخن.[٧]

الثالث: أنّ السنبلة تنبت مائة حبة فقيل فيها على ذلك المعنى كما يقال في هذه الحبة حب كثير [للدَّلالةِ على الكثرة] والأوّل هوالوجه»[٨].

﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ أي والله يزيد زيادة كثيرة لأحدّ لمن يَشاءُ من خلقه

---

١. مِنْ باب ٱلْمَجاز ٱلْعَقْلِيَّ.
٢. الكشاف ١/ ٣١٠.
٣. مجمع البيان ٢/ ٣٧٣ والتبيان ٢/ ٣٣٢.
٤. سورة يوسف / ٤٣.
٥. كما في مواهب الرحمن ٤/ ٣٥٨.
٦. سورة الصافات / ٦٥.
٧. وفي الكشاف «وفي الذرة وغيرهما». ١/ ٣١٠.
٨. التبيان ٢/ ٣٣٢.

وَٱلْمُضاعَفَةُ أعمّ من أن تكون في الكمية والكيفية أو هما معاً وليس لها حدّ محدود. أي أَنَ الله يزيدُ على سبعمائه لمن يشاء.

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ تكرار لفظ الجلالة إشارة إلى إظهار القدرة، واسع: يراد به عدم الحدّ لقدرته ورحمته وجوده وغيرها من الصفات العليا. عليم بمَنْ يستحق الزيادة وبقدر إنفاقه وبكيفية الزيادة ونحوها.

الروايات

في صحيحة عمر بن يزيد قال سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: إذا أحسَنَ المؤمن عَمَلَه ضاعف الله له عَمَله بكلّ حسنةٍ سبعمائة ضِعف، فذلك قول الله: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ فأحْسِنُوا أعمالكم التي تَعْمَلُونها لثواب الله.

قلت له: وما الإحسان؟ قال: إذا صَلّيت فأحْسن رُكُوعك وسُجُودك، وإذا صُمْت فَتَوقّ كلّ ما فيه فساد صَوْمك، وإذا حَجَجتَ فَتَوقّ كلّ ما يَحْرُم عليك في حِجّتك وعُمرتك. قال: وكُلّ عملٍ تَعْمَلُه فَلْيَكُن نقيّاً من الدَّنَس.[١]

ونحوها في تفسير العياشي[٢].

وفي حسنة أبيمحمّد الوابشي عن أبيعبدالله عليه السلام قال: إذا أحسن العبد المؤمن ضاعف الله عمله بكل حسنةٍ سبع مائة ضعفٍ، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾.[٣]

وفي مرسلة حمران عن أبيجعفر عليه السلام، قال: قلتُ له: أرأيت المؤمن له فضلٌ على المُسلم في شيءٍ من المواريث والقضايا والأحكام حتّى يكون للمؤمن أكثر ممّا يكون للمسلم في المواريث أو غير ذلك؟

قال: لا، هما يجريان في ذلك مَجْرَىً واحداً، إذا حكم الإمام عليهما، ولكنّ للمؤمن فضلاً على المُسلم في أعمالهما[٤]، يتقرّبان به إلى الله.

---

١. المحاسن / ٢٥٤، ح٢٨٣ من الطبعة السابقة؛ بحارالأنوار ٧١/ ٢٤٧، ح٧ من طبع ايران.
٢. تفسير العياشي ١/ ٢٧٠، ح٤٨١.
٣. أمالي الطوسي، المجلس الثامن ح ٣٨/ ٢٢٣، الرقم ٣٨٨ ونحوها في تفسير العياشي ١/ ٢٧١، ح٤٨٤.
٤. زاد في البحار: وما.

قال: فقلت: أليس الله يقول: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[١] ؟ وزعمت أنّهم مجتمعون على الصلاة والزكاة والصوم والحجّ مع المؤمن؟

قال: فقال: أليس الله قد قال: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ أضعافاً كثيرة؟ فالمؤمنون هم الذين يُضاعِفُ الله لهم الحسنات، لكُلّ حَسَنةٍ سبعين ضِعفاً، فهذا من فَضْلهم، ويَزيد الله المؤمن في حسناته على قَدر صِحّة إيمانه أضعافاً مضاعفةً كثيرةً، ويَفْعَلُ الله بالمؤمنين ما يشاء.[٢]

وفي رواية أُوّلت الحبة بفاطمة الزهراء عليها السلام.[٣]

وفي تفسير أَبي‌الفتوح رواية مفصّلة راجعها.[٤]

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٢٦٢﴾

قد مرّ معنى القسم الأوّل من الآية علىٰ نحو الذي أوضحناهُ فيما سَبقَ.

﴿ثُمَّ﴾ للترتيب: يعني الإنفاق الذي لايتبعه المَنُّ والأذىٰ بل بمعنى ترك الإنفاق خير منه بانضمام المنَّ والأذى.

﴿لَا يُتْبِعُونَ﴾ الاتباع: اللحوق والإلحاق وَٱلإِلْحاق ـ هُنا ـ أمْلَكُ بالمقامِ من اللُحُوقِ.

﴿مَآ أَنفَقُوا۟﴾ من أموالهم أو علمهم أو جاههم أو غيرها.

﴿مَنًّا﴾ أصل المنّ: «القطع ومنه قولهم: حبل منين أي ضعيف، لأنّه مَقْطُوْعٌ ومنيته أي قطعته ومنه قوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[٥] أي غير مقطوع وسمي ما يكدر

---

١. سورة الأنعام / ١٦٠.
٢. تفسير العياشي ١/ ٢٧٠، ح٤٨٢؛ بحارالأنوار ٦٨/ ٢٨٣، ح٣٩.
٣. تفسير العياشي ١/ ٢٧١، ح٤٨٣.
٤. روض الجنان ٤/ ٤٣.
٥. سورة التين / ٦.

النعمة والمعروف بأنّه منّة لأنّه قطع لاحق الذي يجب به. والمنة: النعمة العظيمة سميت بذلك لأنّها تجل عن قطع لاحق بها لعظمها. ومنه قوله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾[١] أنعم عليكم. والمنّة: القوة في القلب والمنّ: الذي يقع من السماء، والمن الذي يوزن به، لأنّه يقطع على مقدار مخصوص»[٢].

﴿وَلَا أَذًى﴾ أنّما كرر «لا» لبيان أنّ كلّ واحد من المن أو الأذى يوجب الإحباط أو عدم استحقاق الأجر ولذا نهي عنهما.

والأذى: كلّ ما يصيب الإنسان من ضرر ومكروه، جسماني أو معنوي. «نحوقولهم: أنت أبداً فقير، ومن أبلاني بك، وَأَراحنِيَ اللهُ منك وما أشبه ذلك ممّا يُؤْذِيْ قلب المُعطىٰ». كما في التبيان[٣].

﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ والأجر: هوالنفع المستحق بالعمل.

﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فالخوف يوقع الضرر الذي لايؤمن وقوعه. لاخوف عليهم لفوت الأجر، ولاخوف عليهم لأهوال الآخرة.

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فالحزن: الغم الذي يغلظ على النفس.

الروايات

روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: المنّان: بما يعطي لايكلّمه الله ولاينظر إليه ولايزكّيه وله عذاب أليم.[٤]

وفي رواية أبيذر عن النبي صلى الله عليه وآله قال: ثلاثة لا يكلّمهم الله: المنّان الذي لايعطي شيئاً إلّا بمنّة، والمُسْبل إزاه [أي أرسله] والمنفق سلعته بالحلف الفاجر.[٥]

وخبر إسحاق بن عمار، عن أبيعبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله

---

١. سورة الأنعام / ١٦٠.
٢. التبيان ٢/ ٣٣٤.
٣. التبيان ٢/ ٢٣٤.
٤. التبيان ٢/ ٢٣٤؛ مجمع البيان ٢/ ٣٧٥.
٥. الخصال ١/ ١٨٤، ح٢٥٣.

تبارك وتعالى كره لي ستّ خصال وكرهتها للأوصياء من ولدي وأتباعهم من بعدي، منها: المنّ بعد الصدقة.[١]

وخبر أحمد بن أبي عبدالله البرقي، رفعه قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: المنّ يهدم الصنيعة.[٢]

معتبرة مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمّد عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : آفة الحديث الكذب وآفة العلم النسيان وآفة الحلم السفه وآفة العبادة الفترة وآفة الظرف الصلف وآفة الشجاعة البغي وآفة السخاء المنّ وآفة الجمال الخيلاء وآفة الحسب الفخر.[٣]

وخبر عبدالله بن الحسين بن زيد، عن الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ الله تبارك وتعالى كره لكم أيتها الأمّة أربعاً وعشرين خصلة ونهاكم عنها: كره لكم العبث في الصلاة وكره المنّ في الصدقة وكره الضحك بين القبور وكره التطلع في الدور... الخبر.[٤]

ومرسلة المفيد، رفعه إلى أميرالمؤمنين عليه السلام انّه قال: الجود من كرم الطبيعة والمنّ مفسدة للصنيعة.[٥]

ومرسلة ابن شعبة الحراني، رفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله انّه قال في وصيته لعلي عليه السلام: ... يا علي آفة الحديث الكذب وآفة العلم النسيان وآفة العبادة الفترة وآفة السماحة المنّ وآفة الشجاعة البغي وآفة الجمال الخيلاء وآفة الحسب الفخر، الحديث.[٦]

ومعتبرة عهد الأشتر النخعي: ... وإيّاك والمنّ على رعيتك بإحسانك أو التزيّد فيما كان من فعلك أو أنْتعدهم فتُتْبِع موعدك بخُلفك، فإنّ المنّ يبطل الإحسان، والتزيّد يذهب بنور الحقّ، والخُلف يوجب المقت عندالله والنّاس، قال الله تعالى:

---

١. الكافي ٤/ ٢٢، ح١.
٢. الكافي ٤/ ٢٢، ح٢.
٣. الخصال ٢/ ١٦، ح٧.
٤. أمالي الصدوق، المجلس الخمسون، ح٣/ ٣٧٧، الرقم ٤٧٨.
٥. الإرشاد ١/ ٣٠٣.
٦. تحف العقول / ٦.

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[١] ٢

ومرسلة صاحب جامع الأخبار، رفعه إلى رسول الله ﷺ انّه قال: العفاف زينة البلاء والتواضع زينة الحسب والفصاحة زينة الكلام والعدل زينة الإيمان والسكينة زينة العبادة والحفظ زينة الرواية وحفظ الحجاج زينة العلم وحسن الأدب زينة العقل وبسط الوجه زينة الحلم والإيثار زينة الزهد وبذل الموجود زينة اليقين والتقلّل زينة القناعة وترك المنّ زينة المعروف والخشوع زينة الصلاة وترك ما لا يعنى زينة الورع.[٣]

وفي صحيحة هِشام بن سالم قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: قال الله عزّ وجلّ: ليأذن بحرب منّي من آذى عبدي المؤمن، وليأمن غضبي من أكرم عبدي المؤمن، ولولم يكن من خلقي في الأرض فيما بين المشرق والمغرب إلّا مؤمن واحد مع إمام عادل لاستغنيت بعبادتهما عن جميع ما خلقت في أرضي ولقامت سبع سماوات وأرضين بهما ولجعلت لهما من إيمانها أُنساً لا يحتاجان إلى أُنس سواهما.[٤]

وفي خبر المفضل بن عمر قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: إذا كان يوم القيامة نادي منادٍ: أين الصدود لأوليائي؟ فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم فيقال: هؤلاء الذين آذوا المومنين ونصبوا لهم وعاندوهم وعنّفوهم في دينهم ثمّ يؤمر بهم إلى جهنّم.[٥]

والمنّان من الذين لايدخلون الجنّة راجع عنوان «المنّة» في كتابي موسوعة أحاديث أهل البيت[٦] عليهم السلام.

---

١. سورة الصف / ٣.
٢. نهج البلاغة، الكتاب ٥٣.
٣..جامع الأخبار / ٣٣٧، ح١.
٤. الكافي ٢/ ٣٥٠؛ موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ١/ ١٩٣، ح١.
٥. الكافي ٢/ ٣٥١.
٦. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ١١/ ٩٠.

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾ ﴿٢٦٣﴾

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ مُبْتَدَأٌ وَصِفَتُهُ نكرة ساغَ مَجِيْئُهُ هُنا لاجل اختصاصه بالصفة وهي معروفٌ.

القول المعروف: معناه ما كان حسناً جميلاً لا وجه فيه من وجوه القبح، أَيْ: ردّ جميل وقيل معناه: دعاء صالح نحو: صنع الله بك ـ واغناك عن المسألة ـ وأوسع الله عليك الرزق وبورك فيك[١].

المعروف: كلّ ما يعترف العقل أو الشرع بحسنه من فعل أو قول.

﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ قال في الكشاف: «وعفو من السائل إذا وجد منه مايثقل على المسول، أو نيل مغفرة من الله بسبب الردّ الجميل، أو عفو من جهة السائل لأنّه إذا ردّه رداً جميلاً عذره»[٢].

وقال في المجمع: «قيل فيه أقوال: أحدها: أن معناه سلامة من المعصية لأنّ حالها كحال المغفرة في الأمان من العقوبة، وثانيها: أن معناه ستر على السائل وسؤاله، أو يسئ الأدب بأن يفتح الباب أو يدخل الدار بغير إذن فالعفوعن ظلمه»[٣].

فليعلم أنّ مادة غفر تأتي بمعنى الصون من الدنس وبمعنىٰ العفوعن العذاب والمغفرة. كما في مواهب الرحمن[٤].

﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ لأنّ صاحب الصدقة ٱلْمَتْبُوْعَةِ بِالْأَذىٰ لايحصل على خير لاعلى عين ماله في دُنْياهُ ولا على ثوابه في عُقْباهُ ولكنْ في المعروف والعفو طاعتان يستحق الثواب عليهما.

---

١. ومِن الأبيات المستطرفة فى هذا المجال:

أَلَمْ تَرَني أَبْغَضْتُ ليلىٰ وَذِكْرَها كَما أَبْغَضَ ٱلمِسْكِيْنُ (بُوْرِكَ فِيْكا)

ذكرناه للظَرافة.

٢. الكشاف ١/ ٣١٢ وتبعه في الجوامع ١/ ١٤٤.

٣. مجمع البيان ٢/ ٣٧٥.

٤. مواهب الرحمن ٤/ ٣٦٤.

﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ فالغني: هوالحي الذي ليس بمحتاج ومعناه هاهنا غني من كلّ شيء من صدقة وغيرها.

الحلم: الإمهال بتأخير العقوبة للإنابة، ولا يعاجلهم بالعقوبة؛ كذا في التبيان[١].

أصل الحلم: ضبط النفس عن هيجان الغضب وهذا يطلق لغير الله وإذا أطلق عليه تعالى يراد عدم التعجيل في عقوبة العصاة.[٢]

الروايات

معتبرة فضيل قال: صنائع المعروف وحسن البشر يكسبان المحبة ويدخلان الجنة، والبخل وعبوس الوجه يبعدان من الله ويدخلان النار.[٣]

خبر أبي‌بصير قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: تنافسوا في المعروف لإخوانكم وكونوا من أهله فإنّ للجنّة باباً يقال له المعروف، لايدخله إلّا من اصطنع المعروف في الحياة الدنيا، فإنّ العبد ليمشي في حاجة أخيه المؤمن فيوكل الله عزّ وجلّ به ملكين واحداً عن يمينه وآخر عن شماله يستغفران له ربّه ويدعوان بقضاء حاجته ثمّ قال: والله لرسول الله صلى الله عليه وآله أسرّ بقضاء حاجة المؤمن إذا وصلت إليه من صاحب الحاجة.[٤]

خبر أبي‌نهشل، عمّن ذكره عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: لوجرى المعروف على ثمانين كفّاً لأجروا كلّهم فيه من غير أن ينقص صاحبه من أجره شيئاً.[٥]

معتبرة إسماعيل بن عبدالخالق الجعفي قال، قال أبوعبدالله عليه السلام: إنّ من بقاء المسلمين وبقاء الإسلام أن تصير الأموال عند من يعرف فيها الحقّ ويصنع فيها المعروف، فإنّ من فناء الإسلام وفناء المسلمين أن تصير الأموال في أيدي من لايعرف فيها الحقّ ولايصنع فيها المعروف.[٦]

صحيحة أبي‌حمزة الثمالي قال، قال أبوجعفر عليه السلام: إنّ الله جعل للمعروف أهلاً من

---

١. التبيان ٢/ ٣٣٥.
٢. مواهب الرحمن ٤/ ٣٦٦.
٣. الكافي ٢/ ١٠٣، ح٥.
٤. الكافي ٢/ ١٩٥، ح١٠.
٥. الكافي ٤/ ١٧، ح٢.
٦. الكافي ٤/ ٢٥، ح١.

خلقه حبّب إليهم فعاله ووجّه لطلاب المعروف الطلب إليهم ويسّر لهم قضاءه كما يسّر الغيث للأرض المجدبة ليحييها ويحيي به أهلها، وإنّ الله جعل للمعروف أعداء من خلقه بغّض إليهم المعروف بغّض إليهم فعاله وحظر على طلاب المعروف الطلب إليهم وحظر عليهم قضاءه كما يحرم الغيث على الأرض المجدبة ليهلكها ويهلك أهلها وما يعفوالله أكثر[١].

صحيحة أُخرى لأبي‌حمزة الثمالي قال: سمعت أباجعفر عليه السلام يقول: إنّ من أحبّ عباد الله إلى الله لمن حبّب إليه المعروف وحبّب إليه فعاله.[٢]

خبر أبي‌يقظان، عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: رأيت المعروف كاسمه وليس شيء أفضل من المعروف إلّا ثوابه وذلك يراد منه، وليس كلّ من يحبّ أن يصنع المعروف إلى الناس يصنعه، وليس كلّ من يرغب فيه يقدر عليه، ولا كلّ من يقدر عليه يؤذن له فيه، فإذا اجتمعت الرغبة والقدرة والإذن فهنالك تمت السعادة للطالب والمطلوب إليه.[٣]

صحيحة عمر بن يزيد قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: المعروف شيء سوى الزكاة فتقربوا إلى الله عزّوجلّ بالبرِّ وصلة الرحم.[٤]

صحيحة جميل بن دراج، عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: اصنع المعروف إلى من هوأهله وإلى من ليس من أهله فإن لم يكن هومن أهله فكن أنت من أهله.[٥]

صحيحة أبي‌بصير، عن أبي‌جعفر عليه السلام قال: إنّ أعرابياً من بني‌تميم أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال: أوصني فكان فيما أوصاه به أن قال: يا فلان لا تزهدنّ في المعروف عند أهله.[٦]

وفي المجمع: «قد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: إذا سأل السائل فلا تقطعوا عليه مسألته حتّى يفرغ منها ثمّ ردوا عليه بوقار ولين إمّا بذلٌ يسيرٌ أوردٌ جميلٌ فإنّه قد

---

١. الكافي ٤/ ٢٥، ح٢.
٢. الكافي ٤/ ٢٥، ح٣.
٣. الكافي ٤/ ٢٦، ح٣.
٤. الكافي ٤/ ٢٧، ح٥.
٥. الكافي ٤/ ٢٧، ح٦.
٦. الكافي ٤/ ٢٧، ح١٠.

يأتيكم من ليس بإنس ولا جان ينظرون كيف صنيعكم فيما خولكم الله تعالى»[١].

وفي الروض: «راوى خبر گفت: زنى به نزديك أُسامة زيد آمد وگفت: [من] جعبه‌اى دارم تيرى چند در او، مرا ره نماى به مردى كه رفتن وى به جهاد براى خداى بود نه براى ريا، كه اين مجاهدان بيشتر براى آن مى‌روند تا از باغ‌هاى مردم ميوه خورند. اسامة بن زيد گفت: «لا بارك الله فيك ولا في جعبتك آذيتهم قبل أن اعطيتهم»، پيش از آن كه بدادى ايذا كردى؛ خداى تعالى حرام كرد منّت نهادن بر عطا»[٢].

وفي الروض: «راوى خبر گويد كه: اميرالمؤمنين عليه السلام وخضر به هم رسيدند، اميرالمؤمنين خضر را گفت: سخنى حكمت بگوى تا [از تو] ياد گيرم. خضر عليه السلام گفت: ماأحسن عطف الأغنياء [على الفقراء] رغبةً في ثواب الله، چه نيكوست شفقت توانگران بر درويشان رغبت ثواب خداى تعالى را.

اميرالمؤمنين عليه السلام گفت: دانى كه از آن نكوتر چيست؟ گفت: بگو، فرمود: وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقةً بالله؛ ونكوتر از آن تكبّر درويشان [است] بر توانگران اعتمادِ بر خداى عزّ وجلّ. خضر گفت: اين كلمه سزاوارتر آن است كه به قلم زرّين بنويسند»[٣].

ونحوهما في تفسير الثعلبي[٤].

وفي هذا المجال راجع كتابي «موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام[٥].

---

١. مجمع البيان ٢/ ٣٧٥؛ تفسير القرطبي ٣/ ٣٠٩؛ تفسير الثعلبي ٢/ ٢٦١.
٢. روض الجنان ٤/ ٥٠.
٣. روض الجنان ٤/ ٥٣.
٤. تفسير الثعلبي ٢/ ٢٦٢ و٢٥٩.
٥. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ١٠/ ٣٣٥.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وَجَّهَ اللهُ تعالىٰ ٱلخِطابَ إلى المؤمنين وحذّرهم فيها مِنْ بطلان ثواب الصدقة بالمنّ والاذىٰ أو الرياء.

﴿لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ قد مرّ معنى المنّ والأذى وما يَتَّبَعُهما مِنْ إحباطِ ثواب الصَّدَقَة.

﴿كَٱلَّذِي﴾ الكاف في موضع نصب على الحال من الواوفي تبطلوا.

﴿يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ رئاء: مصدر وضع موضع الحال من الضمير في ينفق تقديره ينفق ماله مرائياً ويجوز أن يكون مفعولاً له.

الرئاء: أصله من الرؤية، كإنّه يفعل ليرىٰ غيرُه ذلك مباهياً به.

الفرق بين عمل المانّ وَٱلۡمُرائِي أَنَّ: عمل المانّ والمؤذي يقع صحيحاً ثمّ يعرض عليه البطلان بخلاف عمل ٱلۡمُرائِي فإنّه باطل من حينه. والفرض في الآية في أصل تشبيه العمل وهوالبطلان.

﴿وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ تدل على أنّ ٱلۡمُرائِي لاأقل في عمل الذي يرائى لا يؤمن بالله والقيامة فهوكافر في ريائه.

﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ أي مثل ٱلۡمُرائِي.

﴿كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ﴾ أي الحجارة الصلبة. أو ٱلۡحَجَرِ ٱلۡأَمۡلَسِ مثل الصفا، جمعه صُفيٌّ.

﴿عَلَيۡهِ تُرَابٞ﴾ فالتراب والترب واحد يقال: ترب الرجل إذا افتقر لأنّه لصق بالتراب للفقر ومنه قوله: ﴿أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٍ﴾[1] لأنّه قعد على التراب للفقر.

---

١. سورة البلد / ١٦.

﴿فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾ أي المطر الشديد الوقع، ٱلْعَظِيْمُ القطر.

﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾ الصلد: الحجر الذي لا ينبت فيه شيء لصلابته؛ وَهُوَ مَثَلٌ للبخيل المُرائِي. وبديهيٌ أَنَّ التراب والمطر عاملان للحياة ولكن صلابة الصلد تُوْجِبُ عدم انبات شيء عليه فالقابل ليس له استعداد للحياة وكذا حال المرائى لأنّه مع إنفاقه الذي يوجب الحياة في الفرد والمجتمع بواسطه عدم إيمانه ورياءه يفقد عوامل الحياة ويكون كالصلد.

﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾ والضمير في لايقدرون يَرْجِعُ إلى المرائى لأنّه في معنى الجمع لأنّهم متعددون؛ أي لايَنْتَفِعُ ٱلْمُراؤُوْن بأعمالهم وصدقاتهم إِذْ يفقدون أعيان أموالهم وثواب أفعالهم. وَتَبْقىٰ عليهم الحَسَراتُ.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي لايهديهم إلى طريق الجنة أو لايقبل أعمالهم. وكأنّها في موضع التعليل أي إنّ ٱلْمُرائِي كافر والله لايهدي القوم الكافرين.

ويظهر من الآية الشريفة أن شرط قبول العمل هوالإخلاص لله تعالى.

الروايات

وعن المفضل بن صالح عن بعض أصحابه عن جعفر بن محمّدعليه السلام وأبيجعفرعليه السلام في قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ قال: نزلت في عثمان وجرت في معاوية وأتباعهما.[١]

وعن سلام بن المستنير عن أبيجعفرعليه السلام، في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ لمحمّدٍ وآل محمّدٍ عليه الصلاة والسلام، هذا تأويل. قال: أُنزلت في عُثمان.[٢]

وعن أبيبصير عن أبيعبداللهعليه السلام في قوله تعالى: ﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ فلان وفلان ومعاوية وأشياعهم.[٣]

---

١. تفسير العياشي ١/ ٢٧١، ح٤٨٥.
٢. تفسير العياشي ١/ ٢٧٢، ح٤٨٦.
٣. تفسير العياشي ١/ ٢٧٢، ح٤٨٧.

وفي المجمع[١]: قال أبوعبدالله«عليه السلام»: ما من شيء أحبّ إليّ من رجل سلفت منّي إليه يد اتبعتُهُ أُختها وأحسنتُ رقبها له لأنّي رأيت منع الأواخر يقطع لسان شكر الأوائل».

وفيه: عن ابن‌عباس عن النبي«صلى الله عليه وآله» : «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ يسمع أهل الجمع أين الذين كانوا يعبدون الناس قوموا خذوا أُجوركم ممّن عملتم له فإنّي لا أقبل عملاً خالطه شيءٌ من الدنيا وأهلها»[٢].

وعن عبدالله اَلْمُزَنِيّ قال: بلغني أن رجلاً دخل على معاوية قال: مررت بالمدينة فإذا أبوهريرة جالس في المسجد، حوله حلقة يحدّثهم فقال: حدّثني أبوالقاسم ثمّ استعبر فبكى فقال: حدّثني خليلي أبوالقاسم ثمّ استعبر فبكى فقال: حدّثني خليلي أبوالقاسم ثمّ بادره الرجل فقال: إنّي رجل غريب لست من أهل البلد وقد أردت أن تحدّث عن النبيّ«صلى الله عليه وآله» كلّ ذلك تخنقك العبرة فأخبرني هذا الذي أردت أن تحدّث به، قال: سمعت النبي«صلى الله عليه وآله» يقول: «إذا كان يوم القيامة يؤتى برجل قد كان خوّله مالاً فيقال كيف صنعت فيما خوّلناك؟

فقال: أنفقت وأعطيت، فقال: أردت أن يقال فلان سخي فقد قيل لك فماذا يُغني عنك.

ثمّ يؤتى برجل شجاع فيقال له: ألم أشجّع قلبك؟

قال: بلى، فيقال: كيف صنعت؟ قال: قاتلت حتّى أحرقت مهجتي، فيقال له: أردت أن يقال فلان شجاع وقد قيل فماذا يغني عنك.

ثمّ يؤتى برجل قد أُوتي علماً فيقال له: ألم أستحفظك العلم؟

قال: بلى، فيقال: كيف صنعت، فيقول: تعلّمت وعلّمت، فيقال: أردت أن يقال فلان عالم وقد قيل فماذا يغنيي عنك، ثمّ قال: أذهبوا بهم إلى النار»[٣].

---

١. مجمع البيان ١/ ٣٧٧ ونحوها في تفسير القمي ١/ ٩٩ من طبعة الأعلمي.
٢. مجمع البيان ١/ ٣٧٧؛ روض الجنان ٤/ ٥٦؛ الكشف والبيان ٢/ ٢٦٣؛ كنزالعمال ٣/ ٤٨٥، ح٧٥٤٢.
٣. روض الجنان ٤/ ٥٦؛ الكشف والبيان ٢/ ٢٦٣.

خبر ابن القداح، عن أبي‌عبدالله عليه السلام أنّه قال لعُباد بن كثير البصري في المسجد: ويلك يا عُباد إيّاك والرياء فأنّه من عمل لغير الله وكله الله إلى من عمل له.[١]

خبر يزيد بن خليفة قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: كلّ رياء شرك أنّه من عمل للناس كان ثوابه على الناس ومن عمل لله كان ثوابه على الله.[٢]

معتبرة السكوني: عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : سيأتي على النّاس زمان تخبث فيه سرائرهم وتحسن فيه علانيتهم طمعاً في الدنيا لا يريدون به ما عند ربّهم يكون دينهم رياء لايخالطهم خوف يعمّهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلايستجيب لهم.[٣]

وفي معتبرة أُخرى له، عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله : إنّ الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجاً به فإذا صعد بحسناته يقول الله: اجعلوها في سجّين أنّه ليس إيّاي أراد بها.[٤]

وفي معتبرة ثالثة له عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال، قال أمير المؤمنين عليه السلام: ثلاث علامات للمرائي: ينشط إذا رأى الناس ويكسل إذا كان وحده ويحبّ أن يُحمد في جميع أُموره.[٥]

معتبرة داود عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: من أظهر للنّاس ما يحبّ لله وبارز الله بما كرهه لقى الله وهوماقت له.[٦]

حسنة ابن زياد، عن الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سئل في ما النجاة غداً؟ فقال: إنّما النجاة في أن لا تخادعوا الله فيخدعكم فإنّه من يخادع الله يخدعه ويخلع منه الإيمان ونفسه يخدع لويشعر، فقيل له: وكيف يخادع الله؟ قال: يعمل بما أمر الله به ثمّ يريد به غيره، فاتقوا الله واجتنبوا الرياء فإنّه شرك بالله إنّ المرائي يدعي يوم القيامة بأربعة أسماء يا كافر، يا فاجر، يا غادر، يا خاسر، حبط عملك وبطل أجرك

---

١. الكافي ٢/ ٢٩٣، ح١.
٢. الكافي ٢/ ٢٩٣، ح٣.
٣. الكافي ٢/ ٢٩٦، ح١٤.
٤. الكافي ٢/ ٢٩٤، ح٧.
٥. الكافي ٢/ ٢٩٥، ح٨.
٦. الكافي ٢/ ٢٩٥، ح١٠.

ولاخلاق لك اليوم فالتمس أجرك ممّن كنت تعمل له.[١]

خبر الصدوق بإسناد حسن، عن جعفر، عن أبيه عليهما السلام: أن الله أنزل كتاباً من كتبه علي نبيٍّ من الأنبياء وفيه: أن يكون خلق من خلقي يختتلون الدنيا بالدين يلبسون مسوك الضأن على قلوب كقلوب الذئاب أشدّ مرارة من الصبر وألسنتهم أحلى من العسل وأعمالهم الباطنة أنتن من الجيف فبي يغترّون؟ أم إيّاي يخادعون؟ أم عليّ يجترئون؟ فبعزّتي حلفت لأبعثنّ عليهم فتنة تطأ في خطامها حتّى تبلغ أطراف الأرض نترك الحكيم منها حيران فيها رأي ذي الرأي وحكمة الحكيم ألبسهم شيعاً وأُذيق بعضهم بأس بعض، أنتقم من أعدائي بأعدائي فلا أُبالي [بما أُعذّبهم جميعاً ولا أُبالي].[٢]

خبر الآمدي رفعه إلى أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: لاتعمل شيئاً من الخير رياءٍ ولاتتركه حياء.[٣]

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿٢٦٥﴾

﴿يُنفِقُونَ﴾ من الإنفاق بمعنىٰ: العطاء والإخراج والصرف.

﴿أَمۡوَٰلَهُمُ﴾ في أعمال البرّ.

﴿ٱبۡتِغَآءَ﴾ مَنْصُوْبٌ على المصدر ـ مفعول له ـ وهو بمعنىٰ الطلب والإرادة، تثبيتاً عطف عليه، والجار والمجرور مفعول لتثبيت.

﴿مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾ أي رضا الله تعالى ووجه الله.

﴿وَتَثۡبِيتٗا﴾ أي تثبيتاً من الإنسان لِنَفْسِهِ على مانَوىٰ، من النية الخالصة وهو

١. أمالي الصدوق، المجلس الخامس والثمانون، ح ٢٣/ ٦٧٧، الرقم ٩٢١.
٢. عقاب الأعمال / ٣٠٤.
٣. غررالحكم، ح١٠٢٤٥.

تَثْبِيْتٌ ناشِئٌ من النفس واقع على النفس.

قال العلامة الطباطبائي: «أمّا قوله وتثبيتاً من أنفسهم فقد قيل: إنّ المراد التصديق واليقين. وقيل: هو التثبت أي يتثبتون أين يضعون أموالهم، وقيل: هو التثبت في الإنفاق فإن كان لله أمضى، وإن كان خالطه شيء من الرياء أمسك، وقيل: التثبيت توطين النفس على طاعة الله تعالى، وقيل: هو تمكين النفس في منازل الإيمان بتعويدها على بذل المال لوجه الله. وأنت خبير بأن شيئاً من الأقوال لاينطبق على الآية إلّا بتكلّف.

و الذي ينبغي أَنْ يُقالَ ـ واللهُ العالمُ ـ في المقام، هو أَنَّ الله سبحانه لما أطلق القول أوّلاً في مدح الإنفاق في سبيل الله، وإنّ له عند الله عظيم الأجر اعترضه أن استثنى منه نوعين من الإنفاق لايرتضيهما الله سبحانه، ولايترتب عليهما الثواب، وهما الإنفاق رياءً الموجب لعدم صحة العمل من رأس والإنفاق الذي يتبعه منٌّ أو أذى فإنّه يبطل بهما وإن انعقد أوّلاً صحيحاً، وليس يعرض البطلان لهذين النوعين إلّا من جهة عدم ابتغاء مرضاة الله فيه من رأس، أو لزوال النفس عن هذه النية أعني ابتغاء المرضاة ثانياً بعد ما كانت عليها أوّلاً، فأراد في هذه الآية بيان حال الخاصة من أهل الإنفاق الخالصة بعد استثناء المرائين وأهل المنّ والأذى، وهم الذين ينفقون أموالهم ابتغاء وجه الله ثمّ يقرون أنفسهم على الثبات على هذه النية الطاهرة النامية من غير أن يتبعوها بما يبطل العمل ويفسده.

و من هنا يظهر أنّ المراد بابتغاء مرضاة الله أن لايقصد بالعمل رئاء ونحوه ممّا يجعل النية غير خالصة لوجه الله، وبقوله تثبيتاً من أنفسهم تثبيت الإنسان نفسه على ما نواه من النية الخالصة، وهو تثبيت ناش من النفس واقع على النفس. فقوله تثبيتاً تميز وكلمة «من» نشوية وقوله: «أنفسهم» في معنى الفاعل، وما في معنى المفعول مقدر. والتقدير تثبيتاً من أنفسهم لأنفسهم، أو مفعول مطلق لفعل مادته»[١].

أقول: وهو متين. وتابع هو في هذا المقال للفيض الكاشاني في الصافي[٢].

---

١. الميزان ٢/ ٣٩١.

٢. الصافي / ٧٨ من الطبع الحجري.

﴿جَنَّة﴾ البستان ٱلْكَثِيْرُ الشجر، لأنّها تجنّه، أي تستره. وأصل الجَنّ: السَّتْر. وفي الروض: «فرّاء گفت: چون در بستان درخت خرما باشد آن را جنت گويند و چون در او رز باشد آن را فردوس خوانند»[١].

﴿بِرَبْوَةٍ﴾ الربو: الزيادة يقال ربا الشيء يربو إذا زاد، الربوة من الأرض: العلو من الأرض لزيادة على غيره بإرتفاعه أو الأرض الجيدة التي تزيد وتعلو في نموها كما في الميزان[٢] والأول أظهر. وأصل اللغة: الزيادة كما مرّ. وهو مثلث الفاء: أي الراء رَبُوة. «وإنما خص الجنة بربوة لأنّ نبتها يكون أحسن وريعها أكثر من المستغل الذي يسيل الماء إليه ويجتمع فيه فلا يطيب ريعه» كما في المجمع.[٣]

﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ أي مطر شديد.

﴿فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ فأعطت، أُكُل: بضمتين ما يؤكل من الشيء والواحدة أُكلة، الأكل مصدر وبالضم الطعام الذي يُؤكل.

ضعفين: ضعف الشيء: مثلاه وضعفين: به معنای چهار برابر باشد.[٤] وفي المجمع: فيما روي قال أبوعبدالله عليه السلام: معناه يتضاعف أجر من أنفق ماله ابتغاء مرضاة الله»[٥].

﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ أي فإن يكن لم يصبها وابل فطلٌّ: أي المطر ٱلصِّغارُ القطر يكفيها لكرم منبتها.

وقيل: الطل: ما يقع بالليل على الشجر والنبات وهو الرذاذ مثل النَّدىٰ.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ معناه عالم بأفعالكم فيجازيكم بحسنها وفي ذلك ترغيب في الإخلاص وترهيب عن الريا ويعلم نيات[٦] عباده ومراتب إنفاقهم، بصيرٌ بأفعالهم فهو يجازي كلّ فرد حسب مراتب الخلوص والإخلاص.

---

١. روض الجنان ٤/ ٥٩.
٢. الميزان ٢/ ٣٩١.
٣. مجمع البيان ٢/ ٣٧٨.
٤. منهج الصادقين ٢/ ١٢٦.
٥. مجمع البيان ٢/ ٣٧٨.
٦. جَمْعُ نِيّة، لا يُقالُ: نَوايا كما شاعَ خَطَأً.

الرويات

وفي العياشي عن سلام بن المستنير عن أبي‌جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾ قال: أُنزلت في علي عليه السلام.[١]

وعن أبي‌بصير عن أبي‌عبدالله عليه السلام:... قال: عليٌّ أميرالمؤمنين عليه السلام أفضلهم وهو ممّن يُنْفِقُ ماله ابتغاء مرضات الله.[٢]

موثّقة سماعة بن مهران، عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال ثلاث مَن أتى الله بواحدة منهنّ أوجب الله له الجنة: الإنفاق من اقتار، والبشر لجميع العالم، والإنصاف من نفسه.[٣]

صحيحة أبي‌حمزة، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: من أخلاق المؤمن الإنفاق على قدر الإقتار، والتوسّع على قدر التوسّع، وإنصاف النّاس، وابتداؤه إيّاهم بالسلام عليهم.[٤]

معتبرة معاوية بن وهب، عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: من يضمن لي أربعة أبيات في الجنة؟ أنفق ولاتخف فقراً، وأفش السلام في العالم، وأترك المراء وإن كنت محقّاً، وأنصف النّاس من نفسك.[٥]

صحيحة عبيد بن زرارة قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: ما من عبد يمنع درهماً في حقّه إلّا أنفق اثنين في غير حقّه، وما رجل يمنع حقّاً من ماله إلّا طوّقه الله عزّ وجلّ به حية من نار يوم القيامة.[٦]

صحيحة هشام بن الحكم، عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: من منع حقّاً لله أنفق في باطل مثليه.[٧]

خبر حسين بن أيمن، عن أبي‌جعفر عليه السلام قال: قال: يا حسين أنفق وأيقن بالخلف

---

١. تفسير العياشي ١/ ٢٧٢، ح٤٨٨.
٢. تفسير العياشي ١/ ٢٧٢، ح٤٨٩.
٣. الكافي ٢/ ١٠٣.
٤. الكافي ٢/ ٢٤١.
٥. الكافي ٢/ ١٤٤.
٦. الكافي ٣/ ٥٠٤.
٧. الكافي ٣/ ٥٠٦.

من الله، فإنّه لم يبخل عبد ولا أمة بنفقة فيما يرضي الله إلّا أنفق أضعافها فيما يسخط الله.[١]

صحيحة صفوان بن يحيى، عن أبي‌الحسن الرضا عليه السلام قال: دخل عليه مولى له فقال له: هل أنفقت اليوم شيئاً؟ قال: لا والله، فقال أبوالحسن عليه السلام: فمن أين يخلف الله علينا، أنفق ولو درهماً واحداً.[٢]

خبر زرارة قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: إنّما الشحيح مَن منع حق الله وأنفق في غير حق الله عزوجل.[٣]

الآمدي رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: إنّ إنفاق هذا المال في طاعة الله أعظم نعمة، وإنّ إنفاقه في معاصيه أعظم محنة.[٤]

الآمدي رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام إنّه قال: إنّكم إلى إنفاق ما اكتسبتم أحوج منكم إلى اكتساب ما تجمعون.[٥]

و«تلك عَشَرَةٌ كامِلَة» من الروايات الواردة في الإنفاق عن أهل بيت العصمة والطهارة سلام الله عليهم أجمعين.

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٦٦﴾

﴿أَ﴾ الهمزة للإنكار.

﴿يَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ الودّ: المحبّة والفرق بينهما: أَنَّ المَوَدَّةَ قد

---

١. الكافي ٤/ ٣٤.
٢. الكافي ٤/ ٤٤.
٣. معاني الأخبار / ٢٤٦، ح٦.
٤. غرر الحكم ح٣٣٢٩.
٥. غرر الحكم ح٣٨٢٧.

تكون لِمَعْنىٰ التمنّي فَتَتَعَلَّقُ بالمستقبل والماضي ولكن الحبّ لايتعلق بالماضي.

قال الشيخ: «التقدير على مثل ضربه الله في الحسرة بسلب النعمة فقيل: هو مَثَلٌ للمرائي في النفقة، لأنّه ينتفع بها عاجلاً وتنقطع عنه آجلا في أحوج ما يكون إليه؛ هذا قول السدّى. وقال مجاهد: هو مَثَلٌ للمفرط في طاعة الله بملاذّ الدنيا يحصل في الآخرة على الحسرة العظمى. وقال ابن‌عباس: هو مَثَلٌ للذي يختم عمله بفساد.

وقوله: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ فأتى بمستقبل ثمّ عطف عليه بماضٍ في قوله ﴿وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾ قال الفراء يجوز ذلك في يودّ لأنّها تلتقي مرة بـ(أن) ومرة بـ(لو) فجاز أن يقدر إحداهما مكان الأُخري، لإتفاق المعنى، فكأنّه قال أيود أحدكم لو كانت له جنة من نخيل وأعناب وأصابه الكبر. قال الرماني: وعندي أنّه قد دلّ بأن على الاستقبال، وبتضمين الكلام معنى لو على التمني، كأنّه قيل: أيحبّ ذلك متمنياً له. التمني يقع على الماضي والمستقبل ألا ترى أنّه يصح أن يتمنى أن كان له ولد. ويصح أن يتمنى أن يكون له ولد. والمحبة لاتقع إلا على المستقبل. لأنّه لايجوز أن يقال: أحبُّ أن كان لي ولد، ويجوز أحب أن يكون لي ولد. والفرق بين المودّة والمحبّة أن المودة قد تكون بمعنى التمني نحو قولك: أودّلو قدم زيد بمعنى أتمنى لو قدم، ولايجوز أحبّ لو قدم»[١].

و في الكشاف: «عن عُمَرَ أنّه سأل عنها الصحابة فقالوا: الله أعلم، فغضب وقال: قولوا نعلم أو لانعلم، فقال ابن‌عباس﵄: في نفسي منها شيء يا أميرالمؤمنين[٢]. قال: قل يا ابن أخي ولا تحقر نفسك. قال: ضربت مثلاً لعملٍ. قال: لأيّ عمل؟ قال: لرجل غني يعمل الحسنات. ثمّ بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتّى أغرق أعماله كلّها.[٣]

وعن الحسن﵀: هذا مَثَلٌ قلّ والله من يعقله من النّاس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه أفقر ما كان إلى جنّته، وإنّ أحدكم والله أفقر ما يكون إلى عمله

---

١. التبيان ٢/ ٣٤٠ و٣٤١.

٢. أخرجه البخاري من حديث عبيد بن عمير: أن عمر سأل... فذكره.

٣. قوله «أغرق أعماله كلّها» في بعض نسخ الجلال: أحرق، بالحاء، وكذلك عبارة النسفي.

إذا انقطعت عنه الدنيا»[١].

﴿مِن﴾ بيانية، تبيّن أنّ الغالب فيها هما النخل والعنب.

﴿نَّخِيلٍ﴾ والنخل والنخيل جمع نخلة وهي شجر التمر.

﴿وَأَعْنَابٍ﴾ ثمر ٱلْكَرْمِ. وإنّما خصهما [النخيل والأعناب] بالذكر لجمال منظرهما وكثرة نفعهما وفي الكشاف: «لما كانا أكرم الشجر وأكثرها منافع، خصهما بالذكر وجعل الجنّة منهما ـ وإن كانت محتوية على سائر الأشجار ـ تغليباً لهما على غيرهما ثمّ أردفهما ذكر كلّ الثمرات»[٢].

﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ أي من تحت الجنة، الأنهار: جمع نهر وهو المَجْرىٰ الواسع من مجاري الماء؛ وهو كناية عن وفور المياه بحيث تكون الجنة ذات بهجة وَرَواءٍ.

﴿لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ أي للواحدِ في الجنة من كل الثمرات. جمع ثمرة: وهي طعام النّاس من الشجر.

﴿وَ﴾ الواو للحال لا للعطف.

﴿أَصَابَه﴾ أي لحقه. الأصابة: الوقوع واللحوق بالمقصود.

﴿ٱلْكِبَرُ﴾ أي الشيخوخة.

﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾ الواو للحال أيضاً، الأولاد، الضعفاء والضعاف: جمع ضعيف، والضعف نقصان القوة. أي لا يقدرون على الكسب.

﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ﴾ أي فأصاب الجنة إعصار، والإعصار: ريحٌ شَدِيْدَةٌ تنبعث من الأرض نحو السماء عمودياً تُسَمِّيْهِ العامة «الزوبعة»، وبالفارسية «گردباد» ولكن في مصطلح العرب اليوم أطلق على كلّ طوفان. جمعه أعاصير.

﴿فِيهِ نَارٌ﴾ أي في الإعصار نارٌ، والنار صفة للإعصار، أي ريح شديدة وطوفان مع النار، والنار يمكن أن تَكُوْنَ مع الصاعقة.

---

١. الكشاف ١/ ٣١٤ والرواية رويت في البخاري ٥/ ١٦٣، طبع دارالفكر البيروتية؛ والدر المنثور ١/ ٣٤٠.

٢. الكشاف ١/ ٣١٤.

﴿فَٱحۡتَرَقَتۡ﴾ الإحتراق: افتراق الأجزاء بالنار.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ﴾ الفكر: جولان القلب بالخواطر. أي بهذه البيانات يبين لكم الله دلالاته التي تحتاجون إليها في أمر دينكم لعلّكم تتفكرون وتفهمون وترشدون.

وفي تفسير القمي: «قال: الإعصار: الرياح فمن امتنّ على من تصدق عليه كمن كان له جنة كثيرة الثمار وهو شيخ ضعيف له أولاد صغار فتجيئ ريح أو نار فتحرق ماله كلّه»[١].

الروايات

وفي العياشي: عن أبي‌بصير، عن أبي‌جعفر عليه السلام: ﴿إِعۡصَارٌ فِيهِ نَارٌ﴾ قال عليه السلام: ريحٌ.[٢]

وفي الدر المنثور: وأخرج عبد بن حميد عن عطاء قال: قال عمر: آية من كتاب الله ما وجدت أحداً يشفيني عنها قوله: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعۡنَابٍ﴾ حتّى فرغ من الآية، قال ابن‌عباس: يا أميرالمؤمنين إنّي أجد في نفسي منها، فقال له عمر: فلم تحقر نفسك، فقال: يا أميرالمؤمنين هذا مثل ضربه الله فقال: أيحبّ أحدكم أن يكون عمره يعمل بعمل أهل الخير وأهل السعادة حتّى إذا كبرت سنه واقتربت أجله ورقّ عظمه وكان أحوج ما يكون إلى أن يختم عمله بخير عمل بعمل أهل الشقاء فافسد عمله فأحرقه، فوقعت على قلب عمر وأعجبته.[٣]

أقول: والعجب من خليفتهم كيف لايدري معنىٰ هذه الآية مع وضوحها أو لعلّ يجد نفسه مصداقاً لها ولذا روي عنه أنّه قال: قرأتُ الليلة آية أسهرتني أيودّ أحدكم أن تكون له جنّة من نخيل وأعناب فقرأها كلّها فقال: ما عني بها؟ فقال بعض القوم: الله أعلم، فقال: إنّي أعلم إنّ الله أَعْلَمُ ولكن إنّما سألت إن كان عند أحد منكم علم وسمع فيها شَيْئاً أن يخبر بما سمع فسكتوا فرآني وأنا أهمس، قال: قل يا ابن أخي ولا تحقر نفسك، قلت: عني بها العمل، قال: وما عني بها العمل؟ قلت: شيء ألقي في روعي، فقلته:

---

١. تفسير القمي / ٤٩ من الطبع الحجري.
٢. تفسير العياشي ١/ ٢٧٢، ح٤٩٠.
٣. الدر المنثور ١/ ٣٤٠.

فتركني، وأقبل وهو يفسرها صدقت يا ابن أخي عني بها العمل ابن آدم أفقر ما يكون إلى جنته إذا كبرت سنّه وكثر عايله وابن آدم أفقر ما يكون إلى عمله يوم القيامة صدقت يا ابن أخي، الحديث.[١]

وفيه: أخرج الطبراني في الأوسط والحاكم وحسنّه عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يدعو: اللهم اجعل أوسع رزقك عليَّ عند كبر سنّي وانقطاع عمري.[٢]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ ﴿٢٦٧﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ هذا خطاب للمؤمنين دون سائر النّاس وقال الحسن وعلقمةُ: كلّ شيء في القرآن «يا أيها الذين آمنوا» فإنّما أُنزِلَ بالمدينة وكلّما فيه «يا أيها النّاس» أُنزل بمكة، كذا قاله الشيخ.[٣]

﴿أَنفِقُواْ﴾ أي تصدقوا، قيل: هي مختصة بالزكاة وقيل: هي في التطوع والصحيح أنّه مطلق تَدْخُلُ فيه الزكاة الواجبة والنافلةُ والتطوّعُ.

﴿مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ أي من حلال ما كسبتم بالتجارة عن ابن‌مسعود ومجاهد، وقيل: من خياره وجياده أي من جياد مكسوباتكم، ما كسبتم: أي ماحصل لكم من الأموال بسبب التجارة وغيرها.

﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ من الحبّ والثمر والمعادن، ومعناه من طيبات ما أخرجنا لكم، حذف الطيبات لِذِكْرِها فيما قبل.

﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ﴾ التيمم: هو القصد والتعمد، ولم يستعمل في القرآن الكريم إلّا

---

١. راجع تمامه في الدر المنثور ١/ ٣٤٠.
٢. الدر المنثور ١/ ٣٤٠.
٣. التبيان ٢/ ٣٤٣.

في ثلاثة مَواضِعَ، هذا والآخران استعملا بمعنىٰ الطهور بالصعيد. أي لاتقصدوا.

﴿ٱلۡخَبِيثَ﴾ ضد الطيب، الرديء من المال والمنفور، وقيل: أنّه الحرام ولكن لايختص به.

﴿مِنۡهُ﴾ متعلّق بالخبيث.

﴿تُنفِقُونَ﴾ حال من فاعل ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ﴾، أي تخصون الخبيث بالإنفاق.

﴿وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ حال من فاعل تنفقون،أي وحالكم أنكم لاتأخذونه في حقوقكم، والعامل فيه الفعل.

﴿إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِ﴾ ٱلْغَمْضُ: وضع أحد ٱلْجَفْنَيْنِ على الآخر وتستعمل في التغافل وَٱلتَّسامُحِ أيضاً، ويأتي أصله بمعنىٰ الخفاء. أي إنّكمْ لاتأخذون الخبيث ولاترضون به لأنفسكم إلّا أن تتغافلوا عن خبثه ووتتساهلوا في رَداءَتِه.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ غني عن صدقاتكم وإنّما دعاكم إليها لنفعكم بها. وفيه تحذير عن الإنفاق بالخبيث.

قال الشيخ: «فأما حميد ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنّه مستحق للحمد على أفعاله. الثاني: موجب الحمد على طاعته. الثالث: وقال الحسن: معناه مستحمداً إلى خلقه بما يعطون من النعم لعباده أي مبتدع لهم إلى ما يوجب الحمد...، ثمّ قال الشيخ: وأنّه يحمدهم على ما يفعلونه إذا فعلوه على ما أمرهم به ومعناه أنّه يجازيهم عليه»[1].

فعيل يأتي بمعنىٰ فاعل ومفعول فالحميد يمكن أن يكون بمعنى ٱلْحامد ـ كما في ٱلْمَعْنىٰ الذي ذكره الشيخ اخيراً ـ أو بمعنىٰ ٱلْمَحْمُوْدِ، كما في المعاني الثلاثة.

الروايات

عن عبدالله بن سِنان، عن أبيعبدالله عليه السلام، في قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ﴾. قال: كان أُناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله يتصدّقون بشَرّ ما عندهم من التَمر الرقيق القِشر، الكبير النَّوى، يقال له: المُعافارة، ففي ذلك أنزل الله: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ

---

١. التبيان ٢/ ٣٤٦.

ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ﴾ [1]

عن أبي‌بصير، قال سألتُ أباعبدالله عليه السلام: ﴿وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾؟

قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أمر بالنخل أن يُزكّى، يَجيء قومٌ بألوانٍ من التمر، هو من أردأ التمر يُؤدّونه عن زكاتهم تمراً، يقال: له: الجُعرور والمُعافارة، قليلة اللِّحاء عظيمة النَّوى، فكان بعضهم يجيء بها عن التَمر الجيّد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لاتَخْرِصوا[2] هاتين، ولاتجيئوا منها بشيءٍ، وفي ذلك أنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِ﴾ والإغماض: أن يأخُذ هاتين التَّمرتين من التَّمر.

و قال: لا يَصِل إلى الله صدقةٌ من كَسْبٍ حرام.[3]

رواها الكليني بسنده المعتبر في الكافي[4].

عن رِفاعة، عن أبي‌عبدالله عليه السلام، في قول الله: ﴿إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِ﴾، فقال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله عبدالله بن رَواحة، فقال: لا تَخْرِصوا جُعْرُوراً ولا مُعافارةً؛ وكان أُناسٌ يَجيئون بتمرٍ سوء، فأنزل الله جلّ ذكره: ﴿وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِ﴾ وذكر أنّ عبدالله خَرَص عليهم تَمر سوء، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: يا عبدالله، لاتَخْرِص جُعْرُوراً ولا مُعافارةً.[5]

عن زُرارة، عن أبي‌جعفر عليه السلام، في قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ﴾، قال: كانت بقايا في أموال النّاس أصابوها من الرِّبا أو من [المكاسب][6] الخبيثة قبل ذلك، فكان أحدهم يتيمَّمها فينفقها ويتصدّق بها، فنهاهم الله عن ذلك.[7]

عن أبي‌الصَّبَّاح، عن أبي‌جعفر عليه السلام، قال: سألتُه عن قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ

---

١. تفسير العياشي ١/ ٢٧٣، ح٤٩١.
٢. الخَرْص: حَزرُ ما على النخلَ من الرُّطب تمراً.
٣. تفسير العياشي ١/ ٢٧٣، ح٤٩٢.
٤. الكافي ٧/ ٣٢٤، ح٩ (٤/ ٤٨).
٥. تفسير العياشي ١/ ٢٧٤، ح٤٩٣.
٦. الزيادة من وسائل الشيعة ٦/ ٣٢٨، ح٧.
٧. تفسير العياشي ١/ ٢٧٤، ح٤٩٤.

ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ﴾. قال: كان النّاس حين أسلموا عندهم مكاسب من الرِّبا، ومن أموالٍ خبيثةٍ، فكان الرجُل يتعمَّدها من بين ماله فيتصدَّق بها، فنهاهم الله عن ذلك، وإنَّ الصَّدقة لا تَصْلُح إلّا من كسبٍ طيّبٍ.١

عن إسحاق بن عمّار، عن جعفر بن محمّدعليه السلام، قال: كان أهل المدينة يأتون بصَدقَة الفِطر إلى مسجد رسول اللهصلى الله عليه وآله وفيه عِذق يُسمّى الجُعرور، وعِذق يُسمّى مُعافارة، كانا عظيماً نواهما، رقيقاً لِحاؤهما، في طعمهما مرارة، فقال رسول اللهصلى الله عليه وآله للخارص: لاتَخرِص عليهم هذين اللَّونَين، لعلّهم يستحيون لايأتون بهما، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ﴾ إلى قوله: ﴿تُنفِقُونَ﴾.٢

عن محمّد بن خالد الضَّبِّي، قال: مرّ إبراهيم النَّخَعِيّ على امرأةٍ وهي جالسة على باب دارها بُكرةً، وكان يقال لها: أُمّ‌بكر، وفي يدها مِغْزَل تَغْزِل به، فقال: يا أُمّ‌بكر، أما كَبِرت، ألم يأن لكِ أن تَضَعي هذا المِغْزل؟ فقالت: وكيف أضعه وَسَمِعتُ عليّ بن أبي‌طالب أمير المؤمنينعليه السلام يقول: هو من طيّبات الكَسْب.٣

وفي رواية أُخري، عن أبي‌بصير، عن أبي‌عبداللهعليه السلام في قول اللهعزوجل: ﴿أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ﴾ فقال: كان القوم قد كسبوا مكاسب سوءٍ في الجاهليّة فلمّا أسلموا أرادوا أن يخرجوها من أموالهم ليتصدّقوا بها فأبى الله ـ تبارك وتعالى ـ إلّا أن يُخرجوا من أطيب ما كَسَبُوا.٤

وفي التبيان: روي عن عليّعليه السلام: أنّها نزلت لأنّ بعضهم كان يأتي بالحشف فيدخله في تمر الصدقة فنزلت فيه الآية.٥

وفيه: روي عن أبي‌عبداللهعليه السلام: أنّها نزلت في أقوام لهم أموال من ربا الجاهلية كانوا يتصدَّق منها، فنهى الله عن ذلك وأمر بالصدقة من الحلال.٦

---

١. تفسير العياشي ١/ ٢٧٤، ح٤٩٥.
٢. تفسير العياشي ١/ ٢٧٤، ح٤٩٦.
٣. تفسير العياشي ١/ ٢٧٥، ح ٤٩٧.
٤. الكافي ٧/ ٣٢٦، ح١٠ (٤/ ٤٨).
٥. التبيان ٢/ ٣٤٤..
٦. التبيان ٢/ ٣٤٤.

وفي المجمع: روي عن عبيد بن رفاعة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: يا معشر التجار أنتم فجار إلّا من أتقى وبرّ وصدق وقال بالمال هكذا وهكذا.[١]

وقال في الروض في ترجمة آخر الحديث: «... و راستگر (راستگو نسخه بدل) كه مال خرج مى‌كند از اين جانب و از آن جانب»[٢].

وفيه: وقال ﷺ : تسعة أعشار الرزق في التجارة والجزء الباقي في السابيا.[٣]

أي المواشي قال الزمخشري: وأصلها الجلدة التي يخرج فِيْها الولد.[٤]

وفيه: روت عائشة أنّه ﷺ قال: أطيّب ما أكل الرجل من كسبه أنّ ولده من كسبه.[٥]

أي: يَتَكَوَّنُ الولد من كسبه أو كسب اَلْوَلد يُعد من كسب والده بل من طيبات كسبه.

وفيه: وقال سعيد بن عُمير: سُئل النبي ﷺ : أيّ كسب الرجل أطيب؟ قال: عمل الرجل بيده وكلّ بيع مبرور.[٦]

وفيه: وقال علي عليه السلام: من اتجر بغير علم ارتطم في الربا ثمّ ارتطم.[٧]

وفي الروض: قال رسول الله ﷺ : إنّ الله تعالى قسّم بينكم أخلاقكم كما قسّم بينكم أرزاقكم وإنّ الله طيب لايقبل إلّا طيباً، لايكسب عبد مالاً من حرام فيتصدّق منه فيقبل منه، ولاينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتركه خلف ظهره إلّا كان زاده إلى النار، وأن لايمحو السيء بالسيء ولكنّه يمحو السيء بالحسن والخبيث لايمحو به الخبيث.[٨]

وقال قيس بن عروة الغفاري: كنّا على عهد رسول الله ﷺ بالمدينة نُسمّى

---

١. مجمع البيان ٢/ ٣٨٠.
٢. روض الجنان ٤/ ٣٦.
٣. مجمع البيان ٢/ ٣٨٠.
٤. مجمع البيان ٢/ ٣٨٠.
٥. مجمع البيان ٢/ ٣٨٠.
٦. مجمع البيان ٢/ ٣٨٠.
٧. اساس البلاغة / ٢٠٢.
٨. روض الجنان ٤/ ٦٢؛ الكشف والبيان ٢/ ٢٦٦.

أنفسنا السماسرة فسمّانا رسول الله ﷺ باسم هو أحسن من اسمنا فقال: يا معشر التجار إنّ هذا البيع يحضره اللهو والكذب واليمين فشوبوه بالصدقة.[١]

عن أبي أبامة قال: قال رسول الله ﷺ : الخير عشرة أجزاء أفضلها التجارة إذا أخذ الحق وأعطاه.[٢]

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : يا معشر قريش لايغلبنّكم هذه الموالي على التجارة وأنّ البركة في التجارة وصاحبها لا يفتقر إلّا تاجر حلّاف مهين.[٣]

عن جابر بن عبدالله قال: دخل رسول الله ﷺ على أمّ معبد حائطاً، فقال: يا أمّ معبد من غرس هذا، أمسلم أم كافر؟ قالت: بل مسلم، قال: فلا يغرس المسلم غرساً فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا طائر إلّا كانت له صدقة إلى يوم القيام.[٤]

قال رسول الله ﷺ : اطلبوا الرزق في خبايا الأرض.[٥]

وعن ابن عباس في هذه الآية قال: رسول الله ﷺ قال لهم: «إنّ لله في أموالكم حقّاً فإذا بلغ حقّ الله في أموالكم فاعطوا منه» وكان النّاس يأتون أهل الصدقة بصدقاتهم وضعونها في المسجد فإذا اجتمعت قسّمها رسول الله ﷺ بينهم.

قال: فجاء رجل ذات يوم. بعد ما رَقّ أهل المسجد وتفرّق هامهم. بعذق حشف فوضعه في الصدقة، فلما خرج رسول الله ﷺ أبصره فقال: «مَنْ جاء بهذا العذق الحشف» قالوا: لاندري يا رسول الله.

قال: «بئسما صنع صاحب هذا الحشف» فأنزل الله تعالى هذه الآية.[٦]

وعن عليّ عليه السلام قال: كانوا يتصدّقون بشرار ثمارهم ورذالة أموالهم فيعزلون الجيّد ناحية لأنفسهم، فأنزل الله تعالى ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ﴾ يعني الردي من أموالكم،

---

١. روض الجنان ٤/ ٦٣؛ الكشف والبيان ٢/ ٢٦٧.
٢. روض الجنان ٤/ ٦٣؛ الكشف والبيان ٢/ ٢٦٧.
٣. روض الجنان ٤/ ٦٣، الكشف والبيان ٢/ ٢٦٧.
٤. روض الجنان ٤/ ٦٤، الكشف والبيان ٢/ ٢٦٧.
٥. روض الجنان ٤/ ٦٤، الكشف والبيان ٢/ ٢٦٧.
٦. روض الجنان ٤/ ٦٥، الكشف والبيان ٢/ ٢٦٨.

والحشف[١] من التمر، والعفن والزوان من الحبوب، والزيوف من الدراهم والدنانير.[٢]

وقال عليّ عليه السلام: معناه لو كان لأحدكم على رجل حقّ فجاءه بهذا، لم يأخذه إلّا وهو يرى أنّه قد أغمض عن بعض حقّه.[٣]

وروي الوالبي عن عليّ عليه السلام قال: ولستم بآخذي هذا الردي لو كان لأحدكم على الآخر حقّ بحساب الجيّد حتّى تنقصوه.[٤]

أبوشريح الكعبي صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إذا رأيتموني أتصدّق شرّ ما عندي فاكْوُوْني واعلموا أنّي مجنون.[٥]

وفي الروض: فأكووني: مرا بند كنى وداغ نهى.

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦٨﴾

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ اسم جنس لإبليس وأولاده وجنوده وأعوانه وأنصاره، وإبليس كبيرهم الذي عبدالله تعالى آلاف سنين حتّى بلغ إلى مرتبة ملائكة الله المقربين الخاصين حول العرش فعصى أمر الله تعالى بالسجود لآدم عليه السلام كبراً فحبط هو وأعماله ونزع منه درجاته، فحلف بالله تعالى وبعزّته أن يغوي آدم وأولاده ونسله واستمهل من الله تعالى فامهله الله تعالى إلى الوقت المعلوم ولتفصيل مكايده ومصايده وأمانيه ومواعيده بل ومواعظه راجع «كتاب إبليس اللعين» وهو من مؤلّفاتي.

﴿يَعِدُكُمُ﴾ الوعد يستعمل في الخير والشرّ معاً بالقرينة، غير أنّه إذا أُطْلِقَ لم يكن إلّا في الخير، والوعيد يستعمل في الشرّ فقط، وحدّ الوعد: هو الخبر بفعل الخير في

---

١. حشف التمر: أردأُه وكذا الزوان من الحبوب والزيوف من الدراهم والدنانير.
٢. روض الجنان ٤/ ٦٦، الكشف والبيان ٢/ ٢٦٨.
٣. روض الجنان ٤/ ٦٧، الكشف والبيان ٢/ ٢٦٩.
٤. روض الجنان ٤/ ٦٧، الكشف والبيان ٢/ ٢٦٩.
٥. روض الجنان ٤/ ٦٩، الكشف والبيان ٢/ ٢٧٠.

المطلق والخبر بفعل الشر إذا قيّد به، وحدّ الوعيد: هو الخبر بفعل الشرّ. والأصل تعدية الوعد بغير حرف الإضافة إلّا أنّه كثر ٱستعماله في التعدي بحرف الإضافة حتّى صار أصلاً لكثرته فيه.

﴿ٱلْفَقْرَ﴾ الحاجة وهو ضد الغنىٰ، ولأنّ الفقر بمنزلة كسر الفقار: وَهِيَ عِظامٌ منتظمةٌ في النخاع تُسَمّىٰ خرز الظهر واحدها فقرة.

والشيطان ـ لعنه الله ـ يعدكم إذا أخرجتم من أموالكم الصدقة بالإنفاق في وجوه البرّ أو بالجيد من المال، أو أَدَّيْتُمُ الحقوق ٱلْمالِيَّةَ ٱلْواجِبَةَ ـ من الزكوات والأخماس والكفارات ـ في أموالكم افتقرتم.

«فتلخيص مَعْنىٰ الآية أنّ الشيطان يحملكم على أن تُؤَدُّوْا في الصدقة ردئ المال يخوّفكم الفقر بإعطاء الجيد ـ الفَقْرُ وَٱلْفُقْرُ لُغَتانِ ـ ويعدكم الفقر: معناه بالفقر فَحُذِفَتِ الباء وعدّي الفعل فنصب»[1] كذا في التبيان.[2]

﴿وَيَأْمُرُكُم﴾ والأمر هو قول القائل لمن هو دونه: إفعل مع إرادة المأمور به ويدل على الإيجاب إن صدر من أهله ولم يأت الترخيص في تركه، والشيطان بأمره يدعي كاذِباً إن له أهليته.

﴿بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ المعاصي في أغلب الإستعمال، وَتَأْتِي بمعنى البُخل، والفاحش: البخيل سمي به لأنّه سيءٌ برد ضيوفه وسائليه. والفحش والفواحش والفاحشة ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال. ويغريكم الشيطان على البخل ومنع الصدقات ويأمركم بالمعاصي وترك الطاعات والإنفاق لأنّ تَرْكَ الإنفاقِ علىٰ ذَوِيْ الحاجات من أقاربه وجيرانه يؤدي إلى التقاطع.

﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم﴾ في قبال وعد الشيطان، الله يعدكم ولكن وعد الشيطان ليس إلّا أباطيل ومواعيد الله تعالى كُلُّها حقٌّ، الإنسان الشقي المغرور يقبل وعد الشيطان ولايقبل وعدالله الحقّ!

﴿مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ غفر: يأتي بمعنى صون اللباس عن الدنس والوسخ، وغفران ٱللهِ

---

١. وَهٰذا ما يُسَمّىٰ بِاصْطِلاحِ ٱلنُّحاةِ: بِالنَّصْبِ عَلىٰ نَزْعِ ٱلْخافِضِ.
٢. التبيان ٢/ ٣٤٨.

ومغفرته للعبد: صونه عن العذاب وعفوه.

﴿وَفَضْلاً﴾ الفضل: الزيادة، أي يعدكم الله الزيادة في أموالكم بالإنفاق أي يعطيكم الخلف بل الأزيد والأكثر.

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ واسع من أسمائه الحسنىٰ ويعطي عن سعة وعطيته لاتضره ولاتنقص خزائنه، وعليم: حيث يضع سعته وفضله ومغفرته ويعلم الغيب والشهادة، وعليمٌ بمَنْ يستحق العطية ومَنْ لا يستحقها.

الروايات

وعن أبي‌عبدالله عليه السلام: للشيطان لمة وللملك لمة، فلمة الشيطان وعده بالفقر وأمره بالفاحشة ولمة الملك أمره بالإنفاق ونهيه عن المعاصي.[١]

عن هارون بن خارجه عن أبي‌عبدالله عليه السلام، قال: قلتُ له: إنّي أفْرَحُ من غير فَرَح أراه في نفسي، ولا في مالي، ولا في صديقي، وأحْزَنُ من غير حُزنٍ أراه في نفسي ولا في مالي، ولا في صديقي.

قال: نعم، إنّ الشيطان يُلِمُّ بالقلب[٢]، فيقول لو كان لك عندالله خير، ما أدالَ[٣] عليك عدوّك، ولا جعل بك اليه حاجة، هل تنتظر إلّا مثل الذي انتظر الذين من قبلك، فهل قالوا شيئاً؟ فذاك الذي يُحْزِن من غير حُزن.

وأمّا الفرح، فإنّ المَلَك يُلِمُّ بالقلب فيقول: إن كان الله أدالَ عليك عدوَّك، وجعل بك اليه حاجةٌ، فإنّما هي أيّامٌ قلائل، أبْشِر بمَغْفِرةٍ من الله وفَضْلٍ، وهو قول الله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً﴾[٤].

ونحوها في علل الشرائع[٥].

قد ورد في رواياتنا بأنّ الصدقة تكسر ظهر إبليس وتسوّد وجهه نحو خبر يونس بن ظبيان[٦]

---

١. التبيان ٢/ ٣٤٧؛ مجمع البيان ٢/ ٣٨١.
٢. أَلَمَّ بالشيء: أتاه فنزل به.
٣. أدال فلاناً على فلان: نصره وغلبه عليه وأظفربه.
٤. تفسير العياشي ١/ ٢٧٥، ح٤٩٨.
٥. علل الشرائع ١/ ٩٣، ح١.
٦. فضائل الأشهر الثلاثة / ٧٦، ح٥٨ ونقلتُ عنه في كتاب إبليس اللعين / ٧٩.

ومرفوعة الحراني[١].

وفي معتبرة السكوني، عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كاد الفقر أن يكون كفراً وكاد الحسد أن يغلب القدر.[٢]

وفي صحيحة عبدالله بن أبي‌يعفور، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من أصبح وأمسى والدنيا أكبر همّه جعل الله تعالى الفقر بين عينيه وشتّت أمره ولم ينل من الدنيا إلّا ما قسّم الله له ومن أصبح وأمسى والآخرة أكبر همّه جعل الله الغنى في قلبه وجمع له أمره.[٣]

الكليني بإسناده إلى الخطبة الوسيلة لأمير‌المؤمنين عليه السلام أنّه قال:... والقبر خيرّ من الفقر... .[٤]

الكليني قال: وروي عن لقمان أنّه قال لابنه: يا بني ذقتُ الصبر وأكلت لحاء الشجر فلم أجد شيئاً هو أمرّ من الفقر فإن بليت به يوماً ولاتظهر النّاس عليه فيستهينوك ولا ينفعوك بشيءٍ ارجع إلى الذي ابتلاك به فهو أقدر علىٰ فرجك وسله من ذا الذي سأله فلم يعطه أو وثق به فلم ينجه.[٥]

الصدوق عن القضاعي عن اسحاق بن عبدالله الموسوي، عن أبيه، عن آبائه، عن الحسين بن علي عليهما السلام قال: قال أمير‌المؤمنين عليه السلام: أهلك النّاس اثنان خوف الفقر وطلب الفخر.[٦]

الرضي رفعه إلى أمير‌المؤمنين عليه السلام أنّه قال: عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب ويفوته الغنى الذي إيّاه طلب فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء، الحديث.[٧]

---

١. تحف العقول / ٢٩٨ ونقلتُ عنه في كتاب إبليس العين / ٧٩.
٢. الكافي ٢/ ٣٠٧، ح٤.
٣. الكافي ٢/ ٣١٩، ح١٥.
٤. الكافي ٨/ ٢١.
٥. الكافي ٤/ ٢٢، ح٨.
٦. الخصال ١/ ٦٨، ح١٠٢.
٧. نهج‌البلاغة، الحكمة ١٢١.

الرضي رفعه إلى أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال لِابنه محمّد ٱبْنِ الحنفية: يا بني إنّي أخاف عليك الفقر فاستعذ بالله منه فإنّ الفقر منقصة للدين ومدهشة للعقل داعية للمقت.[١]

والفقراء إن صبروا على فقرهم ولم يتعرضوا لمعاصي الله يعوضهم الله الجنة كما ورد:

في خبر سعدان قال: أبوعبدالله عليه السلام: إنّ الله يلتفت يوم القيامة إلى فقراء المؤمنين شبيهاً بالمعتذر إليهم فيقول: وعزّتي وجلالي ما أفقرتكم في الدنيا من هوان بكم عليَّ ولترون ما أصنع بكم اليوم فمن زوّد أحداً منكم في دار الدنيا معروفاً فخذوا بيده فادخلوه الجنة، قال: فيقول رجل منهم: يا ربّ إنّ أهل الدنيا تنافسوا في دنياهم فنكحوا النساء ولبسوا الثياب اللينة وأكلوا الطعام وسكنوا الدور وركبوا المشهور من الدواب فأعطني مثل ما أعطيتهم، فيقول تبارك وتعالى: لك ولكل عبد منكم مثل ما أعطيت أهل الدنيا منذ كانت الدنيا إلى أن انقضت الدنيا سبعون ضعفاً.[٢]

وخبر محمّد بن مسلم، عن أبيجعفر عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة أمرالله تبارك وتعالى منادياً ينادي بين يديه: أين الفقراء فيقوم عنق من النّاس كثير، فيقول: عبادي، فيقولون: لبيك ربنا، فيقول: إنّي لم أفقركم لهوان بكم عليّ ولكنّي إنّما اخترتكم لمثل هذا اليوم تصفحوا وجوه النّاس فمن صنع إليكم معروفاً لم يصنعه إلّا فيَّ فكافوه عنّي بالجنة.[٣]

صحيحة هشام بن الحكم، عن أبيعبدالله عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة قام عنق من النّاس حتّى يأتوا باب الجنة فيضربوا باب الجنة فيقال لهم: من أنتم؟ فيقولون: نحن الفقراء؟ فيقال لهم: أقبل الحساب؟ فيقولون: ما أعطيتمونا شيئاً تحاسبونا عليه، فيقول الله عزّوجلّ: صدقوا ادخلوا الجنة.[٤]

معتبرة محمّد بن الحسين بن كثير الخزاز، عن أبيعبدالله عليه السلام قال: قال لي: أما

---

١. نهج البلاغة، الحكمة ٣١٩.
٢. الكافي ٢/ ٢٦١، ح٩.
٣. الكافي ٢/ ٢٦٣، ح١٥.
٤. الكافي ٢/ ٢٦٤، ح١٩.

تدخل السوق؟ أما ترى الفاكهة تباع؟ والشيء ممّا تشتهيه؟ فقلت: بلى، فقال: أما إنّ لك بكلّ ما تراه فلا تقدر علىٰ شرائه حسنة.١

صحيح يعقوب بن يزيد، عمّن ذكره، عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة أمر الله عزّ وجلّ منادياً ينادي: أين الفقراء؟ فيقوم عنق من النّاس فيؤمر بهم إلى الجنة، فيأتون باب الجنة فيقول لهم خزنة الجنة: قبل الحساب؟ فيقولون: أعطيتمونا شيئاً فتحاسبونا عليه؟ فيقول الله عزّ وجلّ: صدقوا عبادي ما أفقرتكم هواناً بكم ولكن ادخرت هذا لكم لهذا اليوم ثمّ يقول لهم: انظروا وتصفّحوا وجوه النّاس فمن أتىٰ إليكم معروفاً فخذوا بيده وادخلوه الجنة.٢

معتبرة السكوني، عن أبي‌عبدالله عليه السلام، عن أبيه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا معشر المساكين طيبوا نفساً وأعطوا الرضى من قلوبكم يثبكم الله علىٰ فقركم فإن لم تفعلوا فلا ثواب لكم.٣

وقال الشيخ أبوالفتوح في الروض مانصه بالفارسية: «شيطان در خويشتن مفلس است وتو را وعدهٔ افلاس می‌دهد وخدای عزّ وجلّ توانگر است وخداوند فضل، تو را وعدهٔ مغفرت وفضل می‌دهد»٤.

وقال أبونعيم الأصفهاني في حِلْيَة الأولياء: «قال أبوتراب [النخشبي]: قال حاتم الأصمّ: ما من صباح إلّا ويقول لي الشيطان: ما تأكُلُ؟ ما تَلْبَسُ؟ أين تَسْكُنُ؟ فأقول له: آكل الموت وألْبَسُ الكفن وأسْكُنُ القبر»٥.

---

١. الكافي ٢/ ٢٦٤، ح١٧.
٢. ثواب الأعمال / ٢١٨.
٣. ثواب الأعمال / ٢١٨.
٤. روض الجنان ٤/ ٧٢.
٥. حلية الأولياء ١٠/ ٤٩؛ وفي الزهد الكبير ٢/ ٢١١، ونقل عن الحلية شيخنا التستري قدس سره في حواشيه على المصحف ١/ ١٤٩.

﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾

﴿يُؤْتِي﴾ أي: يُعْطِي اللهُ. الايتاء: الإعطاء.

﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾ على زِنَةِ فِعْلَة بناء نوع يدلّ على نوع المعنىٰ، فمعناه النوع من الإحكام والإتقان، أو نوع من الأمر المحكم المتقن الذي لا يوجد فيه ثلمة ولا فتور.

وقد فسر بعدّة المعاني: «قال ابن‌عباس وأبي‌مسعود: هو علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله.

وقال ابن زيد: هو علم الدين. وقال السدي: هو النبوة. وقال مجاهد: الإصابة. وقال إبراهيم النخعي: الفهم. وقال الربيع: الخشية. وقال قوم: هو العلم الذي تعظم منفعته وتجل فائدته وهو جميع ما قالوه. وقال قتادة والضحاك وفي رواية عن مجاهد: هو القرآن والفقه وهو المروي عن أبي‌عبدالله عليه السلام. وقال الجبائي: هو ما آتاه الله أنبياءه وأُممهم من كتبه وآياته ودلالاته التي يدلّهم بها على معرفتهم به وبدينه وذلك تفضل منه يؤتيه من يشاء»[١].

وفي تفسير مقاتل: «هي علم القرآن والفقه فيه»[٢].

وفي الكشاف: «يوفق للعلم والعمل به»[٣].

وفي الميزان: «هي القضايا الحقّة المطابقة للواقع من حيث اشتمالها بنحو على سعادة الإنسان كالمعارف الحقة الإلهية في المبداء والمعاد، والمعارف التي تشرح حقائق العالم الطبيعي من جهة مساسها بسعادة الإنسان كالحقائق الفطرية التي هي أساس التشريعات الدينية»[٤].

وفي مواهب الرحمن: «هي التي تمنع صاحبها عن القبائح والرذائل اعتقاداً

---

١. نقل هذه الأقوال في التبيان ٢/ ٣٤٨ و ٣٤٩.
٢. تفسير مقاتل بن سليمان ١/ ١٤٦.
٣. الكشاف ١/ ٣١٦.
٤. الميزان ٢/ ٣٩٥.

وقولاً وعملاً على نحو تكون محكمة في النفس لايصيبها ضعف ولا فتور، غالبة على قول النفس والإرادة، توجّهها نحو الخير والسعادة»[١].

قال فيه: «ويوصف بها الله تعالى، فإنّ من أسمائه الحسنى (الحكم) و(الحكيم)، وقد ورد في أكثر من تسعين مورداً في القرآن الكريم، مقروناً إمّا بالعزيز والعليم أو الخبير أو العليّ، ولعلّ ذلك لملازمة حقيقتها فيه تعالى لتلك الصّفات، فجيء بها تبييناً وإيضاحاً، كما يوصف بها الإنسان، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾[٢].

وإذا تتبّعنا الموارد التي ذكر فيها الحكمة في القرآن الكريم نرى أنّها تذكر:

تارةً: مقرونة مع الكتاب، قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[٣].

وأُخرى: بعد ورود جملة من الأحكام الشرعية التي نزلت لتهذيب الإنسان وسوقه إلى الكمال والسعادة، كما في سورة الإسراء، قال تعالى بعد سرد جملة كثيرة من التكاليف الإلهية والأحكام الفطرية: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾[٤].

ويستفاد من ذلك: أنّ الحكمة هي تلك المطالب الحقّة التي ترتسم في النفس، وتوجب التوفيق بين الاعتقاد والعمل، والسَّوْقِ إلى الكمال المنشود للإنسان، فتشمل جميع الحقائق الفطرية والأحكام الشرعية والمعارف الحقّة التي تتعلّق بالمبدأ والمعاد، وتشرح الحقائق المتعلِّقة بالنظام الأحسن من حيث ارتباطه بسعادة الإنسان، والتي لاتقبل الكذب والبطلان، فتكون للحكمة مظاهر كثيرة متفاوتة، فتارةً تتجلّى في القرآن الكريم الذي هو مصدر كلّ ما يكون في العالَم من أنواع الحكمة المتعالية، وهي من أشعّة هذا النور العظيم وشوارق ذلك النيِّر المعظم، تأخّر زمان وجودها أو تقدّم؛ لأنّ القران من اللوح المحفوظ، وهو محيط بهذا العالَم، كما أنّ الكتب الإلهية من مظاهر هذا التجلِّي الأعظم.

و من مظاهرها أيضاً الدِّين ومعرفته والتفقّه فيه فإنَّ الدِّين هو القانون المتكفّل

---

١. مواهب الرحمن ٤/ ٣٨١.
٢. سورة لقمان / ١٢.
٣. سورة البقرة / ١٢٩.
٤. سورة الإسراء / ٣٩.

لجميع مطالب الإنسان من حين نشأته إلى ما بعد مماته، وعن نبيّنا الأعظمﷺ: «إنّ الله آتاني من الحكمة مثل القرآن، وما من بيت ليس فيه شيء من الحكمة إلّا كان خراباً، ألا فتعلَّموا وتفقّهوا ولا تموتوا جهالاً»[١].

ومن أجلِّ أفراد الحكمة وأعظمها شأناً معرفة الله الواحد الأحد المتفرّد الصمد. فهي بحسب المبدأ هو الجهد الأكيد في التصدّي لمرضاة الله الحكيم، وبحسب الغاية لذّة روحانية مفاضة من الغيب العليم، ويلزم الإحاطة بحقائق الأشياء على قدر طاقة الإنسان، ولأجل هذا تطلق الحكمة على تلك المعلومات الحقّة الصادقة، ويسمّى العارف بها حكيماً إلهيّاً أو متألّهاً.

وبالجملة: هي الخير الكثير كما وصفها به ﷻ، وفي الحديث: «إنّ في الجنّة داراً ـ ووصفها ثمّ قال ـ لا ينزلها إلّا نبيّ أو صدِّيق أو شهيد أو محكّم في نفسه»[٢].

ومن الحكمة ما تكون فطرية إفاضيّة من عالم الغيب، ومنها ما تكون اكتسابية تكتسب بالمجاهدات والرياضات الشرعية، ومنها ما هو مركّب منهما.

ومن الحكماء من اجتمع جميع أنواع الحكمة فيه، وهم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه بكلّ معنى الصدق والوفاء، فشرح الله صدورهم بكلّ معنى الإنشراح، تشتاق إليهم الجنان العاليات، وهذه هي إحدى مراتب الحكمة، وقس عليها سواها.

ولكن، للحكمة مرتبة خاصة محجوبة عن البصائر والأفكار، لاتليق إلّا لمن يقدر على تحمّل الأسرار، ويشهد لما قلناه شواهد من العقل والآثار والأخبار، كما أنّها ليست منحصرة بالبحث والنظر والفكر، فقد تحصل للنفوس المستعدّة من إفاضات الباري، فعن نبيّنا الأعظمﷺ: «إذا رأيتم المؤمن سكوتاً[٣]، فادنوا منه فإنّه يلقي الحكمة»[٤].

---

١. مجمع البيان ٢/ ٣٨٢.
٢. النهاية ١/ ٤٢٠ لابن الأثير، لسان العرب ١٢/ ١٤٢.
٣. وفي المصدر: صَمُوتاً.
٤. تحف العقول / ٣٩٧.

وعنه ﷺ: «اتّقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنورالله»[١].

ولكنّ الأصل في إفاضة جميع أفراد الحكمة والعرفان ومراتبها هو الإخلاص لله ﷻ، فعن نبيّنا الأعظم ﷺ: «من أخلص لله أربعين صباحاً جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وأنطق بها لسانه»[٢]، وعن جمع من أكابر علماء النفس دعوى التجربة في ذلك، فتكون حقيقة الحكمة ارتباطاً خاصاً مع عالم الغيب، وأمّا غيرها فهو فنّ وصناعة، وهما شيء والحكمة الواقعية شيء آخر.

نعم، الحكمة تارةً تكون علمية، وأُخرى عملية ولانهاية لمراتبهما، أمّا الثانية فغايتها الرضوان ولقاء الله تعالى ولانهاية لكلّ واحد منهما، وأمّا الأُوْلىٰ فإنّ غايتها الاستلهام من الغيب وهو غير محدود، والتحديد إنّما يكون من الممكن المستفيض، لا في المبدأ المفيض.

وقال بعض الأعاظم من الحكماء المتألّهين: «إنّ غاية ما للإنسان من الكمال هو الاتّصال بالعقل الفعال المسيطر على الملك والملكوت، تسيطر الروح على الجسد»[٣].

وهذا صحيح إذا كان المراد بذلك روح القرآن والشريعة الأحمدية المنبعثة عن الحقيقة المطلقة الأحدية، لأنّ الإحاطة بالواقعيات صعبة جدّاً إن لم تكن ممتنعة مهما بلغت فطنة العقول في الحدة والذكاء والدقّة، لاسيّما بالنسبة إلى المعارف وأسرار القضاء والقدر، التي لايمكن أن يحيط بها غير علّام الغيوب، وقد ورد النّهي عن الخوض في جملة منها، وأنّه لايزيد الخوض فيها إلّا تحيّراً، فلا مناص للحكيم إلّا الوقوف على ظواهر الكتاب والسنّة المقدَّسة، وهي تحتوي على معادن العلم والحكمة والمعارف، وما يكفي لتكميل النفوس الناقصة وإيصالها إلى أوج الكمال والمعرفة، وهي الحكمة الحقة التي تفيد لجميع النشآت، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن

---

١. الكافي ١/ ٢١٨، ح٣؛ عيون أخبار الرضا ﷺ ٢/ ٢٠٠، ح١؛ بصائر الدرجات / ٧٩، ح١ و / ٣٥٧، ح١١؛ أمالي الشيخ الطوسي، المجلس الحادي‌عشر ح ٢١/ ٢٩٤، رقم ٥٧٤.
٢. نحوها فى عيون أخبار الرضا ﷺ ٢/ ٦٩، ح٣٢١.
٣. لم أجدها في كتب أهل المعقول ويمكن أن نقلها ﷺ بالمعنىٰ.

شَيْءٍ﴾[١]، أي الكتاب المشروح بالسنّة، أو السنّة الشارحة للكتاب، وقال تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[٢]، وهو مصدر كلّ علم ومعرفة، هذا بالنسبة إلى الحكمة العلمية.

وأمّا الحكمة العملية: فلابدّ أن تكون مطابقة للشريعة المقدّسة الختمية، وإلّا كانت لغواً محضاً.

ثمّ إنّه غلب استعمال الحكمة على الفلسفة المتوارثة عن اليونان، وقد اصطلح على قدماء الفلاسفة بالحكماء، وقسّموهم إلى الإشراقيين والمشّائيين والرّواقيين، كما أنّهم قسّموا الحكمة الاصطلاحية (الفلسفة) إلى علمية وعملية، والثانية عبارة عن علم الفقه والأخلاق، وقسّموا الفقه إلى العبادات والمعاملات، (أي العقود والإيقاعات) والأحكام والسياسات، وأنّ بمعرفتها والعمل بها يصل الإنسان إلى مقام الإنسانية والخروج عن حدود الحيوانية البهيميّة، وبذلك تتمّ المدينة الفاضلة التي خلق الإنسان لأجل ورودها والاستكمال فيها.

وقسِّمت الحكمة العلمية إلى قسمين: الإلهيّات والطبيعيّات، ولكلّ واحد منهما فصول وأبواب، وقد جعل كلّ فصل من فصول الطبيعيّات في العصر الحديث علماً مستقلاً برأسه.

كما أنّ من فصول الفلسفة الإلهية البحث عن كلام الله تعالى، من حيث قدمه وحدوثه وكثر النقض والإبرام فيه، حتّى جعل ذلك علماً مستقلاً له أبواب كثيرة وفصول طويلة.

ولكن كلّ مَن نظر في الحكمة الاصطلاحية، يرى أنّها كغُبارٍ على اللُّجَيْنِ، ولو فرض فيها شيء صحيح فهو مستلهم من الوحي المبين، أو السنّة المقدّسة، وغيره ليس إلّا من الأوهام والتخيّلات والمغالطات، وكلّ واحد منها حجاب عن الوصول إلى الواقع، ولذلك كثر الخلاف وقلّ الوصول إلى المراد، وقد ذكرنا أنّ الحكمة بمعزل عن البطلان والتكذيب ومنزّهة عن جميع ذلك، وإذا كانت الحكمة ما ذكروه، فليست هي

---

١. سورة الأنعام / ٣٨.
٢. سورة الأنعام / ٥٩.

إلّا العلم بالمصطلحات فقط، فهي كعلم اللغة مثلاً، وهي صنعة وفنّ لاتزيد على سائر الصنايع والفنون، بل ربما يكون بعضها أفضل منها كما هو المحسوس»[١].

أقول: الحكمة هي معرفة الأشياء كما هي والعلم بواقعياتها وحقائقها والعمل على طبقها هذا ما يظهر لي من موارد استعمالها والأقوال الواردة فيها.

﴿مَن يَشَآءُ﴾ أي مَنْ يشاء الله.

﴿وَمَن يُؤْتَ﴾ مبني للمفعول مجزوم بأداة الشرط. أي «مَنْ»، والجواب ﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾. وقد أبهم الفاعل مع وضوحه في الجملة السابقة أنّه تعالى، إيهاماً بأنّ الحكمة بنفسها منشأ الخير الكثير ومجرد الانتساب إليها يوجب الخير. ومن قرأ يوتِ كما عن يعقوب ذهب إلى أنّ معناه من يؤته الحكمة وإنّما حُذِفَت الهاء في الصلة ويكون مَنْ على هذا المعنىٰ الذي لا معنىٰ الجزاء.

﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾ مفعولٌ ثانٍ ليؤت. ﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ واضح.

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ اللُّبُّ: هو العقل سمي العقل لُبّاً لأنّه أنفس ما في الإنسان، وكلّ مكلف ذُوْلُبٍّ.

والتذكّر: هو الانتقال إلى النتيجة من مقدماتها أو من الشيء إلى نَتائِجِهِ. استعمال الحكمة يتوقف على التذكر والتذكر يتوقف على العقل.

وما يتعظ بآيات الله إلّا ذَوُوْالعقول.

الروايات

وفي العياشي عن أبي‌بصير، قال: سألتُهُ عن قول الله ﷻ: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ قال: هي طاعة الله، ومعرفة الإمام.[٢]

رواها الكليني بسنده الصحيح في الكافي[٣].

وعن أبي‌بصير، قال: سمعت أباجعفر عليه السلام يقول: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، قال: المعرِفَة.[٤]

---

١. مواهب الرحمن ٤/ (٣٨٥-٣٨١).
٢. تفسير العياشي ١/ ٢٧٦، ح٤٩٩.
٣. الكافي ١/ ١٨٥، ح١١.
٤. تفسير العياشي ١/ ٢٧٦، ح٥٠٠.

وعن أبي‌بصير، قال: سمعت أباجعفر عليه السلام يقول: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، قال: معرفة الإمام، واجتناب الكبائر التي أوجَبَ الله عليها النّار.[١]

رواها الكليني بسنده الموثق في الكافي[٢].

وعن سليمان بن خالد، قال: سألتُ أباعبدالله عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾. فقال عليه السلام: إنّ الحكمة: المعرفة والتفقُّه في الدين، فمن فَقِه منكم فهو حكيمٌ، وما مِن أحدٍ يموت من المؤمنين أحبُّ إلى إبليس من فقيه.[٣]

وفي صحيحة أبي‌بصير قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ فقال: هي طاعة الله ومعرفة الإمام.[٤]

وفي بعض النسخ «الإسلام» بدل «الإمام».

وفي تفسير علي بن إبراهيم القمي قال: الخير الكثير معرفة أميرالمؤمنين عليه السلام والأئمة عليهم السلام.[٥]

وفي الكافي بإسناده عن السندي عن أبي‌جعفر عليه السلام قال: ما أخلص العبد الإيمان بالله عزّ وجلّ أربعين يوماً ـ أو قال: ما أجمل عبد ذكر الله عزّ وجلّ أربعين يوماً ـ إلّا زهده الله عزّ وجلّ في الدُّنيا وبصّره داءها ودواءها فأثبت الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه، ثمَّ تلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ﴾[٦] فلا ترى صاحب بدعة إلّا ذليلاً ومفترياً على الله عزّ وجلّ وعلى رسوله صلى الله عليه وآله وعلي أهل بيته صلوات الله عليهم إلّا ذليلاً.[٧]

وفي صحيحة الهيثم بن واقد عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: من زهد في الدّنيا أثبت الله الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه وبصّره عيوب الدّنيا داءها ودواءها وأخرجه من

---

١. تفسير العياشي ١/ ٢٧٦، ح٥٠١.
٢. الكافي ٢/ ٢٤٨، ح٢٠.
٣. تفسير العياشي ١/ ٢٧٦، ح٥٠٢.
٤. المحاسن ١/ ٢٤٥، ح٦٠.
٥. تفسير القمي / ٤٩ من طبع الحجري.
٦. الأعراف / ١٥٢.
٧. الكافي ٢/ ١٦، ح٦.

الدّنيا سالماً إلى دارالسّلام.[١]

وفي خبر جابر عن أبيعبدالله عليه السلام قال: الحكمة ضالة المؤمن فحيثما وجد أحدكم ضالته فليأخذها.[٢]

وعن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: رأس الحكمة مخافة الله.[٣]

وفي الخصال: عن السجاد عليه السلام كان آخر ما أوصي به الخضر موسى: ... ورأس الحكمة مخافة الله تبارك وتعالى.[٤]

وفي صحيحة أحمد بن محمّد بن أبينصر عن أبيالحسن الرضا عليه السلام: ... إنّ الصمت باب من أبواب الحكمة، إنّ الصمت يكسب المحبة إنّه دليل على كلّ خير.[٥]

وفي الخصال عن أبيجعفر عليه السلام: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله: ذات يوم في بعض أسفاره إذ لقيه ركبٌ فقالوا: السلام عليك يا رسول الله فالتفت إليهم فقال: ما أنتم؟ قالوا: مؤمنون، قال: فما حقيقة إيمانكم؟ قالوا: الرِّضا بقضاء الله، والتسليم لأمر الله، والتفويض إلى الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: علماء حكماء كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء، فإن كنتم صادقين فلاتبنوا ما لاتسكنون، ولاتجمعوا ما لاتأكلون، واتّقوا الله الّذي إليه ترجعون.[٦]

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: خذ الحكمة أنّىٰ كانت فإنّ الحكمة تكون في صدر المنافق فَتَلَجْلَجُ في صدره حتّى تخرج فتسكن إلى صواحبها في صدر المؤمن.[٧]

تلجلج: تتحرك

---

١. الكافي ٢/ ١٢٨، ح١.
٢. الكافي ٨/ ١٦٧،ح١٨٦.
٣. الفقيه ٤/ ٣٧٦، ح٥٧٦٦.
٤. الخصال ١/ ١١١، ح٨٣.
٥. الكافي ٢/ ١١٣، ح١؛ الخصال ١/ ١٥٨، ح٢٠٢.
٦. الخصال ١/ ١٤٦، ح١٧٥؛ نورالثقلين ١/ ٣٤٥.
٧. نهج البلاغة، الحكمة ٧٩.

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ ﴿٢٧٠﴾

﴿وَ﴾ حَرْفُ عَطْفٍ علىٰ ٱلْآيات ٱلْماضية في الإنفاق.

﴿مَآ﴾ موصولة بمعنى الذي وما بعدها صلتها والعائد إليها ضمير المفعول المحذوف من انفقتم تقديره وما انفقتموه وهو في موضع رفع بِالِابْتِداء وخبره ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ والعائد إلى الْمُبْتَدَأُ من الخبر الهاء في يعلمه.

ويجوز أن يكون ﴿مَآ﴾ للجزاء ويكون منصوباً بأنفقتم ولايُحتاجُ فيه إلى حذف المفعول فيكون التقدير أيّ شيءٍ أنفقتم أو نذرتم، والفاء في موضع الجزاء، من نفقة الجار والمجرور في محلِّ النصب على الحال مِنْ انفقتم، وذوالحال ﴿مَآ﴾.١

﴿أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ قليلة كانت أو كثيرة، في الطاعة أو في المعصية، مع الإخلاص أو بالرياء، واجبة كانت أو مندوبة وبالجملة الآية عامة تشمل جميع أنواع الإنفاق بأيّ نحو كان.

﴿أَوْ﴾ حرف عطف.

﴿نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ النذر هو عقد الشيء على النفس فعل شيءٍ من البرّ بِشَرْطِ، ولا ينعقد ذلك إلّا بقوله: لله علىَّ كذا ولا يثبت بغير هذا اللفظ أو ما يفيد معناه، وأصله: الخوف ومنه الإنذار: وهو الإعلام بموقع العدوِّ للخوف منه.

والنذر كما يتعلق بالفعل كذلك يتعلق بالترك ولكن لابدّ أن يكون كليهما راجحة وأن يكون طاعة لله تعالى بلافرق بين الفعل والترك.

والنذر لا يَخْتَصُّ بالإسلام بل كان في الأديان السابقة كما قال تعالى حكاية عن مريم: ﴿إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾٢.

---

١. كما في مجمع البيان ٢/ ٣٨٣.
٢. سورة مريم / ٢٦.

وقوله تعالى عن أُمِّها، إمرأة عمران: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾[١].

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ ولا يخفى عليه ويجازيكم عليه، والجملة إمّا خبر لسابقها أو جزاء للشرط كما مرّ. وفيها دلالة واضحة على الحث على الإنفاق في طاعه الله والوفاء بالمنذور، وعلى الإنفاق في معصية الله وترك الوفاء بالمنذور ولعلّ جهة زجرها آكد لما ورد بعدها من التهديد.

﴿وَمَا﴾ «واو» حرف عطف، و«ما» نافية.

﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾ عدّهم الله تعالى من الظلمة لتركهم الإنفاق في محلِّه والوفاء بالنذر. والظلم عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه، وهم يفعلون كذلك.

﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾ أنصار: جمع نصير وهو المعين على العدوّ، وباب فعيل يجمع على فُعَلاء نحو عليم وعُلَماء، كريم وكُرَماء، وقد يجمع على فِعْال نحو: نصير ونِصار، شرير وشرار، وقد يجمع على أفعال نحو: شريف وأشراف، نصير وأنصار، حبيب وأحباب. أي ليس لهم أعوان يدفعون عذاب الله تعالى عنهم.

قال صاحب الميزان: «و في هذه الجملة أعني قوله: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ دلالة أوّلاً: على أن المراد بالظلم هو الظلم على الفقراء والمساكين في الإمساك عن الإنفاق عليهم، وحبس حقوقهم المالية، لا الظلم بمعنى مطلق المعصية فإن في مطلق المعصية أنصاراً ومكفرات وشفعاء كالتوبة، والإجتناب عن الكبائر، وشفعاء يوم القيامة إذا كان من حقوق الله تعالى، قال تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ إلى أن قال: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[٤].

ومن هنا يظهر: وجه اتيان الأنصار بصيغة الجمع فإن في مورد مطلق الظلم أنصاراً.

---

١. سورة آل‌عمران / ٣٥.
٢. سورة الزمر / ٥٣ و٥٤.
٣. سورة النساء / ٣١.
٤. سورة الأنبياء / ٢٨.

وثانياً: أن هذا الظلم وهو ترك الإنفاق لايقبل التكفير ولو كان من الصغائر لقبله فهو من الكبائر، وأنّه لايقبل التوبة، ويتأيد بذلك ما وردت به الروايات: أن التوبة في حقوق الناس غير مقبولة إلّا برد الحق إلى مستحقه، وأنّه لايقبل الشفاعة يوم القيامة كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ﴾ إلى أن قال: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾[1].

وثالثاً: أن هذا الظالم غير مرتضى عندالله إذ لا شفاعة إلّا لمن ارتضى الله دينه كما مرّ بيانه في بحث الشفاعة، ومن هنا تظهر النكتة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾[2]، حيث أتى بالمرضاة ولم يقل ابتغاء وجه الله.

ورابعاً: أن الإمتناع من أصل إنفاق المال على الفقراء مع وجودهم واحتياجهم من الكبائر الموبقة، وقد عدَّ تعالى الإمتناع عن بعض أقسامه كالزكاة شركاً بالله وكفراً بالآخرة، قال تعالى: ﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾[3]، السورة مكية ولم تكن شرعت الزكاة المعروفة عند نزولها»[4].

وبما ذكره‌ﷺ يَظْهَرُ ضعف ما ورد عن المعتزلة بتمسكهم بهذه الآية لنفي الشفاعة عن أهل الكبائر كما نقل عنهم الفخر الرازي في تفسيره[5] فراجعه.

وكذلك تجري الشفاعة في الحقوق المالية بالنسبة إلى البعض على نحو الموجبة الجزئية كما يظهر من رواياتها فراجع.

---

١. سورة المدثر / ٣٩-٤٨.
٢. سورة البقرة / ٢٦٥.
٣. سورة فصلت / ٦ و٧.
٤. الميزان ٢/ ٣٩٦ و٣٩٧.
٥. التفسير الكبير ٧/ ٧٠.

﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿٢٧١﴾

﴿إِن تُبْدُواْ﴾ مادة بدأ تأتي بمعنى ظهور الشيء ظهوراً بيّناً. أي تظهروا الصدقات وتعلنوها.

﴿ٱلصَّدَقَٰتِ﴾.جمع الصدقة. وهي كلّ ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة وهي أعم من الواجب والمندوب، وربما يقال: إنّ الأصل في معناها الإنفاق المندوب، كما أنّ الأصل في معنى الزكاة الإنفاق الواجب. قال الشيخ: «الفرق بين الصدقة والزكاة، أنّ الزكاة لاتكون إلّا فرضاً والصدقات قد تكون فرضاً وقد تكون نفلاً»[١].

﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ «ما» في «نعمّا» نكرة غير موصولة ولا موصوفة، أي فنِعْم شيئاً إبداؤها؛ ـ أي إبداؤ الصدقات وإظهارها ـ .

نعمّا هي: أي نِعْمَ شيء هي وقد اختلف في قراءتها، فالمشهور قراءتها بكسر النون والعين [نِعِمَ] وقرأ بعضهم بكسر النون وسكون العين [نِعْمَ] وقرأ ثالث بفتح النون وكسر العين [نَعِمَ].

و«ما» في «نعمّا» في موضع نصب.

«هي»: تفسير للفاعل المضمر قبل الذكر، فالفاعل هو الإبداء ثمّ حذف واقيم ضمير الصدقات مكانه ولكنه لايخلو من التكلّف. ويمكن أن يكون الفاعل نفس الصدقة، أي الصدقة نعم الشيء في ذاتها.

وكيف ما كان ففي الآية الشريفة ثناء على إبداء الصدقات إذا كانت لوجه الله تعالى، ما لم يعرض عليها ما يبطلها نحو الرياء والمنّ والأذىٰ.[٢]

﴿وَإِن تُخْفُوهَا﴾ أي تستروها لأنّ الإخفاء وَهُوَ الستر أقرب إلى ٱلْإِخْلاصِ

---

١. التبيان ٢/ ٣٥١.

٢. راجع: مواهب الرحمن ٤/ ٣٩٠.

وأبعد من ٱلرِّياءِ.

﴿وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي تعطوها الفقراء وتصيبوا بها مصارفها مع الإخفاء وتؤدوها إليهم في السر، لأنّ الإخفاء أَقْرَبُ إلى الإخلاص وأبعد من الرياء كما تقدّم ذِكْرُهُ آنِفاً وفيه حفظ كرامة الفقير وعزّته، فهو ـ أي الإخفاء ـ خير لكم؛ وكلمة «خير» أفعل التفضيل.

ويمكن أن يكون «خير» ٱسْماً وَلَيْسَ بمعنى التفضيل، فيتساوىٰ الإبداء والإخفاء فحينئذ يَرْجِعُ ضميرُ «هو» إلى الإعطاء والأداء.

﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم﴾ من رفع يكفرُ ـ وهي قِراءَةُ ٱبْنِ عامِرٍ وَحَفْصٍ ـ عطفه على موضع «ما» بعد الفاء، ومن جزم يُكَفِّرْ عطفه على موضع الفاء.

وَمَنْ قَرَأَ بالياء فمعناه يكفّر الله.

وَمَنْ قَرَأَ بالنون والجزم ـ وهم أهل المدينة والكوفة غير عاصم ـ نكفرْ والباقون بالنون والرفع نكفّرُ والضمير المستتر في «نحن» يرجع إلى الله تعالى.

وفي الكشاف: «﴿نكفرْ﴾ قُرِئَ بالنون مرفوعاً [نكفِّرُ] عطفاً على محلِّ مابعد الفاء، أو على أنّه خبر مُبْتَدَأٍ محذوف أي ونحن نكفّر؛ أو على أنّه جملة من فعل وفاعل مُبْتَدأَةٌ.

[نكفِّرْ] وَمَجْزُوْماً عطفاً على محل الفاء وما بعده، لأنّه جواب الشرط. وَقُرِئَ يكفرُ بالياء مرفوعاً، والفعل لله أو للإخفاء.

وتكفرُ: بالتاء ومرفوعاً ومجزوماً، والفعل للصدقات.

وقرأ الحسن: بالياء والنصب يكفِّرَ بإضمار أن؛ ومعناه: إن تخفوها يكن خيراً لكم، وأن يكفرَ عنكم»[1].

﴿مِّن سَيِّئَاتِكُمْ﴾ من للتبعيض. والسيئات: الصغائر، ولكن إسقاط العقاب تفضل من الله تعالى فله أن يتفضل بإسقاط بعضه دون بعض، ولم يدخل «مِنْ» لأفاد أنّه يسقط جميع العقاب. ولذا قال بعضهم بأنّ «مِنْ» زائدة، نحو: كُلْ مِنْ طعامي وخُذْ

---

١. الكشاف ١/ ٣١٦.

مِنْ مالي ما شئت فيكون للتعميم.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي أنّه بما تعملون في صدقاتكم وغيرها عليم خبيرو لايخفى عليه شيء فيجازي على جميعه بحسبه.

الروايات

وفي صحيحة أبيبصير عن أبيعبدالله عليه السلام قال في ذيل الآية: ليس من الزكاة، وصلتك قرابتك ليس من الزكاة.[١]

وفي موثقة إسحاق بن عمار عن أبيعبدالله عليه السلام في ذيل الآية: هي سوى الزكاة إنّ الزكاة علانية غير سرّ.[٢]

وفي صحيحة أبيبصير قال: قلت لأبيعبدالله عليه السلام: قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾[٣] قال: الفقير: الّذي لايسأل النّاس، والمسكين: أجهد منه، و البائس: أجهدهم، فكلُّ ما فرض الله عزّ وجلّ عليك فإعلانه أفضل من إسراره و كلُّ ما كان تطوّعاً فإسراره أفضل من إعلانه ولو أنَّ رجلاً يحمل زكاة ماله على عاتقه فقسّمها علانية كان ذلك حسناً جميلاً.[٤]

وفي موثقة ابن بكير عن رجل عن أبيجعفر عليه السلام في قول الله ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ﴾ قال: يعني الزَّكاة المفروضة قال: قلت: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ﴾؟ قال: يعني النّافلة إنّهم كانوا يستحّبون إظهار الفرائض وكتمان النّوافل.[٥]

وفي خبر عمار الساباطي قال: قال لي أبوعبدالله عليه السلام: يا عمّار الصدقة والله في السرِّ أفضل من الصّدقة في العلانية وكذلك والله العبادة في السرِّ أفضل منها في العلانية.[٦]

وفي العياشي عن الحلبي عن أبيعبدالله عليه السلام قال: سألته عن قول الله تعالى: ﴿وَإِن

---

١. الكافي ٣/ ٤٩٩، ح٩.
٢. الكافي ٣/ ٥٠٢، ح١٧.
٣. سورة التوبة / ٦٠.
٤. الكافي ٣/ ٥٠١، ح١٦.
٥. الكافي ٤/ ٦٠، ح١.
٦. الكافي ٤/ ٨، ح٢.

تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ قال: ليس تلك الزكاة، ولكنه الرجل يتصدّق لنفسه، الزكاة علانيةً ليس بسرٍّ.[١]

وفي التبيان: وقد روي عن أبي‌عبدالله عليه السلام: أنّ الإخفاء في النوافل أفضل.[٢]

وفيه: روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال لابن العاص: نعمّا بالمال الصالح للرجل الصالح.[٣]

وفي الروض: وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله: صدقة السرّ تُطْفِيءُ غضب الربّ.[٤]

وفي الخبر الآخر: صدقة السرّ تطفيءُ الخطيئة كما تطفيء الماءُ النارَ وتدفَعُ سبعين باباً من البلاء.[٥]

وَلِلْوُقُوْفِ علىٰ فَضْلِ ٱلصَّدَقَةِ وأقسامها وخواصها راجع كتابي موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام.[٦]

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ ﴿٢٧٢﴾

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ قال الشيخ: «قيل في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها قولان: أحدهما: ما قاله ابن‌عباس وسعيد بن جبير وقتادة: ليس عليك هداهم بمنع المشركين الأقرباء من الصدقة ليدخلوا في الإسلام فعلى هذا معناه الإباحة. الثاني: قال الحسن، وأبو علي الجبائي، والزجاج: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ بالحمل على النفقة في وجوه البرّ فعلى هذا معناه التسلية، والتقدير ليس عليك

---

١. تفسير العياشي ١/ ٢٧٦، ح٥٠٣.
٢. التبيان ٢/ ٣٥١.
٣. التبيان ٢/ ٣٥٣.
٤. روض الجنان ٤/ ٧٨.
٥. روض الجنان ٤/ ٧٨.
٦. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٦/ ٥٨.

أن تهدي النّاس إلى نيل الثواب، والجنّة وإنّما عليك أن تهديهم إلى الإيمان بأن تدلّهم عليه لأنه ﷺ كان يغتّم إذا لم يؤمنوا ولم يقبلوا منه لعلمه بما يصيرون إليه من العقاب فسلّاه الله بهذا القول. وإنّه لاينبغي ترك مواساة ذوي القربى من أهل الشرك ليدخلوا في الإسلام فيكون ذلك مبيحاً للصدقة المندوبة عليهم. وقال ابن‌عباس، وابن الحنيفة، وسعيد بن جبير: نزلت هذه الآية لأنّهم كانوا يتقون الصدقة على المشركين حتّى نزلت ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ وقوله ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ إنّما علق الهداية بالمشيئة لمن كان في المعلوم أنّه يصلح باللطف وليس كلّ أحد يصلح به فلذلك جاء الاختصاص بالمشيئة. وقال أبوعلي الجبائي: الهداية في الآية هو إلى طريق الجنة وذلك يختص بالمؤمنين المستحقين للثواب والأوّل اختيار البلخي وابن الاخشاد والزجاج وأكثر أهل العلم»[١].

﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ شرط وجزاء والتفات خطاب إلى المؤمنين بأن إِنْفاقَهُمْ من أموالهم وغيرها فنفعها عائد إليهم وهو ذخر لهم ويرجع إليهم ولذا يجب عليهم أن لا يمّنوا بصدقاتهم وأن يريدوا بها وجه الله وقربته.

وقد خَلَتِ الآيةُ الشَّرِيْفةُ من التبشيرَ والإِنْذارِ لِأَنَّ النَّفْعَ يَعُوْدُ إِلَيْهِمْ.

﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ قيل: لفظه نفي ومعناه النهي أي لاتنفقوا. وقيل: هي جملة مفيدة بنفسها معطوفة على ما قبلها ـ أي المؤمنون المهديون هم كذلك. وابتغاء نصب لأنّه مفعول له.

«وقيل في ذكر الوجه قولان:

أحدهما: لتحقيق الإضافة إليه، لأن ذكره يزيل الإبهام أنّه له لغيره، لأنك إذا اختصصت ذكر الوجه ومعناه التبيين، دل على أنك أردت الاختصاص وإزالة الإبهام، ورفع الاشتراك وحققت الإضافة.

والثاني: لأشرف الذكرين في الصفة لأنّه إذا قلت: فعلته لوجه زيد فهو أشرف في الذكر من فعلته [لزيد]، لأن وجه الشيء في الأصل أشرف ما فيه ثمّ كثر حتّى صار

---

١. التبيان ٢/ ٣٥٣ و٣٥٤.

يدل على شرف الذكر في الصفة فقط من غير تحقيق وجه ألا ترى أنك تقول: وجه هذا الأمر كذا وهذا أوجه الرأي وهذا أوجه الدليل فلاتريد تحقيق الوجه وإنّما يريد أشرف ما فيه من أجل شدة ظهوره وشدة بيانه»[١].

﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ﴾ شرط كـ ﴿مَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡ﴾ تأكيد لما مرّ لأنّ ظهور لفظ «يُوَفّ» في الوفاء الأكيد وإبهام فاعله لأجل بيان أنّ كل الخير والنفع يعود إليهم. ولكن بناءً على أنّ إنفاقهم كانت لوجه الله تعالى. وقيل[٢]:أنّه مختص بالآخرة لأنّ أجره الكامل فيها.

﴿وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾ في منع ثوابه ونقصان جزائه. والثواب واصِلٌ إليكم من غير نقيصة.

الروايات

وفي صحيح إبراهيم بن مهزم عن رجلٍ عن جابر عن أبيجعفرعليه السلام قال: إنّ الشمس لتطلع ومعها أربعة أملاك: ملك ينادي يا صاحب الخير أتمّ وأبشر، وملك ينادي يا صاحب الشر أنزع وأقصر، وملك ينادي أعط منفقاً خلفاً وآت ممسكاً تلفاً، وملك ينضحها بالماء ولو لا ذلك اشتعلت الأرض.[٣]

رجال السند كلّهم ثقات إلّا رجل الذي يروي عنه جابر ولا أدرى من هو أ ثقة أم لا؟ وأنت تجد نحوها في كتب العامة كمسند أحمد[٤] وأسد الغابة في معرفة الصحابة[٥]، وللفيض بيان لطيف ذيل الحديث راجع الوافي[٦].

قال الكلبي: اعتمر رسول اللهصلى الله عليه وآله عمرة القضاء وكانت معه في تلك العمرة أسماء بنت أبيبكر، فجاءتها أُمّها قتيلة وجدّتها تسألانها وهما مشركتان، فقالت: لا أعطيكما شيئاً حتّى أستأمر رسول اللهصلى الله عليه وآله فإنكما لستما على ديني، فاستأمرته في ذلك

---

١. التبيان ٢/ ٣٥٤.
٢. قائله الفخر الرازي في تفسيره ٧/ ٧٨.
٣. الكافي ٤/ ٤٢، ح١.
٤. مسند أحمد ٢/ ٣٠٥.
٥. أسد الغابة في معرفة الصحابة ٢/ ٣٩٩.
٦. وافي ١٠/ ٤٨٦.

فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأمرها رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية أن تتصدّق عليهما فأعطتهما ووصلتهما.

قال الكلبي: ولها وجه آخر وذلك إنّ ناساً من المسلمين كانت لهم رضاع في اليهود وكانوا يُنفقونهم قبل أن يسلموا فلما أسلموا كرهوا أن يُنفقونهم وأرادوهم أن يُسلموا، فأستأمروا رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية فأعطوهم بعد نزولها.[١]

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٧٣﴾

﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ جار ومجرور متعلَّق أي ٱعْمِدُوْا لِلفُقَراءِ وَأَنْفِقُوْا عليهم، ويجوز أن يكون خَبَرَاً لمبتدأٍ محذوفٍ أي صدقاتكم للفقراء.

قال أبوجعفر عليه السلام: نزلت في أصحاب الصفة.[٢]

قال مجاهد والسدّي: الفقراء ٱلْمَذْكُوْرُوْنَ في الآية هم فقراء المهاجرين.[٣]

وفي المجمع بعد نقل رواية أبيجعفر عليه السلام، «كذلك رواه الكلبي عن ابن‌عباس وهم نحو من أربعمائة رجل لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر يأوون إليهم فجعلوا أنفسهم في المسجد وقالوا: نخرج في كلّ سرية يبعثها رسول الله فحث الله النّاس عليهم، وكان الرجل إذا أكل وعنده فضل أتاهم به إذا أمسى»[٤].

وفي الكشاف: «عن ابن‌عباس ـ رضي الله عنهما ـ : وقف رسول الله ﷺ يوماً على أصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال: أبشروا يا أصحاب الصفة فمن بقى من أمتي على النعت الذي أنتم عليه راضياً بما فيه فإنّه من رفقائي في

١. روض الجنان ٤/ ٨١؛ الكشف والبيان ٢/ ٢٧٤.
٢. التبيان ٢/ ٣٥٥.
٣. التبيان ٢/ ٣٥٥.
٤. مجمع البيان ٢/ ٣٨٧.

الجنّة»[١].

﴿ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الإحصار: منع النفس عن التصرف لمرض أو حاجة أو مخافة، والحصر هو منع الغير وليس كالأوّل لأنّه منع النفس.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الضرب: المشي في الأرض؛ أي هؤلاء الفقراء لايقدرون، بمعنىٰ أنهم ألزموا أنفسهم أمر الجهاد فمنعهم اشتغالهم به عن ٱلْمَشْيِ في الأرض للتكسب.

﴿تَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ﴾ أي يحكم الجاهل بحالهم أنّهم أغنياءً ويترتب على حكمه الأثر من عدم الإنفاق عليهم.

﴿مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ التعفف: ترك السؤال، يقال: عفّ عن الشيء وتعفف عنه إذا تركه، أي أنّهم غير متظاهرين بالفقر.

﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ السيماء: العلّامة. أي يعرفونهم بالعلامات الظاهرة الدالة على أحوالهم. من صفرة الوجه ورثاثة الحال، أي يمكن أَنْ تعرفهم بما لا يَتَمَكَّنُوْنَ من ستره من علائم الفقر والمسكنة في الوجه أو البدن أو اللباس أو نحوها.

﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ الإلحاف: اللزوم، أي صفتهم أنّهم لايَسْتَجْدُوْنَ من النّاس بإلحاف أي لايفارقون الناس إلّا بشيء يُعْطىٰ لَهُمْ. ومعناه إمّا نفي السؤال على نحو الإلحاف وإمّا نفي السؤال والإلحاف معاً، والثاني أظهر. كما اختاره صاحب الميزان[٢] وقبله صاحب مجمع البيان[٣] .قال في وجهه: «ولو كانوا يسألون لم يكن يحسبهم الجاهل أغنياء لأنّ السؤال في الظاهر يدل على الفقر». وقبلهما الشيخ في التبيان[٤].

﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ ويجازيكم عليه. ما شرط وٱلفاء وَما بَعْدَها جَزاؤُهُ.

---

١. الكشاف ١/ ٣١٨؛ تفسير الثعلبي ٢/ ٢٧٥.
٢. الميزان ٢/ ٣٩٩.
٣. مجمع البيان ٢/ ٣٨٧.
٤. التبيان ٢/ ٣٥٦.

الروايات

وفي العياشي: مرسلاً عن جابر الجعفي عن أبي‌جعفر عليه السلام: قال: إنّ الله يبغض الملحف.[١]

وفي المجمع: وفي الحديث: إنّ الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويكره البؤس والتباؤس، ويحبُّ الحليم المتعفف من عباده ويبغض الفاحش البذي السائل الملحف.[٢]

وفي المجمع: عنه صلى الله عليه وآله: إنّ الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وكثرة السؤال، واضاعة المال، ونهى عن عقوق الأُمهاتِ ووْادِ البناتِ وعن منع وَهْاتِ.[٣]

وفي الروض ترجم الأخيرين إلى الفارسية بقوله: «و زنده در گور كردن دختران را، و ازنا دادن و گرفتن».

وفي المجمع: وقال صلى الله عليه وآله: الأيدي ثلاثة: فيدالله العليا ويد المعطي التي تليه ويد السائل السفلى إلى يوم القيامة، ومن سأل وله ما يغنيه جاءت مسألته يوم القيامة كدوحاً أو خموشاً أو خدوشاً في وجهه، قيل: وما غناه؟ قال: خمسون درهماً أو عدلها من الذهب.[٤]

الكدح: دون الخدش والخدش دون الخمش.

وعن قبيصة بن مخارق قال: أتيت النبيّ صلى الله عليه وآله استعنته في حمالة فقال: «أقم عندنا حتّى تأتينا الصدقة فإمّا أن نحملها وإمّا أن نعينك فيها، وأعلم إنّ المسألة لا تحل إلّا لثلاثة: لرجل يحمل حمالة عن قوم فسأل فيها حتّى يؤديها ثمّ يسمك، ورجل أصابته حاجة فأذهبت ماله فسأل حتّى يصيب سداداً من عيش أو قواماً من عيش ثمّ يُمسك، ورجل أصابته فاقة حتّى شهد له ثلاثة من ذوي الحجا من قومه فسأل حتّى يصيب سداداً أو قواماً من عيش ثمّ يمسك، فما سوى ذلك من المسائل سحت يأكله صاحبه

---

١. تفسير العياشي ١/ ٢٧٦، ح٥٠٤.
٢. مجمع البيان ٢/ ٣٨٧؛ كنزالعمال ٦/ ٦٤٣، ح١٧١٩٣؛ الكشف والبيان ٢/ ٢٧٨؛ روض الجنان ٤/ ٩١؛ الكشاف ١/ ٣١٨.
٣. مجمع البيان ٢/ ٣٨٧؛ الكشف والبيان ٢/ ٢٧٩؛ روض الجنان ٤/ ٩٢.
٤. مجمع البيان ٢/ ٣٨٧؛ الكشف والبيان ٢/ ٢٧٩؛ روض الجنان ٤/ ٩٣.

يا قبيصة سحتاً»[١]

وروي قتادة عن هلال بن حصن عن أبي‌سعيد الخدري قال: أعوزنا مرّة فقيل لي: لو أتيت رسول الله ﷺ فسألته، فأنطلقت إليه معتفياً، فقال أوّل ما واجهني به: «من استعفف عفّه الله ومَنْ استغنى أغناه الله ومن سألنا لم ندّخر عنه شيئاً نجده.

قال: فرجعت إلى نفسي فقلت: ألا استعفف فعفّني الله، فرجعت فما سألت نبي الله ﷺ شيئاً بعد ذلك من حاجة حتّى مالت علينا الدنيا فغرقتنا[٢] إلّا مَنْ عصمه الله.[٣]

وروي أنّ ابن الخطاب أرسل إلى سعيد بن عامر بألف درهم فجاء كئيباً حزيناً فقالت له امرأته: حدث أمر، قال: أشدّ من ذلك، ثمّ قال: أريني درعَكِ الخلق فشقّه وجعله صُرراً ثمّ قام يصلّي ويبكي إلى الغداة، فلما أصبح قام بالطريق فجعل [ينفق كلّ] صرّة حتّى أتى على آخرها، ثمّ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يجيء فقراء المهاجرين يوم القيامة للحساب فيقولون هل أعطيتمونا شيئاً فتحاسبوننا عليه فيدخلون الجنّة قبل الأغنياء بخمس مائة عام، حتّى إنّ الرجل من الأغنياء ليدخل في غمارهم فيؤخذ فيستخرج، فأراد عمر أن يجعلني ذلك الرجل وما يسرّني إنّي كنت ذلك الرجل وإن لي الدنيا وما فيها»[٤].

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ ﴿٢٧٤﴾

بعد ما بيّن الله تعالى كيفية الإنفاق والصدقة وأنّها لِمَنْ يُعْطِي اللهُ أَجْرَهُ وثوابه وكيف يمكن المحافظة على ثوابه وعدم بطلانه وكلّ ما مضى في هذا الموضوع ثمّ مدح الله تعالى مَنْ ينفقون بصفة خاصة وهي:

---

١. مسند أحمد ٥/ ٦٠؛ الكشف والبيان ٢/ ٢٧٨؛ روض الجنان ٤/ ٩١.
٢. في تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٨٨ ففرقتنا أو عرفتنا.
٣. الكشف والبيان ٢/ ٢٧٨؛ روض الجنان ٤/ ٩٢.
٤. زاد المسير ١/ ٢٨٣؛ الكشف والبيان ٢/ ٢٧٥؛ روض الجنان ٤/ ٨٤.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم﴾ الذين رفع بالابتداء، وما بعده صلة له وخبره فلهم... .

والانفاق: اخراج ما كان من المال عن ٱلۡمِلۡكِ ولهذا لايصح في صفة الله تعالى الانفاق بل هو موصوف بالاعطاء لأنّه: ايصال الشيء إلى الآخذ له.

﴿بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ ظرف الانفاق ومتعلّق به.

﴿سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ﴾ وهما حالان من ينفقون والتقدير مسرين ومعلنين، السرّ: إخفاء الشيء في النفس فأما اخفاؤه في خباء فليس بسرّ في الحقيقة.

والعلانية: نقيض السرّ وهو إظهار الشيء وإبرازه من النفس.

والمراد بها إمّا الانفاق في الوقتين والحالاتين وإمّا أنّها تدل على جميع الاوقات والحالات أي أنّهم يسمترون في انفاقهم وأنّه لايختص عندهم بوقتٍ أو حالةٍ، والثاني أظهر.

﴿فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ أتى بالفاء يدل على أنّ الجزاء إنّما هو من أجل الانفاق في طاعة الله. الأجر والأُجرة: ثواب العمل وجزاؤه دنيوياً كان أو أُخروياً. ولايستعمل إلّا في النفع دون الضرر، ولكن الجزاء يستعمل فيهما.

وعند ربهم: جمله تشريفية تدل على عدم تناهي هذا الأجر وعظمته.

﴿وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ من الحال والمستقبل حياتهم في الدنيا والآخره وأهوالها وأفزاعها.

﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ منهما فيهما.

الخوف والحزن حالتان طارئتان على البشر تكدران عيشه والمنفقون كذلك بريئون منهما، في ٱلۡآجِلِ والعاجل.

الروايات

وفي صحيحة أبي‌بصير عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: قلت له: قوله عزّ وجلّ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ﴾ قال: ليس من الزكاة، الحديث.[١]

---

١. الكافي ٣/ ٤٩٩، ح٩.

ونحوها في تفسير العياشي[١].

وفي خبر عبدالله بن الوليد الوصافي عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: صدقة السرّ تطفئ غضب الربّ تبارك وتعالى.[٢]

وعن أبي‌اسحاق قال: كان لعليّ بن أبي‌طالب عليه السلام أربعة دراهم: لم يملك غيرها فتصدَّق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سرّاً وبدرهم علانية، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا علي ما حملك على ما صنعت؟ قال: انجاز موعود الله، فأنزل الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ﴾ الآية.[٣]

ونحوها مقالة الصدوق في الفقيه[٤] ورواها عن الرضا عليه السلام في عيون أخبار الرضا[٥] عليه السلام.

وفي الإختصاص باسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يا علي ما عَمِلْتَ في ليلتك؟ قال: ولم يا رسول الله؟ قال: نزلت فيك أربعة معان، قال: بأبي أنت وأمي، كان معي أربعة دراهم فتصدَّقْتُ بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سرّاً وبدرهم علانية، قال: فإنّ الله أنزل فيك: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ الآية.[٦]

واعترف بِنزولِها في أميرالمؤمنين عليه السلام جميع مُفَسِّرِيْ الشيعة نحو: شيخ الطائفة[٧] والطبرسي في تفسيريه[٨]، وأبي‌الفتوح الرازي[٩] والاسترآبادي[١٠] والفيض الكاشاني[١١] والمشهدي[١٢] والملّا فتح‌الله

---

١. تفسير العياشي ١/ ٢٧٧، ح٥٠٥.
٢. الكافي ٤/ ٨، ح٣.
٣. تفسير العياشي ١/ ٢٧٧، ح٥٠٦.
٤. الفقيه ٢/ ٢٨٨، ذيل ح٢٤٧٥.
٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/ ٦٢، ح٢٥٥.
٦. الإختصاص / ١٥٠.
٧. التبيان ٢/ ٣٥٩.
٨. مجمع البيان ٢/ ٣٨٨؛ جوامع الجامع ١/ ١٥٠.
٩. روض الجنان ٤/ ٩٥.
١٠. تأويل الآيات الظاهرة ١/ ٩٨.
١١. الصافي / ٧٩ من الطبع الحجري.
١٢. كنزالدقائق ١/ ٦٦٢.

الكاشاني[١] والطباطبائي[٢] والسبزواري[٣].

واعترف بذلك جُمْلَةٌ مِنَ ٱلْعامَّةِ كما نقل ابن شهرآشوب في مناقبه[٤] عن جماعة منهم ومن الخاصة مانصه: عن ابن‌عباس والسُّدِّيّ ومجاهد والكلبي وأبي‌صالح والواحدي والطوسي والثعلبي والطبرسي والماوردي والقشيري والثمالي والنقاش والفتال وعبيدالله بن الحسين وعلي بن حرب الطائي في تفاسيرهم: أنّه كان عند علي بن أبي‌طالب عليه السلام أربعة دراهم فضة فتصدق بواحد ليلاً وبواحد نهاراً وبواحد سرّاً وبواحد علانية فنزل ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فسمّى كلّ درهم مالاً وبشَّره بالقبول.

ورواه النطنزي في الخصائص.

وأمّا مَنْ وَقَفْتُ علىٰ ٱعْترافِهِمْ بأنّها نزلت في عليّ عليه السلام فَهُم:

ابن مردويه في كتابه «ما نزل من القرآن في علي عليه السلام»[٥].

والثعلبي في تفسيره: الكشف والبيان.[٦]

والزمخشري في الكشّاف.[٧]

والبيضاوي في أنوار التنزيل.[٨]

والفخر الرازي في تفسيره.[٩]

والسيوطي في الدر المنثور.[١٠]

وابن‌كثير في تفسيره.[١١]

---

١. منهج الصادقين ١/ ١٣٨.
٢. الميزان ٢/ ٤٠٥.
٣. مواهب الرحمن ٤/ ٤١٨.
٤. المناقب ٢/ ٧١.
٥. ما نزل من القرآن في علي عليه السلام / ٢٢٤.
٦. الكشف والبيان ٢/ ٢٧٩.
٧. الكشّاف ١/ ٣١٩.
٨. أنوار التنزيل / ٦٥ من الطبع الحجري.
٩. التفسير الكبير ٧/ ٨٣.
١٠. الدر المنثور ١/ ٣٦٣.
١١. تفسير ابن‌كثير ١/ ٣٢٦.

الواحدي النيسابوري في أسباب النزول.[١]
الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل.[٢]
والخوارزمي في مناقبه.[٣]
وابن عساكر في تاريخه في ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام.[٤]
ابن المغازلي في مناقبه.[٥]
وأصحاب مجمع الزوائد[٦] وفرائد السمطين[٧] وينابيع المودة[٨].
فبذلك ظهر أنّ الآية الشريفة بإجماع الإماميّة وكثيرٍ من العامّةِ نزلت في شأن مولانا وإمامنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عليه أفضل صلوات المصلين.

﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ ﴿٢٧٥﴾

بعد أن ذكر الله في الآيات السابقة الإنفاق وفضله و مراتبه تعرّض لمسألة الربا في مقابله.

﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ﴾ المُرادُ بالأكل هنا أخذ الربا وانتزاعه من مالكه.

﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾ كتب بالواو على لغة من يفخِّم كما كتبت الصلوة والزكوة بالواو

---

١. اسباب النزول / ٥٧.
٢. شواهد التنزيل ١/ ١١٤.
٣. المناقب / ١٩٨ (٢٨١، الرقم ٢٧٥).
٤. ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام ٢/ ٤١٣ كما نقل عنه شيخنا التستري قدس سره في حواشيه على المصحف ١/ ١٥١.
٥. المناقب / ٢٨٠.
٦. مجمع الزوائد ٦/ ٣٢٤.
٧. فرائد السمطين ١/ ٣٥٦.
٨. ينابيع المؤدة / ٢٩٠.

وزيدت الألف بعدها تشبيهاً بواو الجمع.

وأصل الربا: الزيادة من قولهم ربا الشيء يربو ربواً إذا زاد. والربا: هو الزيادة على رأس المال.

والربا في الشريعة المقدسة محرّم إجماعاً بين المسلمين كبيرة متوعد عليه وهو على قسمين رَئِيْسَيْنِ: القرضي والمعاملي وتفصيل أحكامه الفقهي يؤخذ من الكتب الفقهية.[١]

﴿لَا يَقُومُونَ﴾ قالوا: هم الذين يأكلون الربا في الدنيا لايقومون إذا بُعثوا من قبورهم يوم القيامة.

ولكن الظاهر أنّ المراد بالقيام هو القيام في أمور معاشهم وحياتهم الدنيوية بقرينة مابعده من الحالات والأحكام وصيغة المضارع تدل على استمرار هذه الحالة فيهم ويمكن الجمع بين القولين بأنّهم في الدنيا والآخرة كذلك وهو الأظهر بقرينة الروايات الواردة في ذيلها.

﴿إِلَّا﴾ تدل على حصر هذه الحالة الآتية فيهم لأنّ ٱلْجُمْلَةَ المقرونة بلا وإلّا تدل على الحصر كما في كتب المعاني.

﴿كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَنُ﴾.أصل الخبط: الضرب على غير استواء، التخبط: المس بالجنون أو التخبيل. المُخْبِظُ: يقال للذي يتصرف في أمرٍ ولايهتدي فيه، التخبّط: المس بالجنون.

﴿مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ جار ومجرور مُتَعَلِّقانِ بـ ﴿لَا يَقُومُونَ﴾: أي لايقومون من المس الذي بهم إلّا كما يقوم المصروع، ويجوز أن يتعلق بـ ﴿يَقُومُ﴾ أي كما يقوم المصروع من جنونه، كما ذكره الزمخشري.[٢]

والمسّ: الجنون، فلان مُسَّ: أي جُنَّ، ورجل ممسوس: أي مجنون.

وفي الكشّاف: «وتخبط الشيطان من زعمات العرب يزعمون أنّ الشيطان يخبط الإنسان فيصرع... فورد على ما كانوا يعتقدون... وهذا أيضاً من زعماتهم وأنّ الجنّي

---

١. راجع في هذا المجال كتابنا: الآراء الفقهية ٢/ ٦٠ ومابعده.
٢. الكشّاف ١/ ٣٢٠.

يمسّه فيختلط عقله، وكذلك جنّ الرجل: معناه ضربته الجن ورأيتُهم لهم في الجن قصص وأخبار وعجائب وإنكار ذلك عندهم كإنكار المشاهدات»[١].

وحُكي[٢] عن القفال: أنّ النّاس يضيفون الصرع إلى الشيطان وإلى الجن فخوطبوا على ما تعارفوه من هذا، وأيضاً من عادة النّاس أنّهم إذا أرادوا تقبيح شيء أن يضيفوه إلى الشيطان كما في قوله تعالى: ﴿طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[٣].

فعلى هذا القول يكون هذا التشبيه من قبيل المجازاة مع عامة النّاس في بعض اعتقاداتهم الفاسدة حيث كان اعتقادهم بتصرف الجن أو الشيطان في المجانين.

ناقش في الميزان هذا القول بقوله: «ففيه: أنّه تعالى أجل من أن يستند في كلامه إلى الباطل ولغو القول بأيّ نحو كان من الاستناد إلّا مع بيان بطلانه وردّه على قائله»[٤].

ولذا ذهب صاحب الميزان إلى: «... أنّ الآية وإن لم تدل على أنّ كلّ جنون هو من مس الشيطان ولكنّها لاتخلو عن اشعار بأنّ من الجنون ما هو بمسّ الشيطان...»[٥].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ أي هذا التخبط والمس يَنْشَئآنِ من هذه المقالة، وإنّما تدل على أنّهم يعتقدون الحصر في تشبيهم البيع بالربا ـ لا حتّى الربا بالبيع عندهم ـ فعند آكِلِي ٱلرِّبا، إنّما البيع مثل الربا ولا يرون الفرق بين الربا والبيع أصلاً وإذا حكم أحد ببطلان الربا عندهم يساوق ببطلان البيع. وهذا يَدُلّ على رُسُوْخِ هذه الفكرة في الجاهلية الاولى قبل الإسلام كما هو كذلك في الجاهلية المعاصرة عندهم.

﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ عطف الله تعالى بمقالتهم الفاسدة حكمه بحلية البيع وضعاً وتكليفاً وحرمته الربا كذلك ـ أي وضعاً وتكليفاً ـ وبعد هذا الحكم من الله تعالى بحلية البيع وحرمة الربا صار قياسهم باطلاً ومقالتهم مُفَنَّدَةً، ظاهِرَةَ

---

١. الكشّاف ١/ ٣٢٠.
٢. الحاكي هو الفخر الرازي في تفسيره ٧/ ٨٩.
٣. سورة الصافات / ٦٥.
٤. الميزان ٢/ ٤١٢.
٥. الميزان ٢/ ٤١٢.

ٱلْبُطْلانِ. لوضوح الفرق بين البيع والربا.

﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ﴾ أي جاءه بيان حكم الله تعالى وترك عملية الربا في معاملاته، وما ورد في الروايات بأنّ الموعظة هي التوبة لايُنافي ما ذَكَرْناهُ لأنّ العمدة في التوبة بالنسبة إلى هذه العملية هي تركها.

﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ أي بعد ترك العملية والتوبة منها فله ما سلف في الماضي أي ما مضىٰ له حلال بلا فرق بين وجود المال وعدمه ومعرفة المالك وعدمه لكن في فرض الجهل الذي يشمل السهو وغير العمد؛ كما يتفق كثيراً في المعاملات كما مرّ منّا في كتابنا الفقهي.[١] فعلى ما ذكرناه هذا الأمر يختص بالربا ولايشمل غَيْرَهُ من المعاصي كما يظهر من صاحب الميزان[٢] رحمه الله.

﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ قال الشيخ: «معناه بعد مجيء الموعظة والتحريم وبعد انتهاء أكله إلى الله تعالى عصمته وتوفيقه، إن شاء عصمه عن أكله وثبته في إنتهائه عنه وإن شاء خذله، ويحتمل أن يكون أراد فله ما سلف يعني من الربا المأخوذ دون العقاب الذي استحقه»[٣].

أقول: هذا الاحتمال الأخير في كلامه هو مختارنا الذي مرّ في ذيل جملة ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾. أو إن لم يتب وهو غير مستحل له إن شاء الله عذّبه في الآخرة بعدله وإن شاء عفا عنه بفضله.

ويحتمل: أنّ أمر الأموال الموجودة من الربا يكون إلى الله تعالى وهو حكم بأنّ له ما سلف إن تاب وترك ٱلرِّبا وإلّا فلا. أعني جملة «وأمره إلى الله» تعالى أي أمر الأموال أو أمر آكل الربا بيدالله تعالى وهو حكم بحليتها بعد التوبة فهذه الجملة تعليل لجملة ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾.

﴿وَمَنْ عَادَ﴾ ومَن عاد ورجع إلى الربا وأكله بعد هذا التحريم الواضح ٱلْجَلِيّ.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ لأنّ بعد وضوح التحريم لايكون

---

١. راجع الآراء الفقهية ٢/ ١٢٩ وما بعده.
٢. راجع الميزان ٢/ ٤١٧.
٣. التبيان ٢/ ٣٦١.

العائد إلى الربا إلّا أن يكون مستحلاً وإذا كان مستحلاً يكون كافراً ويخلد في النار. قال الشيخ: «لأنّ مستحل الربا كافر بالإجماع فلذلك توعده بعذاب الأبد»[١].

وعلى هذا لاتدلّ الآية على خلود الفساق ـ كما يراها الزمخشري[٢] دليلاً بيّناً على ذلك.

والروايات في شأن الربا وتشديد حرمته كثيرة جداً فان شئت راجع وسائل الشيعة[٣] وما بعدها من أبواب ٱلرِّبا وكتابيَ الآراء الفقهية[٤] وموسوعة أحاديث أهل البيت[٥] عليهم السلام.

﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ ﴿٢٧٦﴾

﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ قابل بين محق الربا وارباء الصدقات الْلَذَيْنِ تَكَرَّرَ ذِكْرُهُما ولكن عدّها بجهة المقابلة.

المحق: نقصان الشيء حالاً بعد حال، ينقص الله الربا حالاً بعد حال إلى أن يتلف المال كلّه ولم يبق منه شيئاً. ويذهب الله ببركته ويُهلك المالَ الذي يدخل الربا فيه. والظاهر أنّ هذا المحق يظهر في مال الربا الذي يأخذه فاعله وكذا يظهر في الاقتصاد الذي يبني على أساس الربا في المجتمع. وفعل المضارع يدل علي استمرار هذا المحق.

﴿وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ أي يزيد الله الصدقات بما يثمر المال في نفسه في العاجل وبالأجر عليه في الآجل وذلك بحسب ٱلِانْتِفاع بها وحسن النية فيها.

وبعبارة أُخرى: يزيد الله المال الذي أُخرجت منه الصدقات ويبارك فيه في الدنيا ويضاعف عليه الثواب في الآخرة.

---

١. التبيان ٢/ ٣٦٢.
٢. الكشّاف ٢/ ٣٢١.
٣. وسائل الشيعة ١٨/ ١١٧.
٤. الآراء الفقهية ٢/ ٦٢.
٥. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٤/ ١٠٤.

﴿لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ كَفّار: على وزان فَعّال من الكفر وهو المقيم عليه، المستمسك به، المعتاد له، والله يبغض كلّ كفّار لنعمته باستحلال الربا، الأثيم: المتمادي في الإثم والمبالغ والمنهمك فيه.

والمعنى: أنّ الله تعالى لايحب بل يبغض كلّ مَن كَفَرَ نعمه وعصى أوامره مراراً وتكراراً. وعَدَّ في ظاهرها آكل الربا منهم. ولعلّ هذا تعليل لمحق الربا كما يظهر من صاحب الميزان[١]. أو لاأقل من ٱلتَّغْلِيْظِ في أمر الربا وَٱلْإِيْذانِ بأنّه من فعل الكُفّار لا من فعل المسلمين، كما قال به صاحب الكشّاف.[٢]

الروايات

وفي تفسير العياشي عن سالم بن أبي‌حفصة عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله يقول ليس من شيءٍ إلّا وكَّلتُ به من يَقْبِضُه غيري، إلّا الصّدقة فإنّي أتلقَّفُها بيدي تلقّفاً، حتّى إنّ الرجل والمرأة يَتَصَدَّق بالتّمرة وبشِقّ[٣] تَمْرة، فأُربيها له كما يُربي الرجل فِلْوَه وفَصِيلَه، فيلقاني[٤] يوم القيامة وهي مثل أُحُد وأعظم من أُحُد.[٥]

الفِلْو: المُهْر: ولد الفرس، أوّل ما يُنْتَجُ من الخيل والحُمُرِ الأهلية وغيرها جمعه مِهْارَة.

الفَصِيلُ: وَلَدُ الناقة إذا فُصِل عن أُمّه.

ونحوها مراسيل محمّد القمام وأبي‌حمزة وعلي بن جعفر فيه.[٦]

وفي حسنة الحسن بن زياد الصيقل عن الصادق عليه السلام أنّه قال: من تصدّق بصدقةٍ في شعبان ربّاها الله جلّ وعزّ له كما يرّبي أحدُكم فصيله، حتّى يوافي يوم القيامة وقد صارت له مثل أُحد.[٧]

وفي موثقة سماعة بن مهران قال: قلت لأبي‌عبدالله عليه السلام: إنّي سمعت الله عزّ وجلّ يقول

---

١. الميزان ٢/ ٤٢١.
٢. الكشّاف ١/ ٣٢١.
٣. في نسخة: وشق.
٤. في نسختين: فيلقى.
٥. تفسير العياشي ١/ ٢٧٨، ح٥١١.
٦. تفسير العياشي ١/ ٢٧٨، ح ٥١٢ و٥١٣ و٥١٤.
٧. أمالي الصدوق، المجلس الحادي والتسعون ح٧/ ٧٢٧، رقم ٩٩٥.

في كتابه: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ وقد أرى كلّ من يأكل الربا يربو ماله، فقال: فأي محق أمحق من درهم رباً يمحق الدين، وإن تاب ذهب ماله وافتقر.[١]

ورواها في موثقة زرارة[٢] أيضاً ومثلها في الفقيه[٣] مرسلاً وفيه: «فإن تاب منه» كما في موثقة زرارة.

وعن الشيخ الطوسي قال: روي عن النبيﷺ: إنّ الله يقبل الصدقة ولايقبل منها إلّا الطيب ويربيها لصاحبها كما يربي أحدُكم مُهْرَهُ أو فَصيلَهُ، حتّى أنّ اللقمة لتصير مثل أُحد.[٤]

وعن الطبرسي: قيل للصادقؑ: وقد يرىٰ الرجل يربي فيكثر ماله، فقال: يمحق الله دينه وإن كثر ماله.[٥]

ورواها في تفسير القمي[٦].

وعنه: وفي الحديث: ما نقص مالٌ من صدقةٍ.[٧]

وعنه: روي عن النبيﷺ أنّه قال: يأتي على النّاس زمان لايبقى أحدٌ إلّا أكل الربا فمن لم يأكله أصابه من غباره.[٨]

عبدالله بن مسعود عن النبيﷺ أنّه قال: إنّ الربا وإن كثر فإنّ عاقبته إلى القلة.[٩]

وعن يحيى بن معاذ قال: لاأعرف حبّة تزن جبال الدنيا إلّا الحبّة من الصدقة.[١٠]

---

١. التهذيب ٧/ ١٩، ح٨٣.
٢. التهذيب ٧/ ١٥، ح٦٥.
٣. الفقيه ٣/ ٢٧٩، ح٤٠٠٥.
٤. التبيان ٢/ ٣٦٣؛ مجمع البيان ٢/ ٣٩٠؛ روض الجنان ٤/ ١٠٧؛ الكشف والبيان ٢/ ٢٨٤.
٥. مجمع البيان ٢/ ٣٩٠.
٦. تفسير القمي / ٥٠ من الطبع الحجري.
٧. جوامع الجامع ١/ ١٥١.
٨. مجمع البيان ٢/ ٣٩١.
٩. روض الجنان ٤/ ١٠٦؛ الكشف والبيان ٢/ ٢٨٣.
١٠. روض الجنان ٤/ ١٠٧؛ الكشف والبيان ٢/ ٢٨٤.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾

الآية الشريفة تعليل يبين به ثواب المتصدقين الماضين والمنتهين عما نَهىٰ الله عنه من أكل الربا بوجه عام وينطبق على المورد انطباقاً.

أو تعرض حال المؤمنين العاملين... بجهة المقابلة حتّى يظهر حال الكفّار ٱلآثِمِيْنَ الذين يأكلون الربا ولم ينتهوا عنه مع هذا النهي الصريح الذي مضى ويأتي.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ذكر أوّلاً الإيمان بالله ورسوله ووصيّه والجنّة والنار والمعاد وغيرها من المعتقدات الحقّة لأنّه الأصل والأساس في الدين الإلهي ويكون الثواب على الإيمان ـ أعني ثواب الأعمال في الآخرة مشروط بالايمان وإلّا لا يَتَرَتَّبُ عليه ذلك الثواب الجزيل كما ورد في خبريْ القاسم الصيرفي شريك المفضّل عن الصادق عليه السلام: ... والثواب على الايمان.[١]

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مقتضىٰ الايمان هو العمل على طبق ما وصل إلى العبد من مصدر الايمان كلّه، أوامره ونواهيه. ولذا ذكر أظهر مصاديقه وهو العمل بالصالحات ٱلْمَأْمُوْر بِها في الشريعة المقدسة. أعني أَنَّ هذه الأفعالَ ٱلْجَوارِحِيَّةَ تنشأ من ذلك الفعل الجوانحي.

مدعي الايمان من دون هذا المقتضىٰ كاذب ولذا ورد في صحيحة أبي‌الصباح الكناني عن أبي‌جعفر عليه السلام عن أمير‌المؤمنين عليه السلام كان يقول: لو كان الإيمان كلاماً لم ينزل فيه صوم ولا صلاة ولا حلال ولا حرام.[٢]

وكذا ورد في صحيحة جميل بن دراج حيث سأل الصّادِقَ عليه السلام فالعمل من الايمان؟ قال: لا يثبت له الايمان إلّا بالعمل والعمل منه.[٣]

فظهر ممّا ذكرناه عدم تمامية القول بأنّ العمل الصالح خارج عن الايمان

---

١. الكافي ٢/ ٢٤ و٢٥ ونقلتهما عنه في موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ١/ ٤٩٦، ح١ و٣.
٢. الكافي ٢/ ٣٣ ونقلت عنه في موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ١/ ٥٠٦، ح١.
٣. الكافي ٢/ ٣٨ ونقلت عنه في موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ١/ ٥٠٧، ح٤.

واستفادته من هذه الآية الشريفة للمغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه، وكذا يمكن الجواب عنه بأنّ الله تعالى عطف الصلاة والزكاة بالعمل الصالح مع أنّهما منه ويكفي في صحة العطف أدنى المغايرة والإثنينية.

﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ هذا مِن بابِ ذكر الخاص بعد العام وابتدأ بالصلاة لأنّها أظهر مصاديق العمل الصالح وفي صحيحة معاوية بن وهب عن أبيعبدالله عليه السلام: ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة...[١]، ومثلها مثل عمود الفسطاط كما في معتبرة عبيد بن زرارة[٢]، ومن قبل منه صلاة واحدة لم يعذبه كما في معتبرة حفص بن البحتري[٣]، وأنّها خير موضوع فمن شاء استقلَّ ومن شاء استكثر[٤]، وأنّها قربان كلّ تقيٍّ[٥] وأنّها ميزان من وفّىٰ استوفى[٦].

﴿وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ التي هي من الواجبات المالية، كأنّ الإيمان يقتضي أداء الزكاة وَٱلْخُمُسِ وغيرهما من الواجبات المالية ولايكتفي بِإِقامَةِ الصلاة فقط، ولذا فرض الله الزكاة مع الصلاة كما ورد في صحيحة الفضلاء[٧]، والأغنياء لا يحمدون إلّا بِأدائِها حقنوا بها دِماءَهُمْ وبها سُمُّوا مسلمين كما ورد في موثقة سماعة[٨]، وأنّها موجبة لقبول الصلاة كما في صحيحة عبدالله بن سنان[٩]، وأنّها قُوْتُ الفقراء[١٠]، وتحصين أموال

---

١. الكافي ٣/ ٢٦٤، ح١ ونقلت عنه في موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٦/ ٩٢، ح١.
٢. الكافي ٣/ ٢٦٦، ح٩ ونقلت عنه في موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٦/ ٩٤، ح٨.
٣. الكافي ٣/ ٢٦٦، ح١١ ونقلت عنه في موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٦/ ٩٤، ح١٠.
٤. جامع الأحاديث / ٩٢؛ معاني الأخبار / ٣٣٣؛ الخصال ٢/ ٥٢٣، ح١٣؛ موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٦/ ٩٦، ح٢٠.
٥. الكافي ٣/ ٢٦٥، ح٦ ونقلت عنه في موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٦/ ٩٣، ح٥.
٦. الكافي ٣/ ٢٦٦، ح١٣ ونقلت عنه في موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٦/ ٩٤، ح١٢، معتبرة السكوني.
٧. الكافي ٣/ ٤٩٧، ح٥ ونقلت عنه في موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٤/ ٣٣٩، ح١.
٨. الكافي ٣/ ٤٩٨، ح٨ ونقلت عنه في موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٤/ ٣٣٩، ح٢.
٩. الفقيه ٢/ ٨، ح٢٦ ونقلت عنه في موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٤/ ٣٣٩، ح٣.
١٠. الفقيه ٢/ ٢، ح٢ ونقلت عنه في موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٤/ ٣٤٠، ح٥.

الأغنياء[١]، وأنّها مع الصلاة جعلت قرباناً لأهل الاسلام[٢].

ومن أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة لم يقم الصلاة[٣]، وأنّها إذا منعت، منعت الأرض بركاتها كما في صحيحة أبي‌حمزة[٤]. ومن منع قيراطاً من الزكاة فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً،[٥] وليس بمؤمن ولا بمسلم[٦].

﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ قال الفخر هذه الجملة: «أقوى من قوله على ربهم أجرهم لأنّ الأوّل يجري مجري ما إذا باع بالنقد...، وقوله: أجرهم على ربّهم يجري مجري ما إذا باع بالنسيئة في الذمة ولا شك أنّ الأوّل أفضل»[٧].

﴿وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ بالنسبة إلى المستقبل.

﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ بالنسبة إلى الماضي.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ ﴿٢٧٨﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وصف المخاطبين بصفة الايمان لأنّه الداعي إلى التصديق بالله ورسوله والعمل بأوامره ونواهيه والتبعية لهما.

﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أمرهم أوّلاً بتقوى الله لأنّ بها تتمّ حقيقة الايمان وتوطئة لهم من الأمر الذي يليها من ترك بقايا الربا.

﴿وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ ذروا: أي اُتْرُكُوْا واتقوا وفي لفظ ذر نوع من التهديد[٨]

---

١. الفقيه ٢/ ٤، ح٧ ونقلت عنه في موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٤/ ٣٤١، ح٧.
٢. نهج‌البلاغة، الخطبة ١٩٩ ونقلت عنه في موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٤/ ٣٣٩، ح٩.
٣. الكافي ٣/ ٥٠٦، ح٢٣ ونقلت عنه في موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٤/ ٣٥٩، ح١.
٤. الكافي ٣/ ٥٠٥، ح١٧ ونقلت عنه في موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٤/ ٣٦٠، ح٣.
٥. الكافي ٣/ ٥٠٥، ح١٤ ونقلت عنه في موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٤/ ٣٦٢، ح٣.
٦. الفقيه ٤/ ٢٥٧، ونقلت عنه في موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٤/ ٣٦٣، ح٥.
٧. التفسير الكبير ٧/ ٩٦.
٨. قال الثعلبي في تفسيره٢/ ٢٨٥: «ذر لفظُ تهديدٍ»، ولا يأتي منه إلّا المضارع والأمر والنهي كما في روض الجنان ٤/ ١١٠.

مابقي من الربا فلا تَأْخُذُوْهُ ولاتطالبوا بِهِ واقتصروا على رؤوس أموالكم وظاهره تحريم مابقي ديناً من الربا ووجوب اخذ رأس المال فقط من دون الزيادة على جهة الربا.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ قيل فيه قولان: أحدهما: من كان مؤمناً فهذا حكمه.

والثاني: إذ كنتم مؤمنين أي إن صح إيمانكم.

وفيه اشارة إلى أن ترك الربا من لوازم الإيمان كما أنّ ترك غيرها من المعاصي أيضاً هُوَ من لوازم الإيمان.

الروايات

وفي تفسير مقاتل بن سليمان: «نزلت في أربعة إخوة من ثقيف: مسعود وحبيب وربيعه وعبديالليل وهم بنوعمرو بن عمير بن عوف الثقفي، كانوا يداينون بني المغيرة ابن عبدالله بن عمرو بن مخزوم، وكانوا يربون لثقيف، فلمّا أظهر اللهﷻ النبيَّ على الطائف، اشترطت ثقيف أن كلّ ربا لهم على النّاس فهو لهم، وكلّ ربا للنّاس عليهم فهو موضوع عنهم، فطلبوا رباهم إلى بني المغيرة، فاختصموا إلى عتاب بن أُسيد بن أبي‌العيص بن أُمية، كان النبيﷺ استعمله على مكة، وقال له: استعملك على أهل الله. وقالت بنو المغيرة: أجعلنا أشقى النّاس بالربا وقد وضعه عن النّاس؟ فقالت ثقيف: إنا صالحنا النبيﷺ أنّ لنا ربانا، فكتب النبيﷺ في المدينة بقصة الفريقين فأنزل الله تبارك وتعالى بالمدينة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعني ثقيفاً، ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ الآية، لأنّه لم يبق غير رباهم، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، فأقروا بتحريمه»[1].

«قال عطاء وعكرمة: نزلت هذه الآية في العباس بن عبدالمطّلب وعثمان بن عفان وكانا قد أسلفا في التمر، فلما حضر الجداد قال لهما صاحب التمر: لايبقىٰ ما يكفي عيالي إن أنتما أخذتما حقّكما كلّه فهذا لكما أن تأخذا النصف وتؤخّرا النصف وأضعف لكما فقبلا، فلمّا جاء الرجل طلبا الزيادة، فبلغ ذلك إلى رسول اللهﷺ فنهاهما وأنزل الله هذه الآية فسمعا وأطاعا وأخذا رؤوس أموالهما»[2].

---

١. تفسير مقاتل بن سليمان ١/ ١٤٩.

٢. الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي ٢/ ٢٨٤؛ روض الجنان ٤/ ١٠٩.

«وقال السُدّي: نزلت في العباس بن عبدالمطلب وخالد بن الوليد وكانا شريكان في الجاهلية يسلّفان في الربا إلى بني عمرو بن عمير ـ ناس من ثقيف ـ ولهما أموال عظيمة في الربا، فأنزل الله تعالى هذه الآية فقال النبيُّ ﷺ: وإنّ كلّ ربا من الجاهلية موضوع وأوّل الربا أضعه ربا العباس بن عبدالمطّلب، وكلُّ دمٍ من دم الجاهلية موضوع وأوّل دم أضعه دم ربيعة بن الحرث بن عبدالمطّلب ـ كان مُرضعاً في بني ليث قتله هذيل»[١].

وفي تفسير القمي بعد نزول ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[٢] «فقام خالد بن وليد إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ﷺ أربي أبي في ثقيف وقد أوصاني عند موته بأخذه فانزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ الآية، فقال: من أخذ الربا وجب عليه القتل وكلّ من أربي وجب عليه القتل»[٣].

قال الطوسي: «وروي عن أبيجعفر عليه السلام أنّ الوليد بن المغيرة كان يربي في الجاهلية وكان بقي له بقايا على ثقيف فأراد خالد بن الوليد المطالبة بها بعد أن أسلم فنزلت هذه الآية في المنع من ذلك»[٤].

علي بن إبراهيم القمي عن أبيه عن ابن أبيعمير عن جميل عن أبيعبدالله عليه السلام: درهم من ربا أعظم عندالله من سبعين زنيّة بذات محرم في بيت الله الحرام.[٥]

الرواية صحيحة الإسناد.

وفي موثقة ابنبكير قال: بلغ أباعبدالله عليه السلام عن رجل أنّه كان يأكل الربا ويسميه

---

١. الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي ٢/ ٢٨٤؛ روض الجنان ٤/ ١٠٩.
٢. سورة البقرة / ٢٧٥.
٣. تفسير القمي / ٥٠ من الطبع الحجري، ١/ ٩٣ من الطبع الحروفي.
٤. التبيان ٢/ ٣٦٥ ونحوها في مجمع البيان ١/ ٣٩٢ الطبع الحروفي.
٥. تفسيرالقمي / ٥٠ من الطبع الحجري.

اللباء، فقال: لئن أمكنني الله منه لأضربنَّ عنقه.[١]

اللباء: أوّل اللبن من النتاج.

وفي معتبرة عمرو بن خالد عن زيد بن علي عن آبائه عليهم السلام عن عليّ قال عليه السلام: لعن رسول الله صلى الله عليه وآله: الربا وآكله وبائعه ومشتريه وكاتبه وشاهديه.[٢]

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾ أي إن لم تتركوا مابقي من الربا ولم تتجنبوا منه، وبعبارة أُخرى: فإن لم تذروا مابقي من الربا، ولم تقرّوا بتحريمه.

﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ قرأ حمزة وعاصم. «فآذنوا» ممدودة من الرباعي أي صيغة الأمر من الإيذان بمعني الإعلام.

وممدودة: بمعني علّموا غيركم. أو أعلموا بها غيركم.

ومن قرأ بالقصر: فأذنوا: مِنْ أذنت به آذن إذناً: إذا علمت به.

أذن بالشيء: إذا علم به، الإذن: كالعِلْم وزناً ومعنىً.

أي: أيقنوا بحرب من الله ورسوله، ولتضمّنه معنىٰ اليقين عُدِّيَ بالباء.

والحاصل: بالمدّ: أي فاعلموا غيركم أي أعلنوا وبالقصر: فاعلموا أنتم واسمعوا. أي: أيقنوا.

﴿بِحَرْبٍ﴾ أي القتال، وأصل الباب: الشدّة.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ الحرب مع الله ورسوله هي الخروج عن طاعتهما وَٱلْإِعْلانُ في مُخالفَتِهما، ومعناها إخبار بعظم المعصية. وبعبارة أُخري هي الكفر.

وفي الميزان: «وتنكير الحرب لإفادة التعظيم أو التنويع، ونسبة الحرب إلى الله

---

١. وسائل الشيعة ١٨/ ١٢٥، ح١، الباب ٢ من أبواب الربا.

٢. وسائل الشيعة ١٨/ ١٢٧، ح٢، الباب ٤ من أبواب الربا.

ورسوله لكونه مرتبطاً بالحكم الذي لله سبحانه فيه سهم بالجعل والتشريع ولِرَسُوْلِهِ فيه سهم بالتبليغ...»[١].

﴿وَإِن تُبْتُمْ﴾ من الربا والارتباء واستحلال الربا وأقررتم بتحريمه وتركوه في مقام العمل.

﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ أي رأس مالكم أي نفسها وأصلها بلافرق بين المعاملة والدين.

﴿لَا تَظْلِمُونَ﴾ بأخذ الزيادة من رأس المال.

﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بالنقصان من رأس المال.

أي فلكم رءُوس أموالكم غير ظالمين ولا مظلومين.

الروايات

وفي صحيحة الحلبي عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: سُئل عن الرجل يكون له دين إلى أجل مسمّى فيأتيه غريمه فيقول: أنقُدْني كذا وكذا وأضَعُ عنك بقيَّتَهُ، أو يقول: أنقدني بعضه وأمُدُّ لك في الأجلِ فيما بقي عليك، قال: لا أرى به بأساً إنّه لم يزدد على رأس ماله قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾.[٢]

ونحوها في تفسير العياشي[٣].

وعن أبي‌عمرو الزبيري عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: إنّ التوبة مُطَهِّرة من دنس الخطيئة، قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾، فهذا ما دَعا الله إليه عباده من التوبة، ووَعَدَ عليها من ثوابه، فمن خالف ما أمر الله به التوبة سَخِط الله عليه وكانت النار أولى به وأحقّ.[٤]

وفي صحيحة الحلبي عن أبي‌عبدالله عليه السلام أنّه قال: كلّ ربا أكله النّاس بجهالة ثمّ

---

١. الميزان ٢/ ٤٤٢.
٢. الكافي ١٠/ ٣٦٧، ح٤ (٥/ ٢٥٩)؛ التهذيب ٦/ ٢٠٧، ح٤٧٥؛ الفقيه ٣/ ٢١، ح٥٥.
٣. تفسير العياشي ١/ ٢٧٩، ح٥١٥.
٤. تفسير العياشي ١/ ٢٧٩، ح٥١٦.

تابوا فإنّه يقبل منهم إذا عرف منهم التوبة.

وقال: لو أنّ رجلاً ورث من أبيه مالاً وقد عرف أنّ في ذلك المال ربا ولكن قد اختلط ـ في التجارة ـ بغيره حلال كان حلالاً طيباً فليأكله، وإن عرف منه شيئاً أنّه ربا فليأخذ رأس ماله وليرد الزيادة.[١]

وفي صحيحة أُخرى له عن أبيعبدالله عليه السلام قال: أتى رجل أبي عليه السلام فقال: إنّي ورثت مالاً وقد علمت أنّ صاحبه الّذي ورثته منه قد كان يربي، وقد أعرف أن فيه ربا واستيقن ذلك، وليس يطيب لي حلاله لحال علمي فيه، وقد سألت فقهاء أهل العراق وأهل الحجاز فقالوا: لايحلّ أكله، فقال أبوجعفر عليه السلام: إن كنت تعلم بأنّ فيه مالاً معروفاً ربا وتعرف أهله فخذ رأس مالك وردّ ما سوى ذلك، وإن كان مختلطاً فكله هنيئاً، فإنّ المال مالك، واجتنب ما كان يصنع صاحبه، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد وضع ما مضى من الربا وحرم عليهم ما بقي، فمن جهل وسع له جهله حتّى يعرفه، فإذا عرف تحريمه حرم عليه ووجب عليه فيه العقوبة إذا ركبه كما يجب على من يأكل الربا.[٢]

وفي حسنة أبيالربيع الشامي ـ وهو خالد بن أوفى ـ قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن رجل أربى بجهالة ثمّ أراد أن يتركه، قال: أمّا ما مضى فله، وليتركه فيما يستقبل ثمّ قال: إنّ رجلاً أتى أباجعفر عليه السلام فقال: إنّي ورثت مالاً، وذكر الحديث نحوه.[٣]

في هذا المجال راجع كتابي الآراء الفقهية[٤].

وفي تفسير مُقاتِل في الباقي من شأن نزول الآية السابقة: «فبعث النبي صلى الله عليه وآله بهذه الآية إلى عتاب بن أسيد بمكة فأرسل عتاب إلى بني عمرو بن عمير، فقرأ عليهم الآية، فقالوا: بل نتوب إلى الله عزّ وجلّ، ونذر مابقي من الربا، فإنّه لايدان لنا بحرب الله ورسوله، فطلبوا رءُوس أموالهم إلى بني المغيرة فاشتكوا العسرة...»[٥] فنزلت الآية الآتية.

---

١. وسائل الشيعة ١٨/ ١٢٨، ح٢.
٢. وسائل الشيعة ١٨/ ١٢٩، ح٣.
٣. وسائل الشيعة ١٨/ ١٣٠، ح٤.
٤. الآراء الفقهية ٢/ (١٣٦-١٢٩).
٥. تفسير مقاتل بن سليمان ١/ ١٤٩.

وفي المجمع: قال الصادق عليه السلام: «آكل الربا يؤدب بعد البينة، فإن عاد أُدِّبَ وإن عاد قُتل»[١].

وقد ورد في روايات الفريقين: مَنْ أهان لي وليّاً فقد أرصد لمحاربتي أو بارزني بالمحاربة.[٢]

وعن النبي صلى الله عليه وآله، عن جبرئيل عليه السلام، عن الله عز وجل قال: من عادى أوليائي فقد بارزني بالمحاربة، ومن حارب أهل بيتي فقد حلّ عليه عذابي ومن تولّى غيرهم فقد حلّ عليه غضبي ومن أعزّ غيرهم فقد آذاني ومن آذاني فله النار.[٣]

وعنه صلى الله عليه وآله: قال الله عز وجل: من استذلَّ عبدي المؤمن فقد بارزني بالمحاربة.[٤]

وقال سبحانه: فليأذن بحرب منّي من آذي عبدي المومن أو أخاف لي وليّاً.[٥]

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: مَنْ حلف على يمين وهو يعلم أنّه كذب فقد بارز الله بالمُحارَبَةِ... .[٦]

وعن الرضا عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إذا أُمتي تواكلت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذنوا بوقاع من الله.[٧]

الوقاع: جمع الوقيعة، ربّما سمّي موضع المعركة الوقيعة[٨]، صدمة الحرب والقتال. وجمعها الأُخري: هي الوقائع.

كتب النبي صلى الله عليه وآله إلى كسرى ملك ايران: من محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى كسرى بن هرمز أمّا بعد، فأسلم تَسْلَمْ، وإلّا فأذن بحرب من الله ورسوله، والسلام على من ابتع

---

١. مجمع البيان ٢/ ٣٩٢.
٢. الكافي ١/ ١٤٤؛ وصحيحة حمزة بن بزيع في الكافي ٢/ ٣٥١؛ ومعتبرة معلى بن خنيس في الكافي ٢/ ٣٥٢؛ ومسند أحمد ٦/ ٢٥٦؛ وسنن ابن ماجه ٢/ ١٣٢٠، ح٣٩٨٩.
٣. بحارالأنوار ٢٧/ ٢٠٥.
٤. وسائل الشيعة ١٢/ ٢٠٧.
٥. إرشاد القلوب ١/ ١٤٢.
٦. بحارالأنوار ١٠١/ ٢٨٣.
٧. وسائل الشيعة ١٦/ ١١٨.
٨. ترتيب جمهرة اللغة ٣/ ٦٠٩.

الهدى.[١]

ولأجل هذه الروايات راجع كتابَيْ: ألف حديث في المؤمن[٢] وموسوعة أحاديث أهل البيت[٣]عليهم السلام.

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾

﴿وَإِن كَانَ﴾ كان هنا تامة وهي التي تتم بفاعلها ويكتفي به وتقديره وإن وقع ذوعسرة أو وجد ذوعسرة.

وقيل: كان تكون ناقصة، محذوفة الخبر وتقديره وإن كان ذوعسرة غريماً لكم.

﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾ مَرْفُوْعٌ علىٰ أَنَّهُ فاعِل كان التامَّةِ، أَو اسم كان الناقصة التي يُحْذَفُ خبرها كما مرّ.

العسر: خلاف اليسر وهما من الأُمور الاضافية المختلفة باختلاف الأفراد.

ذوعُسرة: أي ذوإعسار.

والمُعْسِر: مَنْ «لم يقدر على ما يفضل عن قوته وقوت عياله على الاقتصاد»، كما هو المروي عن أبيعبدالله[٤]عليه السلام وفي تفسير روض الجنان[٥] فسره وترجمه بالفارسية إلى «درويش» أي الفقير وعدم وجدان ما يصلح به معاشه واحتياجاته المادية وأُموره الاقتصادية.

وقُرِئ «ذاعسرة» بالنصب بتقدير اضمار اسم كان الناقصة أي: وإن كان الذي

---

١. المناقب ١/ ١١٢ تحقيق د. يوسف البقاعي، ونقل عنه في بحارالأنوار ٢٠/ ٣٨١.
٢. ألف حديث في المؤمن / ١٢١.
٣. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ١/ ٤٧٩.
٤. التبيان ٢/ ٣٦٩ ومجمع البيان ٢/ ٣٩٣.
٥. روض الجنان ٤/ ١١٣.

عليه الدين [الغريم] ذاعسرةٍ. وَنُقِلَتْ[١] هٰذِهِ ٱلْقِراءَةُ من أُبَيٍّ بن كعب وعبدالله بن عباس وعبدالله بن مسعود. وأيضاً عن عثمان[٢].

﴿فَنَظِرَةٌ﴾ أي فعليكم نظرة أو إنظار، والفاء جواب شرط وما بعده خبر في معني الأمر، أي الإنظار والإمهال والتأخير يكون واجباً.

«قيل فيه ثلاثة أقوال: أوّلها: قال شريح وإبراهيم في دين الربا خاصّة.

الثاني: قال ابن‌عباس والضحاك والحسن: في كلّ دين وهو قول أبي‌جعفر عليه السلام وأبي‌عبدالله عليه السلام.

الثالث: بالآية يجب في دين الربا وبالقياس في كلّ دين»[٣].

﴿إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ أي إلى أن يوسع عليه. ميسرة: مصدر بمعنى اليسر واليسار والغني والسَّعة.

ميسرة: قرأ نافع بضم السين والباقون بفتحها وهما لغتان. كمَقْبُرَة ومَقْبَرَة، ومَشْرُقَة ومَشْرَقَة.

وَقُرِئَ إلى ميسره بالاضافة إلى الهاء وحذف التاء عند الإضافة كقوله تعالى: ﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾[٤].[٥]

﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ﴾ من الدِّيْنِ علىٰ المعسر. وإن تضعوا الدين عن المعسر وتتصدقوا به عليه.

وقيل: وإن تصدقوا بجميع المال على الفقراء. وقال الشيخ: «والأوّل أليق بما تقدم»[٦].

وفي الكشّاف: «ندب إلى أن يتصدقوا برؤس أموالهم على من أعسر من

---

١. نقل عنهم الشيخ أبوالفتوح الرازي في روض الجنان ٤/ ١١٣.
٢. نقل عنه الزمخشري في الكشّاف ١/ ٣٢٢.
٣. التبيان ٢/ ٣٦٨.
٤. سورة النور / ٣٧.
٥. كما في جوامع الجامع ١/ ١٥٢.
٦. التبيان ٢/ ٣٦٩.

غرمائهم أو ببعضها، كقوله تعالى ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[١]، وقيل: أُريد بالتصدق الإنظار لقوله ﷺ: لايحلّ دين رجل مسلم فيؤخره إلّا كان له بكلِّ يوم صدقة»[٢].

ويرد على القيل المذكور في كلام صاحب الكشّاف: بأنّ الإنظار واجب والتصدق بالإبراء مستحب فلايمكن حمل التصدق بالإنظار والحديث أجنبي عن المقام كما عن السّيدِ الفقيه السبزواري»[٣].

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ لأنّكم حينئذ ـ بعد التصدق ـ قد بدلتم ما تقصدونه من الزيادة من طريق الربا الممحوق، من الزيادة من طريق الصدقة الرابية حقّاً كما في الميزان[٤].

الروايات

وفي تفسير القمي عن أبيه[٥]عن السكوني عن مالك بن مغيرة عن حماد بن سلمة عن [علي بن زيد بن] جُدْعان عن سعيد بن المسيب عن عايشة أنّها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من غريم ذهب بغريمه إلى والٍ من ولاة المسلمين واستبان للوالي عُسرته إلّا بُرئ هذا المعسر من دينه وصار دينه على والي المسلمين في ما في يديه من أموال المسلمين.

قال عليه السلام: ومن كان له على رجل مال أخذه ولم ينفقه في إسراف أو في معصية فعسر عليه أن يَقْضِيَه فعلىٰ مَنْ له المال أن يَنْظُرَه حتّى يرزُقَه الله فَيَقْضِيه، وإن كان الإمام العادل قائماً فعليه أن يقضي عنه دينه، لقول رسول الله ﷺ: من ترك مالاً فلورثته، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فعلى الإمام ماضمنه الرسول، وإن كان صاحب المال مُؤسِراً وتصدَّق بمالَهُ عليه أو تركه فهو خيرٌ له ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ

---

١. سورة البقرة / ٢٣٧.
٢. الكشّاف ١/ ٣٢٣.
٣. راجع مواهب الرحمن ٤/ ٤٤٧.
٤. الميزان ٢/ ٤٢٣.
٥. الظاهر سقوط النوفلي عن السند، لأنّ إبراهيم بن هاشم ينقل عن السكوني بواسطة النوفلي غالباً.

تَعْلَمُونَ﴾.١

وفي حسنة عامر بن جذاعة قال: جاء رجل إلى أبي‌عبدالله عليه السلام فقال له: يا أباعبدالله قرضٌ إلى ميسرةٍ، فقال له أبوعبدالله عليه السلام: إلى غَلَّةٍ تُدْرَكُ، فقال الرجل: لا والله، قال: فإلى تجارة تُؤَبُّ، قال: لا والله، قال: فإلى عُقْدَةٍ تُبَاعَ، فقال: لا والله، فقال أبوعبدالله عليه السلام: فأنت ممّن جعل الله له من أموالنا حقّاً، ثمّ دعا بكيس فيه دراهم فأدخل يده فيه فناوله منه قبضةً، ثمّ قال له: اتّق الله ولا تُسْرِفْ ولا تَقْتُرْ ولكن بين ذلك قواماً إنّ التبذير من الإسراف قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾٢.٣

الغلة: الدخل من كراء دار أو أجر غلام أو فائدة أرض.

تؤبُّ: من أبَّ: أي قصد، تقصد.

العقدة: الضيعة والعقار الذي اعتقده صاحبه ملكاً اقتناه.

وفي صحيحة معاوية بن عمار عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: مَنْ أراد أن يُظِلَّهُ اللهُ يومَ لا ظلَّ إلّا ظلَّه ـ قالها ثلاثاً ـ فَهَابَهُ النّاسُ أن يسألوه، فقال: فَلْيُنْظِرْ مُعْسِراً أو لِيَدَعْ له مِنْ حَقِّهِ.٤

ورواها العياشي في تفسيره٥.

صحيحة عبدالرحمن بن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال في يوم حارٍّ ـ وحَنّىٰ كَفَّهُ ـ من أحبَّ أن يَسْتَظِلَّ مِنْ فَوْرِ جهنَّمَ؟ ـ قالها ثلاث مرّات ـ فقال النّاس في كلّ مرّة: نحن يا رسول الله، فقال: من أنظر غريماً أو ترك لِمُعْسِرٍ.

ثمّ قال لي أبوعبدالله عليه السلام: قال لي عبدالله بن كعب بن مالك: إنّ أبي أخبرني أنّه لزم غريماً له في المسجد فأقبلَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله فدخل بيته ونحن جالسان ثمّ خرج في الهاجِرَةِ فكشف رسول الله صلى الله عليه وآله سِتْرَهُ وقال: يا كعب مازلتما جالسين! قال: نعم، بأبي وأمّي، قال: فأشار رسول الله صلى الله عليه وآله بكفّه خُذْ النصفَ، قال: فقلتُ بأبي وأمّي، ثمّ قال:

---

١. تفسير القمي / ٥٠ [١/ ٩٤].
٢. سورة الإسراء / ٢٦.
٣. الكافي ٧/ ١٨، ح١٥ (٣/ ٥٠١).
٤. الكافي ٧/ ٢٩٠، ح١ (٤/ ٣٥).
٥. تفسير العياشي ١/ ٢٧٩، ح٥١٧.

أَتْبِعْهُ ببقيَّةِ حَقِّكَ، قال: فأخَذْتُ النصفَ ووَضَعْتُ له النصفَ.١

حَتّىٰ كفّه، مخفة ومشددة: لواه وعطفه وأماله، فور جهنم: غليانها ووهجها. الهاجرة: شدّة الحر في نصف النهار.

خبر يعقوب بن سالم عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: خَلُّوا سبيلَ المعسِرِ كما خلّاه الله عزوجل.٢

خبر عبدالله بن الحسن بن الحسن عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: صعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنبر ذات يوم فحمدالله وأثنىٰ عليه وصلّىٰ على أنبيائه ـ صلى الله عليهم ـ ثمّ قال: أيها النّاس لِيُبَلِّغْ الشاهدُ منكم الغائبَ، ألا ومَنْ أنْظَرَ مُعْسِراً كان له على الله عزوجل في كلّ يوم صدقةٌ بمثل ماله حتّى يَسْتَوْفِيَهُ، ثمّ قال أبوعبدالله عليه السلام: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فهو خيرٌ لكم.٣

خبر أبي‌محمّد ـ وهو رجل من أهل الجزيرة ـ قال سأل الرضا عليه السلام رجلٌ وأنا أسمع فقال له: جعلتُ فداك إنّ الله عزوجل يقول: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ أخبرني عن هذه النظرة التي ذكرها الله عزوجل في كتابه لها حدٌّ يُعْرَفُ إذا صار هذا المعسر إليه لابدّ له من أن يُنْتَظَرَ وقد أخذ مالَ هذا الرجلِ وأنْفَقَهُ على عياله وليس له غلّة يُنْتَظَرُ إدراكُها ولا دين ينتظر مَحِلُّهُ ولا مالٌ غائبٌ ينتظر قدومُهُ؟ قال: نعم، ينتظر بقدر ما ينتهي خَبَرُهُ إلى الإمام فيقضي عنه ما عليه من سهم الغارمين إذا كان أنفقه في طاعة الله عزوجل فإن كان قد أنفقه في معصية الله فلا شيء له على الإمام، الحديث.٤

وروى نحوها العياشي في تفسيره٥.

وفي العياشي عن أبي‌الجارود عن أبي‌جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سَرَّه أن يقيه الله من نفحات جهنم فلينظر معسراً أو ليدع له من حقّه.٦

---

١. الكافي ٧/ ٢٩١، ح٢ (٤/ ٣٥).
٢. الكافي ٧/ ٢٩١، ح٢ (٤/ ٣٥).
٣. الكافي ٧/ ٢٩٢، ح٤ (٤/ ٣٥).
٤. الكافي ٩/ ٥٨١، ح٥ (٥/ ٩٣).
٥. تفسير العياشي ١/ ٢٨١، ح٥٢٤.
٦. تفسير العياشي ١/ ٢٨٠، ح٥١٨.

وفيه: عن إسحاق بن عمار قلتُ لأبي‌عبدالله عليه السلام : ما للرجل أن يَبْلُغَ من غريمه؟ قال: لا يبلغ به شيئاً، الله أنظره.[١]

وفيه: عن أبان عمّن أخبره عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في يوم حارّ: من سَرَّه أن يُظِلَّه الله يوم لا ظلَّ إلّا ظلُّه، فليُنْظِر غريماً أو لِيَدَع لِمُعْسِر.[٢]

وفيه: عن حنان بن سدير عن أبيه عن أبي‌جعفر عليه السلام قال: يبعث الله قوماً من تحت العرش يوم القيامة ووجوههم من نور ولباسهم من نور ورياشهم من نور جلوساً على كراسيّ من نور.

قال فيُشرِف الله لهم الخَلْقَ فيقولون: هؤلاء الأنبياء؟ فينادي مُنادٍ من تحت العرش: ليسوا بأنبياء.

قال: فيقولون: هولاء شهداء؟ قال: فينادي منادٍ من تحت العرش: ليس هؤلاء شهداء، ولكن هؤلاء قومٌ يُيَسِّرون على المؤمنين، ويُنظِرُون المُعْسِرَ حتّى يَيْسِر.[٣]

وفيه: عن ابن سنان عن أبي‌حمزة قال: ثلاثة يُظِلُّهم الله يوم القيامة يوم لا ظِلَّ إلّا ظِلُّه: رجلٌ دَعَته امرأةٌ ذاتُ حُسنٍ إلى نفسها فتركها، وقال: إنّي أخاف الله ربّ العالمين، ورجلٌ أنظر مُعْسِراً أو ترك له من حقِّه، ورجُلٌ مُعلَّقٌ قلبه بحبِّ المساجد. ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ يعني أن تصدّقوا بما لكم عليه فهو خيرٌ لكم، فَلْيَدَع مُعْسِراً أو لِيَدَع له من حَقِّه نظراً.

قال أبوعبدالله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أنظر مُعْسِراً كان له على الله في كلّ يومٍ صدقةٌ بمثل ماله عليه، حتّى يستوفي حقَّه.[٤]

وعن الصادق عليه السلام عن الباقر عليه السلام عن أبي‌لبابة بن عبدالمنذر أنّه جاء يتقاضى أبا اليَسَر[٥] ديناً له عليه، فسمعه يقول: قولوا له: ليس هو هنا، فصاح أبولبابة: يا أبا اليسر

---

١. تفسير العياشي ١/ ٢٨٠، ح٥٢٠.
٢. تفسير العياشي ١/ ٢٨٠، ح٥٢١.
٣. تفسير العياشي ١/ ٢٨١، ح٥٢٢.
٤. تفسير العياشي ١/ ٢٨١، ح٥٢٣.
٥. ابواليَسَر: هو كعب بن عمرو الأنصاري السَّلُمي، صحابيٌ بدريٌّ، وهو الذي أسر العباس بن عبدالمطلب، وشهد صفين مع أميرالمؤمنين عليه السلام؛ راجع ترجمته في سير أعلام النبلاء ٢/ ٥٣٧.

اخرج إليَّ، فخرج إليه، قال فقال: ما حملك على هذا؟ قال: العُسر يا أبا لبابة، قال: الله؟ قال: الله، قال أبولبابة: سمعت رسول اللهﷺ يقول: مَنْ أحبَّ أن يستظلَّ مِنْ فور جهنم؟ قلنا: كلُّنا نحبُّ ذلك يا رسول الله، قال: فلينظر غريماً له أو فليدع المعسر.[١]

روي مختصرها في تفسير العياشي[٢].

وفي التبيان في معنىٰ الميسرة عن أبيجعفرعليه السلام قال: إلى أن يبلغ خبره الإمام فيقضي عنه من سهم الغارمين إذا كان أنفقه في معروف.[٣]

وفيه: روي عن ابن‌عباس وعمر: أنّ آخر ما نزلت من القرآن آي الربا.[٤]

﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾

آية عظيمة وَتَنْبِيْهٌ بالِغٌ لمن توجَّه إليها من الرجوع إلى الله ويوم المعاد وميزان الأعمال وبلوغ كلّ انسان بما عمله في الدنيا من خير أو شرّ من ثواب أو عقاب، وقد جُعلت تذييلاً لآيات الربا لما فيها من الإنذار والالتفات واليقظة.

قال ابن‌عباس وعطية والسُدّي: هذه الآية آخر ما نَزَلَ من القرآن، وقال جبرئيلعليه السلام: ضعها في رأس الثمانين والمائتين من البقرة.[٥]

وعن الزمخشري: «عاش رسول اللهﷺ بعدها أَحَداً وعشرين يوماً وقيل: إحدى وثمانين وقيل: سبعة أيام، وقيل: ثلاث ساعات»[٦].

وفي تفسير مُقاتِلٍ: «توفّى النبيﷺ بعدها بتسع ليال»[٧].

---

١. أمالي المفيد، المجلس السابع والثلاثون، ح٧/ ٤١٥.
٢. تفسير العياشي ١/ ٢٨٠، ح٥١٩.
٣. التبيان ٢/ ٣٦٩؛ مجمع البيان ٢/ ٣٩٣ و٣٩٤.
٤. التبيان ٢/ ٣٦٩؛ مجمع البيان ٢/ ٣٩٣ و٣٩٤.
٥. التبيان ٢/ ٣٦٩؛ مجمع البيان ٢/ ٣٩٤.
٦. الكشّاف ١/ ٣٢٣.
٧. تفسير مقاتل ١/ ١٥٠.

وعن الطبرسي قال: «قال المفسرون لما نزلت هذه الآية ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[١] قال رسول الله ﷺ: ليتني أعلم متى يكون ذلك فأنزل الله تعالى سورة النصر: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾[٢] فكان رسول الله ﷺ يسكت بين التكبير والقراءة بعد نزول هذه السورة، فيقول: سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه، فقيل له: إنّك لم تكن تقوله قبل هذا؟ فقال أمّا إنّ نفسي نعيت إليَّ ثمّ بكى بكاءً شديداً، فقيل: يارسول الله أو تبكي من الموت وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: فأين هول المطلع وأين ضيق القبر وظلمة اللحد وأين القيامة والأهوال. فعاش رسول الله ﷺ بعد نزول هذه السورة عاماً تاماً ثمّ نزلت ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾[٣] إلى آخر السورة وهذه السورة آخر سورة كاملة نزلت من القرآن. فعاش رسول الله ﷺ بعدها ستة أشهر ثمّ لمّا خرج رسول الله ﷺ إلى حجةالوداع نزلت عليه في الطريق ﴿يَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ﴾[٤] إلى آخرها فسميت آية الصيف ثمّ نزل عليه وهو واقف بعرفة ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[٥] الآية فعاش بعدها أحداً وثمانين يوماً ثمّ نزلت عليه آيات الربا ثمّ نزلت بعدها ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وهي آخر آية نزلت من السماء فعاش رسول الله ﷺ بعدها أحداً وعشرون يوماً. وقال ابن جريح تسع ليال وقال سعيد بن جبير ومقاتل سبع ليالٍ ثمّ مات يوم الإثنين لليلتين خلتا من ربيع الأوّل حين بزغت الشمس، وروى أصحابنا لليلتين بقيتا من صفر سنة إحدي عشرة من الهجرة ولسنة واحدة من ملك اردشير بن شيرويه بن ابرويز بن هرمز بن انوشروان، بنفسي هو ﷺ حيّاً وميّتاً»[٦].

نقلت الرواية في تفسير الثعلبي[٧] وأبي‌الفتوح الرازي[١] و مناقب ابن شهرآشوب[٢] مع حذف:

---

١. سورة الزمر / ٣٠.
٢. سورة النصر / ١.
٣. سورة التوبة / ١٢٨.
٤. سورة النساء / ١٢٧.
٥. سورة المائدة / ٣.
٦. مجمع البيان ٢/ ٣٩٤.
٧. الكشف والبيان ٢/ ٢٩٠.

«فعاش رسول الله ﷺ إلى فعاش رسول الله ﷺ» الثانية في كلام الطبرسي.

وهي عاميّة، والشاهد عليها حِكايَةُ نُزولِ آيةِ الإكمال في يوم عَرَفَةَ مع وضوح أنّها نزلت في يوم غدير خم كما صححها شيخنا أبوالفتوح الرازي في روضه[٣].

﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا﴾ أي واحذروا يوماً، واخشوا يوماً وتأهبوا لمصيركم إليه.

﴿يوماً﴾ منصوب لأنّه مفعول به وليس مَنْصُوْباً على الظرف، لأنه ليس المعنىٰ اتقوا في هذا اليوم كما في المجمع[٤]. يعني اتقوا من نفس اليوم واحذروه واخشوه.

واليوم لا يُتَّقىٰ منه بل إنما يُتَّقىٰ ما يحدث فيه من الشدة والأهوال[٥]، واتقاء تلك الأهوال لايمكن إلّا في دار الدنيا بمجانبة المعاصي وملازمة الواجبات.

﴿تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ قال الشيخ: «وقيل في معناه قولان:

أحدهما: ترجعون فيه إلى جزاء الله.

الثاني: ترجعون فيه إلى ملك الله لنفعكم وضرّكم دون غيره ممّن كان ملكه إيّاه في دار الدنيا»[٦].

تَرْجِعُونَ: بُنِيَ على الفاعل وتُرْجَعُونَ: بُنِيَ على المفعول

قرأ أبوعمرو ويعقوب بفتح التاء والباقون بضمها. وجملة: ﴿تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ في موضع نصب لكونها صفة لقوله: ﴿يَوۡمٗا﴾.

ومعنىٰ الرجوع يشمل الذهاب الابتدائي أيضاً؛ بل مادة رجع تأتي بمعنى العود إلى ما كان منه فيصير المعنىٰ كقوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[٧] وكقوله تعالى: ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ﴾[٨]، والرجوع هنا هو المعاد كما قاله ٱلسيّدُ السبزواري[٩]ﷺ.

---

١. روض الجنان ٤/ ١٢٠.
٢. المناقب ١/ ٢٣٤.
٣. روض الجنان ٤/ ١٢٠.
٤. مجمع البيان ٢/ ٣٩٤.
٥. كما نقل الفخر عن القاضي في تفسيره ٧/ ١٠٤.
٦. التبيان ٢/ ٣٦٩.
٧. سورة البقرة / ١٥٦.
٨. سورة هود / ٤.
٩. مواهب الرحمن ٤/ ٤٤٨.

﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ قال الشيخ: «قيل: فيه وجهان:

أحدهما: تُوَفّىٰ جزاء ما كسبت من الأعمال.

الثاني: تُوَفّىٰ بما كسبت من الثواب أو العقاب، لأنّ الكسب على وجهين: كسب العبد لفعله، وكسبه لما ليس من فعله ككسبه المال»[١].

وفيه: «وموضع ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ نصب بأنّه عطف على صفة ﴿يوماً﴾ إلّا أنّه حذف منه «فيه» لدلالة الأوّل عليه»[٢].

ما كسبت: من خير أو شر.

الوفاء والتوفية وَٱلْإِيْفاءُ: بمعنىٰ الإتمام. الكسب: العلم. وفي ذلك اليوم تَجِدُ كلّ نفس ما عملت محضراً.

﴿وَهُمْ﴾ أي النّاس كلّهم.

﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي لاينقصون ما يستحقونه من الثواب ولايزداد عليهم فيما يستحقونه من العقاب.

وفيه تأكيد لِوَفاءِ ٱلْجَزاءِ وَإِتْمامِهِ.

قال الشيخ: «والآية تدل على أنّ الجزاء لايكون إلّا على الكسب لأنّه لو كان خاصاً لجرى مجرىٰ توفّى كلّ نفس ما قالت، وليس مفهومه كذلك لأنّه عام فيما يجازي به العبد»[٣].

هذا هو مذهب الكسب الذي قال به شيخ الطائفة برهة من الزمن ثمّ رجع عنه والحقّ أنّ العقاب على العفو والمسامحة والإغماض والثواب على الفضل والجود والكرم فليس الجزاء على الكسب وإلّا صار يوم القيامة يوم واويلاه... .

---

١. التبيان ٢/ ٣٧٠.
٢. التبيان ٢/ ٣٧٠.
٣. التبيان ٢/ ٣٧٠.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ صدّقوا الله ورسوله في العمل بأحكامه إن كنتم مؤمنين.

﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ﴾ الدَّين: اشتغال الذمة بما يتعلق بالغير؛ مالاً كان أو حقّاً. والتداين: التعامل بمعاملة فيها دين؛ سواء كانت بيعاً أو قرضاً أو إجارة أو غيرها. وصيغة التفاعل لأنّها متقوم بالإثنين والمراد بها مداينة بعضهم بعضاً.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ أي الوقت المعلوم المذكور الذي لا جهالة فيه.

﴿فَٱكۡتُبُوهُ﴾ أمر بكتابة الدين مع ذكر الأجل والمدّة حفظاً للحقوق، وإطلاق الآية يشمل المباشرة والتوكيل في الكتابة. وحكمة الكتابة تدلّنا على أنّها مُسْتَحَبَّةٌ كما عليه إجماع الأصحاب وعمل المتشرعة.

﴿وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ أي إذا لم يَكْتُبِ المُتعاملانِ فليكتب بينهما كاتب آخر يعرف الأحكام الشرعية وهو موصوف بالعدالة أي الاستقامة والاستواء

في الدين لله تعالى.

﴿وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ﴾ حيث أنّ الكتابة والعلم بها نعمة من الله تعالى على الكاتب فلابدّ أن يطيع الله في أمره تعالى بالكتابة وليس له الإباء من أمره تعالى، فعليه أن يكتب شكراً لنعمة الله عليه وحفظاً لحقوق النّاس.

﴿وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ﴾ الإملال: الإملاء، أي المدين الذي أخذ الدِّين هو الذي يملي على الكاتب حتّى يكتب.

﴿وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗا﴾ الذي عليه الحق وهو المدين لابدّ أن يلاحظ تقوى الله سبحانه في إملائه ويذكر جميع الخصوصيات الدخيلة في الدَّيْنِ ولا ينقص منه شيئاً.

﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ أي إذا كان المدين سفيهاً وهو الذي لايقدر على حفظ ماله وإدارته أو ضعيفاً وهو الذي يكون ضعيفاً في عقله لجنونٍ أو صِغَرٍ أو تَشْوِيْهٍ. أو لايستطيع الإملاءَ لخرس أو مرض، فليملل وليّه الشرعي من والده أو جده أو المنصوب من قبل الشارع مقامه الذي يتولى أمره ويديره. ولابدّ أن يكون إملاء الولي بالعدل وعلى جادَّةِ الشريعة.

﴿وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ﴾ فليطلبا ـ الدائن والمدين ـ شاهِدَيْنِ من رجال المسلمين الثِّقات ٱلۡأَثۡبَاتِ. واستعمل اللفظ [الشاهد] قبل التلبس بالمبدأ.

﴿فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ فإن لم يكن في البين رجلان مسلمان عدلان ثقتان فيكفي رجل واحد كذلك وامراتان مسلمتان عادلتان موثقتان والصفات تستفاد من قوله تعالى: ﴿مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ بل يكفي شهادة عدل واحد مع يمين المدعي في الدعاوي المالية.

﴿أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾ تعليل لقيام ٱمۡرَأَتَيۡنِ مقام رجل واحد، بحيث إن تضل إِحْدىٰ الإمرأتين تُذَكِّرُها الأُخرىٰ؛ ومنه تُستفاد أيضاً حكمة أخذ شاهدين.

﴿وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾ أي لايمتنعوا إذا دعوا إلى تحمل الشهادة؛ بل

أدائِها بعد تحملها.

قد يقال: بوجوب الأداء إذا دعُوا إلى التحمل فتحملا فحينئذ يجب عليهما الأداء.

﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾ السأم: الملالة والكسالة، أي لا تملّوا من كتابة الدِّين بلا فرق بين صغيره وكبيره ومن ذكر الأجل والمدّة في الدين وتكرار الأجل والنهي عن ملالة الكتابة يدلان على الأهمية عند الشارع.

﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ كلمة القسط يأتي بعنوان العدل والجور فهو من الأضداد وببالي العدل إذا كان في الأُمور المالية يعبر عنه بالقسط. فالكتابة بهذه الكيفية مع ذكر الأجل واستشهاد شاهدين يكون أقرب عندالله تعالى بالعدالة والقسط. ويكون موجباً لإيصال كلّ ذي حقٍّ إلى حقّه.

﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَـٰدَةِ﴾ وكذلك يكون قوام الشهادة أفضل.

﴿وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾ وكذلك يوجب عدم الإرتياب والترديد والشك.

﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ وأمّا إذا كانت تجارة ومعاملة نقداً في العوضين فلا بأس من أن لا يكتبوا، ويظهر منه إذا كان أحد طرفي المعاملة غير نقدٍ فلابدّ من الكتابة.

ولكن حتّى في فرض المعاملات النقدية أمر الله تعالى بأخذ الشاهدين فلا تكرار في الآية لأن أخذ الشاهدين مندوب حتّى في المعاملات النقدية.

﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ يضارَرْ: بفتح الراء الأُولى إن كان مجهولاً وبكسرها إن كان معلوماً يكون أصل يضارّ. ومعناها عدم تضرر الكاتب والشاهد من كتابتهم وشهادتهم وكذلك عدم تضرر المتعاملين من الكتابة والشهادة والمضارة: الضرر المتقابل بحيث كلّ يتضرر بالآخر.

﴿وَإِن تَفْعَلُواْ﴾ أي بالمضارة.

﴿فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ﴾ فسق يظهر منكم وتدخلون بواسِطَتِه في الفسق.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي اتقوا الله في المبادلات المالية وكتاباتها وشهاداتها وكذلك في غيرها وتقوى الله تعالى تُوْجِبُ تعليم الله لكم وإِعْلامَكُمْ بِالْفَوائد الدنيوية

والدينية بل ما تَقومُ بِهِ حياتكم في الدنيا والآخرة.

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه هو حالكم وما هو الأنفع والأصلح لكم في الدنيا والآخرة، واتقوه حتّى يرشدكم إليه.

الروايات

وفي تفسير القمي: فقد روى عن الخيران: في البقرة خمسمأة حكم وفي هذه الآية خمس عشر حكماً.[١]

خبر علي بن مهزيار عمن ذكره عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: لما عُرِضَ على آدم ولده نظر إلى داود فأعجبه فزاده خمسين سنةً من عمره، قال: ونزل عليه جبرائيل وميكائيل فكتب عليه ملك الموت صكاً[٢] بالخمسين سنة، فلما حضرته الوفاة أنزل عليه ملك الموت فقال آدم: قد بقي من عمري خمسون سنة، قال: فأين الخمسون التي جعلتها لابنك داود؟ قال: فإمّا أن يكون نسيها أو أنكرها. فنزل جبرائيل وميكائيل عليهما السلام فشهدا عليه وقبضه ملك الموت، فقال أبوعبدالله عليه السلام: كان أوّل صك كُتِبَ في الدنيا.[٣]

وفي حديث آخر طويل نحوه غير أن فيه: إنّ عمر داود كان أربعين سنة فزاده آدم ستين تمام المائة.[٤]

وفي خبر عبدالله بن سنان عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: من ذهب حقُّهُ على غير بينةٍ لم يُؤْجَرْ.[٥]

وفي موثقة سماعة عن أبي‌عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾ قال: لا ينبغي لأحد إذا دُعي إلى شهادة يشهد عليها أن يقول لا أشهد لكم.[٦]

وفي صحيحة الحلبي عن أبي‌عبدالله عليه السلام مثله، وقال: فذلك قبل الكتاب.[٧]

---

١. تفسير القمي / ٥٠ من الطبع الحجري.
٢. الصك: كتاب الاقرار بالمال أو غيره.
٣. الكافي ١٤/ ٥٦١، ح١ (٧/ ٣٧٩)،؛ نورالثقلين ١/ ٣٥٧، ح١١٩١.
٤. الكافي ١٤/ ٥٦٠، ح٢ (٧/ ٣٧٩)،؛ نورالثقلين ١/ ٣٥٧، ح١١٩١.
٥. الكافي ١٠/ ٤٩٦، ح٣ (٥/ ٢٩٨)،؛ نورالثقلين ١/ ٣٥٩، ح١١٩٧.
٦. الكافي ١٤/ ٥٦١، ح١ (٧/ ٣٧٩)،؛ نورالثقلين ١/ ٣٥٩، ح١١٩٩.
٧. الكافي ١٤/ ٥٦٣، ذيل ح٢ (٧/ ٣٧٩)،؛ نورالثقلين ١/ ٣٦٠، ح١٢٠٠.

وفي صحيحة محمّد بن الفضيل عن أبي‌الحسن عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾ فقال: إذا دعاك الرجل لِتشهد له على دينٍ أو حقٍّ لم ينبغ لك أن تتقاعس عنه.[١]

وفي صحيحة هشام بن سالم عن أبي‌عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾ قال: قبل الشهادة.[٢]

وفي خبر داود بن سرحان عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: لا يأبَ الشهداءُ أن تُجيبَ حين تُدْعىٰ قبلَ الكتابِ.[٣]

و في تفسير العياشي: عن ابن‌سِنان، قال: قلتُ لأبي‌عبدالله عليه السلام: متى يُدفع إلى الغُلام ماله؟ قال: إذا بلغ وأُونِس منه رُشد، ولم يكن سفيهاً أو ضعيفاً.

قال: قلت: فإنّ منهم من يَبْلُغ خمس عشرة سنة وستّ عشرة سنة، ولم يبلُغ؟ قال: إذا بلغ ثلاث عشرة سنة جاز أمره، إلّا أن يكون سفيهاً أو ضعيفاً.

قال: قلتُ: وما السّفيه والضّعيف؟ قال: السّفيه: شارب الخمر، والضّعيف: الذي يأخُذ واحداً باثنين.[٤]

عن يزيد أبي أُسامة، عن أبي‌عبدالله عليه السلام، قال: سألتُهُ عن قول الله عز وجل ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾، قال عليه السلام: لا ينبغي لأحد إذا ما دُعي إلى الشهادة ليشهد عليها، أن يقول: لا أشهد لكم.[٥]

عن محمّد بن الفُضيل، عن أبي الحسن موسى عليه السلام، في قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾، قال عليه السلام: إذا دعاك الرجُل لتشهد على دَين أو حقّ لاينبغي لأحدٍ

---

١. الكافي ١٤/ ٥٦٣، ح٣ (٧/ ٣٨٠)؛ نورالثقلين ١/ ٣٦٠، ح١٢٠١.
٢. الكافي ١٤/ ٥٦٣، ح٤ (٧/ ٣٨٠)؛ نورالثقلين ١/ ٣٦٠، ح١٢٠٢.
٣. الكافي ١٤/ ٥٦٤، ح٦ (٧/ ٣٨٠)؛ نورالثقلين ١/ ٣٦٠، ح١٢٠٣.
٤. تفسير العياشي ١/ ٢٨٢، ح٥٢٥؛ بحارالأنوار ١٠٣/ ١٦٤، ح١١.
٥. تفسير العياشي ١/ ٢٨٢، ح٥٢٦؛ الكافي ٧/ ٣٧٩، ح١ و٢؛ التهذيب ٦/ ٢٧٥، ح٧٥١؛ بحارالأنوار ١٠٤/ ٣١٢، ح١٤.

أن يتقاعس عنه.[١]

عن أبي الصَّبَّاح، عن أبي‌عبدالله عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾، قال: لا ينبغي لأحدٍ إذا ما دُعِي للشهادة أن يَشْهَد عليها، أن يقول: لا أَشْهَد لكم، وذلك قبل الكتاب.[٢]

عن هِشام، عن أبي‌عبدالله عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ﴾، قال: قبل الشهادة.[٣]

الصدوق بإسناده المعتبر إلى أبي‌جعفر عليه السلام انّه قال: إن الله عزّ وجلّ عرض على آدم أسماء الأنبياء وأعمارهم. قال: فمرّ آدم باسم داود النّبي صلى الله عليه وآله فإذا عمره في العالم أربعون سنة، فقال آدم: يا ربَّ ما أقل عمر داود وما أكثر عمري؟ يا ربَّ إن أنا زدت داود من عمري ثلاثين سنة أثبت ذلك له؟ قال: نعم يا آدم، قال: فإنّي قد زدته من عمري ثلاثين سنة فأنفذ ذلك له وأثبتها له عندك واطرحها من عمري، قال أبوجعفر عليه السلام: فأثبت الله عزّ وجلّ لداود في عمره ثلاثين سنة وكانت له عند الله مثبتة فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [٤] قال: فمحى الله ما كان عنده مثبتاً لآدم وأثبت لداود ما لم يكن عنده مثبتاً، قال: فمضى عمر آدم فهبط ملك الموت ليقبض روحه، فقال له آدم: يا ملك الموت إنّه قد بقي من عمري ثلاثون سنة؟ فقال له ملك الموت: يا آدم ألم تجعلها لا بنك داود النّبي وطرحتها من عمرك حين عرض عليك أسماء الأنبياء من ذريتك وعرضت عليك أعمارهم وأنت يومئذ بوادي الدخياء؟ فقال له آدم: ما أذكر هذا، قال: فقال له ملك الموت: يا آدم لاتجحد ألم تسأل الله عزّ وجلّ أن يثبتها لداود ويمحوها من عمرك فأثبتها لداود في الزبور، ومحاها من عمرك في الذكر؟ قال آدم: حتّى أعلم ذلك، قال أبوجعفر عليه السلام: وكان آدم صادقاً لم يذكر ولم

---

١. تفسير العياشي ١/ ٢٨٣، ح٥٢٧؛ الكافي ٧/ ٣٨٠، ح٣؛ التهذيب ٦/ ٢٧٦، ح٧٥٤؛ بحارالأنوار ١٠٤/ ٣١٢، ح١٥، وفي نخستين: يتقاعس عنها.
٢. تفسير العياشي ١/ ٢٨٣،ح٥٢٨؛ الكافي ٧/ ٣٨٠، ح٢، بحارالأنوار ١٠٤/ ٣١٢، ح١٦.
٣. تفسير العياشي ١/ ٢٨٣، ح٥٣١؛ بحارالأنوار ١٠٤/ ٣١٢، ح١٨.
٤. سورة الرعد/ ٣٩.

يجحد، فمن ذلك اليوم أمر الله تبارك وتعالى العباد أن يكتبوا بينهم إذا تداينوا وتعاملوا إلى أجل كذا لنسيان آدم وجحوده ما جعل على نفسه.[١]

عن عبدالله بن سنان عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: سأله أبي وأنا حاضر عن اليتيم متى يجوز أمره؟ قال: حتّى يبلغ أشدَّه. قال: وما أشدَّه؟ قال: احتلامه. قال: قلت: قد يكون الغلام ابن ثمان عشرة سنة أو أقل أو أكثر ولم يحتلم؟ قال: إذا بلغ وكتب عليه الشيء جاز أمره إلّا أن يكون سفيهاً أو ضعيفاً.[٢]

في خبر عبدالله بن سنان عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: سأله أبي وأنا حاضر عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾[٣] قال: الاحتلام قال: فقال: يحتلم في ست عشرة وسبع عشرة سنة ونحوها، فقال: إذا أتت عليه ثلاث عشرة سنة كتبت له الحسنات وكتبت عليه السيئات وجاز أمره، إلّا أن يكون سفيها أو ضعيفاً فقال: وما السفيه؟ فقال: الذي يشتري الدرهم بأضعافه، فقال: وما الضعيف؟ قال: الأبله.[٤]

خبر داود بن الحصين عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: سألته عن شهادة النساء في النكاح بلا رجل معهنَّ إذا كانت المرأة منكرة، فقال: لابأس به... إلى قوله، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يجيز شهادة امرأتين في النكاح عند الإنكار، ولا يجيز في الطلاق إلّا شاهدين عدلين، قلت: فأنّىٰ ذكر الله تعالى وقوله: ﴿فَرَجُلٌ وَٱمۡرَأَتَانِ﴾؟ فقال: ذلك في الدين إذا لم يكن رجلان فرجل وامرأتان، ورجل واحد ويمين المدعي إذا لم يكن امرأتان قضى بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام بعده عندكم.[٥]

---

١. علل الشرائع / ٥٥٣، ح١؛ نورالثقلين ١/ ٣٥٦، ح١١٩٠.
٢. الخصال ٢/ ٤٩٥، باب الثلاثة عشر، ح٣؛ نورالثقلين ١/ ٣٥٨، ح١١٩٤.
٣. سورة القصص / ١٤ وسورة يوسف / ٢٢ وفي الحديث: حتّى إذا بلغ أشدّه.
٤. التهذيب ٩/ ١٨٢، ح٦؛ نورالثقلين ١/ ٣٥٧، ح١١٩٣.
٥. التهذيب ٦/ ٢٨١، ح١٧٩؛ نورالثقلين ١/ ٣٥٩، ح١١٩٨.

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٨٣﴾

في الآية الشريفة ذُكِرَت الأعذار المانعة من الكتابة فيكون هٰذا ٱلذِّكْرُ لَها استثناءً من الأحكام السابقة.

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي مسافرين «وليس الغرض تخصيص حكم الإرتهان بحال السفر ولكن السفر لما كان مظنة لإعواز الكتب والإشهاد أمر المسافر بأن يقيم الإرتهان مقام الكتاب والإشهاد على سبيل الإرشاد إلى حفظ المال»[١].

﴿وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا﴾ للكتابة في الصك ولا شهوداً تشهدونهم.

في الكشّاف: «قرأ ابن‌عباس وأُبيّ: «كتاباً» وقال ابن‌عباس: أرأيت إن وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة. وقرأ أبوالعالية: كتبا. وقرأ الحسن: كُتّاباً جمع كاتب»[٢].

﴿فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ رِهانٌ: جمع رهن، الذي يستوثق به، أي يعطي الوثيقة رهناً، الرهن: مصدر رهنتُ الشيء عند الرجل رهناً أي إذا وضعته عنده شيئاً. وكلّ شيء يحتبس غيره فهو رهنية ومرتهنة. وأصل الرهن: حبس الشيء بما عليه.

والرهن في الشريعة المقدسة هو الوثيقة للدَّيْنِ.

و أمّا ﴿رِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ رهان خبر مبتدأ محذوف ويجوز أَنْ يَكُوْنَ مبتدأً لخبر محذوف بأن يكون التقدير رهان مقبوضة تَقُوْمُ مقام الوثيقة بالصك والشهود.

والقبض شرط في صحة الرهن إجماعاً.

ويجوز أخذ الرهن في الحضر مع وجود الكاتب لما روي أنّ النبيﷺ اشترىٰ

---

١. جوامع الجامع ١/ ١٥٥.
٢. الكشّاف ١/ ٣٢٨.

طعاماً نَساءَ[١] ورهن فيه درعاً.[٢]

﴿فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضًا﴾ أي إن أمن صاحبُ الحقِّ المديونَ ولم يأخذ منه الكتاب ولا الرهن، وبعبارة أُخري: إن أمن بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به أو لغيره من الأُمور.

فَيَظْهَرُ منه أن الكتابة والاشهاد والرهانة في ٱلۡمُدايَنَةِ وغيرها ليس بواجب شرعاً وإنّما هو على جهة الاحتياط والتحفظ على حفظ الأموال وعدم ضياعها.

﴿فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ﴾ وهو الذي عليه الحق وَسُمِّيَ الدَّيْنَ أمانةً: لِاِئْتِمانِهِ عليه بترك الارتهان منه.[٣]

﴿أَمَٰنَتَهُۥ﴾ أي ما اوتمن فيه، فهو مصدر بمعنية المفعول، أمره سبحانه بأن يؤدي دينه (أمانته) إلى صاحب الحقّ الذي أُوتمنه تماماً كاملاً وافياً في وقته من غير مطل ولا تسويف.

﴿وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ تعليل لأداء الأمانة الماضية.

﴿وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ﴾ بعد الدعوة إلى تحمّلها، وتحمّلها، لايجوز للشاهد الاستنكاف من إقامتها بعد الدعوة إلى أدائها. فيجب عليه إقامة الشهادة.

﴿وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥ﴾ فلو لم يقم الشهادة وكتمها فإن الكاتم آثم قلبه، نسب الاثم إلى القلب مجازاً، لأنّه محلّ الكتمان وهو رئيس الأعضاء، إن صلح صلح الجسد وإن فسد فسد الجسد كلّه ولأنّ أفعال القلوب أهم من أفعال الجوارح.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ والله بما تعملون من أداءِ الأمانة وديونهم وإقامة الشهادة وجميع أعمالهم عليم.

الروايات

في صحيحة هشام بن سالم عن أبيعبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَن يَكۡتُمۡهَا

---

١. النَّساءُ كَالنَّسِيْئَةِ وَهُوَ التأخِيْرُ.
٢. التبيان ٢/ ٣٨٠.
٣. الكشّاف ١/ ٣٢٩؛ جوامع الجامع ١/ ١٥٥.

فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلۡبُهُۥ﴾ قال: بعد الشهادة.[١]

ورواها العياشي في تفسيره[٢].

وفي خبر جابر عن أبي‌جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من كتم شهادة أو شهد بها لِيُهْدِرَ لها بها دم أمرئٍ مسلم أو لِيَزْوِيَ مالَ أمرئٍ مسلمٍ أتىٰ يومَ القيامةِ ولوجهه ظلمةٌ مدَّ البصرِ، وفي وجهه كُدُوحٌ تَعْرِفُهُ الخلائقُ باسمِهِ ونسبِهِ، ومَنْ شهد شهادة حقّ ليحيي بها حق أمرئٍ مسلمٍ أتىٰ يوم القيامة ولوجهه نورٌ مَدَّ البصرِ تَعْرِفُهُ الخلائقُ باسمه ونسبه، ثمّ قال أبوجعفر عليه السلام: ألا ترى أنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ﴾[٣].[٤]

ليزوي: أي ليصرف، الكدوح: الخدوش

وقال عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلۡبُهُۥ﴾ قال: كافر قلبه.[٥]

وفي حديث مناهي النبي صلى الله عليه وآله: ونهى صلى الله عليه وآله عن كتمان الشهادة وقال: من كتمها أطعمه الله لَحْمَهُ رؤوس الخلائق، وهو قول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلۡبُهُۥ﴾.[٦]

وفي صحيحة محمّد بن قيس عن أبي‌جعفر عليه السلام قال: لا رهن إلّا مقبوضاً.[٧]

رواها العياشي في تفسيره[٨] عن محمّد بن عيسى.

وفي مجمع البيان: روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: لا ينقضي كلام شاهد زور من بين يدي الحاكم حتّى يتبوأ مقعده من النار، ثمّ قال: وكذلك مَنْ كتم الشهادة.[٩]

---

١. الكافي ١٤/ ٥٦٥، ح٢ (٧/ ٣٨١)؛ الفقيه ٣/ ٥٧، ح٣٣٢٧.
٢. تفسير العياشي ١/ ٢٨٣، ح٥٣٠.
٣. سورة الطلاق / ٢.
٤. الكافي ١٤/ ٥٦٤، ح١ (٧/ ٣٨٠)؛ الفقيه ٣/ ٥٨، ح٣٣٢٩.
٥. الفقيه ٣/ ٥٨، ح٣٣٣٠.
٦. أمالي الصدوق، المجلس ٦٦، ح١/ ٥١٤، رقم ٧٠٧.
٧. التهذيب ٧/ ١٧٦، ح٣٦.
٨. تفسير العياشي ١/ ٢٨٣، ح٥٢٩.
٩. مجمع البيان ٢/ ٤٠٠.

﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾

﴿لِّلَّهِ﴾ لام الملك ومعناه أنّ لله تصريفَ السماواتِ والأرضِ وتدبيرهما لقدرته على ذلك. وتوطئة لقوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ ...﴾ ومعناه: إنّ له ما في السموات والأرض ومن جملتها أنتم وأعمالكم وما اكتسبتها نفوسكم فهو محيط بكم مهيمن على أعمالكم الظّاهرةِ وَٱلْخَفِيَّةِ.

﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ تصريح بعموم ملكيته تعالى لما فيهما من دون استثناء، مِنْ ذوي العقول وغيرِهِمْ. وملكه تعالى لهما وما فيهما هِيَ ملكية حقيقية خالقية، لا ٱعْتِبارِيَّةٌ.

﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ البداء: في اللغة الظهور والإبداء: هو الإظهار.

أي: إن تظهروا ما يثبت ويستقر في أنفسكم من العقائد وما عقدتم عليه قلوبكم كما تَدُلُّ عليه رواية العياشي الآتية.

﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ أي تخفوا ما في أنفسكم من العقائد والآراء ويمكن أن يكون إخفاء ما يظهر من السوء والقبيح بين غيره من الأعمال. أو أنّها تدل على الأحوال والملكات النفسانية التي لا محالة أَنْ تَظْهَرَ وَتَبْرُزَ في الأفعال والأقوال وتكون موجبة للطاعات والمعاصي؛ أو العقائد والاعتقادات الحقّة أو غيرها. فعلى ما ذكرنا لانحتاج إلى القول بأنّ هذه الأخيرة منسوخة بـ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1].

وكذا لانحتاج إلى غيرها من التأويلات الباردة من أنّها مختصة بالكفار أو بكتمان الشهادة. ثمّ أنّ المراد بالمحاسبة هو الإخبار بها لا العقاب عليها.

ومن الواضح: إنّ ما يخطر بالبال أو تتحدث به النفس ممّا لايتعلق بالتكليف. ولا يحاسب الله به.

﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ أي إذا أراد الله يعذبهم بعد المحاسبة أو يعفو

---

١. سورة البقرة / ٢٨٦.

عنهم.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ تعليل للجملة الأخيرة أو كلّ الآية والثاني أظهر.

الروايات

وفي العياشي عن أبي‌عمرو الزبيري، عن أبي‌عبدالله عليه السلام، قال: إنّ الله فرض الإيمان على جوارح بني آدم وقسّمه عليها وفرّقه فيها، فليس من جوارحه جارحةٌ إلّا وقد وُكِّلت من الإيمان بغير ما وُكِّلت به أُختها، فمنها قَلْبُهُ الذي به يَعْقِل ويَفْقَه وَيَفْهَم، وهو أمير بَدَنِهِ الذي لا تَرِدُ الجوارح ولا تَصْدُر إلّا عن رأيه وأمره.

فأمّا ما فرضَ على القلب من الإيمان: فالإقرار والمعرفة، والعقد، والرضا، والتسليم بأن لا إله إلّا هو وحده لا شريك له إلهاً واحداً، لم يتّخِذ صاحباً ولا ولداً، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، والإقرار بماجاء من عندالله من نبيّ أو كتاب، فذلك ما فرض الله على القلب من الإقرار والمعرفةِ وهو عَمَلُه، وهو قول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا﴾[١]، وقال: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[٢]، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ﴾[٣]، وقال: ﴿إِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾، فذلك ما فرض الله على القلب من الإقرار والمعرفة، وهو عَمَلُه، وهو رأس الأيمان.[٤]

ورواها الكليني في الكافي[٥].

وفيه عن سعدان، عن رجُلٍ، عن أبي‌عبدالله عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾. قال عليه السلام: حقيقٌ على الله تعالى أن لايُدخِلَ الجنّة من كان في قلبه مِثقال حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ من حُبِّهما.[٦]

---

١. سورة النحل / ١٠٦.
٢. سورة الرعد / ٢٨.
٣. سورة المائدة / ٤١.
٤. تفسير العياشي ١/ ٢٨٤، ح٥٣٣.
٥. الكافي ٣/ ٩١، ضمن ح١ (٢/ ٣٤).
٦. تفسير العياشي ١/ ٢٨٤، ح٥٣٢.

وفي نهج البلاغة عن علي عليه السلام أنّه قال: وبما في الصدور يجازي العباد.[١]

وفي معتبرة حمزة بن حمران قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن الاستطاعة فلم يجبني، فدخلت عليه دخلةً اخرىٰ فقلت: أصلحك الله إنّه قد وقع في قلبي منها شيء لايخرجه إلّا شيء أسمعه منك، قال: فإنّه لايَضُرُّك ما كان في قلبك، قلت: أصلحك الله فإنِّي أقول: إنّ الله تبارك وتعالى لم يكلِّف العباد إلّا ما يستطيعون وإلّا ما يطيقون، فإنّهم لايصنعون شيئاً من ذلك إلّا بإرادة الله ومشيئته وقضائه وقَدَرِهِ؛ قال: هذا دينُ اللهِ الّذي أنا عليه وآبائي أو كما قال.[٢]

وعن جعفر بن محمّد عليه السلام: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ يعني: الإسلام، ﴿أَوۡ تُخۡفُوهُ﴾: يعني: الإيمان.[٣]

وعن محمّد بن علي الباقر عليه السلام: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ من الأعمال الظاهرة ﴿أَوۡ تُخۡفُوهُ﴾ من الأحوال الباطنة، يحاسبكم به الله العالِم على أفعالكم والعارف بأحوالكم.[٤]

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾

هذه الآية والآية الآتية في آخر السورة هُما كتلخيص لكلّها وختم بذكر تعظيم الله تعالى وتصديق نبيه و... .

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ تصديق لإيمان الرسول صلى الله عليه وآله وإفراده تعظيم واضح ولأنّ ايمان الكلّ لا يبلغ إلى مرتبة من مراتب إيمانه صلى الله عليه وآله. وتعظيمه وتشريفه علىٰ غيره تَكَرّرَ في

---

١. نهج البلاغة، خطبة ٧٥.
٢. التوحيد / ٣٤٦، ح٣.
٣. الكشف والبيان ٢/ ٣٠١؛ روض الجنان ٤/ ١٤٨.
٤. الكشف والبيان ٢/ ٣٠٢؛ روض الجنان ٤/ ١٤٩.

القرآن الكريم نحو قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾١.

﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ إقرار ضمني بأنّ المعارف والأحكام والسنن والحِكَمَ النازلة على النبي ﷺ كلّها من عندالله تعالى على طريق إنزال وحيه تعالى إليه ﷺ.

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ «الواو» يمكن أن تَكُوْنَ عاطفة بعطف المومنين على الرسول ويمكن أن تَكُوْنَ استئنافية وما بعدها مبتدأ.

﴿كُلٌّ﴾ إن كانت الواو عاطفة الضمير الذي نائب عنه التنوين في (كلّ) يرجع إلى الرسول ﷺ والمومنين والباقي إلى ورسله خبر لهما.

وإن كانت الواو استئنافية والمؤمنون مبتدأ يختص الضمير بالمؤمنين فقط من دون الرسول الأعظم ﷺ لأنّه أعلى وأجل شأنا من أن يدخل فيهم.

وكما يمكن أن يكون الضمير يشملهم على نحو الإستيعاب وَٱلِاسْتِغْراقِ بحيث يشمل كلّ واحد واحد منهم على نحو العام ٱلِاسْتِغْراقِيّ كما يمكن أن يكون على نحو العام المجموعي بحيث يشملهم دفعة واحدة.

﴿ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ شرع في ابتداء الخبر بإيمان الله تعالى، لأنّ الإيمان بالله ﷻ أساس الإيمان والبقية تنشأ من هذا الإيمان. وهو فطري وذاتي فابتدأ به، وهو من المسلمات الواضحات التي لا تنكر إلّا وأنّ منكره مكابر.

﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾ بأنّهم معصومون ومأمورون وموظفون من عندالله تعالى ربّ العالمين، مشغولون بعبادة ربِّهم، ولهم مراتب ودرجات وهيآت وأشكال و... وليس فيهم الزوجية والزواج والتذكير والتأنيث والولادة والجسمية المادية والعصيان والذنب والإثم و... .

﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ السماوية، والجمع يشمل جميعها.

قرأ ابن‌عباس وحمزة والكسائي وخلف «كتابه» وحينئذ إمّا أن يكون المراد به القرآن أو يكون المراد به جنس الكتاب فَيَتَساوىٰ في المعنىٰ مع جمعه، وَقِراءَةُ «كتبه»

---

١. سورة الفتح / ٢٦.

بالجمع أَلْيَقُ بِالسِّياقِ وَأَمْلَكُ بِهِ.

﴿وَرُسُلِهِۦ﴾ أي هم مؤمنون بالله والملائكة والكتب السماوية وجميع الأنبياء والمرسلين مِنْ قِبَلِ الله تعالى.

﴿لَا نُفَرِّقُ﴾ قرأ يعقوب «لايفرق» بالياء رداً على الرسول ﷺ فقط، والباقون بالنون رداً عليه ﷺ و عَلىٰ المؤمنين وهذا أليق بالسياق على القول باعتباره.

لا نفرق: حكاية عن قولهم من دون توسيط لفظ القول لأنّه أجمل، مضافاً إلى أنّه حكاية الحال لا المقال فقط. أي إيمانهم يقتضي أن يكون كذلك ويدعوهم إلى هذه المقالة الحالية وبعضهم يبدلونها بالمقالية بِقِراءَةِ الآية الشريفة أو يعطفون عليها بالمقالة القولية الآتية في الآية الشريفة ﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا ...﴾.

﴿بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ أحد في معنىٰ الجمع، أي نحن نؤمن بجميع الأنبياء من دون فرق بينهم في مقام النبوة وبجميع المرسلين من دون فرق بين الرسالة من ربّ العالمين.

ونحن لانؤمن ببعضهم ونكفر بِبَعْضِهِم الآخر كما فعله أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

والإيمان بهم عليهم السلام وَعَدَمُ ٱلتَّفْرِقَةَ بَيْنَهُمْ عليهم السلام قضية يَقْتَضِيْها العقل في مقام النبوة والرسالة والآية الشريفة إرشاد إليها.

﴿وَقَالُواْ﴾ هذه هِيَ ٱلْمَقالَة القولية واللسانية المحكية عن إيمانهم واعتقادهم ٱلرَّاسِخ.

﴿سَمِعْنَا﴾ إخبارٌ لا إنشاء بأنّنا ٱلْعِبادُ ٱلْمُؤْمِنُوْنَ نسمع أوامر الله سبحانه مقدمة لإطاعة الواجبة.

﴿وَأَطَعْنَا﴾ إخبارٌ بأنّا ٱلْمُؤْمِنُوْنَ بعد السماع نطيع أوامر الله سبحانه والإطاعة المحضة هي غاية العبودية.

﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ غفرانك منصوب باضمار فعله أو غيره: أي ربّ اغفر غفرانك أو ربّ نطلب غفرانك، والغفران مصدرٌ بمعنىٰ ٱلسِّتْرِ. والمقابلة بين السمع والطاعة والغفران تظهر بأنّهما من موجبات الغفران، لا أنّهما يوجدان حَقّاً للعبد وهو الغفران.

بل هما يجعلان العبد في طريق العفو والغفران من جانب رحمة الله تعالى.

والاتيان بالربّ يدل على أنّ ٱلْعَبْدَ يطالب ويسأل ويدعو الغفران من الله تعالى فقط لأنّه فعله الخاص به، لا غيره.

﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي إلى جزائك المصير وحين الجزاء نطالبك بالغفران والستر والعفو وأنت الغفور السّاتِرُ العَفُوّ الرحمن الرحيم الكريم. وعدم الغفران بعد طلبه من العبد لايليق بشأنه تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

الروايات

علي بن إبراهيم القمي عن أبيه عن ابن أبيعمير عن هشام عن أبيعبدالله عليه السلام: إنّ هذه الآية مشافهة الله لنبيه صلى الله عليه وآله لما أُسري به إلى السماء قال النبي صلى الله عليه وآله: انتهيت إلى محلّ سدرة المنتهي وإذا الورقة منها تظل أمة من الأمم، فكنت من ربي كقاب قوسين أو أدنى كما حكى الله عزّ وجلّ، فناداني ربي تبارك تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ فقلت أنا مجيبه عني وعن أمتي: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ فقلت: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ فقال الله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ فقلت: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ فقال الله: لا أواخذك، فقلت: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ فقال الله: لا أحملك، فقلت: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فقال الله تبارك وتعالى: قد اعطيتك ذلك لك ولأُمّتك.

فقال الصادق عليه السلام: ما وفد إلى الله تبارك وتعالى أحد أكرم من رسول الله صلى الله عليه وآله حين سأل لأُمّته هذه الخصال.[١]

الرواية صحيحة الاسناد.

عن جابر بن يزيد عن أبيجعفر محمّد بن علي عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا أسري بي إلى السماء قال لي العزيز: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ قلت:

---

١. تفسير القمي / ٥١ من الطبع الحجري، ١/ ١٠٢ من طبع الأعلمي؛ نورالثقلين ١/ ٣٦٤، ح١٢١٨.

﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ قال: صدقت يا محمّد عليك السلام مَنْ خلّفت لأمتك مِنْ بعدك؟ قلت: خيرها لأهلها، قال: علي بن أبي‌طالب؟ قلت: نعم يا ربّ.

قال: يا محمّد إنّى أطلعت إلى الأرض إطلاعةً فاخترتك منها واشتققت لك اسماً من أسمائي، لاأذكر في مكانٍ إلّا ذكرت معي فأنا المحمود [نل: محمود] وأنت محمّد، ثمّ أطلعت الثانية [نل: إطلاعة] فاخترت منها علياً واشتققت له اسماً من أسمائي فأنا [نل: أنا] الأعلىٰ وهو عليٌّ.

يا محمّد خلقتك وخلقت عليّاً وفاطمة والحسن والحسين أشباح نور من نوري، وعرضتُ ولايتكم [نل: ولايتك] على السماوات [نل: السماء] وأهلها وعلى الأرضين ومن فيهن فمن قبل ولايتكم كان عندي من الأظفرين [نل: المؤمنين. نل: المقربين] ومن جحدها كان عندي من الكفار [نل: الضالين].

يا محمّد لو أنّ عبداً عبدني حتّى ينقطع أو يصير كالشن البالي ثمّ أتاني جاحداً لولايتكم ما غفرت له حتّى بولايتكم.[1]

وعن جابر بن يزيد عن أبي‌جعفر محمّد بن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا أسري بي إلىٰ السماء قال لي العزيز: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ قلت: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ قال: صدقت يا محمّد عليك السلام مَنْ خلّفت لأمتك مِنْ بعدك؟ قلت: خيرها لأهلها، قال: علي بن أبي‌طالب؟ قلت: نعم يا ربّ.

قال: يا محمّد إنّي أطلعت على [نل: إلى] الأرض إطلاعة فاخترتك منها واشتققت لك اسماً من أسمائي لا أذكر في مكان إلّا ذكرت معي فأنا محمود [نل: محمود. نل: أحمد] وأنت محمّد،ثمّ أطلعت الثانية [نل: ثانياً] [نل: اطلاعة] فاخترت علياً واشتققت له اسماً من أسمائي فأنا الأعلىٰ وهو عليٌّ.

يا محمّد [نل: إني] خلقتك [وخلقت. نل] وعلياً وفاطمة والحسن والحسين [والأئمة من ولده] أشباح نورٍ من نوري وعرضت ولايتكم على السماوات وأهلها وعلى الأرضين ومَنْ فيهن فمَنْ [نل: من] قبل ولايتكم كان عندي من المقربين ومن

---

١. تفسير فرات الكوفي / ٧٣، ح٤٧.

جحدها كان عندي من الكفار [نل: الضالين].

يا محمّد لو أنّ عبداً عبدني حتّى ينقطع أو يصير كالشن البالي ثمّ أتاني جاحداً لولايتكم ما غفرت له حتّى يقرّ بولايتكم.

يا محمّد تحبُّ أن تراهم؟ قلت: نعم يا ربّ، قال: التفت عن يمين العرش فالتفت فإذا أنا بالأشباح [نل: بأشباح] علي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة كلّهم حتّى بلغ المهدي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في ضحضاحٍ[1] من نور قيام يصلون والمهدي [نل: في] وسطهم كأنّه كوكبٌ دريٌّ فقال لي: يا محمّد هؤلاء الحجج و[هذا] هو الثائر من عترتك فوعزّتي وجلالي أنّه لحجة [نل: حجة] واجبة لأوليائي منتقم [نل: من] أعدائي.[2]

وعن حذيفة بن اليمان قال: دخلت عائشة على النبيﷺ وهو يقبل فاطمةعليها السلام وقالت: يا رسول الله أتقبلها وهي ذات بعل؟! فقال لها: أمّا والله لو عرفتِ ودي لها لازددت لها ودّاً، أنّه لما عرج بي إلى السماء الرابعة أذّن جبرئيلعليه السلام وأقام ميكائيل ثمّ قال لي: أذن. قلت: أؤذن [نل: ادن. قلت: أدن] وأنت حاضر؟ فقال: نعم إن الله ﷻ فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين وفُضِّلتَ أنت خاصة يا محمّد. فدنوت فصليت بأهل السماء الرابعة فلما صرت إلى السماء السادسة إذا أنا بملكٍ من نور على سريرٍ من نور وحوله صفٌّ من الملائكة فسلّمتُ عليه فردّ عليّ السلام وهو متّكئ فأوحى الله تعالى إليه: أيها الملك سلّم عليك حبيبي وخيرتي من خلقي فرددتعليه السلام وأنت متكئ؟! فوعزّتي وجلالي لتقومن ولتسلمن [نل: لتسلم] عليه ولا تقعد إلى يوم القيامة فقام الملك وعانقني ثمّ قال: ما أكرمك على ربِّ العالمين! فلمّا صرت إلى الحجب نوديت: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ فألهمت وقلت: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ ثمّ أخذ جبرئيلعليه السلام بيدي فأدخلني الجنة وأنا مسرورٌ فإذا أنا بشجرة من نور مكللة بالنور في أصلها ملكان يطويان الحلي والحلل إلى يوم القيامة، ثمّ تقدمت أمامي فإذا أنا بتفاح لم أرتفاحاً [نل: هو] أعظم منه فأخذت واحدة ففلقتها

---

١. الضَّحضاحُ: الماءُ إلى الكعبين أو إلى أنصاف السُّوق. [كتاب العين / ٥٤٣].
٢. تفسير فرات الكوفي / ٧٤، ح٤٨.

فخرجت عليَّ منها حوراً كأنّ جناحها [نل: أجنانها. نل: أحفانها] مقاديم أجنحة النسور فقلت: لمن أنتِ؟ فبكت وقالت: لابنك [نل: لابن بنتك] المقتول [نل: ظلماً] الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام [نل: عليهم] ثمّ تقدمت أمامي فإذا أنا برطب ألين من الزبد وأحلى من العسل فأخذت رطبة فأكلتها وأنا أشتهيها فتحولت الرطبة نطفة في صلبي فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة [نل: فاطمة] [نل: ففاطمة] حوراء إنسية، فإذا [نل: أنا] اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة عليها السلام.[١]

وفي تفسير العياشي عن قتادة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا قرأ هذه الآية ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ حتّى يَخْتِمها، قال: وحقّ الله، إنّ لله كتاباً قبل أن يَخْلُقَ السماوات والأرض بألفي سنة، فوضعه عنده فوق العرش، فأنزل آيتين فَخَتَم بهما البقرة، فأيّما بيت قُرئتا فيه لم يَدْخُلهُ شيطان.[٢]

وفيه روايتان مفصلتان[٣] عن عبدالصمد البشير في شأن نزول الآية وأنّها نزلت في معراج النبي صلى الله عليه وآله فراجعهما.

روى طلحة بن مصرف عن مرّة عن عبدالله بن عباس قال: لمّا أسرى رسول الله صلى الله عليه وآله انتهى به إلى سدرة المنتهى، فأعطى لنا الصلوات الخمس، وخواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لايشرك [بالله] من أمّته شيئاً إلّا المقحمات.[٤]

وعن علقمة بن قيس عن عقبة بن عمرو قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أنزل الله عزّ وجلّ آيتين من كنوز العرش كتبهما الرحمن عزّ وجلّ قبل أن يخلق الخلق بألفي سنة من [يقولها] بعد العشاء الآخرة مرّتين أجزأتا عنه قيام الليل: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ إلى آخر السورة.[٥]

---

١. تفسير فرات الكوفي / ٧٥، ح٤٩.
٢. تفسير العياشي ١/ ٢٨٩، ح٥٣٦.
٣. تفسير العياشي ١/ ٢٨٥، ح٥٣٤ و ١/ ٢٨٧، ح٥٣٥.
٤. مسند أحمد ١/ ٣٨٧؛ الكشف والبيان ٢/ ٣٠٣، والمقحمات: الذنوب العظام التي تقحم أصحابها في النار.
٥. الكشف والبيان ٢/ ٣٠٣.

وروى أبوقلابة عن أبي الأشعث الهمداني عن النعمان بن بشير عن النبيّ ﷺ قال: إنّ الله تعالى كتب كتاباً قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام أنزل فيه آيتين فختم بهما سورة البقرة، فلا يُقْرَان في دار فيقربها شيطان ثلاث ليال».[١]

وروى عبدالرحمن عن ابن زيد عن ابن مسعود عن النبيّ ﷺ قال: مَنْ قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفياه.[٢]

موسى بن حذيفة عن ابن المنكدر قال: حدّثنا حديثاً رفعه إلى النبيّ ﷺ قال: «في آخر سورة البقرة آيات أنهنّ قرآن وأنّهن دعاء وأنّهن يرضين الرحمن».[٣]

وفي الحديث: أنّه قيل للنبيّ ﷺ: إن بيت ثابت بن أويس بن شمّاس يزهر الليلة كالمصابيح، قال: لعلّه يقرأ سورة البقرة، فسئل ثابت فقال: قرأت آخر سورة البقرة.[٤]

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ﴿٢٨٦﴾

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾ التكليف والتشريع من الأوامر والنواهي والأحكام التكليفية الخمسة والأحكام الوضعية كلُّها من الله تعالى، وهو بمقتضىٰ علمه بحال العباد ومصالحهم ومفاسدهم وحكمته يشرّع لهم، ومقتضى العبودية هو السمع والطاعة المحضة بالنسبة إلى كلّ التكاليف.

﴿إِلَّا وُسْعَهَا﴾ الوسع: ما يسع الإنسان ولايضيق عليه ولايحرج فيه.

---

١. مسند أحمد ٤/ ٢٧٤؛ الكشف والبيان ٢/ ٣٠٣.
٢. مسند أحمد ٤/ ١٢١؛ الكشف والبيان ٢/ ٣٠٣.
٣. تفسير مجمع البيان ٢/ ٢٣١؛ الكشف والبيان ٢/ ٣٠٣.
٤. الكشف والبيان ٢/ ٣٠٣.

والتكاليف الشرعية لا تُقَدِّرُ إلّا بقدر ما تَسَعُهُ النفوس ولايحرج علهينَّ؛ لأنّ الله تعالى يريد بكم اليسر ولا يُرِيْدُ بِكُمْ العسر.

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ للنفس ما كسبت من خير وثواب ولا يثاب بطاعتها غيرها.

﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ وعلى النفس ما اكتسبت بالشرِّ والعقاب ولا يؤاخذ بذنبها غيرها.

قال الزمخشري: «إن قلت: لم خص الخير بالكسب والشرّ بالاكتساب؟

قلت: في الاكتساب اعتمال، فلمّا كان الشرّ ممّا تشتهيه النفس وهي منجذبه إليه وأمّارة به كانت في تحصيله أعمل وأجدّ، فجعلت لذلك مكتسبة فيه. ولمّا لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال».[1]

قال الشيخ: «في هذه الآية دلالة واضحة على بطلان مذهب المجبرة في تجويزهم تكليف الله العبد ما لايطيقه، لأنّه صريح بأنّه لايكلّفهم إلّا ما يطيقونه لأنّ الوسع هو ما يتسع به قدرة الانسان...»[2].

أقول: وكذا الآية إلى هنا تدل على بطلان مذهبهم بأنّ الله نسب الكسب والاكتساب بالنسبة إلى ٱلْمَثُوْبَةِ والعقوبة والخير والشرّ إلى النفس لا إليه تعالى.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ يدعو المؤمنون ـ بما فيهم النبيﷺ وإن كان هوﷺ معصوماً عن النسيان والخطأ والذنب عندنا ولكنّه إنّما يعتصم بعصمة الله لا من قبل نفسه ولذا يدخل نفسه في المؤمنين ومقالتهم من جهة نفسه، ويمكن القول بخروج النبيﷺ عنهم لأنّه معصوم منهما ـ الله تعالى بعدم أخذهم بالنسيان والأخطاء، ثمّ: هَلْ يمكن الأخذ والعقوبة بالنسيان والأخطاء؟

أقول: يمكن القول بالأخذ بالنسيان بِوَجْهَيْنِ:

الأوّل: النسيان بمعنى الترك معروف، نحو قوله تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[3].

ومن المعلوم جواز العقاب على الترك.

---

١. الكشّاف ١/ ٣٣٢.
٢. التبيان ٢/ ٣٨٤.
٣. سورة التوبة / ٦٧.

الثاني: لأنّ الانسان قد يتعرض للنسيان فيقع منه الفعل الذي فيه جناية على النفس أو الغير ويحسن الاعتذار بالنسيان ويجري الدعاءُ مجرىٰ الاعتذار.

وكلاهما يظهران من الشيخ.[١]

والوجه الثاني يجري في الخطا أيضاً، «وقال الجُبّائي [من ٱلْمُعْتَزِلَةِ]: معناه ما تركناه لخطأ في التأويل واعتقدنا صحته لشبهة وهو فاسد»[٢]. وهذه المقالة تجري في الفروع والأصول، أعني في العمل الجوارحي والجوانحي، أي في العمل والاعتقاد.

ويمكن أن يحمل الخطأ على الذنب، وروي عن ابن‌عباس مَعْناه: لا تعاقبنا إن عصيناك جاهلين أو متعمدين.[٣]

وحيث أَنَّ مَعَ طُوْلِ الحَيَاةِ بالنسبة إلى كلّ شخص يجري النسيان والخطأ، يدعو المؤمنون بعدم مُؤاخَذَةِ ٱلله تَعالىٰ لَهُمْ بِهِما.

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ الإصر: الثقل، وأصل معناه العطف لأنّه يعطف حامله بثقله عليه.

قال الشيخ: «قيل في معنى الإصر قولان: أحدهما: لا تحمل علينا عهداً فنعجز عن القيام به، ذهب إليه ابن‌عباس وقتادة ومجاهد.

الثاني: قال الربيع ومالك: معناه لا تحمل علينا ثقلاً»[٤]. يعني لا تشدد الأمر علينا.

وفي الكشّاف: «ٱلْعِبءُ الذي يأصر حامله أي يحبسه مكانه لايستقل به لثقله، استعير للتكليف الشاقّ من نحو قتل الأنفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك»[٥].

كما حملته على الأُمَم الماضية والقرون السابقة من أهل الكتاب وخاصة اليهود.

---

١. التبيان ٢/ ٣٨٥.
٢. التبيان ٢/ ٣٨٥.
٣. جوامع الجامع ١/ ١٥٧.
٤. التبيان ٢/ ٣٨٦.
٥. الكشّاف ١/ ٣٣٣.

كقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾[1].

﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ من جزاء أعمالنا السيئة على نحو الابتلاء والامتحان ومثلهما في الدنيا، وعلى نحو العذاب في الآخرة.

وقد كرر لفظ «ربنا» في هذه الآية الشريفة إظهاراً وإعلاماً لِرُبُوْبِيَّتِهِ تعالى ولمربوبية العبد له وانبعاثاً لصفة رحمانيته ورحيميته ﷻ.

﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾ العفو: محو أثر الشيء أي أَمْحُ عنّا آثار أعمالنا السوء والمعاصي والآثام ولاتؤاخذنا بها في الدنيا ولا في الآخرة.

﴿وَٱغْفِرْ لَنَا﴾ المغفره: ستر الشيء، أي استرها وَأَسْقِطْها عنّا ولا تعذّبنا بها.

﴿وَٱرْحَمْنَآ﴾ واعف عنّا وتجاوز عنّا واغفرنا ولاتعذّبنا، والرحم ينبغي منك لعبدك وليس لنا غيرك فمن يرحمنا غيرك يا الله.

﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فإنَّكَ أَنْتَ مَوْلانا فانصرنا يا ناصرنا على القوم الكافرين بالغلبة بالحجة عليهم وبالقهر والقدرة والنصرة.

وفي هذه الآية يعلّم أدب الدعاء وكيفيته.

الروايات

وفي الكافي بإسناده عن عمروبن مروان قال سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رُفع عن أمتي أربعُ خصالٍ: خطَؤُها ونسيانُها وما أُكرهوا عليه وما لم يطيقوا وذلك قول الله ﷻ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ﴾ وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[2].[3]

ورواها العياشي في تفسيره.[4]

---

١. سورة الأنعام / ١٤٦.
٢. سورة النحل / ١٠٦.
٣. الكافي ٤/ ٢٨٩، ح١ (٢/ ٤٦٢).
٤. تفسير العياشي ١/ ٢٨٩، ح٥٣٨.

وفي صحيحة حريز بن عبدالله عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رُفع عن أُمّتي تسعةٌ: الخطأ والنسيان وما اُكرهوا عليه وما لا يعلمون وما لا يطيقون وما اضطرُّوا إليه والحسد والطيرة والتفكّر في الوسوسة في الخلق ما لم ينطق بشفة.[١]

الصدوق بأسناده عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث: وأعطيتك لك ولأُمتك كنزاً من كنوز عرشي فاتحة الكتاب وخاتمة سورة البقرة، الحديث.[٢]

رُوى عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: اُوتيتُ خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يُؤْتَهُنَّ نبيٌّ قبلي.[٣]

وعن علي عليه السلام: خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش.[٤]

---

١. الخصال ٢/ ٤١٧، ح٩.
٢. علل الشرايع / ١٢٨، ح٣.
٣. جوامع الجامع ١/ ١٥٧؛ الكشّاف ١/ ٣٣٣.
٤. الكشّاف ١/ ٣٣٤.

سُوْرَةُ آلِ عِمْرانَ

سُوْرَةُ آلِ‌عِمْرانَ مَدَنِيَّةٌ كلّها كما رُوِيَ عن ابن‌عباس وقتادة ومجاهد وجميع المفسرين.[1]

وقيل: إنّ من أوّلها إلى رأس نيف وستين[2] آية نزلت في قصة وفد نجران لمّا جاؤا يُحاجُّوْنَ النبي ﷺ[3] في قول ابن‌إسحاق والربيع.[4]

وعدد آيها مِئَتان.

فضلها

الصدوق، عن أبيه، عن محمّد بن يحيى العطار، عن محمّد بن أحمد، عن محمّد بن حسّان، عن إسماعيل بن مهران، عن الحسن بن علي بن أبي‌حمزة البطائني، عن أبيه، عن الحسين بن أبي‌العلاء، عن أبي‌بصير، عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: من قرأ البقرة وآل‌عمران جاءتا يوم القيامة تظلّانه على رأسه مثل الغمامتين أو مثل الغيابتين.[5]

الغمامة: السحاب، غيابة كلّ شيء: ما ستره.

روي العياشي[6] مثلها عن أبي‌بصير.

وعن رسول الله ﷺ: من قرأ سورة آل‌عمران أعطى بكلِّ آية منها أماناً على

---

١. التبيان ٢/ ٣٨٨.

٢. والصحيح ثمانين، كما في روض الجنان ٤/ ١٦٧.

٣. راجع لتفصيلها الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي ٣/ ٦؛ وروض الجنان ٤/ ١٦٥؛ والدر المنثور ٢/ ٣.

٤. التبيان ٢/ ٣٨٨.

٥. ثواب الأعمال / ١٣٠.

٦. تفسير العياشي ١/ ٢٩١، ح١.

جسر جهنم.[١]

وعنه ﷺ: من قرأ السورة التي يذكر فيها آل‌عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتّى تحجب الشمس.[٢]

روى بريدة عن النبي ﷺ قال: تعلّموا سورة البقرة وسورة آل‌عمران فإنّهما الزهراوان وإنّهما تُظِلّان صاحبتهما يوم القيامة كأنّهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طيرٍ صوافٍّ.[٣]

عن النبي ﷺ: إن كتبت [سورة آل‌عمران] بزعفران وعُلِّقَتْ على امرأة لم تَحْمِلْ حملتْ بإذن الله تعالى، وإن عُلِّقت على نخلٍ أو شجرٍ يَرْمي ثَمرَه أو ورقه، أمسك بإذن الله تعالى.[٤]

عن الصادق ﷺ: إن كتبت [سوره آل‌عمران] بزعفران وعلّقت على امرأة تريد الحمل، حملت بإذن الله تعالى، وإن علّقها مُعْسرٍ يسّر الله أمره ورزقه الله تعالى.[٥]

وعن عبدالله بن مسعود: من قرأ آل‌عمران فهو غنيٌّ.[٦]

وعنه: نعم كنزاً لصعلوك سورة آل‌عمران يقوم بها الرجل من آخر الليل.[٧]

وعن أبي‌عبدالله الشامي قال: من قرأ سورة البقرة وآل‌عمران في ليلة الجمعة يبدّل له يوم القيامة جناحان يطير بهما على الصراط.[٨]

وفي روض الجنان: «راوى خبر گويد از رسول ﷺ كه او گفت: البقرة وآل‌عمران بياموزى كه آن دو ستاره تابان است، فردای قيامت بيايند به صورت دو

---

١. الكشف والبيان ٣/ ٥؛ الكشّاف ١/ ٤٦٠؛ جوامع الجامع ١/ ١٥٨؛ ونحوها في مجمع البيان ٢/ ٤٠٥؛ وروض الجنان ٤/ ١٦٣.

٢. الكشف والبيان ٣/ ٥؛ الكشّاف ١/ ٤٦٠؛ الدر المنثور ٢/ ٢؛ مجمع البيان ٢/ ٤٠٥؛ روض الجنان ٤/ ١٦٣.

٣. مجمع البيان ٢/ ٤٠٥؛ جوامع الجامع ١/ ١٥٨.

٤. البرهان في تفسير القرآن ١/ ٥٩٣ نقلاً عن مجمع البيان.

٥. البرهان في تفسير القرآن ١/ ٥٩٣ نقلاً عن خواص القرآن / ١.

٦. الكشف والبيان ٣/ ٥؛ وروض الجنان ٤/ ١٦٣؛ والدر المنثور ٢/ ٢.

٧. الدر المنثور ٢/ ٢.

٨. الكشف والبيان ٣/ ٥؛ وروض الجنان ٤/ ١٦٣.

فریشته وشفاعت کنند خواننده‌شان را تا به بهشتش برند»[١].

وفي خواص الآيات لعمّنا الأكرم: «و در خبر است که هر که سورهٔ آل‌عمران را بخواند خدای تعالی او را ثواب هزار شهید کرامت کند»[٢].

وفيه: «و از حضرت امام جعفر صادق‌عليه‌السلام منقول است که به جهت ادای دین این سوره سیزده بار بخواند اداء شود»[٣].

---

١. روض الجنان ٤/ ١٦٣.
٢. خواص الآيات / ٢٤ لآية الله الشيخ محمّدتقي آقاالنجفي.
٣. خواص الآيات / ٢٤ لآية الله الشيخ محمّدتقي آقاالنجفي.

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

قد مرّ تفسيرها في أوّل سورة الحمد فلا نعيدهُ.

﴿الٓمٓ ۝١﴾

مرّ في أوّل سورة البقرة فلا نعيد.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ ۝٢

مرّ في أوّل آيةالكرسي في سورة البقرة آية ٢٥٥ ونضيف هنا.

﴿ٱللَّهُ﴾ مُبْتَدَأٌ، هو الذي تحق له العبادة بالمعنىٰ الواقعي والحقيقي والصحيح، وهو الذي يليق بها.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ خبر، لا تحق العبادة لسواه، لأنّ كلّ نعمة ترجع إليه تعالى وكلّ حمدٍ كذلك، فلا إله إلّا هو.

وقد روى أنّ علياً عليه السلام قال: «يا من هو، يا من ليس هو إلّا هو» وعرض ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لعلي عليه السلام: عُلّمتَ الاسم الأعظم.[1]

---

١. مواهب الرحمن ٥/ ٦.

﴿ٱلۡحَيُّ﴾ صفة للخبر هو الحي الحقيقي الواقعي الأزلي الأبدي السرمدي الذي أَنْشَأ الحياة بل خلقها وهو الذي لا يموت أبداً، فالحياة الواقعيّة مُخْتَصَّةٌ بِهِ.

﴿ٱلۡقَيُّومُ﴾ صفة أخرى للخبر هو الذي قام بتدبير شؤون العالَم وتربيتها، وقيام كلِّ شيء به وعليه ومنه وإليه في المآل وليست هذه القيومية إلّا له

وعن ابن‌عباس أنّه قال: اسم الله الأعظم وهو الذي دعا به آصف بن برخيا صاحب سليمان عليه السلام في حمل عرش بلقيس من سبأ إلى سليمان قبل أن يرتد إليه طرفه.[١]

﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾

﴿نَزَّلَ﴾ فعل ماض من باب ٱلتَّفْعِيْلِ يدلّ على التكثير، أي أَنَّ نُزُوْلَ ٱلقُرْآنِ كانَ سورة بعد سورة وآيات بعد آيات على التدريج في وقائع عصر الرسالة، قال عز وجل: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾[٢].

كما أنَ له نُزُوْلاً دَفْعِيّاً في ليلة القدر كما قال عز وجل: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾[٣].

وقال: ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ * إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾[٤].

وكلاهما يستدعي صدور القرآن وخروجه من المقام العالي والرفيع إلى ما هو دونه أي من ربّ العالمين إلى قلب سيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله.

﴿عَلَيۡكَ﴾ أي عليك يا محمد صلى الله عليه وآله وهو الرسول الأعظم وخاتم الأنبياء والمرسلين وأفضلهم شأناً ومقاماً ومنزلة ومرتبة رزقنا الله شفاعته في الدارين.

﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي القرآن العظيم.

﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ الباء هنا للمصاحبة أي نزل عليك الكتاب تنزيلاً يُصاحِبُ الحقَّ

---

١. مجمع البيان ٢/ ٤٠٧.
٢. سورة فصّلت / ٣ و٢.
٣. سورة القدر / ١.
٤. سورة الدخان / ٣ و٢.

ولايفارقه، والمراد بالحقّ: الأمر الثابت الذي لا يقبل البطلان[١]،.وهذه المصاحبة يلزم أن لايخالطه باطل ولايطرء عليه. فحينئذ يَصدقُ إِخْبارُهُ وتوجبه الحكمة أي ينزل على أساس الحكمة.

﴿مُصَدِّقًا﴾ حالٌ لمفعول نزّل، أيّ هذا الكتاب يكون مصدِّقاً.

﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي لما تقدّمه وكانَ قبله من الكتب السماوية والأنبياء ٱلْمُرْسَلِيْنَ مِنْ قِبَلِ ٱللهِ تَبارَكَ وَتَعالىٰ.

﴿وَأَنزَلَ﴾ من الإنزال وفيه معنى دفعة واحدة، لأنّ الكتابين ـ التوراة والإنجيل ـ أنزلا دفعة واحدة لا تدريجاً.

﴿ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ لفظ عبريٌّ[٢] ومعناها الشريعة، تطلق على العهد القديم المتكوِّن من أسفار موسى الخمسة التي يُسمِّيها اليهود بالناموس وهي: سِفر التكوين وسفر التثنية وسفر الخروج وسفر اللّاويين أو الأحبار وسفر العدد.[٣]

﴿وَٱلْإِنجِيلَ﴾ كلمة يُوْنانِيَّةٌ ومعناها «الجلوان» أي ما يُعطىٰ لَمَنْ يبشّر بالشيء، أو البشرى بالخلاص وتطلق عند العيسويين على الأناجيل الأربعة وهي: لوقا، مرقس، متى، يوحنا والثلاثة الأُولى على شاكلة واحدة والأخيرة تتفاوت معهنَّ وهُوِيَّةُ جامعيها مَجْهُوْلَةٌ ولم تكتب إلّا بعد سبعين سنة من ميلاد عيسى عليه السلام.

والعهد الجديد يطلق على هذه الأربعة المتكونة من سبعة وعشرين سفراً، تتضمن سيرة المسيح عليه السلام وتعاليمه وأعمال الحواريين ورؤيا يوحنّا اللاهوتي وقد اختلفوا في تاريخ كتابتها.

ولكن الإنجيل في القرآن هو الكتاب المنزَّل من الله تعالى على عيسى عليه السلام[٤] وَهُوَ واحِدٌ لأنّ القرآن ذَكَرَهُ مفرداً فالأربعة والأكثر لا اعتبار بها.

---

١. كما في الميزان ٣/ ٨.

٢. فلا يتم ما ذكروه من أنّه «مأخوذة من وريت بك زنادي: إذا ظهر به الخبر كما يتقدح بالزناد النار فالأصل الظهور، فهي تورية لظهور الحق وقيل من وريها أقوال:...». راجع التبيان ٢/ ٣٩١؛ وروض الجنان ٤/ ١٦٨.

٣. كما في مواهب الرحمن ٥/ ١١ و١٢.

٤. كما في مواهب الرحمن ٥/ ١١ و١٢.

وقيل: لفظ فارسي الأصل ومعناه البشارة.[١]

فلا يتم ما قد يقال بأنّه «مأخوذ من النجل وهو الأصل، وقال الزجاج وزنه إفعيل من النجل بإجماع أهل اللغة فسمي إنجيلاً لأنّه أصل من أصول العلم»[٢].

وأمّا الكتاب المقدس (Beble) عند ٱلنَّصارىٰ فَيَشْتَمِلُ على ٣٩ كتاباً بعنوان «العهد العتيق» و٢٧ كتاباً بعنوان «العهد الجديد» عند فرقة بروتستانيسم وتُجتمع في سنة ٣٩٧ بعد ميلاد المسيح عليه السلام ولكن عند فرقتي كاتوليك وارتودكس يضاف إليه ١٢ إلى ١٥ كتاباً آخَرَ إلىٰ الكتاب المقدس ويسمونها «أبوكريفا».

وفي الآية الشريفة دلالة على أنّ الكتابين أصلهما حقّ وأنزلهما الله تعالى بل كناية على أنّ الموجود بأيديهم منهما يمكن أن يكون بَعْضُهُ من الأصل الحقّ.

الروايات

وفي معتبرة حفص بن غياث عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور ثمّ نزل في طول عشرين سنة. ثمّ قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: نَزَلَتْ صحف إبراهيم في أوّل ليلة من شهر رمضان وأُنزلت التوراة لست مضين من شهر رمضان وأُنزل الإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان وأُنزل الزبور لثمان عشرة خلون من شهر رمضان، وأُنزل القرآن في ثلاث وعشرين من شهر رمضان.[٣]

وفي خبر أبي‌بصير عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: نزلت التوراة في ست مضت من شهر رمضان ونَزَل الإنجيل في اثنتى عشرة ليلة من شهر رمضان ونَزَل الزبور في ثماني عشرة مضت من شهر رمضان ونزل القرآن في ليلة القدر.[٤]

وفي حسنة بل معتبرة سعد الإسكاف[٥] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اَعطيتُ السورَ

---

١. الميزان ٣/ ٩.
٢. التبيان ٢/ ٣٩١؛ روض الجنان ٤/ ١٦٩.
٣. الكافي ٤/ ٦٦١، ح٦ من الطبعة عام ١٤٣٠ (٢/ ٦٢٨).
٤. الكافي ٧/ ٦٢٤، ح٥ من الطبعة عام ١٤٣٠ (٤/ ١٥٧).
٥. وفي نقل العياشي زيادة: «قال سمعت أباجعفر عليه السلام» وبها يرتفع الإرسال، راجع تفسيره ١/ ١٠٧، ح١.

الطوال مكان التوراة واعطيت المِئِينَ مكان الإنجيل وأُعطيت المثاني مكان الزبور وفُضِّلتُ بالمُفَصَّلِ ثمان وستون سورة وهو مُهَيْمِنٌ على سائر الكتب، فالتوراة لموسى والإنجيل لعيسى والزبور لداود عليهم السلام.[١]

السور الطوال: هي السبع الأوّل بعد الفاتحة، على أن يعدّ الأنفال والبرأة واحدة.

وأمّا المئون: فهي الإسراء والكهف ومريم وطه والأنبياء والحج والمؤمنون لأنّ كلاً منها على نحو مائة آية.

وأمّا المثاني: فهي هي السبع التي بعد السور الطوال أي السبع الاولىٰ، سميت بها لأنّها ثنّتها.

والمفصَّل: هي من سورة محمّد صلى الله عليه وآله إلى آخر القرآن الكريم وتكون ثمان وستون سورة.

وقيل: من سورة الفتح إلى آخره وتكون سبع وستون كما في رواية العياشي[٢]. إنّما سمّي به لكثرة مايقع فيه من فصول التسمية بين السور، وقيل: لقصر سُوَرِهِ.

﴿مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤﴾

﴿مِن قَبۡلُ﴾ أي من قبل تنزيل القرآن.

﴿هُدٗى﴾ أي بياناً ودلالةً، مصدرٌ وصفة للكتابين أو الكتب الثلاثة ولذا لم يُثَنَّ وَلَمْ يُجْمَعْ لأنّه مصدرٌ.

وقيل: مصدر بمعنى اسم فاعل أي هادياً، وحال من الكتاب فقط.

﴿لِّلنَّاسِ﴾ بالنسبة إلى الكتابين ليهتدي أهل كلّ كتاب بكتابه، وبالنسبة إلى القرآن لجميع النّاس.

﴿وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ﴾ المراد به القرآن كرره لأهميته وتجليله وحرمته. والفرقان: ما يفرق به بين الحقّ والباطل؛ مصدرٌ بمعنىٰ اسم ٱلْفاعِلِ يأتي بعنوان المبالغة. وقيل[٣]:

---

١. الكافي ٤/ ٦٠٠، ح١٠ (٢/ ٦٠١).

٢. تفسير العياشي ١/ ١٠٧، ح١.

٣. القائل هو الزمخشري في كشّافه ١/ ٣٣٦ وتبعه السيد نعمةالله الجزائري رحمه الله في عقود المرجان ١/ ٢٨٢.

لِجِنْسِ الكتب السماويه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ النازلة في القرآن الكريم وحججه ودلالاته، أو النازلة في الكتب السماوية غَيْرِ ٱلْمُحَرَّفَةِ.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ أوعدهم بعذابه الشديد.

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ أي غالب لا يُغلب.

﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ انتقم منه انتقاماً أي عاقبه عقاباً وأصله: العقوبة.[١]

«وتنكيره للتعظيم، أي انتقام لايقدر [علىٰ] مثله أحدٌ، ولايَعْرِفُ كنهه أحد»[٢].

الروايات

وفي صحيحة عبدالله بن سنان عن أبي‌عبدالله عليه السلام في حديث قال: الفرقان هو كلّ أمر محكم، والكتاب هو جملة القرآن الذي يصدّقه من كان قبله من الأنبياء.[٣]

ونحوها في تفسير العياشي[٤].

وفي الصحيح إلى ابن سنان أو غيره عمّن ذكره قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن القرآن والفرقان أهما شيئان أو شيءٌ واحد؟ فقال عليه السلام: القرآن جملةُ الكتاب والفرقان المحكمُ الواجب العمل به.[٥]

وفي خبر يزيد بن سلام أنّه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: لم سمي الفرقان فرقاناً؟ قال: لأنّه متفرّق الآيات والسور أُنزلت في غير الألواح، وغيره من الصحف والتوراة والإنجيل والزبور نزلت كلّها جملة في الألواح والورق، الحديث.[٦]

ومن دعاء علي بن الحسين عليه السلام عند ختمه القرآن: ... وفرقاناً فَرَقْتَ به بينَ حلالِكَ وحرامِكَ، الدعاء.[٧]

---

١. التبيان ٢/ ٣٩٢.
٢. كنزالدقائق ٢/ ١٠.
٣. تفسير القمي / ٥١ من طبع الحجري.
٤. تفسير العياشي ١/ ٢٩١، ح٢.
٥. الكافي ٤/ ٦٦٤، ح١١ (٢/ ٦٣٠).
٦. علل الشرائع / ٤٧٠، ح٣٣.
٧. الصحيفة السجادية، دعاء ٤٢.

وَلِمَزِيْدِ ٱلِاطِّلَاعِ علىٰ روايات الانتقام راجع كتابي موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام[١].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ ﴿٥﴾

بعد أن ذكره الله تعالى في الآية السابقة بـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ أعقبه بهذه الآية الشريفة دفعاً لتوهم أن يخفى عليه كفر بعض فلا يتبعه بعذاب شديد أو انتقام من عزيز.

وكذلك الآية الشريفة رجعة إلى توحيد الله تعالى في صدر السورة ومعلولة أُخرى للحياة الواقعية المحضة والقيوميّة المطلقة الخالدة لأنّ وحدة الحيّ القيوم تستلزم الإحاطة المطلقة ومعلول لهما.[٢]

والآية الشريفة تدلُّ على أنّ العالَم بأسره يكون محضراً لله تعالى وهو الشاهد عليه وخالقه وموجده ومديره وعالمه وقيومه. وأنّ «العلم التفصيلي الفعلي الاحاطي لله تعالى»[٣]. وأنّ علمه ذاتي.

والمراد بالأرض والسماء: هو عالَمُ الوجود والكون. كما فسّرهما الزمخشري[٤] والطبرسي[٥] بالعالَم.

وقال البيضاوي: «أيُّ شيء كان في العالَم كليّاً كان أو جزئياً، ايماناً أو كفراً، فعبر عنه بالسماء والأرض، إذ الحس لايتجاوزهما وإنّما قدّم الأرض ترقيّاً من الأدنىٰ إلى

---

١. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ١/ ٤٥٩.
٢. خلافاً لصاحب مواهب الرحمن ٥/ ١٥ حيث عدّها «كالعلّة» لهما، وسبقه إلى هذه المقالة البيضاوي في تفسيره كما يأتي كلامه في المتن.
٣. مواهب الرحمن ٥/ ١٦.
٤. الكشّاف ١/ ٣٣٦.
٥. جوامع الجامع ١/ ١٥٩.

الأعلى ولأنّ المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه حيّاً»[١].

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ﴿٦﴾

﴿هُوَ﴾ أي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾.

﴿ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ﴾ أي يخلق صوركم في الأرحام وينظم أجزاء وجودكم المخلوق في بداية خلقته، التفات من الغياب ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ إلى الخطاب.

مضافاً إلى التعميم بعد التخصيص في ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ﴾.

«التصوير: جعل الشيء على صورة لم يكن عليها. والصورة: هيئة يكون عليها الشيء بالتأليف... وأصلها [في المعنىٰ]: الميل»[٢].

﴿فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ «جمعُ رَحِم وأصله: الرحمة، وذلك لأنّها ممّا يتراحم به ويتعاطف، يقولون: وَصَلَتْكَ رَحِمٌ»[٣].

والرحم في الحيوان هو العضو الخاص الذي يتكوّن فيه ٱلْجَنِيْنُ قبل الولادة.

﴿كَيْفَ يَشَآءُ﴾ أي على أيّ صورة وشكل يريدها من ذكر أو أُنثى، صبيح أو قبيح، أو أبيض أو أسود، أو تام أو ناقص وغيرها «المشيئة: هي الارادة»[٤].

والفرق بين المشيئة والارادة بالكلية والجزئية أو الحدوث والبقاء، وهما من صفات الفعل لا الذات. والمشيئة هنا مشيئة تقدير وارادة وحتم لا مشيئة إذن.[٥]

وفيه تعريض بِالنَّصارىٰ وَٱدِّعائِهِمْ أُلوهِيَّةَ المسيح عليه السلام بأنّه عبد مربوب مخلوق في رحم أُمّه، صوّره الله كما شاء.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ قد مرّ معنىٰ كلمة التوحيد في أوّل السورة. وهو

---

١. أنوار التنزيل / ٦٨ من طبع الحجري (١/ ١٤٩).
٢. التبيان ٢/ ٣٩٣.
٣. التبيان ٢/ ٣٩٣.
٤. التبيان ٢/ ٣٩٤.
٥. كما على الأوّل صاحب المواهب ٥/ ٢٣ وعلى الثاني صاحب الميزان ٢/ ١٤.

العزيز في سلطانه أي الغالب الذي لا يُغْلَبُ، حكيم في أفعاله.

وهذه الجملة كالدليل على ما قبلها في الآية الشريفة. أو رُجُوْعٌ إلى ما بَدَأَتْ بِهِ ٱلْآياتُ وهو التوحيد وقد يقال: انه «بمنزلة تلخيص الدليل للتأكيد»[١].

الروايات

وفي صحيح نوح بن شعيب رفعه عن عبدالله بن سنان عن بعض أصحابه عن أبي‌جعفر عليه السلام قال: أتى رجل من الأنصار رسولَ الله صلى الله عليه وآله فقال: هذه ابنة عمّي وامراتي لا أعلم إلّا خيراً وقد أتتني بولدٍ شديدِ السواد منتشرِ المَنْخِرَين جَعْدٍ قَطَطٍ أفطسِ الأنف، لا أعْرِفُ شِبْهَهُ في أخوالي ولا في أجدادي.

فقال لامرأته ما تقولين؟ قالت: لا والذي بعثك بالحق نبيّاً ما أقعدتُ مقعده منّي منذ ملكني أحداً غيرَه.

قال: فنكس رسول الله صلى الله عليه وآله برأسه مليّاً ثمّ رفع بصره إلى السماء، ثمّ أقبل على الرجل، فقال: يا هذا إنّه ليس من أحد إلّا بينه وبين آدم تسعة وتسعون عِرْقاً، كلّها تضرب في النسب، فإذا وقعت النطفة في الرحم، اضطربت تلك العروق تَسَأَلُ الله الشبَهَ لها، فهذا من تلك العروق التي لم يدركها أجدادك ولا أجداد أجدادك، خذ إليك ابنك، فقالت المرأة: فرّجتَ عنّي يا رسول الله.[٢] [٣]

الفطس: انخفاض قصبة الأنف وانفراشها. والرجل أفطس.

وفي صحيحة زرارة قال: سمعت أباجعفر عليه السلام يقول: إذا وقعت النطفة في الرحم استقرت فيها أربعين يوماً وتكون علقة أربعين يوماً وتكون مضغة أربعين يوماً، ثمّ يبعث الله ملكين خلّاقين فيقال لهما: اخلقا كما يريد الله ذكراً أو أُنثى، صوّراه واكتبا أجله ورزقه ومَنِيَّتَهُ وشقيّاً أو سعيداً واكتبا لله الميثاق الذي أخذه عليه في الذر بين عينيه فإذا دنا خروجه من بطن أمّه، بعث الله إليه ملكاً يقال له: زاجر فيزجره

---

١. الميزان ٢/ ١٤.

٢. الكافي ١١/ ٢٩٦، ح٢٣ (٥/ ٥٦١).

٣. وَمِنْ هٰذِهِ ٱلرِّوايَةِ ٱلشَّرِيْفَةِ يَظْهَرُ أَنَّ نَبِيَّنا أباٱلْقاسِمُ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله هُوَ ٱلْواضِعُ ٱلْأَوَّلُ لِقانُوْنِ «عِلْم ٱلْوِراثَةِ» لا (مِنْدِل) عالِمُ ٱلْوراثَةِ ٱلْغَرْبِيّ الذي يَزْعُمُ أورّبا وغيرُهُمْ أَنَّهُ (الرّائِد) في هٰذا ٱلْباب، فَلْيَعْتَبِرْ أُوْلُوْ ٱلْأَلْباب.

فيفزع فزعاً فينسى الميثاق ويقع إلى الأرض يبكي من زجرة الملك.[١]

وفي خبر شعيب العقرقوفي عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: إنّ للرحم أربعة سبل في أي سبيل سلك فيه الماء كان منه الولد: واحد واثنان وثلاثة وأربعة ولايكون إلى سبيل أكثر من واحد.[٢]

وفي مرفوعة محمّد بن حمران عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ خلق للرحم أربعة أُوعية فما كان في الأوّل فللأب، وما كان في الثاني فللأُم وما كان في الثالث فللعمومة وما كان في الرابع فللخؤولة.[٣]

وفي صحيحة يعقوب السرّاج قال: قلت لأبي‌عبدالله عليه السلام: إنّ بعض أصحابنا يزعم أنّ لله صورة مثل صورة الإنسان، وقال آخر: إنّه في صورة أمردٍ جَعْدٍ قَطَطٍ، فخرّ أبوعبدالله عليه السلام ساجداً، ثمّ رفع رأسه فقال: سبحان الله الذي ليس كمثله شيءٌ ولا تدركه الأبصار ولا يحيط به علم، لم يلد لأنّ الولد يشبه أباه ولم يولد فيشبه من كان قبله، ولم يكن له من خلقه كفواً أحدٌ، تعالى عن صفة من سواه علواً كبيراً.[٤]

قَطَط: شديد الجعودة أو حسنها.

وفي خبر محمّد بن مسلم قال: سألت أباجعفر عليه السلام عمّا يروون أنّ الله عزّ وجلّ خلق آدم على صورته فقال: هي صورة محدَثَةٌ مخلوقةٌ اصطفاها إليه واختارها على سائر الصور المختلفة، فأضافها إلى نفسه كما أضاف الكعبة إلى نفسه والروح إلى نفسه فقال ﴿بَيْتِيَ﴾[٥] وقال: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[٦].[٧]

وفي خبر أبي‌الورد بن ثمامة عن علي عليه السلام قال: سمع النبي صلى الله عليه وآله رجلاً يقول لرجل: قبح الله وجهك ووجه من يُشْبِهُكَ، فقال صلى الله عليه وآله: مه لاتقل هذا، فإنّ الله خلق آدم على

---

١. الكافي ١١/ ٣٦١، ح٧ (٦/ ١٦).
٢. الكافي ١١/ ٣٦٢، ح١ (٦/ ١٦).
٣. الكافي ١١/ ٣٦٣، ح٢ (٦/ ١٧).
٤. التوحيد/ ١٠٣، ح١٩.
٥. سورة البقرة/ ١٢٥.
٦. سورة الحجر/ ٢٩.
٧. التوحيد/ ١٠٣، ح١٨.

صورته.[١]

وفي خبر الحسين بن خالد قال: قلت للرضاعليه السلام: يا ابن رسول الله إنّ النّاس يروون أنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله قال: إنّ الله خلق آدم على صورته، فقال: قاتلهم الله، لقد حذفوا أوّل الحديث، إنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله مرّ برجلين يتسابّان فسمع أحدهما يقول لصاحبه: قبّح الله وجهك ووجه من يشبهك، فقالصلى الله عليه وآله: يا عبدالله لاتقل هذا لأخيك فإنّ الله عزّ وجلّ خلق آدم على صورته.[٢]

أقول: وصف السيد نعمةالله الجزائريقدس سره حديث «أنّ الله خلق آدم على صورتة» بالمشهور[٣]، والمراد بعد بداهة استحالة الصورة لله تعالى في اعتقادنا كما مرّ من صحيحة يعقوب السراج، من إضافة الصورة إليه إمّا تشريفية كما في اضافة البيت والروح واليوم إليه كما صرح به في خبر محمّد بن مسلم، أو أنّ المراد بها أنّه خلقه وصوّره مباشرة من دون وساطة الملائكة المصوّرين، أو خلقه وصوّره من دون تقليد وتشابه بينه وبين غيره من مخلوقاته، أو أنّه خلقه على صفته بحيث يكون قابلاً بالخلافة الإلهية، أو أنّه مختص بآدم أبي البشر بحيث لم يتغير صورته وجسمه وجسده حتّى قبض الله تعالى حين موته، أو أنّه خلقه من دون الانتقال من صورة إلى أُخرى كما في أُولاده من صور المنوية والعَلَقَة والمضغة وتكسية العظام باللحم. ولكن المشبِّهة قد ضلّوا في مَعْنىٰ الحديث وأضلّوا.

وفي صحيح جعفر بن بشير عن رجل عن أبيعبدالله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يخلق خلقاً جمع كلّ صورة بينه وبين أبيه إلى آدم ثمّ خلقه على صورة أحدهم، فلا يقولنَّ أحد هذا لا يشبهني ولا يشبه شيئاً من آبائي.[٤]

وفي خبر جد علي بن عبدالله عن أميرالمؤمنينعليه السلام قال: تعتلج النطفتان في الرحم فأيتهما كانت أكثر جاءت تشبهها، فإن كانت نطفة المرأة أكثر جاءت تشبه أخواله، وإن كانت نطفة الرجل أكثر جاءت تشبه أعمامه، وقال: تحول النطفة في الرحم أربعين يوماً فمن أراد أن يدعوا الله عزّ وجلّ ففي تلك الأربعين قبل أن تخلق ثمّ يبعث الله ملك الأرحام فيأخذها، الحديث.[٥]

---

١. التوحيد / ١٥٢، ح١٠.
٢. التوحيد / ١٥٣، ح١١.
٣. عقود المرجان ١/ ٢٨٣.
٤. علل الشرائع / ١٠٣، ح١، الباب ٩٣.
٥. علل الشرائع / ٩٥، ح٤.

تعتلج: أي تتصارع، اعتلج القوم: اتخذوا صراعاً وقتالاً.

وفي المجمع: «وقد تقرر في عقل كلّ عاقل إنّ العالَم لو اجتمعوا على أن يخلقوا من الماء بعوضة ويصوّروا منه صورة في حال ما يشاهدونه ويصرفونه لم يقدروا على ذلك، ولا وجدوا إليه سبيلاً فكيف يقدرون على الخلق في الأرحام فتبارك الله أحسن الخالقين. وهذا الاستدلال مروي عن جعفر بن محمّد عليه السلام»[1].

وللشيخ أبي‌الفتوح الرازي رحمه الله كلام لطيف في هذا المجال فَراجِعْ تفسيره[2].

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٧﴾

﴿هُوَ﴾ الله لا إله إلّا هو.

﴿ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ﴾ قد مرّ أنّ في معنىٰ الإنزال الدفعة الواحدة لأنّ المراد بِهِ بيان بعض اوصاف مجموع الكتاب وخواصه، فهو مأخوذ بهذا النظر أمراً واحداً من دون النظر إلى تعدد وتكثر.

﴿عَلَيْكَ﴾ أيها الرسول الأعظم محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله. ﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾ أي القرآن.

﴿مِنْهُ﴾ من التبعيضية والضمير يرجع إلى الكتاب و ﴿مِنْهُ﴾ خبر مقدم.

﴿ءَايَـٰتٌ﴾ مبتدأ مؤخّر. والجملة (منه آيات) في موضع النصب على الحال من أنزل.

﴿مُّحْكَمَـٰتٌ﴾ «الحاء والكاف والميم أصل واحد وهوالمنع وأوّل ذلك الحكم:

---

١. مجمع البيان ٢/ ٤٠٨.

٢. روض الجنان ٤/ ١٧٠ وما بعدها.

وهو المنع من الظلم»[١].

المحكم: هو الذي يمنع من الإجمال والاحتمال والمشابهة، فهو معلوم الدلالة ومفهوم المراد ولا يقبل التأويل والتفسير بالآراء الفاسدة.

وقال الشيخ: «المحكم: هو ما علم المراد بظاهره من غير قرينة تقترن إليه ولا دلالة تدل على المراد به لوضوحه نحو قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا﴾[٢] وقوله: ﴿لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ﴾[٣] لأنّه لا يحتاج في معرفة المراد به إلى دليل. والمتشابه: ما لايعلم المراد بظاهره حتّى يقترن به ما يدل على المراد منه. نحو قوله: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ﴾[٤] فإنّه يفارق قوله: ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾[٥] لأن إِضْلالَ السامري قبيح وَإِضْلال الله بمعنىٰ حكمه بأن العبد ضالٌّ ليس قَبِيْحاً بل هو حسن. واختلف أهل التأويل في المحكم، والمتشابه على خمسة أقوال:

فقال ابن‌عباس: المحكم الناسخ، والمتشابه المنسوخ.

الثاني: قال مجاهد: المحكم ما لايشتبه معناه، والمتشابه ما اشتبهت معانيه. نحو قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾[٦] ونحو قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى﴾[٧].

الثالث: قال محمّد بن جعفر بن الزبير، والجبائي: إنّ المحكم ما لايحتمل إلّا وجهاً واحداً، والمتشابه ما يحتمل وجهين فصاعداً.

الرابع: قال ابن‌زيد: إنّ المحكم: هو الذي لم تتكرر ألفاظه. والمتشابه هو التكرر الألفاظ.[٨]

الخامس: ما روي عن جابر أن المحكم: ما يعلم تعيين تأويله، والمتشابه ما لا

---

١. معجم مقاييس اللغة ٢/ ٩١.
٢. سورة يونس / ٤٤.
٣. سورة النساء / ٤٠.
٤. سورة الجاثية / ٢٣.
٥. سورة طه / ٨٥.
٦. سورة البقره / ٢٦.
٧. سورة محمّد / ١٧.
٨. كقصه موسى وغير ذلك، المجمع.

يعلم تعيين تأويله. نحو قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ ١»٢.

وقال الثعلبي: «واختلف العلماء في المحكم والمتشابه كليهما فقال قتادة والربيع والضحاك والسدي: «المحكم: الناسخ الذي يُعمل به».

«والمتشابه: المنسوخ الذي يؤمن به ولا يعمل بِهِ [و] هي رواية عطية عن ابن‌عباس».

روى علي ابن أبي‌طلحة عنه قال: «محكمات القرآن: ناسخه وحلاله وحرامه، وحدوده، وفرائضه، وما يؤمر به ويعمل به».

والمتشابهات: منسوخهُ ومقدمهُ ومؤخرهُ وأمثاله وأقسامه وما يؤمن به ولايعمل به.

زهير بن مُعاوية عن أبي‌إسحاق قال: قال ابن‌عباس: قوله تعالى: ﴿مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ﴾ قال: هي الثلاث الآيات في سورة الأنعام ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ ٣ إلى آخر الآيات الثلاث نظيرها في سورة بني‌اسرائيل ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ ٤ الآيات.

وقال مجاهد وعكرمة: «المحكم: ما فيه من الحلال والحرام وما سوى ذلك متشابه [يصدَّق] بعضها بعضاً».

قد روى محمّد بن إسحاق عن محمّد بن جعفر بن الزبير قال: المحكم: ما لايُحتمل من التأويل غير وجه واحد.

والمتشابه: ما أحتمل من التأويل أوجهاً.

وقال ابن ٱلزُّبَيْرِ: من المحكم ما ذكر الله تعالى في كتابه من قصص الأنبياءعليهم السلام، وفصلت وتنتهِ لمحمّدصلى الله عليه وآله وأمَّته، كما ذكر قصة نوح في أربع وعشرين آية منها، وقصة هود في عشر آيات، وقصّة صالح في ثمان آيات، وقصة إبراهيم في ثمان آيات، وقصة

---

١. سورة الأعراف / ١٨٧؛ وسورة النازعات / ٤٢.
٢. التبيان ٢/ ٣٩٥ و٣٩٤.
٣. سورة الأنعام / ١٥١.
٤. سورة الإسراء / ٢٣.

لوط في ثمان آيات، وقصة شعيب في عشر آيات، وقصة موسى في آيات كثيرة.

وذكر [آيات] حديث رسول الله ﷺ في أربع وعشرين آية.

والمتشابه: هو ما ٱختلف به الألفاظ من قصصهم عند التكرير، كما قال في موضع من قصة نوح: ﴿قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ﴾[١] وقال وفي موضع آخر: ﴿فَٱسۡلُكۡ﴾[٢].

وقال في ذكر عصا موسى: ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ﴾[٣]، وقال في موضع آخر: ﴿ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ﴾[٤] ونحوها.

وَقالَ بَعْضُهُمْ: قال: «المحكم: ما عرف ٱلْعُلَمَاءُ تأويله، وفهموا معناه».

«والمتشابه: ما ليس لأحد إلى علمه سبيل ممّا استأثر الله بعلمه» وذلك نحو الخبر عن وقت خروج الدجّال، ونزول عيسى، وطلوع الشمس من مغربها، وقيام الساعة، وفناء الدَّنيا، ومحوها.

وقال أبوفاختة: «المحكمات التي هنَّ أم الكتاب فواتح السور منها يستخرج القرآن ﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ﴾[٥] منها استخرجت البقرة، ﴿الٓمٓ * ٱللَّهُ﴾[٦] أستخرجت آل‌عمران.

وقال ابن كيسان: «المحكمات حجتها واضحة، ودلائلها لائحة، لا حاجة بمن سمعها إلى طلب معانيها في المتشابه الذي شك علمه، بالنظر فيه يعرف العوَّام تفصيل الحقّ فيه من الباطل».

وقال بعضهم: «المحكم ما أجمع على تأويله، والمتشابه ما ليس معناه واضح».

وقال أبوعثمان: المحكم فاتحة الكتاب.

وقال الشعبي: رأيتُ في بعض التفاسير[٧] أنَّ المتشابه هو [ما خفي لفظه

---

١. سورة هود / ٤٠.
٢. سورة المؤمنون / ٢٧.
٣. سورة طه / ٢٠.
٤. سورة الأعراف / ١٠٧.
٥. سورة البقرة / ١ و٢.
٦. سورة آل‌عمران / ١ و٢.
٧. راجع تفسير مجمع البيان ٢/ ٢٤٢، عن تفسير الماوردي؛ وتفسير القرطبي ٤/ ١٠.

والمحكم ما كان لفظه واضح وعلى هذا القرآن كلّه] ١ محكم من وجه على معنى [.....]٢، قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾٣.

والمتشابه من وجه فهو أنّه يُشْبِهُ بعضه بعضاً في الحسن ويصدق بعضه بعضاً.

وقال ابن‌عباس في رواية شاذان: المتشابه حروف التهجّي في أوائل السَّور، وذلك بأنَّ حكام اليهود هم حُيي بن أخطب، وكعب بن الأشرف ونظراءهما أتوا النبيﷺ فقال له حيَّي: بلغنا أنّه أُنزل عليك (آلم) أأُنزلت عليك؟ قال: نعم، فإن كان ذلك حقّاً فإنّي أعلم من هلك بأُمَّتك وهو إحدى وسبعون سنة فهل أنزلت عليك غيرها؟ قال: نعم وإلى ﴿الٓمٓصٓ﴾٤، قال: هذه أكبر من تلك هي إحدى وستون ومائة سنة فربما غيرها؟ قال: نعم ﴿الٓرٰ﴾٥ قال: هذه أكثر من مائة وسبعون سنة ولقد خلطت علينا فلا ندري أبكثيره نأخذ أم بقليله؟ ونحن ممَّن لا يؤمن بهذا، فأنزل تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾».٦

﴿هُنَّ﴾ أي الآيات المحكمات.

﴿أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي أصل الكتاب. والأُمّ تأتي بمعنىٰ الأصل نحو أُمّ القُرىٰ كما في قوله تعالى: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾٧.

فالمحكمات هنّ أصل الكتاب في إرجاع المتشابهات إليها بل في جميع امور الدين، في أنفسها بل هي متفقة مؤتلفة، وأصل كلّ شيءٍ لابدّ أن يكون واحداً.

قال الثعلبي: «﴿هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي أصله الذي يعمل عليه في الأحكام ويجمع الحلال والحرام ويفرَّغ لأهل الإسلام، وهنَّ آيات التوراة والإنجيل والقرآن، وفي كلّ كتاب يرضى به أهل كلّ دين، ولا يختلف فيه أهل كلّ بلد.

---

١. . زيادةٌ لتقويم المعنى
٢. كلمة غير مقروءة.
٣. سورة هود / ١.
٤. سورة الأعراف / ١.
٥. سورة يونس / ١.
٦. الكشف والبيان ٣/ (١٢-١٠).
٧. سورة الشورى / ٧.

والعرب تسمي كلّ شيء فاضل جامع يكون مرجعاً لقوم، كما قيل للَّوح المحفوظ: أمّ الكتاب، والفاتحة: أمُّ القرآن، ولمكَّة: أُمُّ القرى وللدماغ: أمُّ الرأس، وللوالدة: أم، وللراية: أم، وللرجل الذي يقوم بأمر العيال: أم، وللبقرة والناقة أو الشاة التي يعيش بها أهل الدار: أم، وكان عيسى عليه السلام يقول: «للماء هذا أبي»، وللخبز: «هذه أُمَّي»؛ لأنَّ قوام الأبدان بهما»[١].

﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ يظهر مَعْنىٰ المتشابه بالمقابلة مع المحكم، فالمتشابه: هُوَ ٱلذي لا يُمنعُ من الإِجمال والإِحتمال والمشابهة، فَهُوَ غير مَعْلُوْمِ الدلالة وغير مفهوم المراد إلّا بالقرائن والشواهد ويقبل التأويل والتفسير بالآراء.

وقد مرّتْ مقالة الشيخ في تعريفه بأنّ: «المتشابه: ما لايعلم بظاهره حتّى يقترن به ما يدلّ على المراد منه»[٢].

قال الشيخ: «فإن قيل: لم أنزل في القرآن المتشابه؟ وهلّا أنزله كلّه محكماً؟

قيل: للحث على النظر الذي يوجب العلم دون ٱلِاتِّكالِ على الخبر من غير نظر، وذلك أنّه لو لم يعلم بالنظر أنّ جميع ما يأتي به الرسول حق يجوز أن يكون الخبر كذباً، وبطلت دلالة السمع، وفائدته، فلحاجة العباد إلى ذلك من الوجه الذي بيّناه، أنزل الله متشابهاً، ولولا ذلك لما بأن منزلة العلماء، وفضلهم على غيرهم، لأنّه لو كان كلّه محكماً لكان مَنْ يتكلّم باللغة العربية عالماً به، ولا كان يشتبه على أحد المراد به فيتساوي النّاس في علم ذلك، على أن المصلحة معتبرة في إنزال القرآن، فما أنزله متشابهاً لأن المصلحة اقتضت ذلك، وما أنزله محكماً فامثل ذلك. والمتشابه في القرآن يقع فيما اختلف النّاس فيه من أمور الدين: من ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[٣] فاحتمل في اللغة أن يكون كاستواء الجالس على السرير واحتمل أن يكون بمعني الاستيلاء نحو قول الشاعر:

---

١. الكشف والبيان ٣/ ٩.
٢. التبيان ٢/ ٣٩٥.
٣. سورة الأعراف / ٥٤؛ وسورة يونس / ٣؛ وسورة الفرقان / ٥٩؛ سورة السجدة / ٤؛ وسورة الحديد / ٤.

ثمّ استوىٰ بِشْرٌ على العراقِ من غير سيفٍ ودمٍ مهراقِ

وأحد الوجهين لا يجوز عليه تعالى لقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[١] وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

والآخر يجوز عليه، فهذا من المحكم الذي يرد إليه المتشابه. ومن ذلك قوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾[٢] فاحتمل ظاهره تكليف المشاق، واحتمل تكليف ما لايطاق وأحدهما لايجوز عليه تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٣] فرددنا إليه المتشابه ومن ذلك قوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[٤] فرددناه إلى المحكم الذي هو قوله: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٥] ومن ذلك قوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[٦] متشابه، وبيّن المراد بالمحكم الذي هو قوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[٧] ومن ذلك اعتراض الملحدين في باب النبوة بما يوهم المناقضة كقوله: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ * ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ * فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾[٨] فقال اليومان والأربعة واليومان ثمانية ثمّ قال «هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام» فأوهموا أن ذلك مناقضة وليس الأمر على ما ظنوه لأن ذلك يجري مجري قول القائل: سرنا من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام وسرنا إلى الكوفة في خمسة عشر

---

١. سورة شورى / ١١.
٢. سورة بقرة / ٢٨٦.
٣. .سورة بقرة / ٢٨٦؛ وسورة الطلاق / ٧
٤. سورة النساء / ٧٨.
٥. سورة آل‌عمران / ٧٨.
٦. سورة التكوير / ٢٩؛ وسورة الدهر / ٣٠.
٧. سورة آل‌عمران / ١٠٨.
٨. سورة فصلت / ٩-١٢.

يوماً فالعشرة داخلة في الخمسة عشر ولايضاف فيقال: عشرة، وخمسة عشر خمسة وعشرون يوماً كان فيها السير، فكذلك خلق الله الأرض في يومين وقضاهن سبع سماوات في يومين وتمم خلقهن في ستة أيام. وتقديره خلق الأرض في يومين من غير تتميم وجعل فيها رواسي وما تم به خلقها في أربعة أيام فيها اليومان الأوّلان كما يقال: جعل الدور في شهرين وفرغ منهن في أربعة أشهر. فيكون المحكم قد أبان عن معناه أنّه على جهة خلق الأرض في يومين من غير تتميم، وليس على وجه التضاد على ما ظنوه.

فإن قيل: كيف يكون المحكم حجة مع جواز تقييده بما في العقل؟ وفي ذلك إمكان كلّ مبطل أن يدعيه فتذهب فائدة الاحتجاج بالمحكم؟

قلنا: لايجب ذلك من قبل أن التقييد بما في العقل إنما يجوز فيما كان رداً إلى تعارف من جهة العقول دون ما لايتعارف في العقول بل يحتاج إلى مقدمات لايتعارفها العقلاء من أهل اللغة، والمراعى في ذلك أن يكون هناك تعارف من جهة العقل تقتضيه الحكمة دون عادة أو تعارف شيء لأنّ الحجة في الأوّل دون الثاني، ومن جهة التباس ذلك دخل الغلط على كثير من النّاس.

فإن قيل: كيف عددتم من جملة المحكم قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ مع الاشتباه فيه بدخول الكاف؟ قلنا إنّما قلنا: أنّه محكم لأن مفهومه ليس مثله شيء على وجه من الوجوه دون أن يكون عند أحد من أهل التأويل ليس مثل مثله شيء فدخول الكاف وإن اشتبه على بعض النّاس لم دخلت فلم يشتبه عليه المعنى الأوّل الذي من أجله كان محكماً. وقد حكينا فيما مضى عن المرتضىعليه السلام علي بن الحسين الموسوي أنّه قال: الكاف ليست زائدة وإنّما نفى أن يكون لمثله مثل فإذا ثبت ذلك علم أنّه لا مثل له، لأنّه لو كان له مثل لكان له أمثال، فكان يكون لمثله مثل، فإذا لم يكن له مثلٌ مثلٍ دلّ على أنّه لا مثل له، غير أن هذا تدقيق في المعنى، فتصير الآية على هذا متشابهة، لأن ذلك معلوم بالادلة. وقد يكون الشيء محكماً من وجه ومتشابهاً من وجه كما يكون معلوماً من وجه، ومجهولاً من وجه، فتصح الحجة به من وجه المعلوم دون

المجهول»[١].

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ﴾ الزيغ هو الميل عن الحقِّ والاستقامة.

﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾ أي يحتجون به في باطلهم.

﴿ٱبۡتِغَآءَ﴾ مادة (ب غ ي): هو طلب تجاوز الاقتصاد كمّاً وكيفاً، تجاوزه أم لا؟ وهو محمود ومذموم والأوّل نحو قوله تعالى: ﴿ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ﴾[٢] أو قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ﴾[٣] أو ما ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ: «ألا إنّ الله يحبُّ بغاة العلم»[٤]. والثاني نحو هذه الآية الشريفة. والتمييز بينهما بالمطلوب وهيئة الافتعال تدل على كثرة الاهتمام.[٥]

﴿ٱلۡفِتۡنَةِ﴾ هو الاختبار في اللغة يأخذ من قولهم فتنت الذهب بالنار أي اختبرته. وهنا افتنان النّاس بالتشكيك في دينهم وعقائدهم وأعمالهم. وطلب الضلال والإضلال وإفساد الدين. والمراد بالفتنة هنا الكفر وهوالمروي عن أبي‌عبدالله عليه السلام.[٦]

﴿وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾ التأويل: التفسير وأصله المرجَع ولامصير، من قولهم: آل أمره إلى كذا. والمراد بها: إنّ الذين في قلوبهم زيغ يطلبون تفسير القرآن على خلاف الحقّ وعلى طبق آراءهم الفاسدة.[٧]

﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي لايعلم تفسير المتشابهات إلّا الله تعالى الذي أنزل الكتاب.

﴿وَ﴾ ـ هُنا ـ عِنْدَنا، عَطْفٌ علىٰ «الله» تعالى لأنّ إنزال ٱلكِتابِ لأجل هداية النّاس ثمّ عدم معلومية بعض آياته عند الكل فهو قبيح عند العقل والعقلاء.

واستيناف عند قوم، ويرد عليهم ما ذكرته.

---

١. التبيان ٢/ (٣٩٨-٣٩٦).
٢. سورة الاسراء / ٢٨.
٣. سورة الرعد / ٢٢.
٤. الكافي ١/ ٧٢، ح١ (١/ ٣٠).
٥. كما في مواهب الرحمن ٥/ ٤٣.
٦. مجمع البيان ٢/ ٤١٠.
٧. لتوضيح معني التأويل راجع الميزان ٣/ ٢٧.

﴿ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ الرسوخ: هو الثبوت، رسخ الشيء رسوخاً إذا ثبت في موضعه، فَالمُرادُ بها: العلماء الثابتون المستقرون في العلم، وقد وردت الروايات بأنّهم الأئمّة عليهم السلام.

﴿يَقُولُونَ﴾ وما يأتي مقالة عامة المسلمين عالمهم وجاهلهم ولايختص بالراسخين في العلم فقط، وهذا شاهد على أنّ الواو عطف.

﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي المسلمون يقولون بأنّهم مؤمنون بالقرآن العظيم.

﴿كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾ أي كلّ آياته من المحكمات والمتشابهات تأتي من عند ربنا.

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ اللّب: العقل الخالص. ختم الله تعالى كلامه بأنّ العقلاءهم الذين يَسْتَفِيْدُوْنَ بالكتاب فقط لأنّ النفي والاثبات يدل على الحصر.

الروايات

في صحيحة بُريد بن معاوية ٱلْعِجْلِيِّ عن أبيجعفر عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل الراسخين في العلم قد علم جميع ما أنزل الله عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله لِيُنْزِلَ عليه شيئاً لَمْ يُعَلِّمْهُ تأويله، واُوصياؤه، من بعده يعلمونه كلّه، الحديث.[١]

أقول: وفي العياشي[٢] والكافي[٣] وبصائر الدرجات[٤] زيادة: «والذين لايعلمون تأويله إذا قال العالم فيهم بعلمٍ فأجابهم الله بقوله: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾، والقرآن خاص وعام، ومحكم ومتشابهٌ، وناسخ ومنسوخ، فالراسخون في العلم يعلمونه».

والمراد بالعالم هو الإمام عليه السلام وبالذين لايعلمون تأويله الشيعة، بعلم: أي بمحكم أو تأويل متشابه، فأجابهم الله: يعني أجاب الله الراسخين من قبل الشيعة بقوله: ﴿يَقُولُونَ﴾ يعني الشيعة ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ من المحكم والمتشابه ﴿كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾[٥].

والرواية مذكورة في بحارالأنوار[٦] ووسائل الشيعة[٧].

---

١. تفسير القمي / ٥٢ من الطبع الحجري.
٢. تفسير العياشي ١/ ٢٩٣، ح٧.
٣. الكافي ١/ ٥٢٩، ح٢ (١/ ٢١٣).
٤. بصائر الدرجات / ٢٠٣، ح٤ و/ ٢٠٤، ح٨.
٥. كما في الوافي ٣/ ٥٣٢.
٦. بحارالأنوار ٢٣/ ١٩٩، ح٣٢ [١٠/ ١٦٩] مع بيان للعلّامة المجلسي رحمه الله في ذيلها.
٧. وسائل الشيعة ٢٧/ ١٧٨، ح٣٣٥٣٦.

وفي العياشي عن عبدالرحمن بن كثير الهاشمي عن أبي‌عبدالله عليه السلام في قول الله ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ قال: أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام، ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾ فلان وفلان ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ﴾ أصحابهم وأهل ولايتهم ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾.[١]

ورواها في الكافي[٢] مسنداً.

وفيه: سُئل أبوعبدالله عليه السلام عن المحكم والمتشابه، قال: المحكم ما يُعمل به والمتشابه ما اشتبه على جاهله.[٣]

وفيه: عن أبي‌بصير عن أبي‌عبدالله عليه السلام يقول: إنّ القرآن محكم ومتشابه، فأمّا المحكم فنؤمن به ونعمل به ونَدين به وأمّا المتشابه فنؤمن به ولا نعمل به وهو قول الله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ...﴾ والراسخون في العلم هم آل محمّد عليهم السلام.[٤]

ونحوها في بصائر الدرجات[٥].

وفيه: عن الفضيل بن يسار عن أبي‌جعفر عليه السلام قال: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ نحن نَعْلَمُه.[٦]

وفيه: عن أبي‌بصير عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: نحن الراسخون في العلم فنحن نعلم تأويله.[٧]

رواها في الكافي[٨] بسند صحيح وكذلك في بصائر الدرجات[٩].

وفي خبر عبدالرحمن بن كثير عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: الراسخون في العلم:

---

١. تفسير العياشي ١/ ٢٩١، ح٣.
٢. الكافي ٢/ ٣٦٩، ح١٤ (١/ ٤١٥).
٣. تفسير العياشي ١/ ٢٩٢، ح٤.
٤. تفسير العياشي ١/ ٢٩٢، ح٥.
٥. بصائر الدرجات / ٢٠٣، ح٣.
٦. تفسير العياشي ١/ ٢٩٣، ح٨.
٧. تفسير العياشي ١/ ٢٩٣، ح٩.
٨. الكافي ١/ ٥٢٨، ح١ (١/ ٢١٣).
٩. بصائر الدرجات / ٢٠٣، ح٥ و/ ٢٠٤، ح٧.

أميرالمؤمنين والأئمّة من بعده عليهم السلام.[١]

وفي صحيحة أبي‌الصباح الكناني قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: نحن قوم فرض الله عزّ وجلّ طاعتنا لنا الانفال ولنا صفو المال ونحن الراسخون في العلم ونحن المحسودون الذين قال الله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[٢].[٣]

رواها الصفار بسنده الصحيح في بصائر الدرجات[٤].

وفي خبر مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمّد عليه السلام عن أبيه عليه السلام في جواب أميرالمؤمنين عليه السلام لرجل يسأله عن توصيف الربّ ليزداد له حبّاً ومعرفة؟ قال: فغضب عليه السلام وخطب النّاس فقال فيما قال: ... وأعلم يا عبدالله إنّ الراسخين في العلم هم الذين أغناهم الله عن الاقتحام على السُّدَد المضروبة دون الغيوب إقراراً بجهل ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، فقالوا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ وقد مدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً وسمّي تركهم التعمّق فيما لم يُكَلِّفهم البحث عنه رسوخاً.[٥]

ذكرها ابن أبي‌الحديد المعتزلي في شرح نهج‌البلاغة[٦].

وأنت تجد الروايات الواردة في أنّ الأئمّة عليهم السلام هم الراسخون العلم في الوافي[٧] وبحارالأنوار[٨] والبرهان[٩] ونورالثقلين[١٠].

---

١. الكافي ١/ ٥٣٠، ح٣ (١/ ٢١٣).
٢. سورة النساء / ٥٤.
٣. الكافي ١/ ٤٥٧، ح٦ (١/ ١٨٦).
٤. بصائر الدرجات / ٢٠٢، ح١ و/ ٢٠٤، ح٦.
٥. تفسير العياشي ١/ ٢٩٢، ح٦.
٦. شرح نهج‌البلاغة ٦/ ٤٠٣.
٧. الوافي ٣/ ٥٣١.
٨. بحارالأنوار ٢٣/ ١٨٩ (١٠/ ١٦٠).
٩. البرهان ١/ ٥٩٧.
١٠. نور الثقلين ١/ ٣٧٣.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ ﴿٨﴾

هذه مقالة ثانية للراسخين في العلم وهي من آثار رسوخهم في العلم وأنّهم عرفوا ربّهم وَدَعَوْهُ تعالى بلسان الحال والمقال بهذه المقالة الشريفة.

﴿رَبَّنَا﴾ أي يقولون يا من هو مَسْؤُوْلٌ لتربيتنا.

﴿لَا تُزِغْ﴾ قد مرّ أنّ الزيغ هو الميل عن الحق والاستقامة.

﴿قُلُوبَنَا﴾ القلب: أشرف الأعضاء وهو رئيس البدن والانسان لا يعمل عملاً إلّا بإذن القلب وإرادته وعلمه وهو محل السرور والغم قد يقال[1]: سمّوهُ القلب لسرعة تقلُّبه[2]. والمراد به ما يُسمّى في الفارسية بـ «دل».

﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ هم يعلمون إمكان الانحراف عن الحقّ ولو بعد الهداية ـ أعاذنا الله وإيّاكم منه ـ ولذا يدعون الله ﷻ ـ بابقائهم على طريق الهداية وعدم الانحراف عنها.

﴿وَهَبْ لَنَا﴾ الهبة: هي تمليك الشيء مجاناً وبلا عوض. يهب الله تعالى الوجود إلى جميع المخلوقات والممكنات والموجودات.

﴿مِن لَّدُنكَ﴾ أي من عندك، لأنّ الهبة الوجودية والرحمتية مُنْحَصِرَةٌ به الله تعالى وهو أَصْلُها وَواهِبُها.

﴿رَحْمَةً﴾ تشمل جميع النعم الدنيوية والأُخروية ومن أهمّها الاستقامة في جادة الشريعة وبقاء الهداية وطي الصراط المستقيم الألهي.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ تعليل لما قبلها، والوهاب صيغة المبالغة باعتبار المتعلِّق لا باعتبار الذات.[3]

---

١. روض الجنان ٤/ ١٩٠.

٢. وفي ذٰلِكَ يَقُوْلُ الشّاعِرُ ٱلْقَدِيْمُ:

وَما سُمِّيَ ٱلإِنْسان إِلّا لِنَسْيِهِ ... وَلا ٱلقَلْبُ إِلّا أَنَّهُ يَتَقَلَّبُ

٣. كما في مواهب الرحمن ٥/ ٩٠.

الروايات

في مرفوعة هشام بن الحكم عن موسى بن جعفر عليه السلام في حديث طويل قال: يا هشام إنّ الله حكى عن قوم صالحين أنّهم قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ حين علموا أنّ القلوب تزيغ وتعود إلى عماها ورداها. إنّه لم يخف الله من لم يعقل عن الله، ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه، ولايكون أحد كذلك إلّا من كان قوله لفعله مصدّقاً، وسرّه لعلانيته موافقاً، لأنّ الله تبارك اسمه لم يدلّ على الباطن الخفيّ من العقل إلّا بظاهر منه، وناطق عنه.[١]

وفي العياشي عن سماعة بن مهران قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: أكثروا من أن تقولوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ ولا تأمَنُوا الزَّيغ.[٢]

وفي الدعاء بعد صلاة عيد الغدير المروية عن أبي‌عبدالله عليه السلام: ربّنا إنّك أمرتنا بطاعة ولاة أمرك وأمرتنا أن نكون مع الصادقين فقلت: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٣] وقلت: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[٤] فسمعنا وأطعنا ربّنا فثبت أقدامنا وتوفّنا مسلمين مصدقين لأُوليائك ﴿لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾.[٥]

وفي تفسير روض الجنان ذيل قوله تعالى ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ عن الصادق عليه السلام قال: لزوماً لخدمتك. وقال الرازي في توضيحه على وجه السنة بخلاف البدعة.[٦]

وفي رواية عامية عن أمسلمة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يكثر في دعائه أن يقول: اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، قلت: يا رسول الله وإنّ القلوب لتتقلب؟

---

١. الكافي ١/ ٣٨، ح١٢ (١/ ١٨).
٢. تفسير العياشي ١/ ٢٩٤، ح١٠.
٣. سورة النساء / ٥٩.
٤. سورة التوبة / ١١٩.
٥. التهذيب ٣/ ١٤٧، ح٣١٧.
٦. روض الجنان ٤/ ١٨٩.

قال: نعم، ما خلق الله من بشر من بني آدم إلّا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله فإن شاءَ الله أقامه وإن شاءَ أزاغه فنسأل الله ربّنا أن لاتزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة أنّه هو الوهاب.

قلت: يا رسول الله ألا تعلّمني دعوة أدعو بها لنفسي؟

قال: بلىٰ قولي: اللهم ربّ النبي محمّد اغفرلي ذنبي واذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن ما احييتني.[١]

وفي رواياتهم عن الرسول صلى الله عليه وآله أنّه قال: مثل القلب كمثل ريشةٍ بأرض فلاةٍ في يوم عاصف تُقَلِّبُها الريح ظهراً لبطن.[٢]

وفيها عن الرسول صلى الله عليه وآله: إنّ قلب ابن آدم مثل العصفور يتقلَّب في اليوم سبع مرات.[٣]

وعن النبي صلى الله عليه وآله: لَقَلْبُ ابن آدمَ أسرعُ تقلُّباً من القِدْرِ إذا اسْتَجْمَعَتْ غَلْياً.[٤]

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: إنّ هذه القلوب تملّ كما تملّ الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكم.[٥]

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: إنّ للقلوب شهوة وإقبالاً وإدباراً فأتوها من قبل شهوتها وإقبالها فإنّ القلب إذا أُكره عَمِي.[٦]

وللوقوف علىٰ روايات القلب راجع كتابي موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام.

---

١. الكشف والبيان ٣/ ١٧؛ الدرالمنثور ٢/ ٨؛ روض الجنان ٤/ ١٨٩.
٢. روض الجنان ٤/ ١٩٠؛ ونحوها في الكشف والبيان ٣/ ١٧؛ والدر المنثور ٢/ ٨.
٣. الكشف والبيان ٣/ ١٧؛ الدر المنثور ٢/ ٨؛ روض الجنان ٤/ ١٩٠.
٤. روض الجنان ٤/ ١٩٠؛ نحوها في الدر المنثور ٢/ ٩.
٥. نهج‌البلاغة، الحكمة ٩١.
٦. نهج‌البلاغة، الحكمة ١٩٣.
٧. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٩/ (١٨٨-١٧٦).

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ ﴿٩﴾

هذه مقالة ثالثة للراسخين في العلم وَهِيَ بمنزلة التعليل لمسألة الرحمة في المقالة الثانية في الآية الماضية، ويظهر منها إيمانهم بالمعاد ويوم القيامة كما يظهر من مَقالتَيْهِم ٱلْمَاضِيَتَيْنِ إيمانهم بالله تعالى ورسولهﷺ وكتابه، فهم مؤمنون بالعقائد الحقّة مِنْ أصول الدين ومن المعلوم أنّ الإمامة حيث تكون وصاية عن النبيﷺ تدخل في النبوة والرسالة، والعدالة تدخل في الايمان بالله تعالى فهم مؤمنون بأصول المذهب الخمسة.

وهذه الآية تدل على اعتقادهم وإيمانهم بالمعاد حيث وصفوه بيوم لاريب فيه.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ﴾ لأنّ جميع النّاس يحضرون المحشر والله هو جامعهم. والناس لايكون ناساً إلّا بأجسادهم وأرواحهم كما في هذه ٱلنَّشْأَةِ، فهم يؤمنون بالمعاد الجسماني.

﴿لِيَوْمٍ﴾ أي في يوم.

﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ وهم يعتقدون بِوُقُوْعِ القيامة واجتماع النّاس فيها بلاشك وترديد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ الميعاد: المِفْعال من الوعد كالميقات من الوقت، الوعد يستعمل في الخير والشرّ إذا اطلق.

وأمّا الالتفات من الخطاب إلى الغيبة فَلايختص بالراسخين فكان الأَوْلىٰ تبديل خطاب ربّنا إلى لفظة الجلالة لأنّ لَفْظَ الالوهية عام شامل لكلِّ شيءٍ.[١]

الرواية

روي عن النبيﷺ أنّه قال: من قرأ هذه الآية على شيءٍ ضاع منه ردّه الله عليه ـ ثمّ قال بعد الآية ـ اللهم يا جامع النّاس ليوم لاريب فيه اجمع بيني وبين مالي انّك على كلّ شيءٍ قدير.[٢]

---

١. كما في الميزان ٣/ ٣١.
٢. الدر المنثور ٢/ ٩.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ١٠﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من الذين في قلوبهم زيغ وهذا الزيغ يمكن أن يبلغهم إلى الكفر، أو وفد نجران والنصارى أو اليهود[١] أَوْهُمْ مُشْرِكُوْ ٱلْعَرَبِ أو عموم الكفار والأخير أعم وأظهر.

﴿لَن تُغْنِيَ﴾ قال الزمخشري: «قرأ عليّ عليه السلام لن تغنيْ بسكون الياء وهذا من الجدّ في استثقال الحركة علىٰ حروف اللين»[٢]. والمراد به: لن تدفع، أغنىٰ عنه ماله من فلان: أي أعطاه الغنىٰ ورفع حاجته فلايحتاج إليه، وهذا الغنىٰ منفي في الآية الشريفة بـ«لن» الآتية للنَّفْيِ الأبدي، والمراد بالإغناء عن أَهْوالِ الآخرة وشدائدها.

﴿عَنۡهُمۡ﴾ الضمير يرجع إلى الذين كفروا.

﴿أَمۡوَٰلُهُمۡ﴾ ينسب الأموال إليهم لكثرتها وتوهمهم أنّها لهم دواماً وأبديّاً. وقدّمها لأنّ المال معروف للإنسان بل يعدّ من معارفه الأوليّة، وعُلْقة الملكيّة منفصلة بالموت وينتقل الأموال إلى الورثة، مضافاً إلى عدم إمكان انتقاله إلى الآخرة بعد الموت غالباً.

﴿وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم﴾ كرر حرف لا النافية للتأكيد والتذكير. والاولاد أيضاً لا يفيد عنهم في الآخرة وشدائدها.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا﴾ قال أبوعبيدة: مِنْ هنا بمعنىٰ عند، وقال المبرد: من هاهنا على أصلها لابتداء الغاية وتقديره لن تغني عنهم ابتداء الشيء الذي خلقه[٣] وإذا لن تغني عنهم في الابتداء والدنيا والعاجل فلايفيدهم الغنىٰ في الانتهاء والآخرة والآجل أيضاً بطريق الأولوية ولذا قال الطبرسي: «تقديره لن تغني عنهم غناً ابتداءً وانتهاءً»[٤].

---

١. وفي تفسير مقاتل بن سليمان ١/ ١٥٨: «يعني اليهود خاصة نزلت في كعب بن الأشرف».
٢. الكشّاف ١/ ٣٣٩.
٣. التبيان ٢/ ٤٠٣.
٤. مجمع البيان ٢/ ٤١٢.

من الله: أي من عذاب الله. وفي الآية نوع من الوعيد بل تصريح به في ما بعد.

﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ﴾ الكفار.

﴿هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ الوَقود: ما توقد به النار وتشتعل، واسم ومصدره بضم الواو وُقود نحو الوَضوء للماء والوُضوء للفعل والطَّهور والطُّهور، أي الكفار بأنفسهم يكونون حطب جهنم. وفي الميزان: «الاتيان بالجملة الاسمية والابتداء باسم الاشارة وكونه دالاً على البعد وتوسيط ضمير الفصل وإضافة الوقود إلى النار كلّ ذلك يؤكد ظهور الكلام في الحصر»[١]. وعلى هذا حطب جهنم ينحصر في الكفار وغيرهم من الظلمة والفسقة يحترقون بنارهم.

الروايات

وفي خبر سويد بن غَفَلَة عن أميرالمؤمنين عليه السلام انّه قال: إنّ ابن آدم إذا كان في آخر يوم من أيام الدنيا وأوّل يوم من أيام الآخرة مُثِّلَ له ماله وولده وعمله فيلتفت إلى ماله فيقوم: والله إنّي كنتُ عليك حريصاً شحيحاً، فمالي عندك؟ فيقول: خُذ مني كفنك.

قال: فيلتفتُ إلى ولده فيقول: والله إنّي كنت لكم محبّاً وإنّي كنت عليكم مُحامياً فماذا لي عندكم؟ فيقولون: نؤدِّيك إلى حفرتك نواريك فيها.

قال: فيلتفتُ إلى عمله فيقول. والله إنّي كنت فيك لزاهداً وإن كنتَ عليَّ لثقيلاً فماذا عندك؟ فيقول: أنا قرينك في قبرك ويوم نشرك حتّى أُعرض أنا وأنت على ربّك، الحديث.[٢]

وفي خبر جابر الجعفي عن أبيجعفر عليه السلام عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا حمل عدوُّ الله إلى قبره نادى حملته: ألا تسمعون يا إخوتاه إنّي أشكو إليكم ما وقع فيه أخوكم الشّقي إنَّ عدوَّ الله خدعني فأوردني ثمّ لم يصدرني وأقسم لي أنّه ناصحٌ لي فغشّني؛ وأشكو إليكم دنيا غرَّتني حتّى إذا اطمأننت إليها صرعتني؛ وأشكو إليكم أخلّاء الهوى منّوني ثمّ تبرَّؤوا منّي وخذلوني؛ وأشكو إليكم أولاداً حميتُ عنهم وآثرتهم على نفسي فأكلوا مالي وأسلموني؛ وأشكو إليكم مالاً منعت منه حقّ الله فكان

---

١. الميزان ٣/ ٩٠.

٢. الكافي ٥/ ٥٧٢، ح١ (٣/ ٢٣١).

وباله عليَّ وكان نفعه لغيري وأشكو إليكم داراً أنفقت عليها حريبتي وصار ساكنها غيري وأشكو إليكم طول الثواء في قبري ينادي أنا بيت الدُّود أنا بيت الظّلمة والوحشة والضيق يا إخوتاه فاحبسوني ما استطعتم واحذورا مثل ما لقيت فإنّي قد بشرّت بالنّار وبالذل والصّغار وغضب العزيز الجبّار واحسرتاه على ما فرَّطتُ في جنب الله ويا طول عولتاه فما لي من شفيع يُطاع ولاصديق يرحمني فلو أنَّ لي كرَّة فأكون من المؤمنين.[١]

منّوني: أي جعلوني في المُنىٰ والأمل.

وزاد في رواية أُخرى عن أبي‌جعفر عليه السلام: فما يَفْتَرُ يُنادي حتّى يدخل قبره فإذا دخل حفرته ردَّت الرُّوح في جسده وجاءه ملكا القبر فامتحناه؛ قال: وكان أبوجعفر عليه السلام يبكي إذا ذكر هذا الحديث.[٢]

ما يَفْتُرُ: أي لايزال ينادي بهذه المقالة وما يضعف منها.

وفي معتبرة مسعدة بن زياد عن الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال علي عليه السلام: إنّ للمرء المسلم ثلاثة أخلّا: فخليل يقول له: أنا معك حيّاً وميتاً وهو عمله، وخليل يقول له: أنا معك حتّى تموت وهو ماله، فإذا مات صار للورثة، وخليل يقول له: أنا معك إلى باب قبرك ثمّ أُخلّيك وهو ولده.[٣]

رفع أبويعلىٰ الجعفري في نزهة الناظر عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «إنّما مثل أحدكم وأهله وماله وعمله، كرجل له ثلاثة إخوة، فقال لأخيه الّذي هو ماله حين حضرته الوفاة ونزل به الموت: ما عندك فقد ترى ما نزل بي؟ فقال له أخوه الّذي هو ماله: مالك عندي غنى ولا نفع إلّا ما دمتَ حيّاً، فخذ منّي الآن ما شئت، فإذا فارقتك فسيذهب بي إلى ما ذهب غيرمذهبك، وسيأخذني غيرك، فالتفت النّبي صلى الله عليه وآله إلى أصحابه فقال: هذا الّذي هو ماله، فأيّ أخ ترون هذا؟ فقالوا: أخ لا نرى به طائلاً، ثمّ

---

١. الكافي ٥/ ٥٧٧، ح٢ (٣/ ٢٣٣).
٢. الكافي ٥/ ٥٧٨، ح٣ (٣/ ٢٣٤).
٣. أمالي الصدوق، المجلس الثالث والعشرون ح٣/ ١٧٠، الرقم ١٦٧؛ الخصال / ١١٤، ح٩٢؛ معاني الأخبار / ٢٣٢، ح١.

قال لأخيه الّذي هو أهله وقد نزل به الموت: ما عندك في نفعي والدّفع عنّي، فقد نزل بي ما ترى؟ فقال: عندي أن أُمرّضك وأقوم عليك، فإذا متّ غسّلتك ثمّ كفّنتك ثمّ حنّطتك، ثمّ اتّبعك مشيّعاً إلى حفرتك، فأثنىٰ عليك خيراً عند من سألني عنك، وأحملك في الحاملين، فقال النّبيﷺ: هذا أخوه الّذي هو أهله، فأيّ أخ ترون هذا؟ قالوا: أخ غير طائل، يا رسول الله، ثمّ قال لأخيه الّذي هو عمله: ماذا عندك في نفعي والدّفع عنّي، فقد ترى ما نزل بي؟ فقال له: اؤنس وحشتك واذهب غمّك، فأُجادل عنك في القبر، وأُوسّع عليك جهدي، ثمّ قالﷺ: هذا أخوه الّذي هو عمله، فايّ أخ ترون هذا؟ قالوا: خير أخ، يا رسول الله، قال: فالأمر هكذا»[١].

وفي كتاب عاصم بن حميد الحنّاط عن أبيبصير قال سمعت أباجعفرعليه السلام يقول: «كان أبوذر يقول في عظته: يا مبتغي العلم، كأنّ شيئاً من الدّنيا لم يك شيئاً، إلّا عمل ينفع خيره أو يضرّ شرّه، يا مبتغي العلم، لا يشغلك أهل ولا مال عن نفسك، أنت اليوم تفارقهم، كضيف بتَّ فيهم ثمّ غدوت من عندهم إلى غيرهم، والدّنيا والآخرة كمنزلة تحوّلت منها إلى غيرها، وما بين الموت والبعث كنومة نمتها ثمّ استيقظت منها»[٢].

﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١١﴾

﴿كَ﴾ متعلِّق بمحذوف وتقديره عادتهم ـ أي الذين كفروا ـ كعادة آلفرعون فيكون الكاف في موضع رفع عَلىٰ أَنَّهُ خبر مبتدأ، ويجوز أن ينتصب موضعه بلن تغني أو بالوقود أي لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن أولئك أو توقدبهم النار كما توقدبهم.

---

١. نزهة الناظر / ١٥ ونقل عنه في مستدرك الوسائل ١٢/ ١٦٠، ح١، الباب ٩٩ من أبواب جهاد النفس.
٢. كتاب عاصم بن حميد الحنّاط / ٣٥ ونقل عنه في مستدرك الوسائل ١٢/ ١٦١، ح٢.

﴿دَأْبِ﴾ دأب يدأب دأباً ودئاباً: إذا اعتاد الشيء وتمرن عليه، العادة، والدأب: الاجتهاد، دأباً ودؤوباً إذا اجتهد فيه وبالغ ونقل من هذا إلى العادة لأنّه بالغ فيه حتّى صار عادة. الدأب: الاجتهاد إذا صار عادة يأتي في السير المستمر.

﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ فرعون اسم لحكام مصر في مدّه معلومة كما أنّ القيصر اسم لحُكّام ٱلرُّوم وخسرو أو شاه اسم لحكام ايران ٱلْقُدَماءِ قبل الاسلام. وآلهم: أي أهلهم وطائفتهم وجمعهم وَذَوُوْ قرابتهم. والفرق بين الآل والذرية أنّ آل الرجل هم ذَوُوْ قرابته وذريته هم نسله فكلّ ذرية آل وليس كلّ آل بذرية وكذلك الآل يختص بالأشراف وذوي الأقدار بحسب الدين أو الدنيا فلا يقال: آل ٱلْحَجّامِ بخلاف الذرية.[١]

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من قبل آل‌فرعون من الذين كفروا.

﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ كذّب آل‌فرعون والذين من قبلهم من الكفرة بآياتِ الله.

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ حيث إنّهم كذبوا بآيات الله فأخذهم اللهُ أي عاقبهم، وَسُمِّيَتِ المعاقبة: مؤاخذة لأنّها أخذ بالذنب والأخذ بالذنب عقوبة.

﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ الباء للسببية، أي يُعاقِبُهُمْ الله بسبب ذنوبهم وفي الميزان: «مقتضى المحاذاة التي بين الآيتين وقياسه حال هؤلاء الذين كفروا في دأبهم أن يكون الباء للآلة... وكأنّ العذاب الذي حلّ بساحتهم هو عين الذنوب التي أذنبوها...»[٢].

والذنب والجرم واحد، والذنب: التلو للشيء، ذنبه يذنبه ذنباً إذا تلا، وأصل الباب: التلو، فالذنب: الجرم لما يَتْلُوْهُ من استحقاق الذم كما قيل العقاب، لأنّه يستحق عقيب الذنب.

﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ للذين كفروا وهم مذنبون.

---

١. كما يظهر ذلك من فروق اللغات / ٤٦ للسيّد نورالدين الجزائري.
٢. الميزان ٣/ ٩١.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ ﴿١٢﴾

﴿قُل﴾ يا رسولَ الله ﷺ.

﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ مَن مشركي مكة أو اليهود أو عموم الكفرة.

﴿سَتُغۡلَبُونَ﴾ وتهزمون وتفرّون أو تُقتلون في الدنيا وأتى بصيغة المجهول لأنّ هزيمتهم كانت كبيرةً.

﴿وَتُحۡشَرُونَ﴾ الحشر: الجمع مع سَوْقٍ، وكذلك أتى بصيغة المجهول لعظمة الحشر في يوم القيامة.

﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ أي النار يكون مقصد حشرهم، وجهنم: اسم من أسماء النار وقيل أُخِذَ ٱسْمُها من الجهنام وهي البئر البعيدة القعر.

﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ المِهادُ: القرار وهي الموضع الذي يتمهّد فيه أي ينام مثل الفراش.

الرواية

وفي المجمع: «روى محمّد بن إسحاق بن يسار عن رجاله قال: لمّا أصاب رسول الله ﷺ قريشاً ببدر وقدم المدينة جمع اليهود في سوق قينقاع فقال: يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما أنزل بهم وقد عرفتم أنّي نبيٌّ مرسَلٌ تجدون ذلك في كتابكم، فقالوا: يا محمّد لا يغرنك إنّك لقيتَ أغماراً لا علم لهم بالحرب فأصبتَ منهم فرصة، إنّا والله لو قاتلناكَ لعرفتَ إنّا نحن النّاس فأنزل الله هذه الآية، ورُوي أيضاً عن عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن‌عباس ورواه أصحابنا أيضاً»[١].

روىٰ ونحوها تفسير القمي[٢] والتبيان[٣] والكشف والبيان[٤] وروض الجنان[٥].

---

١. مجمع البيان ٢/ ٤١٣.
٢. تفسير القمي في ١/ ٩٧.
٣. التبيان ٢/ ٤٠٦.
٤. الكشف والبيان ٣/ ٢٠.
٥. روض الجنان ٤/ ١٩٨.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿١٣﴾﴾

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ الخطاب للمؤمنين وعلى رأسهم خاتم الأنبياء محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وصاحب رايَتِهِ في غزوة بدر أميرالمؤمنين على بن أبي‌طالب عليه السلام. والعجب من الزمخشري[١] تبعاً للبيضاوي[٢] يرى الخطاب لمشركي قريش وصاحب الميزان[٣] يراه الأنسب مع أنّ ذكرهم في الآيات السابقة أَتىٰ مع ضمير الغياب مع أنّ هذه الآية ليست لهم بل كانت عليهم، فيكون الخطاب للمؤمنين كما هو مُفادُ مقالة قيل عند البيضاوي ومن الممكن عند صاحب الميزان.

﴿ءَايَةٌ﴾ العلامة والدلالة الواضحة، على صدق النبي محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله ويكون من معاجزه.

﴿فِي فِئَتَيْنِ﴾ الفئة: الفرقة والجماعة والقطعة من النّاس وأصل بابه يأتي بمعنىٰ القطع ويقال: الفئة لأنّهم قطعة من النّاس.

وحيث نزلت الآية الشريفة في شأن غزوة بدر وَٱلْفِئَتَانِ فِيْها المسلمون ومُشْرِكُوْ قريش، وكان عدد المسلمين ثلاث مِئةٍ وبضعة عشر وعدد المشركين تِسْعَمِئَةٍ إلى الألف كما هو المروي عن أبي‌جعفر عليه السلام وأبي‌عبدالله عليه السلام.[٤]

﴿ٱلْتَقَتَا﴾ أي اجتمعتا، ٱلِالْتقاءُ والتلاقي: الاجتماع، وزمان الاجتماع كما مرّ يوم بدر، وإن كانت السورة نازلة بعد غزوة أُحُدٍ، لأنّ لم يعهد التصرف في الأبصار في غيرها.

﴿فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وصف الله سبحانه المؤمنين بأنّ قتالهم إِنَّما يَقَعُ في

---

١. الكشّاف ١/ ٣٤١.
٢. أنوار التنزيل / ٦٩ من الطبع الحجري.
٣. الميزان ٣/ ٩٢.
٤. التبيان ٢/ ٤٠٨.

سبيل الله وَحْدَهُ وليس لَهُمْ همّة إلّا القربة لله تعالى.

﴿وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ﴾ وصف سبحانه الفرقة الأُخرى بأنّها كافرة وبالطبع لم يَكُنْ قتالهم في سبيل الله ولا قُرْبَةً إِلَيْهِ.

﴿يَرَوۡنَهُم﴾ أي يَرَوْنَ الفئة الكافرة المسلمين المقاتلين في سبيل الله وَذَكَّرَ الفِعْلَ يَرَوْنَهُمْ بِلِحاظِ ٱلْمَعْنىٰ.

﴿مِّثۡلَيۡهِمۡ﴾ أي مثلي عدد الكافرين فَيَرَوْنَهُمْ الفين أو مثلي عدد المسلمين فَيَرَوْنَهُمْ سِتَّمِئَةٍ ونيفاً وعشرين، وكلاهما محتملان كما في أنوار التنزيل[١] والكشّاف[٢].

وفي الأخير: «فإن قلت: فهذا مناقض لقوله في سورة الأنفال ﴿وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ﴾[٣].

قلت: قلّلوا أوّلاً في أعينهم حتّى اجترؤا عليهم فلمّا لاقوهم كثروا في أعينهم حتّى غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالين مختلفين... وتقليلهم تارة وتكثيرهم أُخرى في أعينهم أبلغ في القدرة وإظهار الآية»[٤].

﴿رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِ﴾ رؤية ظاهرة مكشوفة واضحة لا لبس فيها ولا غبار عليها.

﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ من المؤمنين المقاتلين في سبيل الله. الأيد: القوة. النصر: المعونة على الأعداء. وهو على قسمين: بالغلبة وبالحجة والبرهان.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ إي إنّ في هذا التأئيد الرباني وغلبة المسلمين عَلىٰ ٱلْمُشْرِكينَ في بدر عِبْرَةً لأصحاب البصيرة والعقول. والعبرة: الموعظة والدراسة المفيدة والنظرة العابرة من شيءٍ إلى ما يمكن أن يستفيد منه في حياته الدنيوية والأُخروية. وهي من العبور: أي النفوذ.

الرواية

وفي المجمع: «نزلت الآية في قصة بدر وكان المسلمون ثلاث مأة وثلاثة عشر

---

١. أنوار التنزيل / ٦٩.
٢. الكشّاف ١/ ٣٤١.
٣. سورة الأنفال / ٤٤.
٤. الكشّاف ١/ ٣٤١.

رجلاً على عدّة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، سبعة وسبعون رجلاً من المهاجرين، ومأتان وستة وثلاثون رجلاً من الأنصار وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وآله والمهاجرين علي بن أبي‌طالب عليه السلام وصاحب راية الأنصار سعد بن عبادة وكانت الإبل في جيش رسول الله صلى الله عليه وآله سبعين بعيراً والخيل فرسين فرس للمقداد بن أسود وفرس لمرثد بن أبي‌مرثد وكان معهم من السلاح: ستة أدرع وثمانية سيوف وجميع من استشهد يؤمئذ أربعة عشر رجلاً من المهاجرين وثمانية من الأنصار، واختلف في عدة المشركين فروي عن علي عليه السلام وابن مسعود أنّهم كانوا ألفاً، وعن قتادة وعروة بن زبير والربيع كانوا بين تسعمأة إلى ألف، وكانت خيلهم مأة فرس ورأسهم عُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان حرب بدر أوّل مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وآله وكان سبب ذلك عير أبي‌سفيان»[1].

ونحوها في الكشف والبيان[2] للثعلبي، وفي روض الجنان[3] كلام لطيف في المقام فراجعه.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ ﴿١٤﴾

هذه الآية الشريفة هِيَ بمنزلة توضيح وشرح حقيقة الحال بالنسبة إلى الآية العاشرة أي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾[4]، لأنّ الظاهر منها أنّهم يستغنون بأموالهم وأولادهم من الله على تخيّلهم وهذه الآية الشريفة تُوَضِّحُ لنا ما يوجب هذا التخيّل، وأنّ الله تعالى أودع في فطرة النّاس هذا الحبّ لبقاء النّاس واستمرار حياتهم النوعية.

---

١. مجمع البيان ٢/ ٤١٥.
٢. الكشف والبيان ٣/ ٢١.
٣. روض الجنان ٤/ ٢٠٤.
٤. سورة آل‌عمران / ١٠.

﴿زُيِّنَ﴾ الزينة: ما يوجب الجمال عند المزيّن وهي تختلف باختلاف الأمصار والأعصار والعادات. وهي واقعيّة حقيقيّة وَٱعْتِبارِيَّةٌ عَرَضِيَّةٌ وَٱلْأُوْلىٰ نحو: العلم والاعتقادات الصحيحة والكمالات النفسانية، والثانية نحو: الجمال الظاهري والمال والبنون، والفاعل لهذا التزيين مختلف فيه عند القوم «قال الزجاج: أنّه زينة الله بما جعل في الطباع من المنازعة كما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾[١]، وقال الحسن: زيّنه الشيطان لأنّه لا أحد أشدّ ذمّاً لها من خالقها، وقال أبوعلي: أنّه زين الله ﷻ ما يحسن منه، وزين الشيطان ما يقبح منه»[٢]. وقد مرّ أنّ قول الزجاج عندنا تامٌ.

وهذا التزيّن المذموم هُوَ ظهور الدنيا للانسان بتخيّل الاستقلال والغاية، ولكنْ هناك تزين آخر وَهُوَ التَّزْيينُ للتوسل بالدنيا إلى الآخرة وابتغاء مرضاته في مواقف الحياة وَهٰذا التَّزْيينُ ممدوح، والأوّل مذموم ويدخل فيه تزيين القلوب والأجساد، وَإِلْهاؤُها عن ذكر الله تعالى.

والأوّل المذموم نسبه الله تعالى إلى الشيطان في قوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٣] وقوله تعالى حكاية عن إبليس: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٤].

وأمّا الثاني الممدوح فَقَدْ نسبه الله تعالىٰ إلى نفسه في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾[٥]. وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾[٦].

والحاصل: المزيّن هو الله تعالى وقَدْ جعلها في فطرة النّاس لاستمرار حياتهم ومعاشهم.

﴿لِلنَّاسِ﴾ أي لجميعهم على مختلف طبقاتهم وصنوفهم وأعصارهم وأمصارهم وأعمارهم.

---

١. سورة الكهف / ٧.
٢. التبيان ٢/ ٤١١ مع اختلاف في الترتيب.
٣. سورة الأنعام / ٤٣.
٤. سورة الحجر / ٣٩.
٥. سورة الكهف / ٧.
٦. سورة الأعراف / ٣٢.

﴿حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ الشهوات جمع شهوة وهي تَوَقانُ النفسِ إلى الشيء المُشْتَهىٰ، والمراد بها هنا المشتهيات، لا نفس الشهوة المودعة، والشاهد عليه ذكر المصاديق الواردة في الآية.

﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ جمع لا واحد له من لفظه، وهنّ أعلى لذّة الجنة والدنيا كما ورد في الرواية التي تأتي.

﴿وَٱلْبَنِينَ﴾ جمع ابن وهو ذكور الاولاد بلا واسطة أو معها.

﴿وَٱلْقَنَطِيرِ﴾ جمع قنطار، قال الشيخ: «واختلفوا في مقدار القنطار فقال معاذ بن جبل وابن عمرو أُبي بن كعب وأبوهريرة: هو ألف ومأتا أوقية. وقال ابن‌عباس والحسن والضحاك: هو ألف ومأتا مثقال. وروي عن الحسن أيضاً أنّه ألف دينار أو اثناعشر ألف درهم. وقال قتادة: ثمانون ألف من الدراهم أو مائة رطل. وقال مجاهد وعطا: سبعون ألف دينار. وقال أبونضر: هو ملئ مسك ثور ذهباً[1]، وبه قال الفراء وهو المروي عن أبي‌جعفر عليه السلام[2]. وقال الربيع وابن أنس: هو المال الكثير»[3].

﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ «اسم مفعول مشتق من القنطار وهو جامد. وهذا دأبهم يعتبرون في الجوامد شيئاً من النسب يكسب بها مَعْنيً مَصْدَرِيّاً ثمّ يشتقون منه المشتقات كالباقل والتامر والعطار لبائع ٱلْبَقْلِ والتمر والعطر، وفائدة وَصْفِ الشيء بالوصف المأخوذ من لفظه تثبيت معناه، والتلميح إلى أنّه واجد لمعنى لفظه غير فاقده كما يقال: دنانير مدنرة ودواوين مدونة، ويقال: حجاب محجوب وستر مستور» كما يظهر من الميزان[4].

ولكن قال الطوسي: «معنى القنطرة: المضاعفة ـ على قول قتاده ـ وقال الفراء: هي تسعة قناطير، وقيل: هي كقولك دراهم مدرهمة أي مجعولة كذلك. وقال السدّي:

---

١. عن أبي‌بصير، الزيادة من مجمع البيان ٢/ ٤١٧.
٢. وأبي‌عبدالله عليه السلام، الزيادة من مجمع البيان ٢/ ٤١٧.
٣. التبيان ٢/ ٤١١.
٤. الميزان ٣/ ١٠٤.

مضروبة دراهم أؤ دنانير»[١].

أقول: مقالة القيل تُرادِفُ مقالةَ صاحبِ الميزانﷺ، والجميع يرجع إلى الكثرة كما في المجمع[٢].

﴿مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ﴾ بيان لتلك القناطير بأنّها منهما.

﴿وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ﴾ الخيل: ٱلْأَفْراسُ، والمسوّمة: هي المرسلة للرعي، الراعية، أو المعلَّمة أي ذات العلامة.

﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ جمع نَعَم، وهِيَ الإبل والبقر والغنم من الضان والمعز.

﴿وَٱلۡحَرۡثِ﴾ أي الزرع.

﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ إشارة إلى الأُمور الستة المذكورة كلّها متاع[٣] الحياة الدنيا العارية، وإن كان لايمكن الحياة في الدنيا إلّا بها ولكن كلّها تبقى في هذه الدنيا والإنسان يرحل منها إلى جوار رحمة ربّه، ولذا عقّبه بقوله تعالى:

﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ﴾ المآب: أي المرجَع، الأوب: الرجوع. أي عندالله تعالى أحسن من هذه الأمتعة الدنيوية في جنة الآخرة لأنّ ﴿وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُ﴾[٤]، ولذا عبّر عنها بالآية الآتية.

الروايات

الكليني عن عِدَّة من أصحابنا عن البرقي عن الحسن بن أبيقتادة عن رجل عن جميل بن دَرّاج قال: قال أبوعبداللهؑ: ما تلذَّذ النّاس في الدنيا والآخرة بلَذَّةٍ أكثر لهم من لذة النساء وهو قول الله ﷻ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ﴾ إلى آخر الآية. ثمّ قال: وإنّ أهل الجنة ما يَتَلَذَّذُونَ بشيءٍ من الجنة أشهى عندهم من النكاح لا طعامٍ ولا شرابٍ»[٥].

---

١. التبيان ٢/ ٤١١.
٢. مجمع البيان ٢/ ٤١٧.
٣. المتاع: ما يستنفع به مدّة ثمّ يفنى. التبيان ٢/ ٤١٢.
٤. سورة الزخرف / ٧١.
٥. الكافي ١٠/ ٥٦٤، ح١٠ (٥/ ٣٢١).

ورواها العياشي في تفسيره[١].

الكليني عن علي عن أبيه عن حماد بن عيسى عن ربعي بن عبدالله عن فضيل بن يسار عن أبي‌جعفر عليه السلام قال: سلامة الدين وصحة البدن خيرٌ من المال، والمال زينةٌ مِن زينة الدنيا حسنةٌ.[٢]

الرواية صحيحة الاسناد.

الكليني عن العدة عن أحمد بن محمّد بن خالد عن نوح بن شعيب عن عبيدالله الدهقان عن عبدالله بن سنان عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ أوّل ما عُصِيَ اللهُ عزّ وجلّ به ست: حبّ الدنيا وحبّ الرئاسة وحبّ الطعام وحبّ النوم وحبّ الراحة وحبّ النساء.[٣]

رجال السند كلّهم ثِقاتٌ إلّا عبيدالله بن عبدالله الدهقان.

الصدوق عن ابن المتوكل عن السعدآبادي عن البرقي عن أبيه عن محمّد بن سنان عن زياد بن المنذر عن سعد بن طريف عن الأصبغ بن نباته قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: الفتن ثلاث: حبّ النساء وهو سيف الشيطان وشرب الخمر وهو فخٌّ الشيطان وحبّ الدينار والدرهم وهو سهم الشيطان، فمن أحبّ النساء لم ينتفع بعيشه، ومن أحبّ الأشربة حرمت عليه الجنّة، ومن أحبّ الدينار والدرهم فهو عبد الدنيا.

وقال: قال عيسى بن مريم عليه السلام: الدينار داء الدين والعالم طبيب الدين فإذا رأيتم الطبيب يجرُّ الدّاء إلى نفسه فاتّهموه واعلموا أنّه غير ناصح لغيره.[٤]

الرواية معتبرة الاسناد، لأنّ المراد بزياد بن المنذر هوزياد بن عيسى أبوعبيدة الحذاء الثقة المعروف. وسعد صحح الشيخ حديثه في رجاله[٥].

ذكر في تفسير الثعلبي[٦] فصلاً في الخيل فراجعه ان شئت.

---

١. تفسير العياشي ١/ ٢٩٤، ح١١.
٢. الكافي ٣/ ٥٤٦، ح٣ (٢/ ٢١٦).
٣. الكافي ٣/ ٧١٠، ح٣ (٢/ ٢٨٩).
٤. الخصال ١/ ١١٣، ح٩١.
٥. رجال الشيخ الطوسي / ٩٢، رقم ١٧.
٦. الكشف والبيان ٣/ ٢٦.

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ ﴿١٥﴾

بيان لقوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ في ذيل الآية السابقة وتفصيل لَهُ، كما مرّ.

﴿قُلْ﴾ يا رسولَ الله ﷺ للنّاس الذين زُيّن لهم حبّ الشهوات.

﴿أَ﴾ استفهام للتقرير، أي حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه أو يعرِّف له وآخره إمّا ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ وما بعده جملة مستانفة أو ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ وما بعده جملة مستأنفة.

﴿ؤنَبِّئُكُم﴾ أي أُخبركم.

﴿بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ أي أنفع لكم وأحسن ممّا مرّ ذكره في ذيل شهوات الدنيا ولذاتها، أخبر الله تعالى بأُمور هِيَ خيرٌ للإنسان من هذه الشهوات ويمكن أن يكون بعضها من جنسها ولكن من دون أَيِّ قبحٍ أو فسادٍ أو نسيانٍ أَوْ إِعْراضٍ عن ذكر الله تعالى.

﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ بناءً على أَنْ يكونَ ختام ٱلِاسْتِفْهامِ جُمْلَة ﴿مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ يكون خبراً مقدماً وجملة ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي﴾ مبتدأ مؤخر.

والتقوى: هي الإتيان بالواجبات الشرعية واجتناب المحرّمات وهي أساس دعوة الأنبياء وَالمرسلين.

﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ دلالة على علوّ مقامهم وارتفاعه واستحكامه وقطعية وقوعه، وقرب منزلتهم.

﴿جَنَّاتٌ﴾ أي تستتر الأرض بكثرة أشجارها.

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ﴾ ٱلْفِعْلُ المضارع يَدُلُّ على الدوام يعنى جريان الأنهار تحت الأشجار يدوم من دون ٱنْقِطاعٍ، أو هذا الوصف مع الجنات يَدُوْمُ إلى الأبد وَيَدُلُّ على خلودها.

وجريان الأنهار من تحت الأشجار الكثيفة الشديدة هُوَ من أظهر بَواعِثِ الفرح

والسرور.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ مُنَغِصّاتُ جميع نعم الدنيا هُوَ زَوالُها وَفَنَاؤُها وَهٰذا مَنْفِيٌّ في ٱلنِّعَمِ الأُخروية، والخلود من أوّل تمنّيات الإنسان. والمتقون هم المقيمون في تلك الجنات إلى أَبَدِ ٱلْآبادِ، ولا يُخرجون منها.

﴿وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ عطف على الجنات وذكر لِإِحْدىٰ نِعَمِها، وهو مِنْ بابِ ذِكْرِ ٱلخاصِّ بَعْدَ ٱلْعامِّ ولأنّ الجِماع من أعلى اللذائذ في الدنيا وَيَتَذَوَّقُها النّاس على مختلف طبقاتهم ولذا قَدَّمَها عند عدّ الشهوات في الآية السابقة.

وطهارتهنَّ تكون من الرذائل والخبائث الخَلْقية والخُلُقية، والأُولىٰ نحو: الحيض والنفاس والأقذار والأدناس، والثانية نحو: الأخلاق الذميمة والطبائع اللئيمة.

﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي وراء هذه النعم الظاهرية الكثيرة في جنات الخلد، توجَد نعمة أفضل وأكبر منها وهي ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ والشاهد عليه قوله تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[١]، وتحصيل هذا الرضوان يكون من الطرفين وهو الفوز العظيم لقوله تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٢]، والمحصلون له هم حزب الله في قوله تعالى: ﴿رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ﴾[٣]، ويحصل بالخشية لقوله تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾[٤] والركوع والسجود لقوله تعالى: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾[٥] والحج لقوله تعالى: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا﴾[٦] والجهاد لقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى﴾[٧] وغيرها من صالح الأعمال.

---

١. سورة التوبة / ٧٢.
٢. سورة المائدة / ١١٩.
٣. سورة المجادلة / ٢٢.
٤. سورة البينة / ٨.
٥. سورة الفتح / ٢٩.
٦. سورة المائدة / ٢.
٧. سورة الممتحنة / ١.

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ أي خبيرٌ بأفعالهم وأحوالهم ويثيب ويعاقب على الاستحقاق. وبصير بالمتقين والفاسقين.

الروايات

في تفسير الحبري المتوفى عام ٢٨٦ق بإسناده عن ابن‌عباس في ذيل هذه الآية والآية الآتية أنّهما نزلت «في عليٍّ وحمزةً وعُبَيْدَةَ بنِ الحارث»[١].

وفي تفسير الفرات[٢] نقل عن الحبري.

وفي معتبرة حمزة بن حمران عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: الجنة محفوفة بالمكاره والصبر، فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة، وجهنم محفوفة باللذّات والشهوات فمن أعطى نفسه لذّتها وشهوتها دخل النار.[٣]

وفي معتبرة السكوني عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أكثر ما تلج به أُمّتي الجنة تقوى الله وحُسن الخلق.[٤]

وفي تفسير العياشي عن أبي‌بصير عن أبي‌عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿فِيهَا وَأَزۡوَاجٞ مُّطَهَّرَةٞ﴾، قال: لا يَحِضن ولا يُحْدِثنَ.[٥]

رواها الصدوق في الفقيه[٦] مرسلاً عن الصادق عليه السلام.

وعن أبي‌سعيد الخدري أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يقول الله عز وجل لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربّنا وسعديك والخير في يديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: مالنا لا نرضى يا ربّ وقد اعطيتنا ما لم تعط أحداً من خَلْقك. فيقول: ألا أعطكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وايّ شيءٍ أفضل من ذلك؟ قال: أجلّ عليكم رضواني فلا

---

١. تفسير الحبري / ٢٤٥.
٢. تفسير الفرات / ٧٧.
٣. الكافي ٣/ ٢٣١، ح٧ (٢/ ٨٩).
٤. الكافي ٣/ ٢٥٨، ح٦ (٢/ ١٠٠).
٥. تفسير العياشي ١/ ٢٩٤، ح١٢.
٦. الفقيه ١/ ٨٩، ح١٩٥.

أسخط عليكم أبداً.[١]

لطيفةٌ

قال أبوالفتوح الرازي مانصه بالفارسية: «گفته‌اند: در بهشت چند چيز است بِهْ از بهشت: يكى رضاى خدا است ويكى خلود بهشت است ويكى جوار محمّد وآل محمّد است»[٢].

﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ ﴿١٦﴾

الآية الشريفة تبيّن مقالة المتقين الذين مرّ ذكرهم في الآية السابقة.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ المتقون هم الذين. وموضعه «يحتمل ثلاثة اوجه من الإعراب، الجر للإتباع ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا﴾، والرفع على تقدير «هم الذين يقولون»، والنصبُ على المدح تقديره أعني»[٣].

﴿يَقُولُونَ﴾ المتقون يقولون بهذه المقالة بلسان القال، والفرق بين القول والكلام أنّ القول فيه معنى الحكاية وليس كذلك الكلام.

﴿رَبَّنَآ﴾ يدعون الله تعالى بلفظ «ربّ» الذي يظهر منه إنّهم يعتقدون أنّه تعالى يربيهم ويديرهم وفيه اظهار لعبودية أنفسهم حيث أنّهم يقرّون بربوبيته تعالى، وهم يُدِيْمُوْنَ عرض الحاجة إليه، ويستدعون حوائجهم الدنيوية والأُخروية منه وأهمها النجاة من النار.

﴿إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾ يذكرون أَنَّهُمْ مُؤْمِنُوْنَ ويطلِبُوْنَ المغفرة لأنّ الله تعالى يقول إِنَّ المغفرة مشروطَةٌ بالإيمان في قوله: ﴿وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم﴾[٤]، وهم يريدون تصديق

---

١. صحيح البخاري ٨/ ٢٠٥؛ صحيح مسلم ٨/ ١٤٤؛ الكشف والبيان ٣/ ٢٩؛ روض الجنان ٤/ ٢١٦.
٢. روض الجنان ٤/ ٢١٦.
٣. التبيان ٢/ ٤١٤.
٤. سورة الاحقاف / ٣١.

الله تعالى بإيمانهم.

﴿فَ﴾ حيث أنّ المغفرة مشروطَةٌ بالإيمان فيذكرون فاء التفريع بأنّا مؤمنون فاغفرلنا.

﴿ٱغۡفِرۡ﴾ طلب للمغفرة وهي الستر للذنب برفع التبعة والعذاب وطلب للعفو من عذاب الله تعالى. وإذا شَمِلَتِ ٱلۡمَغۡفِرَةُ أَحَداً يدخل الجنة بإذن الله تعالى حيث يقول: ﴿يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ﴾[1].

﴿لَنَا﴾ المتقون يدعون الله بضمير الجمع أي يدعون لجميعهم بالمغفرة والدعوة العامة تكون أقرب لِلاسْتِجابَة.

﴿ذُنُوبَنَا﴾ الذنب والجرم بمعنى واحد وإنّما الفرق بينهما من جهة الأصل، لأنّ أصل الذنب الاتباع، فالذنب ما يتبع عليه العبد من قبيح عمله كالتبعة، والجرم أصله القطع فهو القبيح الذي ينقطع به عن الواجب تعالى.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿قِنَا﴾ المتقون يسألون الله تعالى طلب الوقاية والحفظ مِنْ.

﴿عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ والنجاة منه هي السعادة العظمى والفوز الكبير.

الروايات

في معتبرة عبدالأعلى ـ بناءً على اعتبار سهل بن زياد ـ عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: سلوا الله الغنىٰ في الدنيا والعافية، وفي الآخرة المغفرة والجنة.[2]

وفي معتبرة إسحاق بن عمار قال: قال أبوعبدالله عليه السلام من أصبح لاينوي ظلم أحد غفرالله له ما أذنب ذلك اليوم ما لم يسفك دماً أو يأكل مال يتيم حراماً.[3]

وفي معتبرة عبدالرحمن بن أعين قال: قال أبوجعفر عليه السلام: لقد غفرالله لرجل من أهل البادية بكلمتين دعابهما قال: «اللهم إن تعذبني فأهل ذلك أنا، وإن تغفرلي فأهل لذلك أنت»[4].

---

١. سورة الصف / ١٢.
٢. الكافي ٥/ ٧١، ح٤ ونقلت عنه في موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ١٠/ ٣٧٤، ح٦.
٣. الكافي ٢/ ٣٣١، ح٧ ونقلت عنه في موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ١٠/ ٣٧٧، ح١٤.
٤. الكافي ٢/ ٥٧٩، ح٨ ونقلت عنه في موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ١٠/ ٣٧٨، ح١٨.

وفي معتبرة السكوني عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله يغفر كلّ ذنب يوم القيامة إلّا مهر إمرأة ومن اغتصب أجيراً أجره ومن باع حرّاً.[١]

وفي معتبرة عمار بن مروان قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: من قال: استغفر الله مائة مرّة في كلّ يوم غفرالله عزّوجلّ له سبعمائة ذنب ولا خير في عبد يذنب في كلّ يوم سبعمائة ذنب.[٢]

﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ ﴿١٧﴾

بعد أن ذكر الله تعالى قَوْلَ المتقين يذكر خمسة من أُوصافهم على سبيل المدح لهم والثناء عليهم، بأنّ هذه الاوصاف راسخة في وجودهم فهم:

﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ نعتٌ للمتقين، والمتقون هم الذين يحبسون أنفسهم عمّا حرم الله تعالى عليهم والمقيمون على ما أُوجب عليهم من العبادات، فهم ٱلصابِرُوْنَ على ترك المعصية وفعل الطاعة؛ بل وهم ٱلصابِرُوْنَ على المصيبة.

﴿وَ﴾ حرف عطف ويتوسط بين الصفات للدلالة على كمالهم في كلّ واحدة منها.[٣]

﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ الذين يصدقون أعمالهم أقوالهم، وظاهرهم باطنهم. فهم بطريق الأُولى يصدقون في لسانهم ولايكذبون. وشمول معنى الأوّل للباقي من الصفات المذكورة لايوجب الانحصار بالمعنى الثاني أعني الصدق في اللسان فقط كما عليه صاحب الميزان[٤] رحمه الله.

﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾ القنوت: الخضوع لله تعالى فيكون القانت المطيع له على الدوام لأنّ الأصل فيه: الدوام.

﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾ هم الذين يخرجون الواجبات المالية من الانفاقات والزكوات

---

١. الكافي ٥/ ٣٨٢، ح١٧ ونقلت عنه في موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ١٠/ ٣٨٤، ح٣٩.
٢. الكافي ٢/ ٤٣٩، ح١٠ ونقلت عنه في موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ١٠/ ٣٧٨، ح١٧.
٣. كما في الكشّاف ١/ ٣٤٣.
٤. راجع الميزان ٣/ ١١٢.

والأخماس والكفارات وغيرها من الحقوق من أموالهم، ثمّ الانفاقات المستحبة في ما رغب الله في الانفاق فيه. ومن المعلوم أنّ الإنفاقَ غير ٱلصَّرْفِ لأنّ الإنفاقَ هو بذل المال لمن يستحق البذل.

﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ هم يستغفرون الله تعالى في وقت السحر قبل طلوع الفجر في آخر الليل، وهو يستلزم قيام آخر الليل والصلاة فيه والاستغفار في قنوت الوتر.

وهذه الخصال الخمس تستجمع جميع الخصال الحميدة بالأُولى منها ينال الباقي وغيرها من الصفات الكريمة وبالصدق يتحلّى بالصفات التي تتعلق بالظاهرهما يرجعان إلى النفس وبالقنوت يصلح ما بينه وبين ربّه وبالإنفاق يصلح بينه وبين النّاس وبالاستغفار يُنْجِيْ نفسه من الهلكة.

الروايات

وفي مرسلة زرارة عن أبيجعفرعليه السلام: مَنْ داوم على صلاة الليل والوتر واستغفرالله في كلّ وتر سبعين مرّة ثمّ واظب على ذلك سنة كُتب من المستغفرين بالأسحار.[١]

وفي مرسلة مُفَضَّل بن عمر قال: قلت لأبيعبدالله عليه السلام: جعلت فداك تفوتني صلاةُ الليل فأُصلّي الفجر، فَلِيَ أن أُصلي بعد صلاة الفجر مافاتني من صلاة وأنا في صلاةٍ قبل طلوع الشمس؟ فقال: نعم ولكن لاتُعلّم به أهلك فيتّخذونه سُنّة، فيُبْطِل قول الله جلّ وعزّ ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[٢].

في صحيحة عمر بن يزيد عن أبيعبدالله عليه السلام قال: من قال في وتره إذا أوتر: «استغفر الله وأتوب إليه» سبعين مرّة وهو قائمٌ فواظب على ذلك حتّى يمضي له سنة كتبه الله عنده من المستغفرين بالأسحار ووجبت له المغفرة من الله عزّوجلّ.[٣]

---

١. تفسير العياشي ١/ ٢٩٤، ح١٣.
٢. تفسير العياشي ١/ ٢٩٥، ح١٨.
٣. الخصال / ٥٨١، ح٣.

ورواها في الفقيه[١] بسند صحيح، والبرقي في المحاسن[٢] بسند صحيح، والعياشي في تفسيره[٣].

وفي موثقة أبي‌بصير قال: قلت له: ﴿ٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾؟ فقال: استغفر رسول الله ﷺ في وتره سبعين مرّة.[٤]

رواها العياشي في تفسيره[٥].

وروى الشيخ مرسلاً عن أبي‌عبدالله عليه السلام: أنّ مَن استغفر الله سبعين مرّة في وقت السحر فهو من أهل هذه الآية.[٦]

ورواها الطبرسي في مجمع البيان[٧].

انس بن مالك عن النبي ﷺ إنّه قال: إنّ الله عزّ وجلّ يقول: إنّي لأهمّ بأهل الأرض عذاباً فإذا نظرت إلى عمّار بيوتي وإلى المتهجدين وإلى المتحابين فيَّ وإلى المستغفرين بالأسحار صرفته عنهم.[٨]

رواها الطبرسي في مجمع البيان[٩] والرازي في روض الجنان[١٠].

عن أبي‌هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ لله ملكاً ينادي: اللهم اعط مُنْفِقاً خَلَفاً، واعطِ ممسكاً تَلَفاً.[١١]

ولكن في الروض عنه ﷺ: ما طلعت شمس قطّ إلّا بجنبيها الملكان يقولان: اللهم أعطِ كلَّ منفقٍ خَلَفاً وكلَّ مُمْسِكٍ تَلَفاً.[١٢]

قال الشيخ أبوالفتوح الرازي ما نصه بالفارسية: «در تفسير أهل البيت هست

---

١. الفقيه ١/ ٤٨٩، ح١٤٠٥.
٢. المحاسن ١/ ١٢٦.
٣. تفسير العياشي ١/ ٢٩٥، ح١٥ ونحوها ح١٧.
٤. التهذيب ٢/ ١٣٠، ح٢٦٩.
٥. تفسير العياشي ١/ ٢٩٤، ح١٤.
٦. التبيان ٢/ ٤١٦.
٧. مجمع البيان ٢/ ٤١٩.
٨. كنزالعمال ٧/ ٥٧٩، ح٢٠٣٤٣.
٩. مجمع البيان ٢/ ٤١٩.
١٠. روض الجنان ٤/ ٢١٩.
١١. صحيح مسلم ٣/ ٨٤؛ الكشف والبيان ٣/ ٣٠.
١٢. روض الجنان ٤/ ٢١٨.

كه آيت در امير المؤمنين علي عليه السلام است»[١].

لطيفة

وفي الروض: «اهل اشارت گفتند: الصابرين في الأهوال والصادقين في الأقوال والقانتين في الأحوال والمنفقين للأموال والمستغفرين بالأسحار»[٢].

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ﴿١٨﴾

بعد أن ذكر الله تعالى أحوال الكفار واغترارهم بالدنيا وبيّن نعمها ثمّ بيّن أنّ الجنات والنعم الآخروية والرضوان الإلهي هِيَ للمتقين الذين يقولون ويدعون والذين هم الصابرون... ثمّ ذكر في هذه الآية وجه الإيمان وأقسام الشهادة على تمامية كلامه وعلى توحيده في الذات والصفات والأفعال وأنّه قائم بالقسط فيقدر ويتمكّن على ما مضى.

﴿شَهِدَ﴾ الشهادة: هي الإخبار بالشيء عن مشاهدة أو ما يقوم مقامها، وأصلها يأتي بعنوان المعاينة أي تحمّل العلم عن حسّ وحضور، ثمّ استعمل في أدائها فهي كالمشترك بين التحمّل والأداء بعناية واحدة.

فالشهادة تدل على الحضور والمشاهدة وهو حاضر بذاته لذاته.

والشهادة يمكن أن تكون ذاتية لظهور الذات بالذات في الواحدانية وأنّه لا إله غيره، ويمكن أن تكون فعلية فلا شريك له في الفعل فتكون جميع أفعاله آيات دالّة على وحدانيته، ويمكن أن تكون قولية كما تشهد بها جميع كتب الأنبياء.

ولا بأس باتحاد الشاهد و المشهود هنا لأنّه تعالى حقّ محض و﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ

---

١. روض الجنان ٤/ ٢٢٠.
٢. روض الجنان ٤/ ٢٢٠.

شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[١].

﴿ٱللَّهُ﴾ قد مرّ بأنّ هذا اللفظ عَلَم لذاته المقدس، المستجمع فيه جميع صفات الكمال، فهو معبود بالاستحقاق.

فالله سبحانه يشهد بأنّه لا إله إلّا هو، وهو شاهد عدل يشهد بذاته لذاته، وبقوله في كتابه، وبفعله في خَلْقه حيث أنّ نظام الوجود يدلّ على أنّه واحد.

كان الله ولم يكن معه شيء فابتداء بشهادته لنفسه حيث لم يكن في الأزل غيره حتّى يشهد له، فهو الشاهد والمشهود.

﴿أَنَّهُۥ﴾ تأكيد للشهادة، والضمير يرجع إلى الله تعالى.

﴿لَآ إِلَٰهَ﴾ نفي للمعبود الواقعي الحقيقي الذي يعبد بالاستحقاق.

﴿إِلَّا هُوَ﴾ اثبات للألوهية الحقيقية بنحو الحصر الواقعي له تعالى.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بعد شهادته لنفسه أتىٰ بالبينة الشرعية من خلقه والشاهدين أوّلهما جنس الملائكة وجمعهم وهم ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾[٢] وهم ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾[٣] وتسبيحهم التوحيد وشهادة أن لا إله إلّا الله. وهم يشهدون بالقول والفعل والذات بالتوحيد ووحدانية ربّهم الله تعالى، ولاتنحصر الشهادة بالقول فقط كما عليه البعض.[٤]

﴿وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ وهذا الشهادة الثانية والبينة المكررة من خلقه وهم أُولوالعلم: أي العلماء ٱلْمُؤْمِنُوْنَ بالله تعالى وآياته وعلى رأسهم، بل أميرهم هو أميرالمؤمنين علي بن أبي‌طالب عليه السلام وأُوْلادُهُ ٱلْمَعْصُوْمُوْنَ عليهم السلام، بل يمكن القول بأنّ عظمة هذه الشهادة واقترانها بشهادة الله وملائكته يوجب تخصيصها بأميرالمؤمنين عليه السلام والمعصومين من ولده عليهم السلام.

---

١. سورة الحج / ١٧.
٢. سورة الأنبياء / ٢٦ و٢٧.
٣. سورة الشورى / ٥.
٤. كصاحب الميزان ٣/ ١١٥.

﴿قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ﴾ حال مؤكد من فاعل شهد الله، يعني أنّه تعالى في حال كونه قائماً بالقسط يشهد أن لا إله إلّا هو، والقسط: هو العدل.

والحاصل: أنّه يشهد بالتوحيد في حال قيامه بتدبير خلقه وربوبيتهم ورزقهم بالعدل، كذا قالوا أكثر المفسرين[١].

ولكن يحتمل رجوعه إلىٰ ٱلأخير فقط وهو أولوالعلم الذين هم يقومون بالقسط كما عليه السيد الجزائري وقال: «أولوالعلم الأنبياء والأوصياء وهم قيام بالقسط»[٢].

والسيد السبزواري[٣] يرى الحال أنّه يرجع إلى الثلاثة والكل يشهدون بالتوحيد في حال كونهم قائِمِيْنَ بالقسط.

وَلعلّ الأوّل أُولى لما ورد في التبيان: «روى ذلك في تفسيرنا أنّ في الآية تقديماً وتأخيراً وتقديرها: شهد الله أنّه لا إله إلّا هو قائماً بالقسط»[٤].

ونحوه في مجمع البيان[٥].

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ حيث ذكر الشهادة على التوحيد بجملة «لا إله إلّا هو»، «كان من حق الله سبحانه على من يحكى ويخبر عن هذه الشهادة أعني المتكلِّم ـ وهو في الآية هو الله سبحانه ـ وعلى من يسمع ذلك أن يوحد الله تعالى بنفي الشريك عنه فيقول: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾»[٦] ... فموضع الجملة «موضع الثناء عليه تعالى لاستيفاء حق تعظيمه»[٧].

﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ الذي لايغالبه غيره وأنّه المتفرد بالعزة.

---

١. كالشيخ في التبيان ٢/ ٤١٦؛ والطبرسي في مجمع البيان ٢/ ٤٢٠؛ والجوامع ١/ ١٦٤؛ والزمخشري في الكشّاف ١/ ٣٤٣؛ والطباطبائي في الميزان ٣/ ١١٥.
٢. عقود المرجان ١/ ٢٩٢.
٣. مواهب الرحمن ٥/ ١٦٥.
٤. التبيان ٢/ ٤١٦.
٥. مجمع البيان ٢/ ٤٢٠.
٦. الميزان ٣/ ١١٧.
٧. الميزان ٣/ ١١٧.

﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ الذي يضع كلّ شيءٍ في موضعه الخاص به على نحو يصير بِهِ العالَمُ على الوجه الأحسن الأكمل، وأنّه المتوحد بالحكمة.

الروايات

ورد في خبر أبي‌بصير عن أبي‌عبدالله عليه السلام في مواليد الأئمة عليهم السلام إذا سمع الصوت في أوّل ولادته بأنّه هو الإمام وانقضى الصوت أجابه الإمام: «... واضعاً يديه رافعاً رأسه إلى السماء يقول: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾، قال: فإذا قال ذلك أعطاه الله العلم الأوّل والعلم الآخر واستحق زيارة الروح في ليلة القدر»، الحديث.[١]

وفي مرسلة جابر قال: سألتُ أباجعفر عليه السلام عن هذه الآية: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ قال أبوجعفر عليه السلام: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فإنّ الله تبارك وتعالى يَشْهَد بها لنفسه. وهو كما قال.

فأمّا قوله: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فإنّه أكرم الملائكة بالتسليم لرّبهم، وصدّقوا وشَهِدُوا كما شَهِدَ لنفسه.

وأمّا قوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ﴾ فإنّ أُولي العلم الأنبياء والأوصياء، وهم قيام بالقِسط: هو العَدْل في الظاهر، والعَدْل في الباطن: أمير المؤمنين عليه السلام.[٢]

ونحوها في تفسير الفرات[٣] مسنداً

وفي مرسلة مرزبان القمي، قال: سألتُ أباالحسن عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ﴾، قال: هو الإمام.[٤]

وفي مرسلة إسماعيل، رفعه إلى سعيد بن جُبَير، قال: كان على الكعبة ثَلاثمائة وستّون صَنَماً، لكلّ حيٍّ من أحياء العرب الواحد والإثنان، فلمّا نزلت هذه الآية:

---

١. الكافي ٢/ ٢٩٠، ح١ (١/ ٣٨٦)، باب مواليد الأئمة عليهم السلام.
٢. تفسير العياشي ١/ ٢٩٥، ح١٩.
٣. تفسير الفرات / ٧٧، ح٥١.
٤. تفسير العياشي ١/ ٢٩٦، ح٢٠.

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ خرَّت الأصنامُ في الكعبة سُجَّداً.[١]

ونحوها في مجمع البيان[٢] وتفسير الثعلبي[٣] والدرالمنثور[٤].

وفي الأمالي للشيخ الطوسي قال رسول الله ﷺ إنّ العبد إذا خرج في طلب العلم ناداه الله ﷻ من فوق العرش مرحباً بك يا عبدي أتدري أيَّ منزلة تطلب وأيَّ درجة تروم تضاهي ملائكتي المقرّبين لتكون لهم قريناً لأبلغنّك مرادك ولأوصلنّك بحاجتك، فقيل لعليّ بن الحسين عليه السلام: ما معنى مضاهاة ملائكة الله ﷻ المقرّبين ليكون لهم قريناً؟ قال: أما سمعت قول الله :ﷻ ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ فبدأ بنفسه وثنّى بملائكته وثلّث بأولي العلم الّذين هم قرناء ملائكته وسيّدهم محمّد ﷺ وثانيهم علي عليه السلام وثالثهم أهله وأحقهم بمرتبته بعده، قال علي بن الحسين: ثمّ أنتم معاشر الشيعة العلماءُ بعلمنا تأولون [تالون لنا] مقرونون بنا وبملائكة الله المقرّبين شهداء لله بتوحيده وعدله وكرمه وجوده قاطعون لمعاذير المعاندين من إمائه وعبيده فنعم الرّأي لأنفسكم رأيتم ونعم الحظ الجزيل اخترتم وبأشرف السّعادة سعدتم حين بمحمّد وآله الطيبين عليهم السلام قُرِنتم وعدول الله في أرضه شاهرين بتوحيده وتمجيده جعلتم وهنيئاً لكم إنّ محمّدا لسيّد الأوّلين والآخرين وإنّ أصحاب محمّد المولين أولياء محمّد وعلي صلّى الله عليهما والمتبرءين من أعدائهما أفضل أممّ المرسلين وإنّ الله لايقبل من أحد عملاً إلّا بهذا الاعتقاد ولايغفر له ذنباً ولايقبل له حسنة ولايرفع له درجة إلّا به.[٥]

رواها المجلسي رحمه الله عن أمالي الشيخ الطوسي ولكن لم أجدها في المطبوع منه.

القطب الرواندي في لب اللُّباب، عن النّبي ﷺ قال: من قرأ شهد الله مرّةً واحدةً حرّم الله ثلث جسده على النّار ومن قرأها مرّتين حرّم الله ثلثي جسده على النّار

---

١. تفسير العياشي ١/ ٢٩٦، ح٢١.
٢. مجمع البيان ٢/ ٤٢١.
٣. تفسير الثعلبي ٣/ ٣١.
٤. الدر المنثور ٢/ ١٦٧.
٥. بحارالأنوار ١/ ١٨٠، ح٦٨، باب ١، فرض العلم ووجوب طلبه والحث عليه.

ومن قرأها ثلاث مرأت حرّم الله جميع جسده على النّار ورأىﷺ ليلة أُسري به باب الجنّة مغلقاً على عبدٍ ثمّ رآه مفتوحاً فسأل عن ذلك، فقيل: لأنّه قرأ شهدا الله أنّه لا إله إلّا هو.[١]

وفي خبر ابن عطاء قال: سمعت أباجعفرؑ يقول: نحن أُولوا الذكر ونحن أولوا العلم وعندنا الحلال والحرام.[٢]

ونقل أصحاب نورالثقلين والبرهان وكنزالدقائق عن محمّد بن الحسن الصفار عن عبدالله بن جعفر عن محمّد بن عيسى عن الحسن بن علي الوشاء عن أبي‌الحسنؑ قال: على الأئمة من الفرائض ما ليس على شيعتهم، وعلى شيعتنا ما أمرهم الله ما ليس علينا، إنّ عليهم أن يسألونا ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ﴾ الإمام.[٣]

لم أجده في المطبوع من البصائر، ولكنه روى حديثاً بهذا الاسناد مع زيادة ومن دون الآية المذكورة في كتابه[٤].

روى العامة عن الصادقؑ أنّه قال: الاولى [أي جمله لا إله إلّا هو، الاولى] وصف وتوحيد، والثانية رسم وتعليم، يعني قولوا: لا إله إلّا هو العزيز الحكيم.[٥]

وفي المجمع: عن أنس عن رسول اللهﷺ قال: من قرأ ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ الآية، عند منامه خلق الله ﷻ له سبعين ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة.[٦]

وفيه: عن الزبير قال: قلت: لأدنونّ هذه العشية من رسول اللهﷺ وهي عشية عرفة حتّى أسمع ما يقول: فحبستُ ناقتي من ناقة رسول اللهﷺ وناقة رجل كان إلى جنبه، فسمعته يقول: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ الآية، فمازال يردّدها حتّى دفع.[٧]

---

١. لب اللباب، و نقل عنه في مستدرك الوسائل ٤/ ٣٣٨، ح٤٤، باب استحباب قراءة سور القرآن.
٢. مختصر البصائر / ٢١٠، ح٢٠٠.
٣. نورالثقلين ١/ ٣٨٦؛ والبرهان ١/ ٦٠٣؛ كنزالدقائق ٣/ ٥٥، والمذكور في الأوّل والأخير الإسناد مع الذيل فقط، وفي البرهان كلّه.
٤. بصائر الدرجات / ٤٣، ح٢٨.
٥. تفسير القرطبي ٤/ ٤٣؛ الكشف والبيان ٣/ ٣٤؛ روض الجنان ٤/ ٢٣٥.
٦. مجمع البيان ٢/ ٤٢١؛ تفسير القرطبي ٤/ ٤٢؛ الكشف والبيان ٣/ ٣١؛ ونحوها في روض الجنان ٤/ ٢٢٠.
٧. مجمع البيان ٢/ ٤٢١؛ الكشف والبيان ٣/ ٣١.

وفيه: عن غالب القطان قال: أتيتُ الكوفة في تجارة فنزلت قريباً من الأعمش وكنت اختلف إليه. فلما كنت ذات ليلة أردتُ أن انحدر إلى البصرة،قام من الليل يتهجّد فمرّ بهذه الآية ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ الآية، ثمّ قال الأعمش: وأنا أشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عندالله وديعة، إنّ الدين عندالله الإسلام قالها مراراً.

قلتُ: لقد سمع فيها شيئاً فصلّيتُ معه وودّعته، ثمّ قلتُ: آية سمعتك نردِّدها فما بلغك فيها؟ قال: والله لاأحدّثُ بها إلى سنة. فلبث على بابه ذلك اليوم، وأقمت سنة، فلما مضت السنة، قلت: يا أبامحمّد مضت السنة، فقال: حدثنا أبووائل عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول اللهﷺ: يجيئ بصاحبها يوم القيامة فيقول الله: عبدي عهد إليَّ، وأنا أحقّ مَنْ وفى بالعهد، أدخلوا عبدي الجنة.[1]

ذكر الشيخ أبوالفتوح الرازي عَشَرَةَ[2] أَحادِيْثَ في فضل هذه الآية الشريفة، وفيه أيضاً: «در تفسير أهل البيت[عليهم السلام] مى‌آيد كه: أولوا العلم اميرالمؤمنين علىعليه السلام است»[3].

عن أميرالمؤمنينعليه السلام قال: رأيت الخضرعليه السلام في المنام قبل بدرٍ بليلة فقلت له: علّمني شيئاً أنصر به على الأعداء، فقال: قل يا هو يا من لا هو إلّا هو، فلمّا أصبحت قصصتها على رسول اللهﷺ فقال لي: يا عليّ عُلِّمت الاسم الأعظم وكان على لساني يوم بدر، وأنّ أميرالمؤمنينعليه السلام قرأ قل هو الله أحد فلمّا فرغ قال: يا هو يا من لا هو إلّا هو اغفر لي وانصرني على القوم الكافرين، وكان عليّعليه السلام يقول ذلك يوم صفّين وهو يطارد، فقال له عمّار بن ياسر: يا أميرالمؤمنين ما هذه الكنايات؟ قال: اسم الله الأعظم وعماد التوحيد لله لا إله إلّا هو، ثمّ قرأ شهد الله أنّه لا إله إلّا هو وأواخر الحشر ثمّ نزل فصلّى أربع ركعات قبل الزّوال، قال: وقال أميرالمؤمنينعليه السلام: الله معناه المعبود الذي يأله فيه الخلق ويُؤله إليه والله هو المستور عن درك الأبصار المحجوب عن الأوهام

---

١. مجمع البيان ٢/ ٤٢١؛ الكشف والبيان ٣/ ٣١؛ مجمع الزوائد ٦/ ٣٢٦؛ روض الجنان ٤/ ٢٢١.
٢. روض الجنان ٤/ ٢٢٠ وما بعده.
٣. روض الجنان ٤/ ٢٣٠.

والخطرات.[١]

عن حمزة الزّيّات قال: خرجتُ ذات ليلة أريد الكوفة فآواني اللّيل إلى خرابة فدخلتها فبينما أنا فيها إذ دخل عليَّ عفريتان من الجنّ، فقال أحدهما لصاحبه: هذا حمزة بن حبيب الزّيّات الذي يُقْرِي النّاس بالكوفة؟ قال: نعم، والله لأَقْتُلَنَّهُ، قال: دعه المسكين يعيش، قال: لأقتلنّه، فلمّا أَزْمَعَ على قتلي، قلت: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ إلى قوله ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ وأنا على ذلك من الشاهدين، فقال له صاحبه: دونك الآن فاحفظه راغماً إلى الصباح.[٢]

رُوي أنّ النّجاشي كان ورث عن آبائه قلنسوة من أربعمائة سنة ما وُضْعِتْ على وجع إلّا سكن فَفُتِّشَتْ فإذا فيها هذا الدّعاء، بسم الله الملك الحقّ المبين ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ إنّ الدّين عندالله الإسلام الله نور وحكمة وحول وقوّة وقدرة وسلطان وبرهان لا إله إلّا الله آدم صفيّ الله لا إله إلّا الله إبراهيم خليل الله لا إله إلّا الله موسى كليم الله لا إله إلّا الله محمّدٌ العربيّ رسول الله وحبيبه وخيرته من خلقه اسكن يا جميع الأوجاع والأسقام والأمراض وجميع العلل وجميع الحُمّيات سَكَنْتُكَ بالّذي سكن له ما في الليل والنهار وهو السّميع العليم وصلّى الله على خير خلقه محمّد وآله أجمعين.[٣]

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ ﴿١٩﴾

﴿إِنَّ﴾ حرف تأكيد.

﴿ٱلدِّينَ﴾ قال الشيخ: «معنى الدين هاهنا الطاعة فمعناه أنّ الطاعة لله ﷻ هي

١. بحارالأنوار ٣/ ٢٢٢، باب ٦، التوحيد ونفي الشريك ومعنى... .
٢. بحارالأنوار ٦٠/ ١١٣، باب ٢، حقيقة الجن وأحوالهم.
٣. بحارالأنوار ٩٢/ ٦٢، باب ٥٩، الدعاء لعموم الأوجاع و... .

الإسلام»[١].

ولكن يمكن أن يقال: بأنّ المراد بالدين هو الدين المصطلح أي الشريعة والمذهب والملّة وما يُعتقد ويُعمل عليه. وهو الدستور الإلهي لتصحيح نظام الدنيا وٱلْفَوْزِ بنعيم الآخرة.

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي أراده الله وبيّنه للنّاس ويقبل منهم، فالمراد منه الحضور التشريعي.

﴿ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ قال الشيخ: «الإسلام أصله السلم، فأسلم معناه دخل في السلم... وأصل السلم السلامة لأنّه انقياد على السلامة ويصلح أن يكون أصله التسليم، لأنّه تسليم لأمر الله والتسليم من السلامة... والإسلام: يفيد الانقياد لكلّ ماجاء به النبيﷺ من العبادات الشرعية وترك النكير عليه والاستسلام له...»[٢].

والحاصل: الإسلام: «هو التسليم للحقّ الذي هو حقّ الاعتقاد وحقّ العمل، وللبيان الصادر عن مقام الربوبية في المعارف والأحكام»[٣].

ولعلّ المراد: أنّ الدين والشريعة والمذهب عندالله هو الإسلام فقط وهذا يختلف كمّا وكيفاً في الشرائع السابقة النازلة على أنبياء الله ورسله وإنّما الاختلاف بالكمال والنقص لا بالتضاد والتنافي، والتفاضل بينها بالدرجات كما عليه صاحب الميزان[٤]. فهو يشمل جميع الشرائع، ولذا يحكي الله عن وحيه إلى حَوارِيِّيْ عيسىعليه السلام: ﴿أَنْ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾[٥] وعن تسمية إبراهيمعليه السلام: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾[٦] وعن مكالمة ملائكة العذاب النازلة في قوم لوط مع إبراهيمعليه السلام: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا

---

١. التبيان ٢/ ٤١٨.
٢. التبيان ٢/ ٤١٨.
٣. الميزان ٣/ ١٢٠.
٤. الميزان ٣/ ١٢٠.
٥. سورة المائدة / ١١١.
٦. سورة الحج / ٧٨.

فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[١].

﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ﴾ الاختلاف في الدين: هو ذهاب أحد الفردين إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر؛ ويظهر ممّا يأتي أنّ الاختلاف في دينهم وبينهم، وفي ديننا وبينهم وبيننا.

﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي أهل الكتب السماوية السابقة من اليهود والنصارى.

﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ أي إنّهم لم يختلفوا في دين الله الواحد إلّا بعد ماجاءَهم العلم وهم يقطعون به. يعني بعد نزول آيات الله وعلمهم بها هم يختلفون فيها، بالنسبة إلى شرائعهم السابقة وكذلك بالنسبة إلى الشريعة النازلة بالقرآن الكريم أعني الشريعة المحمّدية الحقّة. وحرف النفي (ما) وإلّا (حرف الاستثناء) يدلان على الحصر.

﴿بَغْيًۢا﴾ منصوب إمّا على الحال من الذين أو مفعول لأجله. والبغي: طلب الاستعلاء بالظلم فهو ظلم ويمكن أن يكون مَنْشَؤُهُ الحَسَدَ.[٢]

فهم يختلفون في حال البغي والظلم أو لأجل البغي والظلم.

وما قد يقال[٣]: وليس في الآية ما يدل على أنّهم كانوا معاندين، لأنّ البغي قد يحمل على العدول عن طريق العلم، غير تّام لأنّ البغي يرادف مع الظلم وإن يمكن أن يقال بأنّ كلّ عدول عن الحقّ فهو ظلم وإن كان التعبير بالكفر في مابعده ينفيه.

﴿بَيْنَهُمْ﴾ أي يختلفون بينهم في دينهم السابقة المنسوخة وبينهم بالنسبة إلى الالتزام والتسليم بالشريعة الحديثة الناسخة المحمّدية وهي الإسلام.

﴿وَمَن يَكْفُرْ﴾ ومن يكفر ويجحد من بين أهل الكتاب الحق في دينهم وديننا، وكلمة الكفر بِمَعْنىٰ الستر والمراد به هم يعرفونه ويسترونه.

﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ وهنّ آيات الوحي في دينهم وديننا، وفي الكتب السماوية المحرّفة ـأعني التوراة والإنجيل ـ وغيرها وهو القرآن فقط ولا غير.

---

١. سورة الذاريات / ٣٥ و٣٦.
٢. كما في مجمع البيان ٢/ ٤٢١.
٣. التبيان ٢/ ٤١٩.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ أي سريع الجزاء والحساب: أن تأخذ مالك وتعطي ما عليك. وأنّ الله سريع الحساب في الدنيا باستيلاء الأعداء عليهم وتفريق كلمتهم، أو في الآخرة بأشدّ العذاب.

الروايات

وفي موثقة عبدالله بن مسكان عن بعض أصحابه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: ما الإسلام؟ فقال: دين الله اسمه الإسلام وهو دين الله قبل أن تكونوا حيث كنتم وبعد أن تكونوا فمَنْ أقرَّ بدين الله فهو مسلمٌ ومَنْ عمل بما أمر الله عزّ وجلّ به فهو مؤمن.[١]

وفي صحيحة أبي‌بصير قال: كنت عند أبي‌جعفر عليه السلام فقال له سلام: إنَّ خيثمة ابن أبي‌خيثمة يحدّثنا عنك أنّه سألك عن الإسلام فقلت له: إنّ الإسلام من استقبل قبلتنا وشهد شهادتنا ونسك نسكنا ووالي وليّنا وعادي عدوَّنا فهو مسلمٌ فقال: صدق خيثمة، قلت: وسألك عن الإيمان فقلت: الإيمان بالله والتصديق بكتاب الله وأن لايعصى الله، فقال: صدق خيثمة.[٢]

وفي مرفوعة أحمد بن محمّد بن خالد عن بعض أصحابنا عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: لأنسبنَّ الإسلام نسبة لاينسبه أحدٌ قبلي ولاينسبه أحدٌ بعدي إلّا بمثل ذلك: إنّ الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التّصديق، والتّصديق هو الإقرار، والإقرار هو العمل، والعمل هو الأداء، إنّ المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه ولكن أتاه من ربّه فأخذه، إنّ المؤمن يرى يقينه في عمله والكافر يرى إنكاره في عمله، فوالّذي نفسي بيده ما عرفوا أمرهم، فاعتبروا إنكار الكافرين والمنافقين بأعمالهم الخبيثة.[٣]

وفي خبر مدرك بن عبدالرحمن عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الإسلام عريان، فلباسه الحياء وزينتُهُ الوقار ومروءَتُهُ العمل الصالح وعماده الورع،

---

١. الكافي ٣/ ١٠٠، ح٤ (٢/ ٣٨).
٢. الكافي ٣/ ١٠٠، ح٥ (٢/ ٣٨).
٣. الكافي ٣/ ١١٧، ح١ (٢/ ٤٥).

ولكلّ شيء أساسٌ؛ وأساس الإسلام حبّنا أهل البيت.[١]

وفي صحيحة عبدالعظيم الحسني عن أبي‌جعفر الثاني عليه السلام، عن أبيه، عن جدّه صلوات الله عليهم قال: قال أمير‌المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله خلق الإسلام فجعل له عرصة وجعل له نوراً وجعل له حصناً وجعل له ناصراً فأمّا عرصته فالقرآن، وأمّا نوره فالحكمة، وأمّا حصنه فالمعروف، وأمّا أنصاره فأنا وأهل بيتي وشيعتنا، فأحبّوا أهل بيتي وشيعتهم وأنصارهم فإنّه لمّا أُسري بي إلى السّماء الدّنيا فنسبني جبرئيل عليه السلام لأهل السّماء استودع الله حبّي وحبّ أهل بيتي وشيعتهم في قلوب الملائكة، فهو عندهم وديعة إلى يوم القيامة ثمّ هبط بي إلى أهل الأرض فنسبني إلى أهل الأرض فاستودع الله عزوجل حبّي وحبّ أهل بيتي وشيعتهم في قلوب مؤمني أمّتي فمؤمنو أمّتي يحفظون وديعتي في أهل بيتي إلى يوم القيامة؛ ألا فلو أنّ الرّجل من أمّتي عبدالله عزوجل عمره أيّام ثمّ لقي الله عزوجل مبغضاً لأهل بيتي وشيعتي ما فرّج الله صدره إلّا عن النفاق.[٢]

وفي صحيحة أبي‌المقدام عن أبي‌عبدالله عليه السلام عن أبيه عليه السلام في حديث: ألا وإنّ لكلّ شيء عزّاً وعزّ الإسلام الشيعة. ألا وإنّ لكلّ شيء دعامة ودعامة الإسلام الشيعة. ألا وإنّ لكلّ شيء ذروة وذروة الإسلام الشيعة.ألا وإنّ لكلّ شيء شرفاً وشرف الإسلام الشيعة، الحديث.[٣]

مرسلة محمّد بن مسلم عن أبي‌جعفر عليه السلام قال: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ قال: يعني الدين فيه الإيمان.[٤]

وفي هذا المجال راجع إلى ما كتبه الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام للمأمون في محض الإسلام على الايجاز والاختصار المروي بسند معتبر في العيون[٥].

---

١. الكافي ٣/ ١١٨، ح٢ (٢/ ٤٦).
٢. الكافي ٣/ ١١٨، ح٣ (٢/ ٤٦).
٣. الكافي ١٥/ ٤٩٠، ح٢٦٠ (٨/ ٢١٢).
٤. تفسير العياشي ١/ ٢٩٧، ح٢٣.
٥. عيون الأخبار الرضا عليه السلام ٢/ ١٢١، ح١.

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ ﴿٢٠﴾

﴿فَ﴾ حرف تفريع، أي بعد تبيين ما ذكرنا من التوحيد والإسلام.

﴿إن﴾ أداة شرط تحققت في الخارج وجوابها ﴿فَقُلْ﴾.

﴿حَآجُّوكَ﴾ فاعله نصارى نجران أو مُطْلَقُ أهلِ الكتابِ أو ٱلْمُخالِفُوْنَ لك يا رسولَ الله ﷺ في أمر دينك. فَتَكُوْنُ المحاجّة في الدين والاختلاف فيه، وهم يدّعون أنّ اختلافهم ليس لبغي منهم بعد بلوغ البيان بل إنّما هُوَ شَيْءٌ ساقَتْهُمْ إِلَيْهِ عقولهم وأفهامهم واجتهادهم في تحصيل العلم بحقائق الدين من غير أن يتركوا التسليم للحقّ كما قاله صاحب الميزان[1].

﴿فَقُلْ﴾ جواب للشرط وأمرٌ للنبي ﷺ بالمحاجّة معهم، والاستدلال عليهم، مَعَ دَوامِ الاستدلال والمحاجّة والبرهان.

﴿أَسْلَمْتُ﴾ فيكون أوّل الْمُسْلِم هو الرسول ﷺ وهو الذي يريدوا ـ المخالفون ـ محاجّته، ويقول: أنْقَدْتُ لأمر الله في إخلاص التوحيد له، وهذا هو الأمر المشترك بينه ﷺ وبينهم ـ على ما يدّعون ـ ، ويقول: أعرضتُ عن كلِّ معبود دون الله وأخلصتُ قصدي بالعبادة إليه.

﴿وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ أي «نفسي وإنّما أضاف الإسلام إلى الوجه لأنّه لمّا كان وجه الشيء أشرف ما فيه ذكر بدلاً منه ليدلَّ على شرف الذكر. ومثله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[2] أي إلّا هو»[3].

ويمكن أن يكون المراد من الوجه على سبيل المجاز: النيّة والقصد، أعني نيتي

---

١. الميزان ٣/ ١٢٢.
٢. سورة القصص / ٨٨.
٣. التبيان ٢/ ٤٢٠.

وقصدي لله تعالى.

ويمكن أن يراد منه مجازاً: الجانب والجهة نحو قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[١] أي جانبه بمعنى رضاه.

﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾ «أي ومَنْ اهتدي بي في الدين من المسلمين فقد أسلموا أيضا كما اسلمتُ»[٢]. وفيه تَشْرِيْفٌ لمقام الرسول ﷺ.

اتبعنِ كان في الأصل اتبعني حُذِفَتِ الياء وٱكْتُفِيَ بالكسرة تحت النون. وحذف الياء لا سيّما إذا كان قَبْلَها نُوْنٌ جائز.

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يظهر منها أنّ المحاجّين كانوا من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى ويلحق بهما المجوس على القول الراجح.

﴿وَ﴾ عَطَفَ ما بعده بما قبله لكون الدين مشتركاً بينهم. وإن كانَ أهل الكتاب يدّعون التوحيد ويتدينون بالشرك لوجود التثليث بين النصارى، والحكم بوجود ٱبْنٍ لله تعالى ـ وهو عُزَيْرٌ النبي ـ عند اليهود؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

﴿ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ والأُمّي: هو الذي لايكتب لأنّه خُلِقَ ولايكتب، ولايستفيد من الكتابة. والمراد منهم مشركو العرب. وَقَدْ مَرَّ وَجْهُ عَطْفِهِ.

﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ «أمر في صورة الاستفهام وإنّما كان كذلك لأنّه بمنزلة طلب الفعل»[٣]. فالاستفهام للتقرير وفيه أمر بالإسلام.

﴿فَإِنْ أَسْلَمُواْ﴾ أي دخلوا في الإسلام وهو الدين الوحيد عند الله تعالى.

﴿فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾ أي اهتدوا إلى طريق الحقّ والصواب والسَّدادِ.

﴿وَّإِن تَوَلَّوْاْ﴾ ولم يقبلوا وأعرضوا عن الإسلام وكفروا به.

﴿فَإِنَّمَا﴾ تفريع على إعراضهم وكفرهم، وأداة حصر بالنسبة إلى ما بعده.

﴿عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ أي ما يلزم على رسول الله فهو إبلاغ الدين وتبليغه، وليس عليك أن لايتولّوا.

---

١. سورة الكهف / ٢٨.
٢. مجمع البيان ٢/ ٤٢٢.
٣. التبيان ٢/ ٤٢١.

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ «لايفوته شيءٌ من أعمالهم التي يجازيهم بها. لأنّه بصير بهم أي عالم بهم وبسرائرهم وظواهر أعمالهم، لاتخفى عليه خافية. وقيل: يعلم ما يكون منك في التبليغ ومنهم في الإيمان والكفر»[١].

والتعبير ﴿بِٱلۡعِبَادِ﴾: إشعار بالرأفة بهم ويكون في مقام الجلب والتأليف والجذب ولايكون في مقام الدفع والتخويف والردّ، وحكمه نافذ فيهم وإنّهم عباده ومربوبون له أسلموا أو تولّوا، وهو العالِم بعباده ويفعل معهم بما يقتضي مقامه الرُّبُوْبِيُّ. وَهُوَ لايَقْتَضِيْ إلّا العفو والرحمة والمغفرة والكرم والإحسان والجود والخير و....

وقد جعل العلّامة المجلسيﷺ المجلّد الرابع من كتابه «بحارالأنوار» في الاحتجاجات والمناظرات وجعل في أول بابه احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم ثمّ احتجاجات الرسولﷺ، ثمّ احتجاجات أميرالمؤمنينﷺ، ثمّ الأئمة المعصومينﷺ من أُولاده ثمّ احتجاجات علمائنا الأخيار ـ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ـ فإن شئت راجع كتابه[٢]. أعلى الله مقامه.

وكذلك قبله الشيخ أبومنصور الطبرسيﷺ جمعها في كتابه «الاحتجاج».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٢١﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾ المُرادُ بِهِمْ هنا أهلُ الكتابِ عامة واليهود خاصة.

﴿يَكۡفُرُونَ﴾ كفر أي سَتَرَ في اللغة ولذا يطلق على الزارع الكافر. ولكن المراد هنا ستر العقائد الحقّة وعدم الاعتقاد بها وجحودها، والاتيان بصيغة المضارع يدل على الاستمرار.

﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ حججه وبيناته، رُسُله لاسيّما الرسول الأعظمﷺ وكتابه

---

١. التبيان ٢/ ٤٢١.

٢. بحارالأنوار ج ٩ و١٠ من طبع الحروفي، ج٤ من طبع الحروفي في بيروت وفي ٤٤ مجلداً.

السماوي.

﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ الكافرون هم القاتلون للأنبياء سلام الله عليهم أجمعين والإتيان بصيغة المضارع أيضاً يدلّ على استمرار فعلتهم. وقتل الأنبياء مشهور من اليهود، وَيُنْسَبُ إلى اليهود المعاصريْنَ للنبي ﷺ لأنّهم يرضون بأفعالهم.

﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ قيد توضيحي ولايكون احترازياً، لأنّ قتل الأنبياء لايكون إلّا بغير الحق.

﴿وَيَقْتُلُونَ﴾ أي الكفار مضافاً إلى قتلهم الأنبياء يقتلون.

﴿ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ﴾ أي يقتلون دُعاة إقامة العدل، فهم ـ أي ٱلْمَقْتُوْلُوْنَ ـ آمرون بالمعروف والناهون عن المنكر.

﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ أي بالعدل.

﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ الآمرون بالقسط هم من النّاس العاديين وليسوا بأنبياء، وفطرتهم الطاهرة تدعوهم إلى هذا الأمر.

﴿فَبَشِّرْهُم﴾ دخلت الفاء لِشَبَهَ الجزاء[1] والجواب. أمرٌ لِلْنَبِيِّ ﷺ فالمبشّر هو. وبشّر: بمعنى الإخبار بما يظهر أثره في بشرة الوجه. ويشمل الإخبار بالسرور والغم، لأنّ كِلَيْهِما يظهر أثره في الوجه. نعم، إذا اطلقت اختصت بما يوجب السرور. ويمكن أن يقال: بأنّ هذا الإخبار يوجب سرور المؤمنين.

والضمير يرجع إلى الكافرين القاتلين.

﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ إخبار بنزول الغضب والسخط مِنَ ٱللهِ تعالى عليهم، وظهور العذاب الأليم يكون في العذاب الأُخْرَوِيَّ.

الروايات

وفي خبر يونس بن ظبيان قال: سمعتُ أباعبدالله عليه السلام يقول: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ويل للّذين يختلون الدّنيا بالدّين، وويل للّذين يقتلون الّذين يأمرون بالقسط من النّاس، وويل للّذين يسير المؤمن فيهم بالتقيّة، أبي يغترّون أم عَلَيَّ

---

١. كما في مجمع البيان ٢/ ٤٢٣.

يجترؤون، فبي حلفت لأُتيحنَّ لهم فتنة تترك الحليم منهم حيران.[١]

وفي التبيان: «روي أبوعبيدة بن الجراح قال: قلتُ يا رسول الله أيُّ النّاس أشدُّ عذاباً يوم القيامة قال: رجل قتل نبيّاً أو رجلاً أمر بمعروف ونهي عن منكر، ثمّ قرأ رسول الله ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ثمّ قال يا أباعبيدة، قتلتْ بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أوّل النهار في ساعة واحدة، فقام مائة رجل وإثنا عشر رجلاً من عُبّاد بنيإسرائيل فأمروا مَنْ قَتَلَهُمْ بالمعروف، ونهوهم عن المنكر فقُتلوا جميعاً في آخر النهار في ذلك اليوم، وهم الذين ذكرهم الله»[٢].

وفيه: «عن النبيﷺ أنّه قال: أفضلُ الجهادِ كلمةُ حقٍّ عندَ سلطانِ جائرٍ يَقْتُلُ عليها»[٣].

وعن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول اللهﷺ: بِئْسَ القوم قومٌ يقتلون الذين يأمرون بالقسط من النّاس، بئس القوم قومٌ لايأمرون بالمعروف ولاينهون عن المنكر، وبئس القوم قومٌ يَمْشي المؤمنُ فيهم بالتقية والكتمان»[٤].

﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ ﴿٢٢﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ اشارة إلى الذين يكفرون ويقتلون الأنبياء و... الذين مرّ ذكرهم في الآية السابقة.

﴿ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ﴾ الحبط: بطلان العمل وعدم الأجر به. والحبط في اللغة: الفساد.

---

١. الكافي ٣/ ٧٣٠، ح١ (٢/ ٢٩٩).
٢. التبيان ٢/ ٤٢٢.
٣. التبيان ٢/ ٤٢٢.
٤. الكشف والبيان ٣/ ٣٧؛ روض الجنان ٤/ ٢٤١.

ومنه قول النبيﷺ: إنّ ممّا يُنْبِتُ الربيعُ ما يَقْتُلُ حبطاً إذْ يُلِّمُ.[١] أي يوجب الهلاكة إذا أسرف في أكله.

﴿أَعْمَـٰلُهُمْ﴾ صيغة الجمع مع إضافته إلى ضمير الجمع تفيد العموم: أي حبطت جميع أعمالهم وتبطل.

﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ أي لم ينالوا بها الثناء والمدح.

﴿وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي لم ينالوا ثوابها وأجرها في الآخرة.

﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾ أي شافعين. فلاتشمل الشفاعة لِمَنْ يكفر ويقتل النبيﷺ ودعاة الحقّ. وذكر الجمع يدل على نفي العموم أي ليس لهم أيُّ ناصرٍ وشفيعٍ، فهم محرومون من الشفاعة في يوم القيامة.

وَلِلْوقُوْفِ علىٰ روايات الحبط، راجع موسوعة أحاديث أهل البيت[٢]عليهم السلام.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ ﴿٢٣﴾

هذه الآية والآيتان بعدها تُبَيِّنُ ما يوجب اختلافهم في الدين وعدم قبولهم الإسلام وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء، كُلُّ ذٰلِكَ ينشأ ممّا يأتي فيها.

﴿أَ﴾ استفهام لتوضيح ما يخفى على عامة النّاس أو للتشهير أو للتعجيب.

﴿لَمْ تَرَ﴾ أي لم تعلم، ولم ينته علمك.

﴿إِلَى ٱلَّذِينَ﴾ يريد أحبار اليهود أو علماء أهل الكتاب. ﴿أُوتُوا۟﴾ أي أعطوا.

﴿نَصِيبًا﴾ أي حظّاً، مادّة نَصَبَ تأتي بِمعنى الوضع والتعب والحصة التي تضاف إلى الشخص أو العلامة ويمكن إِرجاع الجميع إلى الوضع وقد استعملت في القرآن غالباً في موارد الذم، وهو مقول بالتشكيك، كما في مواهب الرحمن[٣].

---

١. صحيح ابن‌حبان ٨/ ٢٣؛ كنزالعمال ٣/ ٢٠٤؛ الكشف والبيان ٣/ ٣٧؛ روض الجنان ٤/ ٢٤٢.
٢. موسوعة أحاديث أهل البيتعليهم السلام ٣/ ٤٠.
٣. مواهب الرحمن ٥/ ١٩٢ بتلخيص.

والمراد به: أنّ ما في أيديهم من الكتاب السماوي ليس إلّا نصيباً منه لا كلّه وجميعه.

﴿مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ من للتبعيض، أي أنّهم أعطوا جزءً وحظّاً من الكتاب، والمراد بالكتاب هو الكتب السماوية السابقة مثل التوراة إن كانَ أحبار اليهود هم المخاطبين وَالإنجيل إن كانَ علماء ٱلنَّصارىٰ هم المخاطبين.

﴿يُدۡعَوۡنَ﴾ الداعي هو الله أو الرسول ﷺ بإذن منه تعالى أو المؤمنين والمسلمين بإذن منهما تُحذف تعظيماً وتشريفاً وأتى بصيغة المجهول، وَٱلۡمُدۡعَوۡنَ هم علماء أهل الكتاب عموماً أو أحبار اليهود خاصة.

﴿إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ وهو القرآن الكريم لأنّه هو كتاب الله الواقعي ولم يدخل فيه تحريف.

وقيل: المراد به التوراة الموجودة عندهم، لأنّها في الأصل من الكتب السماوية، ولكنهم حرّفوها.

وهم يدعون إلى كتاب الله ليفصل الحقّ من الباطل فيما اختلفو فيه؛ لأنّ في التوراة وردت الدلالات على نبوة نبيّنا النبي الأعظم ﷺ؛ ولأنّ في القرآن ـ إن كان هُوَ المراد بكتاب الله ـ ما يوافق التوراة الأصلية من أصول الديانة وأركان الشريعة وصفات النبي ﷺ.

﴿لِيَحۡكُمَ﴾ أي ليكون ذلك الكتاب هو الحكم بينهم في ما اختلفوا.

﴿بَيۡنَهُمۡ﴾ أي بين الرسول الأعظم ﷺ وأحبار اليهود أو علماء أهل الكتاب، أو المؤمنين واليهود، أو المؤمنين وأهل الكتاب.

﴿ثُمَّ﴾ أي بعد دعائهم إلى كتاب الله ليكون حكماً بينهم في اختلافهم.

﴿يَتَوَلَّىٰ﴾ التولّى عن الشيء هو الإعراض عنه. وتولّاهم لايكون إلّا عن بغيٍّ وجحودهم للحقّ. وهو معرض عمّا دعا إليه.

﴿فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ﴾ أي طائفة منهم. يتولّى عن الداعي.

﴿وَهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ عن اتباع الحقّ، وهم قوم لايزال الإعراض ديدنهم، والجملة حال من فريق.

الروايات

قال السُّديُّ[١]: دعا النبي ﷺ في اليهود إلى الإسلام، فقال له النعمان بن أبي‌أوفى: هلَّم يا محمّد نخاصمك إلى الأحبار، فقال له رسول الله ﷺ: بل إلى كتاب الله، فقال: بل إلى الأحبار، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قال الطبرسي: «روي عن ابن‌عباس إنّ رجلاً وامرأة من أهل خيبر زنيا وكانا ذوي شرف فيهم وكان في كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفها ورجوا أن يكون عند رسول الله ﷺ رخصة في أمرهما فرفعوا أمرهما إلى رسول الله ﷺ فحكم عليهما بالرجم، فقال له النعمان بن أُوفي وبحري بن عمرو: جُرْتَ عليهما يا محمّد ليس عليهما الرجم، فقال لهم رسول الله ﷺ: بيني وبينكم التوراة، قالوا: قد أنصفتنا، قال: فمن أعلمكم بالتوراة؟ قالوا: رجل أعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا، فأرسلوا إليه فقدم المدينة وكان جبرائيل قد وصفه لرسول الله، فقال له رسول الله: أنت ابن صوريا؟ قال: نعم، قال: أنت أعلم اليهود؟ قال: كذلك يزعمون، قال: فدعا رسول الله بشيء من التوراة فيها الرجم مكتوب، فقال له: إقرأ، فلما أتى على آية الرجم وضع كفه عليها وقرأ ما بعدها، فقال ابن سلام: يا رسول الله قد جاوزها، وقام إلى ابن صوريا ورفع كفه عنها ثمّ قرأ على رسول الله ﷺ وعلى اليهود بأنّ المحصن والمحصنة إذا زنيا وقامت عليهما البينة رُجِما، وإن كانت المرأة حبلىٰ انتظر بها حتّى تضع ما في بطنها، فأمر رسول الله ﷺ باليهوديين فرُجما، فغضب اليهود لذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية»[٢].

وروى نحوها عنه الثعلبي في الكشف والبيان[٣] والرازي في روض الجنان[٤].

وفي الكشّاف: «أنّ رسول الله ﷺ دخل مدارسهم فدعاهم، فقال له: نعيم بن عمرو والحرث بن زيد: على أيّ دين أنت؟ قال: على ملّة إبراهيم. قالا: إنّ إبراهيم

---

١. نقل عنه الثعلبي في تفسيره ٣/ ٣٨؛ والشيخ أبوالفتوح الرازي في روض الجنان ٤/ ٢٤٣.
٢. مجمع البيان ٢/ ٤٢٤.
٣. الكشف والبيان ٣/ ٣٨.
٤. روض الجنان ٤/ ٢٤٣.

كان يهودياً. قال لهما: إنّ بيننا وبينكم التوراة فهلموا إليها، فأبيا»[١].

روى نحوها الثعلبي في الكشف والبيان[٢] والرازي في روض الجنان[٣] والسيوطي في الدر المنثور[٤].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢٤﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ اشارة إلى تولّيهم عن الحق وإعراضهم عنه وعنادهم له وجحودهم له.

خبر لمبتدأ محذوف معناه شأنهم ذلك، وبيان لِعِلَّةِ إعراضهم وسبب جحودهم للحقّ وإنكارهم له مع علمهم به.

﴿بِأَنَّهُمۡ﴾ بأنّ الأحبار من اليهود أو علماء أهل الكتاب.

﴿قَالُواْ﴾ بلسان الحال والمقال. ﴿لَن تَمَسَّنَا﴾ أي لن تصيبنا.

﴿ٱلنَّارُ﴾ عذاب النار وجهنم.

﴿إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ الأيّام التي عبدوا فيه العجل وهي أربعون يوماً، أو شهر واحد أو سبعة أيّام أو أَيّامٌ منقطعة لانقطاع العذاب فيها.

﴿وَغَرَّهُمۡ﴾ الغرور: الاطماع في ما لايصح ولاينتج.

﴿فِي دِينِهِم﴾ في أنّهم أخطؤا في دينهم.

﴿مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ الافتراء: الكذب على الغير. وهم يَفْتَرُوْنَ على الله بأنّ النار تُصِيْبُهُمْ في أَيّام معدودات فقط، وغيرها من مفترياتهم على الله تعالى نحو قولهم: نحن أبناء الله وأحِبّاؤُهُ.

---

١. الكشّاف ١/ ٣٤٨.
٢. الكشف والبيان ٣/ ٣٨.
٣. روض الجنان ٤/ ٢٤٣.
٤. الدر المنثور ٢/ ١٤.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿٢٥﴾

﴿فَ﴾ تفريع على افترائِهِمْ على الله تعالى.

﴿كَيْفَ﴾ موضوعة للسؤال عن الحال. وفيه تنبيه بصيغة السؤال عن حال مَن يساق إلى النار خالداً فيه.

﴿إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ﴾ أي وقت جمعهم وحشرهم.

﴿لِيَوْمٍ﴾ يوم القيامة والجزاء. و«ٱللامُ» يدل على الجزاء، أي الجزاء يكون في ذلك اليوم.

﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شك في ذلك اليوم وأنّه يأتي لا مُحالَةَ.

﴿وَوُفِّيَتْ﴾ توفّى: هو الأخذ بالتمام والكمال، وُفيت: يُؤخَذُ من دون نقص ونقصان من عملهم.

﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ أي كلّ فرد. ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ من عمل خير أو شرٍّ.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ولا يُنقص من أعمالهم شيءٌ.

في يوم القيامة هم يجزون بأعمالهم ولايُنقص منها شيء، فهم يَرَوْنَ ويدرون دخولهم في نار جهنم خالِدِيْنَ فِيْها. وَذٰلِكَ هُوَ مِنْ نَتائجِ ٱفترائِهِم علىٰ اللهِ في يوم القيامة.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٦﴾

تبيّن الآية الشريفة أنّ الله هو القائم على خَلْقَ العالَمَ وتدبيره.

﴿قُلِ﴾ خطاب للنبيﷺ لأنّه الرسول الأعظمﷺ في التشريع والواسطة في الفيض في التكوين، وأمر بالالتجاء إلى الله تعالى الذي بيده الخير والقدرة على

الاطلاق.

﴿ٱللَّهُمَّ﴾ الميم في «اللهم» عوض مِنْ «يا» ٱلْمُخاطَبَةِ ولذلك لايجتمعان، واختص لفظ الجلالة «الله» بالتاء للقسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف، وبقطع همزته في يا الله، وقيل: أصله يا الله أُمَّنا بخير أي اقصدنا به فخُفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته.

﴿مَٰلِكَ﴾ أكثر النحاة على أنّه منصوب بأنّه مُنادىٰ مضاف وتقديره «يا مالك»، وقال الزجاج: ويحتمل أيضاً أن يكون صفة اللهم.

وأنّه تعالى مالك لجميع المخلوقات بالملكيّة الحقيقيّة الخالقيّة. ومالكية غيره ٱعْتِبارِيَّةٌ وَمَجازِيَّةٌ.

﴿ٱلْمُلْكِ﴾ المُلك بضم الميم غير المِلك بكسر الميم، لأنّ المَلِك مالك لجميع مايملكه رعاياه ويتصرف فيها بما يشاء، فهو مَلِك للمِلْكِ.

قد يقال[1]: إنّ المراد بالمُلك هنا النبوة، وقال الزجاج: مالك العباد وما ملكوا، وقال قَوْمٌ: مالك أمر الدنيا والآخرة، والرابع: أنّه أفاد صفة لاتجوز إلّا له من أنّه مالِكُ كُلِّ مِلْكٍ.

وبالجملة: هو المَلِك الحقيقي الواقعي الأصلي ومُلك غيره اعتباري مجازي تخيليّ عَرَضِيٌّ، فهو مَلِك الملوك واقعاً وَحَقِيْقَةً بل المُلك له تعالى فقط.

﴿تُؤْتِى﴾ تعطي. ﴿ٱلْمُلْكَ﴾ المُلكية والمَلكية الاعتبارية والمجازية.

﴿مَن تَشَآءُ﴾ أن تؤتيه مصلحتك وتقديرك وَقَضاءَكَ، لأنّ مَشِيْئَتَهُ تعالى بهذه الأُمور.

﴿وَتَنزِعُ﴾ النزع: قلع الشيء عن الشيء. فأنت يا الله تنزع وتقلع وتأخذ.

﴿ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ أن تنزعه وتقطعه عنه، على ما تقتضيه حكمتك وتقديرك.

﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ العزّ: كون الشيء بحيث يصعب مناله، أي المنيع الذي لاينال ولايغالب ولايعجزه شيء. فأنت الله تعالى تعزّ من تشاء وتعطي العزّة لمن شئت.

---

١. كما في التبيان ٢/ ٤٢٩.

﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ الذُّل: يقابل العزّ وهو سهولة المنال، والذليل هو المغلوب والعاجز؛ وكلُّ أَحَدٍ ذليلٌ إلّا من أعزّه الله تعالى بِمَشِيْئَتِهِ الدائرة حول حكمته.

فأنت الله تعالى تذلّ من تشاء بأخذ عزّتك فَيَصِيْرُ ذليلاً بمقتضى نفسه.

﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ اَلْيَدُ تأتي بمعنى الإستيلاء والمراد بها القدرة الكاملة، والخير ضد الشرّ ومعناهما واضحان؛ وذكر الخير فقط من دون الشرّ لأنّ الفرض ترغيب العبد وإنّما يرغب في الخير دون الشرّ. والآية تدل على انحصار الخير بيده لا بيد غيره لتقديم الخير.

﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الجملة تعليل لجميع ما تقدم.

الروايات

في موثقة عبدالأعلى مولى آل‌سام عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: قلت له: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ أليس قد آتى الله عزّ وجلّ بني أميةَ المُلكَ؟ قال: ليس حيث تذهب إليه، إنّ الله عزّ وجلّ آتانا المُلك وأخَذَتْهُ بنواُميّة بمنزلةِ الرجلِ يكون له الثوب فيأخذه الآخرُ، فليس هو للذي أخذه.[١]

ونحوها في تفسير العياشي[٢].

وفي تفسير الثعلبي: روى جعفر بن محمّد عن أبيه عن جده عن علي بن أبي‌طالب عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لما أراد الله أن ينزّل فاتحة الكتاب، وآيةالكرسي، ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾، ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾، إلى ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ تعلقن بالعرش، وليس بينهنَّ وبين الله حجاب، وقلن: يا ربّ تهبطنا دار الذنوب وإلىٰ من يعصيك ونحن متعلقات بالطيور والعرش. فقال تعالى: وعزّتي وجلالي ما من عبدٍ قرأكنَّ في دبر كلّ صلاة مكتوبة إلّا أسكنتهُ حظيرة القدس على ما كان فيه، وإلّا نظرتُ له بعيني في كلّ يوم سبعين مرّة، وإلّا قضيت له في كلّ يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة، وإلّا أعذته من كلّ عدّوٍ ونصرته عليه، ولايمنعه دخول الجنة إلّا الشرك.[٣]

---

١. الكافي ١٥/ ٦٠٤، ح٣٨٩ (٨/ ٢٦٦).
٢. تفسير العياشي ١/ ٢٩٧، ح٢٤.
٣. الكشف والبيان ٣/ ٣٩؛ مجمع البيان ٢/ ٤٢٦؛ روض الجنان ٤/ ٢٤٦.

وفيه: قال معاذ بن جبل: احتسبتُ عن رسول الله ﷺ يوماً لم أصلِّ معهُ الجمعة. فقال: يا معاذ ما منعك من صلاة الجمعة؟ قلت: يا رسول الله كان ليوحنا اليهودي عليَّ أوقية [من تبر]، وكان على بابي يرصدني، فأشفقت أن يحبسني دونك. فقال: «أتحب يا معاذ أنْ يقضي الله دينك؟». قلت: نعم يا رسول الله. قال: قل ﴿ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾. إلى قوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، وقل: «يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها تُعطي منها ما تشاء وتمنع منها ما تشاء، أقضِ عني دَيني. فإنّ كان عليك ملء الأرض ذهباً قضاهُ الله عنك»[١].

وفيه: روى كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جدّه، قال: خطّ رسول الله ﷺ الخندق في عام الأحزاب. ثمّ قطع أربعين ذراعاً بين كلّ عشرة، قال: فاحتج المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي، وكان رجلاً قوياً، فقال المهاجرون: سلمان مِنّا. وقال الأنصار: سلمان منّا.

فقال النبي ﷺ: «سلمان منّا أهل البيت».

قال عمرو بن عوف: كنتُ أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مُقَرِّنٍ ٱلْمُزَنِيّ وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً، فحفرنا حتّى بلغنا الصدى أخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة كسرت حديدنا وشقّت علينا. فقلنا يا سلمان: آت إلى رسول الله وأخبره خبر هذه الصخرة. فإمّا أنْ تعدل عنها فإنَّ المعدل قريب، وإما أن يأمرنا فيها بأمر، فإنّا لانحب أن نجاوز خطة.

قال: فرقى سلمان إلى رسول الله ﷺ وهو ضارب عليه قبّة تركية. فقال: يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق، وكسرت حديدنا وشقت علينا حتّى ما يجيء منها قليل ولا كثير، فمرنا فيها بأمرك فإنّا لانحب أن نجاوز خطك، قال: فهبط رسول الله مع سلمان الخندق وبقينا نحن التسعة على شفة الخندق. فأخذ رسول الله ﷺ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعها، وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها، يعني المدينة، حتّى لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم، فكبَّر رسول

---

١. الكشف والبيان ٣/ ٤٠؛ مجمع البيان ٢/ ٤٢٦؛ روض الجنان ٤/ ٢٤٧.

اللهﷺ تكبير فَتْح، وكبَّر المسلمون، ثمّ ضربهاﷺ فكسرها، وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها حتّى لكأن مصباحاً في جوف بيتُ مظلم، فكبَّر رسول اللهﷺ تكبير فتح، وكبَّر المسلمون معه. فأخذ بيد سلمان ورقى. فقال سلمان: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد رأيتُ شيئاً ما رأيتُ مثلهُ قط! فالتفت رسول اللهﷺ إلى القوم فقال: رأيتم ما يقول سلمان؟ قالوا: نعم يا رسول الله [بأبينا أنت وأمّنا وقد رأيناك تضرب فيخرج برق كالموج، فرأيناك تكبّر فنكبّر ولانرى شيئاً غير ذلك][1] قال: ضربت ضربتي الأولى، فبرق الذي رأيتم، أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنّها أنياب الكلاب، وأخبرني جبرائيلؑ. أنَّ أمتي ظاهرة عليها، ثمّ ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور نصرى من أرض الروم كأنَّها أنياب الكلاب، وأخبرني جبرائيلؑ أنَّ أمتي ظاهرة عليها. [ثمّ ضربت ضربتي الثالثة فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبرائيل أنَّ أمتي ظاهرة عليها][2] فأبشروا. فاستبشر المسلمون، وقالوا: الحمدلله موعود صدق بأن وعدنا النصرُ بعد الحصر. [فطبقت الأحزاب فقال: المسلمون: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾[3] الآية].

وقال المنافقون: ألا تعجبون يُمنّيكم ويعدكم الباطل، ويخبركم أنّه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأنَّها تفتح لكم وأنتم إنَّما تحفرون الخندق من الفرق لاتستطيعون أنْ تبرزوا، قال: فأنزل القرآن: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾[4] وأنزل الله في هذه القصة قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾.[5]

وفيه: قال عيسىؑ لأصحابه: لأنتم أغنى من الملوك؟ قالوا: كيف يا روح الله

---

١. عن تفسير الطبري ٢١/ ١٦٣.
٢. غير موجودي في تفسير الطبري.
٣. سورة الأحزاب / ٢٢.
٤. سورة الأحزاب / ١٢.
٥. الكشف والبيان ٣/ ٤٠؛ مجمع البيان ٢/ ٤٢٧؛ روض الجنان ٤/ ٢٤٨؛ تفسير الطبري ٢١/ ١٦٣.

ولسنا نملك شيئاً؟ قال: أنتم ليس عندكم شيء ولاتريدونها، وعندهم أشياء ولاتكفيهم.[١]

وفي روض الجنان: مدح الأعشى الرسولَ وقال:

يا مالِكَ المُلْكِ وَدَيّان العَرَبْ

فنهاه رسول الله ﷺ وقال: «مه فإن الله مالك الملك» وذهب.[٢]

وفيه: قال رسول الله ﷺ: من أصبح آمناً في سربه مُعافَىً في بدنه عنده قوت يومه فكأنّما حِيْزَتْ له الدنيا بحذافيرها.[٣]

وفيه عنه ﷺ: ملوك الجنة من أُمّتي القانع يوماً بيوم فمن أُوتي ذلك فلم يقبله بقبوله ولم يصبر عليه تشكراً قصُرَ عملُهُ وقلّ عقلُهُ.[٤]

وذكر شيخنا التستري ﷺ في حواشيه على المصحف[٥] قضايا وَوَقائِعَ من إعطاء المُلك وإقبال الدولة وسلب المُلك وزوال الدولة فراجعها.

﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ ﴿٢٧﴾

﴿تُولِجُ﴾ تُدْخِلُ، الوُلُوْجُ: الدخول، الإيلاج: الإدخال، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِ﴾[٦].

﴿ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ والمراد بولوج الليل في النهار لَعَلَّهُ الزيادة في ساعات الليل والنقيصة من ساعات النهار في اليوم كما في فصل الشتاء في نصف الكرة الشمالية على

---

١. الكشف والبيان ٣/ ٤٥؛ روض الجنان ٤/ ٢٦٠.
٢. روض الجنان ٤/ ٢٥٢.
٣. روض الجنان ٤/ ٢٥٤؛ الكشف والبيان ٣/ ٤٣.
٤. روض الجنان ٤/ ٢٥٤؛ الكشف والبيان ٣/ ٤٣.
٥. حواشي مصحف ١/ ١٦٣.
٦. سورة الأعراف / ٤٠.

الأرض.

﴿وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ بقرينة المقابلة وَلَعَلَّ ٱلْمُرادَ به لعلّ الزيادة في ساعات النهار واليوم والنقيصة من ساعات الليل كما في فصل ٱلصَّيْفِ كذلك في نصف الكرة الشّمالي.

وأمّا الأمر في نصف الكرة الجَنوبيّ على الأرض، فَهُوَ على عكس النِّصْفِ ٱلشّمالي.

ولعلّ إلى هذا يُشِيْرُ ما رُوي عن ابن‌مسعود وابن‌عباس ومجاهد والحسن وقتادة والسُّدّي والضحاك وابن‌زيد من أنّهم قالوا: إنّه يجعل ما نقص من أحدهما زيادة في الآخر.[١]

نعم، تساوي الليل والنهار دائماً في خط الاستواء محدود به ولعلّ الولوج هنا بمعنىٰ اتيان أحدهما بدلاً من الآخر في مكانه كما عن الجبائي.[٢]

وأمر الليل والنهار في القطبين بحسب الحِسِّ ولعلّ الولوج هنا أيضاً بمعنىٰ اتيان أحدهما بدلاً من ٱلْآخَرِ.

وبالجملة حكم الإيلاج والتغيير دائم وشامل في جميع الكرة الأرض.

ويمكن استفادة إمكانية الزمان من الآية الشريفة وأنّه مجعول لله تعالى وتحت قدرته وأنّه أدخل التغيير والتبديل فيه فلايمكن القول بقدمه الذاتي كما عليه بَعْضٌ، ولا القول بوهميته لأنّه خلاف ظاهر هذه الآية والوجدان.[٣]

﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ إخراج الحيّ من الميت له مصاديق:

الف: إخراج النباتات من الأرض الميتة.

ب: إخراج الحيوان والإنسان من النطفة التي لايصدق عليها أنّها حيّة عرفاً.

ج: إخراج المؤمن من صلب الكافر؛ لأنّ الله تعالى سَمّىٰ الإيمان حياةً ونوراً، والكفر موتاً وظلمة في قوله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى

---

١. كما نقل عنهم الطبري في تفسيره ٣/ ٢٦١؛ والشيخ في تبيانه ٢/ ٤٣٢.
٢. نقل عنه الشيخ في التبيان ٢/ ٤٣٢.
٣. مواهب الرحمن ٥/ ٢١٧.

ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[1].

وفي هذه الآية وسابقتها تجد أربعة من أنحاء التصرف: بنحو التقابل فوضع في الأُولى إيتاء الملك وَجعل بحذائها إيلاج النهار في الليل حيث يتسلّط الضوء وتذهب الظلمة.

وكذلك نزع الملك فيه نحو حزازة ومنقصة إلى من ينزع عنه فيكون من قبيل تسليط الليل على النهار وإذهاب الضوء.

وفي الآية السابقة ذكر ايتاء العزّة لمن يشاء، والعزة نوع من الحياة في المجتمع، وذكر بحذائها في هذه الآية إخراج الحيّ من الميت، وكذلك ذكر في السابقة الذلة وجعلها لمن يشاء، والإذلال نوعٌ من الموت بل هو أشدّ منه. وبحذائها إخراج الميت من الحيّ.

فأخذ الله تعالى أربعة من الأُمور الاعتبارية الاجتماعية وهي إيتاء الملك ونزعه وإيتاء العزّة والذلة وأربعة من الأُمور التكوينية وهي إيلاج الليل في النهار وعكسه، إخراج الحيّ من الميت وعكسه وجعل بينها نوعاً من التقابل ونسب الإيتاء والنزع والإيلاج والإخراج إلى نفسه تعالى حتّى يتبيّن بأنّه الله تعالى هو الوحيد الذي يتصرف في الملك الاعتباري الاجتماعي الوضعي والملك الحقيقي التكويني، أعني أنّ بيده التكوين والاعتبار والاجتماع.

﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ كأنّه تعليل بالنسبة إلى الآيتين لأنّ الرزق له مَعْنى عام بالنسبة إلى المأكل والمشرب والملبس والمسكن والمنكح والأُولاد والعزّة والملك والثروة والحياة والسلّامة ومدّة العمر وحتّى العلم والأُستاذ والكتاب ونحوها.

وَمَشِيْئَتُهُ تعالى مبنيّة على حكمته البالغة.

وبغير حساب «فيه ثلاثة أقوال: أوّلها: قال الحسن والربيع: بغير نقصان، لأنّه لا نهاية لما في مقدوره فما يوجد منه لاينقصه، ولا هو على حساب جزء من كذا وكذا جزءٌ منه، فهو بغير حساب التجزئة.

---

١. سورة الأنعام / ١٢٢.

الثاني: بغير حساب التقتير، كما يقال: فلان ينفق بغير حساب، لأنّ من عادة المقتر ألّا ينفق إلّا بحساب؛ ذكره الزجاج.

الثالث: ما قاله الجُبّائيُّ: أنّ معناه بغير حساب الاستحقاق لأنّه تفضل وذلك، لأنّ النعيم منه بحساب ومنه بغير حساب، فأمّا العقاب فجميعه بحساب»[١].

والتعليل الوارد فيها نظير ما ورد في ذيل الآية السابقة: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

الروايات

الصدوق عن محمّد بن القاسم المفسر عن أحمد بن الحسن الحسيني عن الحسن بن علي بن محمّدعليه السلام عن الموت ما هو؟ فقال: هو التصديق بما لايكون. حدثني أبي عن أبيه عن جدّه عن الصادقعليه السلام قال: إنّ المؤمن إذا مات لم يكن ميّتاً فإنّ الميت هو الكافر، إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ يعني المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن.[٢]

الطوسي رُوي ذلك عن أبيجعفرعليه السلام وأبيعبداللهعليه السلام أنّه إخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن.[٣]

في مهج الدعوات عن أسماء بنت زيد قالت: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به فأجاب:.﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.[٤]

عن الزهري: أنّ النبيصلى الله عليه وآله دخل على بعض نسائه، فإذا بامرأة حسنة النعْمة، فقال: من هذه؟ قالت: إحدى خالاتك، قال: إنّ خالاتي بهذه البلدة لغرائب! وأيّ

---

١. التبيان ٢/ ٤٣٢.
٢. معاني الأخبار / ٢٩٠، ح١٠.
٣. التبيان ٢/ ٤٣٢؛ مجمع البيان ٢/ ٤٢٨.
٤. مهج الدعوات / ٣١٧.

خالاتي هذه؟ قالت: خلدة ابنة الأسود بن عبد يغوث، قال سبحان الذي يخرج الحيّ من الميت، وكانت امرأة صالحة وكان أبوها كافراً.[١]

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: الرزق رزقان: طالب ومطلوب، فمن طلب الدنيا طلبه الموت حتّى يخرجه عنها، ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتّى يستوفي رزقه منها.[٢]

لأجل الروايات الواردة حول الرزق راجع كتابي موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام.[٣]

﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾

نَهىٰ اللهُ تعالى أن يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء بتفصيل يأتي.

﴿لَّا يَتَّخِذِ﴾ نهي والفعل مجزوم وَكَسر الذال لالتقاء الساكنين، ولو رفع لكان جائزاً بمعنىٰ لاينبغي لهم أن يتخذوا.

الاتخاذ هو الأخذ مع الاعتماد والثقة والتعلّم منهم في سيرتهم وطريقتهم الفردية والاجتماعية والاخلاقيه.

﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ نهيٌ لهم، وهم المؤمنون بالله ورسوله صلى الله عليه وآله فلاينبغي لهم ٱتِّخاذُ الكافرين أولياء.

﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ مطلقاً ومنهم أهل الكتاب.

﴿أَوْلِيَآءَ﴾ جمع الولي من الولاية وهي مِلْكُ تدبير أمر الشيء، فلاينبغي للمؤمنين أن يجعل ملك أُمورهم المادية والمعنوية والفردية والاجتماعية والسياسية للكافرين،

---

١. تفسير الطبري ٣/ ٢٦٥؛ الكشف والبيان ٣/ ٤٦، روض الجنان ٤/ ٢٦٣؛ الدر المنثور ٢/ ٢٧؛ تفسير الثعالبي ٢/ ٢٨؛ تفسير عبدالرزاق ١/ ١١٧.

٢. نهج البلاغة، الحكمة ٤٣١.

٣. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٤/ ١٦٦.

ويتخذّهم الأولياء في أُمورهم.

الولي له السلطة في الأمر وحيث لم يذكر أيّ نوع من أنواع التسلط فيشمل الجميع، والسلطة بأيّ نحو كانت تستلزم المحبة والمودّة والتبعية والمطاوعة والتأثر بهم في الأخلاق والامتزاج الروحي والتأثر بِهِمْ في جميع شؤون الحياة.

ولكن الآية الشريفة تنهىٰ أن يجعل المؤمنون للكافرين الولاية والسلطة ولازمها النهي عن التأثر بِهِمْ في شؤون الحياة، لا أَنَّها تَنْهىٰ عن اللازم فقط كما يظهر مِنْ بَعْضٍ.[1]

﴿مِن﴾ لابتداء الغاية.

﴿دُونِ﴾ في الأصل يفيد معنىٰ الدنو مع خصوصيه الإِنخفاض، وهنا كأنّه ظرف يفيد معنىٰ عند مع شوب من معنىٰ السفالة والقصور.

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لاتجعلوا الولاية ابتداءً منكم لِلْكافِرِيْنَ الذين هم دون مكان المؤمنين شرافة.

فلابدّ أن تجعلوا الولاية للمؤمنين الذين هم أعلى شرافة من الكافرين.

ويكون معنىٰ الآية نحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾[2].

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ من يتّخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، «بدّل بلفظ عام [ذلك] للاشعار بنهاية نفرة المتكلّم منه حتّى أنّه لايتلفّظ به إلّا بلفظ عام كالتكنية عن القبائح وهو شائع في اللسان»[3].

﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ مِنْ للابتداء ويفيد في المقام بمعنىٰ بداية التحزُّب والجماعة، أي ليس من جماعة الله وحزب الله وحتّى ليس من مبتدئين هذه الجماعة.

ويمكن أن يقرر بأنّ ليس له من ولاية الله شيء، ومن لم يكن كذلك لم يدخل في حزب الله لأنّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ

---

١. نحو السيّدين في الميزان ٣/ ١٥١؛ ومواهب الرحمن ٥/ ٢٣٤.
٢. سورة المائدة / ٥١.
٣. الميزان ٣/ ١٥٢.

ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[١].

﴿إِلَّآ﴾ يستثنى مورداً واحداً على نحو الاستثناء المتصل لا المنقطع، وهو أن يجعل لهم الولاية في مورد التقية، لأنّها عام تأتي في كلّ شيءٍ إلّا الدم.

﴿أَن تَتَّقُواْ﴾ الاتقاء في الأصل أخذ الوقاية للخوف وهي المنع عمّا يوجب الأذية والحفظ عنها ثمّ استعمل بمعنىٰ الخوف استعمالاً للمسبب في مورد السبب.

﴿تُقَىٰةً﴾ «أصله وقاة فابدلت الواو المضمومة تاءً استثقالاً لها، لأنّهم يفرون منها إلى الهمزة تارة وإلى التاء أُخرى فأمّا التاء فلقربها من الواو مع أنّها من حروف الزيادة...»[٢].

والتقية عندنا واجبة وخلافها خَطَأٌ، والآية الشريفة تدل على مشروعيتها.

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ التحذير من الحذر وهو الاحتراز عن أمر مخوف وَٱلابْتِعادُ عنه، فاعل التحذير هو الله، ومفعوله أيضاً هو الله نفسه فأتى بنفسه بدلاً من إيّاه.

حيث أنّ جعل الولاية للكافرين خروج عن ولاية الله تعالى فيكون طغياناً عليه فيستوجب عذابه، أضافه إلى نفسه على وجه الاختصاص. وفيه دلالة على التهديد بعذابٍ حتميٍّ، وإضافته إليه تدلّ على عدم حائل يحول في البين ولا عاصم له منه.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي جزاء الله المصير أي المرجع، وفيه تأكيد للعذاب.

الروايات

في تفسير العياشي رفعه عن الحسين بن زيد بن علي عن جعفر بن محمّد عن أبيهعليه السلام قال: كان رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: لا إيمان لمن لا تقية له، ويقول: قال الله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾[٣].

وفي صحيحة الفضلاء عن أبيجعفرعليه السلام يقول: التقية في كلِّ شيءٍ يضطرُّ إليه

---

١. سورة المائدة / ٥٦.
٢. التبيان ٢/ ٤٣٥.
٣. تفسير العياشي ١/ ٢٩٧، ح٢٥.

ابن آدم فقد أحلّه الله له.[١]

وفي موثقة حريز عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: التقية تُرْسُ الله بينه وبين خلقه.[٢]

وفي صحيحة محمّد بن مسلم عن أبي‌جعفر عليه السلام قال: إنّما جعلت التقية ليحقن بها الدم فإذا بلغ الدم فليس تقيةٌ.[٣]

وفي خبر أبي‌بصير عن أبي‌جعفر عليه السلام قال: خالطوهم بالبرانية وخالفوهم بالجوانية إذا كانت الإمرة صبيانية.[٤]

وفي موثقة محمّد بن مسلم عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: كلّما تقارب هذا الأمر كان أشدَّ للتقية.[٥]

المراد بهذا الأمر خروج القائم عجل الله فرجه.

روي عن جعفر بن محمّد الصادق أنّه قال: التقية واجبة وإنّي لأسمع الرجل في المسجد يشتمني فأستر بالسارية منه لئلايراني. وقال: الرياء مع المؤمن شرك ومع المنافق في داره عبادة.[٦]

وفي تفسير أبي‌الفتوح الرازي[٧] قصة طويلة في شأن نزولها فراجعها إن شئت.

﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٩﴾

لّما نَهىٰ الله تعالى عن اتخاذ الكفار أُولياء، بَدَؤُوْا يُخْفُوْنَ هذا الاتخاذ ولذا أمر سبحانه رسوله بإبلاغهم بأنّه تعالى يعلم ما تُخْفُوْنَ وَما تُبْدُوْنَ.

---

١. الكافي ٣/ ٥٥٧، ح١٨ (٢/ ٢٢٠).
٢. الكافي ٣/ ٥٥٨، ح١٩ (٢/ ٢٢٠).
٣. الكافي ٣/ ٥٥٧، ح١٦ (٢/ ٢٢٠).
٤. الكافي ٣/ ٥٥٨، ح٢٠ (٢/ ٢٢٠).
٥. الكافي ٣/ ٥٥٧، ح١٧ (٢/ ٢٢٠).
٦. الكشف والبيان ٣/ ٤٨.
٧. روض الجنان ٤/ ٢٦٥.

﴿قُلۡ﴾ أمر من الله لرسوله بإبلاغهم ما في بعده.

﴿إِن تُخۡفُواْ﴾ جملة شرطية، إن تخفوا أي إن تستروا ﴿ٱتِّخَاذَ بَعۡضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ﴾، أو غيرها من معاصي الله وممّا لايرضى الله به.

﴿مَا فِي صُدُورِكُمۡ﴾ أي ما في قلوبكم من ولايةٍ أو محبّةٍ أو فعلٍ أو نيّةٍ أو عبادة أو معصيةٍ، والصدور جَمْعُ صَدْرٍ وهو مَعْروفٌ، وهو أعلىٰ مقدّمة كلّ شيءٍ.

﴿أَوۡ تُبۡدُوهُ﴾ أي تظهروا، عطف على إن تخفوا، والإبداء: ضد الإخفاء.

﴿يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُ﴾ جوابُ الشرط ولذا مجزومٌ، أي يعلمه كائناً ما كان. هو تعالى يعلم ما في صدوركم تخفوه أو تبدوه فلايتمكّنوا من إخفاء شيءٍ من الله تعالى، وأنّه عالمٌ بالجزئيات بالعلم الحضوري لا الحصولي، وعلمه إحاطيٌّ لا محاطيٌّ، بل فوق معنى الحضور والإحاطة، لِأَنَّهُ لايخفى عليه ما خلقه وأَوجده وما يدبّره ويربّيه ويقوم به وفقر الممكنات ذاتيٌّ ولايتركهنَّ.

وفي الآية الشريفة أبلغ تحذير من النفاق والموادّه مع من حادّ الله تعالى.

نظير قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾[1]، أو قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ * أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[2].

﴿وَيَعۡلَمُ﴾ مرفوع على الاستئناف، تأكيد لإحاطة علمه سبحانه بجميع الممكنات وأنّه لايختص بما في الصدور.

﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ جميع ما في السموات، ذكره أوّلاً وَلَعَلَّهُ بالنسبة إلى الإنسان أَبْعَد.

﴿وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ جميعها.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ تعليل بالنسبة إلى جميع الآية ولأنّ العلم ينشأ من القدرة والله تعالى قادر على ذاك العلم الحضوري الإحاطي الخالقي؛ وكذلك هو يقدر على مجازاتكم.

---

١. سورة البقرة / ٢٨٤.
٢. سورة الملك / ١٤ و١٣.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ ﴿٣٠﴾

﴿يَوْمَ﴾ منصوبٌ بوجوه:

أ: منصوب بـ ﴿يُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ الآتي.

ب: منصوب بالمصير السابق في ﴿إِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ يوم تجد، وهو مختار السبزواري[١].

ج: منصوب بتقدير فعل اذكر وهذا من المحتملات عند صاحب الميزان[٢] وكلّها من مقالة الشيخ.[٣]

د: ولكن قال الزمخشري[٤]: منصوب بتودُّ.

هـ : والمحتمل الآخر في كلام صاحب الميزان﵀: «أو متعلَّق بقوله ﴿يَعْلَمُهُ ٱللَّهُ﴾ و﴿يَعْلَمُ﴾ ولا ضير في تعليق علمه تعالى بما سنشاهده من أحوال يوم القيامة فإنَّ هذا اليوم ظرف لعلمه تعالى بالنسبة إلى الأمر لنا، لا بالنسبة إلى تحققه منه تعالى.وذلك كظهور ملكه وقدرته وقوته في اليوم»[٥].

و: منصوب بـ ﴿تَجِدُ﴾ لأنّ في ذاك اليوم تجد؛ ولعلّ هذا هو المختار.

ي: أو منصوب بنزع الخافض أي: في يوم.[٦]

﴿تَجِد﴾ من الوجدانِ والجِدَة بمعنىٰ إصابة الشيء؛ وضده الفقدان.

﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ فاعل تجد، وكلّ يدل على العموم أي جميع النفوس وكلّ نفس من العباد.

---

١. مواهب الرحمن ٥/ ٢٤٦.
٢. الميزان ٣/ ١٥٥.
٣. التبيان ٢/ ٤٣٧.
٤. الكشّاف ١/ ٣٥٢.
٥. الميزان ٣/ ١٥٥.
٦. كما عن الثعلبي في تفسيره ٣/ ٤٩ في أحد محتمليه.

﴿مَّا عَمِلَتْ﴾ في الدنيا، ما موصولة تشمل جميع الأعمال والعائد محذوف مقدّر. وما وجد إمّا نفس العمل كما هو الظاهر أو جَزاؤُهُ من ثواب وعقاب أو بيانه بما في الصحائف والكتب.

﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ بدأ بالخير لأنّ الإنسان يحبّ أن يراه في ذلك اليوم. وتنكيره يدل على تعميمه حتّى بالنسبة إلىٰ كثير ٱلخير وقليلهِ.

﴿مُّحْضَرًا﴾ بنصب الضاد على المفعول، الأعمال موجودة محفوظة يحضرها الله تعالى لِفاعِلها يوم القيامة، وَلَمْ يَقُلْ حاضراً لأنّ الإحضار يتم بالنسبة إلى الموجود الغائب. والأعمال لم تكن غائبة.

وقرأ عبيد بن عمير بكسر الضاد على أنّه فاعل بمعنىٰ أنّ عمله يُحْضِرُهُ للجزاء من الحُضُور، أو يُحْضِرُهُ من الحُضْرِ وهو العَدْوُ.

﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ وإن قلّ يُحْضِرُهُ الله تعالى.

﴿تَوَدُّ﴾ من الوَدادَة بالفارسية «تمنا كردن». يمكن أن يكون خبراً لِمُبْتَدَأٍ محذوف وهي الضمير الراجع إلى النفس،.أو استئناف؛ ويمكن أن يكون حالاً ليوم تجد عملها محضراً فيكون محلاً منصوباً؛ ويمكن أن يكون مجزوماً على الجزاء.

﴿لَوْ﴾ للتمني والمتمنّي كلّ نفس. ﴿أَنَّ بَيْنَهَا﴾ أي بين النفس.

﴿وَبَيْنَهُۥٓ﴾ أي ما عملت من سوءٍ ومعصية، عمله أو جزائه أو بيانه كما مرّ.

﴿أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ الأمد: الأجل والغاية التي ينتهى إليها، وهو قَريبٌ من مَعْنىٰ ٱلْأَبَدِ مع أنّ الأبد ليس لَهُ حد محدود ولايتقيد ولكن الأمد لَهُ حد محدود ويمكن تَقْيِيْدُهُ، فالمراد بالأمد الفاصلة الزمانية أو المسافة. وقد حَدَّدَهُ بالبُعد هنا، إِذْ تَتَمنّى النفس عدم ملاقاتها من أجل هذا الأمد البعيد.

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ أي عذابه وَقَدْ مرّ الكلام فيه. كرره لإِبلاغ ٱلتَّهْدِيْد واهمية المطالب، ويمكن أن يكون الأوّل في السابقة بالنسبة إلى الدنيا، وهذا بالنسبة إلى العقبىٰ.

﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ ومن رأفته تحذير العباد و«ال» في العباد للاستغراق وتكرير «الله» لإذهاب الغفلة، وعباد الله لابدّ أن يتركوا المعصية لِعَواقِبها ٱلْوَخِيْمَةِ

ومع ذلك لهم أن لاييأسوا من رأفة ربهم الكريم الرحيم الغفّار الغفور العفوّ.

الرواية

وفي معتبرة سعيد بن المسيّب قال: كان علي بن الحسين عليه السلام يعظ النّاس ويُزَهِّدُهم في الدنيا ويُرَغِّبُهُم في أعمال الآخرة بهذا الكلام في كلّ جمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وحُفِظَ عنه وكُتِبَ، كان يقول: أيها النّاس اتقوا الله وأعلموا أنّكم إليه راجعون فـ ﴿تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ في هذه الدنيا ﴿مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ ويحك يا ابن آدم الغافل وليس بمغفول عنه.

ابن آدم إنّ أجلك أسرع شيء إليك، قد أقبل نحوك حثيثاً يطلبك ويوشك أن يدركك وكأنّ قد اوفيت أجلك وقبض الملك روحك وصرت إلى قبرك وحيداً فردَّ إليك فيه روحك واقتحم عليك فيه ملكان ناكر ونكير لمسألتك وشديد امتحانك، ألا وإنَّ أوّل ما يسألانك عن ربّك الّذي كنت تعبده وعن نبيّك الّذي أُرسل إليك وعن دينك الّذي كنت تدين به وعن كتابك الّذي كنت تتلوه وعن إمامك الّذي كنت تتولّاه، ثمّ عن عمرك فيما كنت أفنيته ومالك من أين اكتسبته وفيما أنت أنفقته، فَخُذْ حِذْرَكَ وانظر لنفسك وأعدَّ الجواب قبل الامتحان والمسالة والاختبار فإن تَكُ مؤمناً عارفاً بدينك، متّبعاً للصادقين، موالياً لاولياء الله لَقَّاكَ الله حجّتَكَ وأنطق لسانك بالصّواب وأحسنت الجواب وبشّرت بالرضوان والجنّة من الله عزّ وجلّ واستقبلتْكَ الملائكة بالرَّوح والرَّيحان وإن لم‌تكن كذلك تَلَجْلَجَ لسانُكَ ودَحَضَتْ حجَّتُكَ وعَيِيتَ عن الجواب وبشّرت بالنّار واستقبلتك ملائكة العذاب بنزل من حميم وتصلية جحيم.

واعلم يا ابن آدم إنَّ من وراء هذا أعظم وأفظع وأوجع للقلوب يوم القيامة، ذلك يوم مجموعٌ له النّاس وذلك يومٌ مشهودٌ، يجمع الله عزّ وجلّ فيه الأوّلين والآخرين ذلك يوم ينفخ في الصّور وتُبَعْثَرُ فيه القبور وذلك يوم الآزفة إذ القلوب لدي الحناجر كاظمين وذلك يومٌ لاتُقالُ فيه عَثْرَةٌ ولايُؤْخَذُ من أحدٍ فديةٌ ولاتُقْبَلُ من أحدٍ مَعْذِرَةٌ ولا لأحد فيه مستقبلُ توبةٍ، ليس إلّا الجزاءُ بالحسنات والجزاءُ بالسيئاتِ، فمن كان من المؤمنين عمل في هذه الدُّنيا مثقال ذرّةٍ من خير وَجَدَهُ، ومن كان من المومنين عَمِلَ

في هذه الدّنيا مثقال ذرّةٍ من شرٍّ وَجَدَهُ، الحديث.[١]

﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١﴾

وجه ارتباطها بالآيات السابقة أنّها «نزلت في قوم من أهل الكتاب قالوا: نحن الذين نحبّ ربنا فجعل الله تصديق ذلك اتباع رسله كما قاله الحسن وابن‌جريج. وقال محمّد بن جعفر بن الزبير: أنّها نزلت في وفد نجران من النصارى»[٢].

﴿قُلۡ﴾ يا محمّدﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين.

﴿إِن كُنتُمۡ﴾ جملة شرطية ومخاطبها جميع النّاس، وأمّا قوم من أهل الكتاب أو وفد من نجران فإنّهم منهم.

﴿تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ الحبّ والمحبّة: هي الجذبة الروحانية بين الحبيب والمحبوب، أو هي العلقة الرابطة التي تربط أحد الشيئين بالآخر، وهي من المعاني القلبية التي لابدّ أن يظهر أثرها على الجوارح ويدعوها إلى نيل مطلوبه ولذا فسّرها بعض[٣] بمعنىٰ ٱلۡإِرادَةِ ـ وهي لازمها لا نفسها ـ وهي تضاف إلى المراد نحو أُحبُّ حسيناًعليه السلام وإلى متعلَّق المراد نحو: أُحبّ مجالس الحسينعليه السلام، بل حبّ الشيء يقتضي حبّ جميع ما يتعلّق به ويوجب الخضوع والتسليم والاحترام لكلّ ما هو من جانبه، هذا بالنسبة إلى مطلق المحبة. والحبّ هو أساس العالَم وأساس الدين حتّى ورد: هل الدين إلّا الحبّ والبغض؟

وأمّا محبة الله فَهِيَ محبة حقيقيّه واقعية فطرية وَهِيَ أساس كلّ حبٍّ، وهو الله تعالى المحبوب والحبيب كما يأتي.

---

١. الكافي ١٥/ ١٨٢، ح٢٩ (٨/ ٧٢)؛ أمالي الصدوق، المجلس ٧٣، ح١/ ٥٠٣؛ تحف العقول / ٢٤٩؛ الوافي ٢٦/ ٢٤٨.

٢. التبيان ٢/ ٤٣٨.

٣. كالشيخ في التبيان ٢/ ٤٣٨.

﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾ جواب للشرط، بأنّ محبة الله تعالى تَقْتَضِيْ اتباع رُسل الله وخاتمهم هو محمّد المصطفىﷺ. وعلى من يدعي محبة الله أن يتبع الرسولﷺ، لأنّهﷺ هو المرسَل من قِبَلِهِ تعالى.[١]

﴿يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ والمحبةُ أمرٌ لها طَرَفَانِ ولاتَكُوْنُ من طرف واحد أبداً، وإذا أَحَبَّ العبدُ اللهَ واتبع رسولَه وأثبت محبّته باتباعهﷺ يحبه الله، لأنّ المحبة لاتتحقّقُ إلّا مِنْ طَرَفَيْنِ كَما أَسْلَفْنا ٱلْقَوْلَ فيها.

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ إذا حصلت المحبة من الله تعالى لعبده يغفر ذنوبه، لأنّ المحبة لا تَجْتَمِعُ مع العذاب في الله تعالى، كما أنّ المحبة ٱلحقيقيَّةَ من العبد لاتَجْتَمِعُ مع العصيان والإثم.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ إعلان عام لكثرة غفرانه ورحمته وأنّهما منه لايَحْتاجانِ إلى القابلية، وهُوَ تعليلٌ لصدر الآية الشريفة.

الروايات

الكليني بأسناده إلى رسالة أبيعبدالله‌ؑ إلى أصحابه في حديث: ومَنْ سَرَّه أن يعلم أنّ الله يُحِبُّهُ فليعمل بطاعة الله وليتَّبعنا، ألم يسمع قول الله ﷻ لنبيّهﷺ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾؟ والله لايطيع الله عبدٌ أبداً إلّا أدخلَ اللهُ عليه في طاعته اتباعنا، ولا والله لايتّبعنا عبد أبداً إلّا أحبّه الله، لا والله، لايدع أحد اتّباعنا أبداً إلّا أبغضنا، ولا والله لايبغضنا أحد أبداً إلّا عصى الله، ومن مات عاصياً لله أخزاه الله وأكبّه على وجهه في النار والحمدلله رب العالمين.[٢]

الكليني باسناده إلى خطبة الوسيلة لأميرالمؤمنينؑ في حديث: فقال تبارك وتعالى في التحريض على اتباعه والترغيب في تصديقه والقبول لدعوته: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، فاتباعهﷺ محبّة الله ورضاه غفران الذنوب وكمال الفوز ووجوب الجنة وفي التولّي عنه والإعراض محادّة الله وغضبه

---

١. وفي الكشّاف ١/ ٣٥٣ جملة لطيفة في نقد الصوفية وحركاتهم الناشئة من جهالتهم ومِثْلُها في كتاب (تلبيس إبليس) للحافِظ ٱبن الجَوْزيِّ.
٢. الكافي ١٥/ ٤٠، ح١، (٨/ ١٤).

وسخطُهُ والبُعد منه مُسْكِنُ النار، الحديث.[١]

وفي معتبرة حفص بن غياث عن أبي‌عبدالله عليه السلام في حديث: إنّي لأرجو النجاة لمن عرف حقّنا من هذه الأمة إلّا لأحد ثلاثة: صاحب سلطان الجائر وصاحب هوىً والفاسق المعلن. ثمّ تلا: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾، ثمّ قال: يا حفص، الحبّ أفضل من الخوف، ثمّ قال: والله ما أحبّ الله من أحبّ الدنيا ووالى غيرنا، ومَن عرف حقّنا وأحبّنا فقد أحبّ الله تبارك وتعالى، الحديث.[٢]

العياشي رفعه عن زياد أبي عبيدة الحذّاء، قال: دخلتُ على أبي‌جعفر عليه السلام، فقلتُ: بأبي أنت وأمّي، رُبّما خلابي الشيطان فخبُثَت نفسي، ثمّ ذكرتُ حبّي إيّاكم، وانقطاعي إليكم فطابت نفسي؟

فقال: يا زياد، ويحك وما الدين إلّا الحُبّ، ألا ترى إلى قول الله تعالى: ﴿إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾.[٣]

العياشي رفعه عن بشير الدّهان، عن أبي‌عبدالله عليه السلام، قال: قد عرفتم فيَّ منكرين كثيراً، وأحببتم فيَّ مبغضين كثيراً، وقد يكون حُبّاً لله في الله ورسوله، وحُبّاً في الدنيا، فما كان في الله ورسوله فثوابه على الله، وما كان في الدنيا فليس في شيءٍ، ثمّ نفض يده، ثمّ قال: إنّ هذه المُرجِئة، وهذه القَدَريّة، وهذه الخوارج ليس منهم أحدٌ إلّا يرى أنّه على الحقّ، وإنّكم إنّما أحببتمونا في الله، ثمّ تلا: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[٤]، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾[٥]، و﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[٦]، ﴿إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾.[٧]

العياشي رفعه عن بريد بن معاوية العِجليّ، قال: كنت عند أبي‌جعفر عليه السلام إذ دخل

---

١. الكافي ١٥/ ٧٨، ح٤، (٨/ ٢٦).
٢. الكافي ١٥/ ٣١١، ح٩٨، (٨/ ١٢٨).
٣. تفسير العياشي ١/ ٢٩٧، ح٢٦؛ بحارالأنوار ٢٧/ ٩٤، ح٥٥.
٤. سورة النساء / ٥٩.
٥. سورة الحشر / ٧.
٦. سورة النساء / ٨٠.
٧. تفسير العياشي ١/ ٢٩٧، ح٢٧؛ بحارالأنوار ٢٧/ ٩٤، ح٥٦؛ نورالثقلين ١/ ٢٢٧، ح٩٢.

عليه قادِمٌ من خُراسان ماشياً، فأخرج رجليه وقد تَوَرّمتا، وقال: أما والله ما جاءني من حيث جِئتُ إلّا حُبّكم أهل البيت.

فقال أبوجعفر عليه السلام: والله لو أحبَّنا حجرٌ حشره الله معنا، وهل الدِّين إلّا الحُبّ، إنّ الله تعالى يقول: ﴿إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾، وقال: ﴿يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ﴾[١] وهل الدِّين إلّا الحُبّ.[٢]

العياشي رفعه عن ربعي بن عبدالله، قال: قيل لأبي‌عبدالله عليه السلام: جُعِلتُ فِداك، إنّا نُسمّي بأسمائكُم، وأسماء آبائكم، فينفعنا ذلك؟

فقال: إي والله، وهل الدِّين إلّا الحُبّ، قال الله تعالى: ﴿إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾.[٣]

وفي صحيحة سعيد بن يسار قال: قال لي أبوعبدالله عليه السلام: هل الدين إلّا الحبّ؟ إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾.[٤]

الصدوق بإسناده عن ابن‌عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حبّ عليّ بن أبي‌طالب يأكل السيئات كما تأكل النار الحطب.[٥]

الطوسي بإسناده عن حذيفة يَقُوْلُ: سمعت رَسُوْلَ الله صلى الله عليه وآله يقول: ما من عبد ولا أمة يموت وفي قلبه مثقال حبّة خردل من حبّ علي بن أبي‌طالب عليه السلام إلّا أدخله الله عزّ وجلّ الجنة.[٦]

الطوسي بإسناده المعتبر عن مسعدة بن صدقة عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: والله لايهلك هالك على حبّ عليٍّ إلّا رآه في أحبّ المواطن إليه، والله لايهلك هالك على

---

١. سورة الحشر / ٩.
٢. تفسير العياشي ١/ ٢٩٨، ح٢٨؛ بحارالأنوار ٢٧/ ٩٥، ح٥٧.
٣. تفسير العياشي ١/ ٢٩٨، ح٢٩؛ بحارالأنوار ٢٧/ ٩٥، ح٥٨ و١٠٤/ ١٣٠، ح١٩.
٤. الخصال ١/ ٢١، ح٧٤.
٥. فضائل الشيعة / ١٩٩، ح١٠، المطبوعة ضمن مصنفات الشيخ الصدوق، نشر مكتبه پارسا، ١٣٨٧ش.
٦. أمالي الطوسي: المجلس الحادي عشر، ح١٠٧، ص٣٣٠، رقم٦٦٠.

بغض عليٍّ إلّا رآه في أبغض المواطن إليه.[١]

الطوسي بإسناده عن حنان بن سدير عن أبي‌جعفر عليه السلام قال: ما ثبت الله حبّ علي عليه السلام في قلب أحد فزلّت له قدم إلّا ثبتت له قدم أُخرى.[٢]

ولأجل الروايات الواردة في الحبّ راجع موسوعة أحاديث أهل البيت[٣] عليهم السلام وفي فضل محبّي علي عليه السلام وشيعته ومواليه راجع غاية المرام[٤] للعلّامة السيد هاشم البحراني.

﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ ﴿٣٢﴾

الآية الشريفة تأكيد لسابقتها.

﴿قُلۡ﴾ يا محمّد صلى الله عليه وآله.

﴿أَطِيعُواْ﴾ فعل أمر بالنسبة إلى جميع المخاطبين والناس، الطاعة: إتباع الداعي في ما دعا إليه بأمره أو إرادته.

﴿ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ عطف اطاعة الرسول على نحو الاطلاق وبفعل واحد على اطاعة الله يدلّ بوضوح على عصمه النبي صلى الله عليه وآله من الإثم والخطأ والنسيان.

وطاعة الله لاتَتُمُّ بل وَلاتَصْدُقُ إلّا باطاعة رسوله صلى الله عليه وآله.

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ أي أعرضوا عَنْ طاعة الله ورسوله، وهذا الإعراض هو الكفر العملي المعبر عَنْهُ في عُرْفِ المتشرّعة بالفسق.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ تعليل بالنسبة إلى صدر الآية بل الآية السابقة أيضاً لأنّ الذين لايطيعون الله ورسوله لايحبون الله، وإذا كانُوْا كذلك فالله تعالى أيضاً لايحبّهم لأنّ الحبّ إنّما يكون مِنْ طَرَفَيْنِ.

وفيه إشعار بأنّ كفرهم العملي يوجب عدم محبوبيتهم لله تعالى.

---

١. أمالي الطوسي: المجلس السادس، ح٢٥، ص١٦٤، رقم ٢٧٣.
٢. أمالي الطوسي: المجلس الخامس، ح٢٥، ص١٣٢، رقم ٢١٢.
٣. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٣/ ١٤.
٤. غاية المرام ٢/ ٢٧٧، طبع مؤسسة البعثة عام ١٤٢٩، بطهران.

عدّة من الروايات تدل على أنّ المعصية هِيَ الكفر، وهي لاتجتمع مع الإيمان.

الروايات

في صحيحة الفضيل عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: يُسْلَبُ منه روح الإيمان مادام [الزاني] على بطنها فإذا أنزل عاد الإيمان. قال: قلت: أرأيت إن هَمَّ؟ قال: لا، أرأيت إنْ همَّ أن يسرق أتُقْطع يده؟[١]

وفي حسنة صباح بن سيابة قال: كنت عند أبي‌عبدالله عليه السلام فقال له محمّد بن عبدة يزني الزاني وهو مؤمن؟ قال: لا، إذا كان على بطنها سُلب الإيمان منه فإذا قام رُدّ عليه.

قلت: فإنّه أراد أن يعود؟ قال: ما أكثر ما يَهُمُّ أن يعود ثمّ لايعود.[٢]

وفي معتبرة محمّد بن حكيم قال: قلت لأبي الحسن [موسى] عليه السلام: الكبائر تخرج من الإيمان؟ فقال: نعم، وما دون الكبائر، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لايزني الزاني وهو مؤمن ولايسرق السارق وهو مؤمن.[٣]

وفي معتبرة عبيد بن زرارة قال: دخل ابن قيس الماصر وعمر بن ذرّ ـ وأظن معهما أبي‌حنيفة ـ على أبي‌جعفر عليه السلام فتكلّم ابن قيس الماصر فقال: إنّا لانخرج أهل دعوتنا وأهل ملّتنا من الإيمان في المعاصي والذنوب.

قال: فقال له أبوجعفر عليه السلام: يا ابن قيس أمّا رسول صلى الله عليه وآله فقد قال: لايزني الزاني وهو مؤمن ولايسرق السارق وهو مؤمن، فأذهب أنت وأصحابك حيث شئت.[٤]

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (٣٣)

إِخْتَلَفَتْ أقوال النصارى واليهود في إبراهيم فأنزل الله هذه الآية وبيّن بأنّه من الأنبياء كما كان من قبله نُوْحٌ وآدم، ومن بعده آله.

---

١. الكافي ٣/ ٦٩٣، ح١٣ من باب الكبائر (٢/ ٢٨١).
٢. الكافي ٣/ ٦٩٣، ح١٤ (٢/ ٢٨١).
٣. الكافي ٣/ ٧٠٠، ح٢٢ (٢/ ٢٨٤).
٤. الكافي ٣/ ٧٠١، ح٢٣ (٢/ ٢٨٥).

﴿إِنَّ﴾ حرفٌ مشبّهٌ بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾ اسم إنّ.

﴿ٱصْطَفَىٰٓ﴾ خبر إنّ، ومعناه: اختار وٱجْتَبىٰ وأصله من الصفوة على وزن افتعل، قال الشيخ: «وهذا من [أ]حسن البيان الذي يمثل فيه المعلوم بالمرئي وذلك أنّ الصافي هو النقي من شائب الكدر فيما يشاهد فمثّل به خلوص هٰؤلاء القوم من الفساد لما علم الله ذلك من حالهم لأنّهم كخلوص الصافي من شائب الأدناس»[١].

وأمّا وجه اختيارهم واصطفائهم فَهُوَ إمّا لأجل دينهم أو لاختيارهم للنبوة أو بالتفضيل على غيرهم، وَالكل محتمل والأخير أَنْسَبُ.

﴿ءَادَمَ﴾ لأنّه أوّل خليفة الله من هذا النوع الإنساني جعله الله في الأرض، وأوّل مَنْ شرع له الدين وفتح له باب التوبة.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿نُوحًا﴾ أوّل ٱلْأَنْبِياءِ أُولي العزم صاحب الكتاب والشريعة بل هو شيخ الأنبياء وهو الأب الثاني لهذا النوع الإنساني بعد الطوفان.

﴿وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ الآل والأهل سيّان إلّا أنّ الآل يستعمل في خاصة الإنسان والملحقين به ومن يؤول إليه أمره ويختص بالأشراف من الأعلام دون النكرات والأزمنة والأمكنة[٢] بخلاف الأهل.

فالمراد بآل بعض ذريّة الرجل الشريف وهم الصلحاء والنجباء والصالحون، لا كلّهم.

فالمراد بآل إبراهيم بعض ذريّته من إسماعيل وإسحاق ولكن حيث يذكر بالعطف آل‌عمران وهم من أولاد إسحاق فالمراد بهم ذريّة إسماعيل حتّى يَمْتازَ ٱلْآلانِ. وإلّا فَإِنَّ آل‌عمران ذكر خاص بعد العام، ولأجل إفادة معنىً خاص يذكره الله تعالى.

وعلى القولين يكون سيّدهم وأفضلهم سيّدنا محمّدﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين.

---

١. التبيان ٢/ ٤٤٠.

٢. وَلِذا لايُقالَ: آلُ ٱلْبَيْت، بَلْ أَهْلُ ٱلْبَيْتِ مَعَ ٱلِاعْتِذارِ لِمُؤَسَّسَةِ آلِ ٱلْبَيْتِ.

وفي الروض: «أنّه محمّد وأهل بيته بلا خلاف لأنّهم من أولاد إبراهيم الخليل»[١].

﴿وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾ والمراد بعِمْرانَ هو أبومريم[٢] بدلالة الآيات الآتية ولأنّ ذكر عمران والد موسى وهارون النبيين عليهما السلام لم يرد في القرآن الكريم. والمراد بآل‌عمران مريم وَٱبْنُها عيسى عليهما السلام.

وَقد يقال[٣]: بين العمرانين ألف وثمانمائة سنة فاصلة.

وعدم اعتراف النصارى باسم والد مريم لايضرّ بالمقام لأنّ كتاب الله ليس تابعاً لأهوائهم ٱلْكاسِدَة وآرائهم الفاسدة.

﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يظهر منها أنّ المراد باختيارهم هو تفضيلهم لا القولين الآخرين. لأنّ النبوة والدين لا يَخْتَصّانِ بالآلَيْنِ.

الروايات

في خبر حمران بنِ أَعْيَنَ قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وآل محمّد ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: هكذا والله نزلت.[٤]

ونحوها في أمالي الطوسي[٥].

وفي خبر أيوب الخراز قال: سمعني أبوعبدالله عليه السلام وأنا أقرأ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فقال: وآل محمّد كان فيها فمحوها وتركوا ماسواها.[٦]

---

١. روض الجنان ٤/ ٢٨٦.
٢. ذكر الطبري نسبه إلى سليمان بن داود راجع تفسيره ٣/ ٢٧٥؛ وكذلك أبوالسعود ومن داود إلى يعقوب في تفسيره ٢/ ٣٤. ومن عمران إلى يعقوب ٢٧ واسطة.
٣. كما في تفسير أبي‌السعود ٢/ ٣٤.
٤. كتاب التنزيل والتحريف / ٢٧، ح١٢٢ لأحمد بن محمّد السياري.
٥. أمالي الطوسي، المجلس الحادي عشر، ح٣٩/ ٣٠٠، رقم ٥٩٢.
٦. كتاب التنزيل والتحريف / ٢٧، ح١٢٤ لأحمد بن محمّد السياري.

ونحوها في تفسير العياشي[١].

وفي تفسير القمي في ذيل الآية: قال العالم: ﴿وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾ وآل محمّد ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فأسقطوا آل محمّد من الكتاب.[٢]

وفي تفسير العياشي عن هشام بن سالم قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا﴾ فقال عليه السلام: هو آل إبراهيم وآل محمّد على العالمين فوضعوا اسماً مكان اسمٍ.[٣]

وقال الشيخ الطوسي: «وفي قرأة أهل البيت: «وآل محمّد على العالمين»»[٤].

وتبعه في المقالة الشيخ الطبرسي[٥].

أقول: يمكن حمل الكلّ على التحريف المعنوي لدخول آل محمّد صلى الله عليه وآله في آل إبراهيم.

والشاهد عليه ما رواه الصدوق في المجلس الثلاثين من أماليه في مقتل الحسين عليه السلام: ... ثمّ أقبل رجل آخر من عسكر عمر بن سعد يقال له محمّد بن الأشعث بن قيس الكندي فقال: يا حسين بن فاطمة أيّة حرمة لك من رسول الله ليست لغيرك؟ فتلا الحسين عليه السلام هذه الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ * ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ الآية ثمّ قال: والله إنّ محمّداً لَمِنْ آل إبراهيم وإنّ العترة الهادية لَمِنْ آل محمّد، الحديث.[٦]

وفي خبر موسى بن بكر عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ الله تبارك وتعالى اختار من كلّ شي أربعة... واختار من البيوتات أربعة فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، الحديث.[٧]

قال الشيخ أبوالفتوح الرازي ما نصه بالفارسية: «در اخبار اهل البيت است

---

١. تفسير العياشي ١/ ٣٠١، ح٣٥.
٢. تفسير القمي ١/ ١٠٨ طبع الأعلمي.
٣. تفسير العياشي ١/ ٢٩٩، ح٣١.
٤. التبيان ٢/ ٤٤١.
٥. مجمع البيان ٢/ ٤٣٣.
٦. أمالي الصدوق، المجلس الثلاثون، ح١/ ٢٢١، رقم ٢٣٩.
٧. الخصال ١/ ٢٢٥، ح٥٨.

وتفاسير ايشان كه مراد به آل‌عمران اميرالمؤمنين على است وعمران نام أبوطالب است في التوريٰت»[١].

وروىٰ الرازي عن معروف بن خرّبوذ عن جماعة من التابعين عن ابن‌عباس في موسم الحج عن أبي‌ذر الغفاري أنّه قال بعد نقل روايات: معاشر النّاس مَنْ عَرَفَني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أُنَبِّئُهُ باسمي أنا جُنْدب بن جنادة البدري الغفاري، أنا صاحب رسول الله ﷺ سمعته يقول في هذا المكان ـ وإلّا صمّت أُذناي ـ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ * ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فأمّا الذرية فمن نوح والآل من إبراهيم والسلالة من إسماعيل والعترة الهادية والذريّة الطاهرة من محمّد ﷺ، والصديق الأكبر علي بن أبي‌طالب، فأيّتها الأُمّة المتحيرة بعد نبيّها لو قَدَّمْتُم ما قدّمه الله وأخّرتم مَنْ أخّره الله ورسوله لما عال وليّ الله ولا طاش سهم في سبيل الله ولا اختلفت الأُمّة بعد نبيّها إلّا كان تأويله عند أهل البيت فذوقوا ما كسبتم ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[٢].[٣]

وفي الدر المنثور: «أخرج ابن جَرِيْرٍ وابن المنذر وابن أبي‌حاتم من طريق عَليّ، عن ابن‌عباس في قوله: ﴿وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾ قال: هم المؤمنون من آل إبراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمّد ﷺ»[٤].

﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٣٤﴾

﴿ذُرِّيَّةًۢ﴾ الذُّرِّيَّةُ: هُمُ الأَوْلادُ والنَّسْلُ، ونصبها إمّا أن يكون حالاً لاصطفى أو البدل من مفعوله. وقد أطبقت عدّةٌ من الروايات على أَنَّ ٱلْمُرادَ بِهِم هُمُ ٱلْأَئِمَّةُ ٱلْمَعْصُوْمُوْنَ عليهم صلواتُ رَبِّ ٱلْعالَمِيْنَ.

---

١. روض الجنان ٤/ ٢٨٤.
٢. سورة الشعراء / ٢٢٧.
٣. روض الجنان ٤/ ٢٨٧.
٤. الدر المنثور ٢/ ١٧.

﴿بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖ﴾ أي ينشأ بعض من هذه الذرية من بعضها الآخر، في التناسل إذ جميعهم ذريّة آدم ثمّ ذريّة نوح ثمّ ذريّة إبراهيم وهو المروي عن أبي‌عبدالله‌عليه‌السلام لأنّه قال: الذين اصطفاهم الله بعضهم من نسل بعض.[١]

أو في الاجتماع على الصواب والهدى والدين، أو في التفضيل وصفات الفضيلة ولعلّ الأخير هو المراد لما مرّ في الآية السابقة.

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي والله سميع لدعاء الداعين ومستجيب لهم ويعلم ما في القلوب والضمائر فهو أعلم حيث يجعل رسالته ويصطفى من عباده.

فهذا الذيل تعليل بالنسبة إلى الآية السابقة.

أو أنّه سميع عليم لدعاء إبراهيم‌عليه‌السلام: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾[٢] أو ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾[٣].

أو أنّه سميع عليم لدعاء امرأة عمران أُمّ مريم ونيّتها حيث يقول الله: ﴿إِذۡ قَالَتِ﴾ في الآية الآتية.

الروايات

في الكافي في خبر أبي‌حمزة عن أبي‌جعفر‌عليه‌السلام في حديث: فلمّا قضى محمّد نبوته واستكملت أيامه اوحى الله ـ تبارك وتعالى ـ إليه: يا محمّد قد قضيت نبوتك واستكملت أيامك فاجعل العلم الذي عندك والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة في أهل بيتك عند علي بن أبي‌طالب‌عليه‌السلام فإنّي لن أقطع العلم والايمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة من العقب من ذرّيّتك كما لم أقطعها من بيوتات الأنبياء الذين كانوا بينك وبين أبيك آدم وذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ * ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، الحديث.[٤]

---

١. التبيان ٢/ ٤٤٢.
٢. سورة البقره / ١٢٤.
٣. سورة إبراهيم / ٤٠.
٤. الكافي ١/ ٢٨٥، ح٩٢ (٨/ ١١٧).

ونحوها في تفسير العياشي[١] وكمال الدين[٢].

وفيه: في حديث بُرَيْه بعد حكاية هشام الكلام الذي جرى بين أبي‌الحسن موسى عليه السلام وبين بريه فقال أبوعبدالله عليه السلام: ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، الحديث.[٣]

وفي تفسير العياشي عن حنان بن سدير عن أبيه عن أبي‌جعفر عليه السلام، قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ * ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ﴾، قال عليه السلام: نحن منهم، ونحن بقيّة تلك العِترة.[٤]

وفيه: عن أبي‌جعفر عليه السلام قال: من زعم أنّه قد فَرَغ من الأمر فقد كَذَب، لأنّ المشيئة لله في خَلْقه، يُريدُ ما يشاءُ، ويفعلُ ما يُريد، قال الله: ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ آخرها من أوّلها، وأوّلها من آخرها، فإذا أُخبرتم بشيءٍ منها بعينه أنّه كائنٌ وكان في غيره منه، فقد وقع الخبر على ما أُخبرتُم عنه.[٥]

وفيه: عن أبي‌عبدالرحمن عن أبي‌كلدة عن أبي‌جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الروح والراحة، والرَّحمة والنُّصرة، واليُسر واليسار، والرِّضا والرِّضوان، والمَخْرَج والفَلْج[٦]، والقُرب والمَحبّة من الله ومن رسوله لمن أحبَّ عليّاً وائتمّ بالأوصياء من بعده، حقٌّ عليَّ أن أُدخلهم في شَفَاعتي، وحقّ على ربّي أن يستجيب لي فيهم، لأنّهم أتباعي، ومن تَبِعني فإنّه منّي، مَثَلُ إبراهيم جَرى فيّ، ولايته منّي، وأنا منه، دينه ديني، وديني دينه، وسُنّته سُنّتي، وسُنّتي سُنّته، وفضلي فضله، وأنا أفضل منه. وفضلي له فضل، وذلك تصديق قول ربّي: ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.[٧]

---

١. تفسير العياشي ١/ ٢٩٩، ح٣٢.
٢. كمال الدين / ٢١٣.
٣. الكافي ١/ ٥٦٢، ح١ (١/ ٢٢٧).
٤. تفسير العياشي ١/ ٢٩٩، ح٣٠.
٥. تفسير العياشي ١/ ٣٠٠، ح٣٣.
٦. الفَلْج: الظَّفَر.
٧. تفسير العياشي ١/ ٣٠٠، ح٣٤.

ونحوها مسنداً في محاسن البرقي[١] وبصائر الدرجات[٢] والغيبة[٣] للنعماني.

وفيه: عن أبي‌عمرو الزبيري عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: قلت له ما الحجة في كتاب الله أنّ آل محمّدٍ هم أهل بيته؟

قال: قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾ وآل محمّدٌ، هكذا نزلت ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ * ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ولاتكون الذُرّيّة من القوم إلّا نسلهم من أصلابهم.

وقال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾[٤] وآل عِمران وآل محمّدٍ. وفي رواية أبي‌خالد القَمّاط عنه عليه السلام.[٥]

وفي غيبة النعماني بإسناده عن الباقر عليه السلام في ذكر علامات القائم عجل الله فرجه وظهوره: قال ـ يعني القائم عجل الله فرجه ـ يا أيّها النّاس إنّا نستنصر الله فمن أجابنا من النّاس فأنّا أهل بيت نبيّكم ونحن أُولى النّاس بالله وبمحمّد صلى الله عليه وآله فمن حاجّني في آدم فأنا أُولى النّاس بآدم، ومن حاجّني في نوح فأنا أُولي النّاس بنوح، ومن حاجّني في إبراهيم فأنا أُولى النّاس بإبراهيم، ومن حاجّني في محمّد صلى الله عليه وآله فأنا أُولى النّاس بمحمّد صلى الله عليه وآله، ومن حاجّني في النبيين فأنا أُولى النّاس بالنبيين أليس الله يقول في محكم كتابه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ * ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فأنا بقيةٌ من آدم وذخيرة من نوح ومصطفى من إبراهيم وصفوة من محمّد صلى الله عليه وآله.[٦]

وفي العيون في ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون في الفرق بين العترة والأُمة بسند معتبر... فقال المأمون: هل فضّل الله العترة على سائر النّاس؟ فقال أبوالحسن عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ أبان فضل العترة على سائر النّاس في محكم كتابه، فقال له المأمون: وأين ذلك من كتاب الله؟ فقال: له الرضا عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ

---

١. المحاسن ١/ ٢٣٧، ح٣٧ و١/ ٢٤٩، ح٧٥.
٢. بصائر الدرجات / ٥٣، ح١ لمحمّد بن الحسن الصفار.
٣. الغيبة / ٩٣، ح٢٢، للنعماني.
٤. سورة سبأ / ١٣.
٥. تفسير العياشي ١/ ٣٠١، ح٣٦.
٦. غيبة النعماني / ٢٨٩، ح٦٧.

ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ * ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.١

وفي الدرالمنثور: «وأخرج ابن‌سعد وابن أبي‌حاتم عن جعفر بن محمّد عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن جده عليه السلام أنّ عليّاً عليه السلام قال للحسن عليه السلام: قم فاخطب النّاس، قال: إنّي أهابك أن أخطب وأنا أراك فتغيّب عنه حيث يسمع كلامه ولايراه، فقام الحسن فحمد الله وأثنى عليه وتكلّم ثمّ نزل، فقال علي عليه السلام: ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾»٢.

أقول: في تفسير فرات الكوفي٣ عدّة من الروايات في هذا المجال فراجعها إن شئت.

﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ ﴿٣٥﴾

لما ذكر ٱصْطِفاءَ آل‌عمران بيّن أحد أسْبابِهِ:

﴿إِذْ﴾ تدل على ما مضى. وفيما يتعلّق بـ ﴿إِذْ﴾ أربعة أقوال:

١. اذكر إذ قالت، قاله الأخفش والمبرد.

٢. اصطفى آل‌عمران إذ قالت، قاله الزجاج.

٣. يتعلّق بسميع عليم إذ قالت، قاله الرماني.

٤. إذ تكون زائدة فلا موضع لها من الإعراب، قاله أبوعبيدة، ولكنّه خطأ عند البصريين.٤

﴿قَالَتِ﴾ فِعْلُ ماضٍ.

﴿ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ فاعل قالت، وهي أُمّ مريم بنت عمران، وجدّة عيسى روح

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/ ٢٣٠.

٢. الدر المنثور ٢/ ١٨.

٣. تفسير فرات / (٨٣-٧٨).

٤. راجع التبيان ٢/ ٤٤٢.

الله واسمها حَنَّة أو مَرْثا.

﴿رَبِّ﴾ بداية مقالتها، منادىٰ. ﴿إِنِّى﴾ حرف مُشَبَّهٌ بالفعل مَعَ ٱسْمِهِ.

﴿نَذَرْتُ﴾ فعل وفاعل، خبر إنّ. والمراد بالنذر واضح وهو قول القائل: لله عليَّ كذا وكذا.

﴿لَكَ﴾ جار ومجرور متعلَّق بنذرت، حيث يكون النذر لله تعالى.

﴿مَا فِى بَطْنِى﴾ قالَتْ هذه المقالة وهي حامل وحملها كان من عمران، وفيها إشعار بأنّ زوجها عمران لم يكن حيّاً حين النذر وإلّا لم تكن مُسْتَقِلَّةً في هذا النذر الذي يتعلّق بالولد المشترك بينهما.

﴿مُحَرَّرًا﴾ حال للنذر، وَهُوَ من الحُرِّيَّةِ أي جعلته حُرّاً، ومرادها أنّ ولدها يستخدم في بَيْتِ العبادة وَهُوَ بيت المقدس عندها وهي (الأُم) لاتستخدمها في حاجاتها. فالولد مُحَرَّرٌ مُخْلَصٌ لخدمة بيت الربّ وعبادته، وَهٰذا يَدُلُّ على رواج هذا النذر في تلك الأعصار والأديان.

وَفِيْهِ أَيْضاً دلالة على أنها كانت تعتقد أنّ حملها ذَكَرٌ حيث لم يعلِّق نذرها باشتراط ذكورية الولد. والاعتقاد لَعَلَّهُ ناشِئٌ من وحي ربّه كما تَدُلُّ عليه الرواية.

فلا يتم ما ذكره الزمخشري من قوله: «وإنّما بنت الأمر على التقدير أو طلبت أن ترزق ذكراً»[1].

﴿فَ﴾ حرف ربط للتفريع.

﴿تَقَبَّلْ مِنِّى﴾ التقبّل: هو أخذ الشيء على وجه الرضا، وحيث يعدّ هذا النذر عندهم عبادة فتسأل من ربّها قبول هذا النذر العبادي، فهذه الجملة دعاءً منها لقبول نذرها.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ انقطاع منها إلى الله تعالى وأنّها تعتقد وتقرّ بأنّ ربّها هو سميع لما تقول وعليم بِما تَنْوِيْ، أو سميع للدعاء وعليم بمصالح العباد.

---

١. الكشّاف ١/ ٣٥٥.

الروايات

في الكافي بإسناده عن أبي‌الحسن موسى عليه السلام في حديث: ... أمّا أُمّ مريم فاسمها مَرْثا وهي وهيبةٌ بالعربية، الحديث.[١]

وفيه: صحيحة أبي‌بصير عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله تعالى أوحى إلى عمران أنّي واهبٌ لك ذكراً سويّاً، مباركاً، يبرئُ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، وجاعله رسولاً إلى نبي‌إسرائيل، فحدَّث عمران امرأته حنّة بذلك وهي أمُّ مريم، فلمّا حملت كان حملها بها عند نفسها غلام، ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾[٢]، أي لايكون البنت رسولاً يقول الله عزّ وجلّ ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾[٣]، فلمّا وهب الله تعالى لمريم عيسى كان هو الّذي بشّر به عمران ووعده إيّاه، فإذا قلنا في الرَّجل منّا شيئاً وكان في ولده أو ولد ولده فلا تُنْكِرُوا ذلك.[٤]

ورواها في تفسيرالقمي[٥]، وتفسير العياشي[٦] وقصص الأنبياء[٧] للراوندي بسند صحيح، ومختصراً في مجمع البيان[٨].

والمشهور في اسم امرأة عمران هي حَنَّة وقد مرّ أنّها مَرْثا، قال العلّامة المجلسي: «كون اسم أُمّ مريم حنّة موافق لما ذكره أكثر المفسرين وأهل الكتاب. وقد مرّ في باب مولد أبي‌الحسن موسى عليه السلام أنّ اسمها مَرْثا وهي وهيبة بالعربية، فيمكن أن يكون أحدهما اسماً والآخر لقباً، أو يكون أحدهما موافق للواقع والآخر لما اشتهر بين أهل الكتاب والعامة»[٩].

وفي صحيحة أُخرى لأبي‌بصير قال: سألت أباجعفر عليه السلام عن عمران أكان نبيّاً؟ فقال: نعم كان نبيّاً مرسلاً إلى قومه وكانت حنّة امرأة عمران وحنانة امرأة زكريّا

---

١. الكافي ٢/ ٥٤٩، ح٤ (١/ ٤٧٩).
٢. سورة آل‌عمران / ٣٦.
٣. سورة آل‌عمران / ٣٦.
٤. الكافي ٢/ ٧٠٦، ح١ (١/ ٥٣٥).
٥. تفسير القمي ١/ ١٠١.
٦. تفسير العياشي ١/ ٣٠٣، ح٤٠.
٧. قصص الأنبياء ٢/ ٥٦، ح٣٠٦.
٨. مجمع البيان ٢/ ٤٣٥.
٩. مرآة العقول ٦/ ٢٣٦.

أُختين فولد لعمران من حنّة مريم، وولد لزكريّا من حنانة يحيىعليه السلام، وولدت مريم عيسىعليه السلام، وكان عيسى ابن بنت خالته، وكان يحيىعليه السلام ابن خالة مريم وخالة الأُمّ بمنزلة الخالة.[١]

وفي خبر الحسن بن محمّد بن طلحة قال: قلت للرضاعليه السلام أيأتي الرسل عن الله بشيءٍ ثمّ تأتي بخلافه؟ قال: نعم، إن شئت حدّثتك وإن شئت أتيتك به من كتاب الله، قال تعالى جلّت عظمته: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾[٢] الآية فما دخلوها ودخل أبناء أبنائهم.

وقال عمران: إنّ الله وعدني أن يهب لي غلاماً نبيّاً في سنتي هذه وشهري هذا، ثمّ غاب وولدت امرأته مريم وكفّلها زكريّا، فقالت طائفة: صدق نبيّ الله، وقالت الآخرون: كذب، فلمّا ولدت مريم عيسىعليه السلام فقالت الطائفة التي أقامت على صدق عمران: هذا الذي وعدنا الله.[٣]

﴿فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ ﴿٣٦﴾

﴿فَ﴾ حرف استئناف. ﴿لَمَّا﴾ مفعول فيه، ظرف في محلّ النصب.

﴿وَضَعَتۡهَا﴾ فعل وفاعل ومفعول به، الوضع في اللغة بِمَعْنىٰ الحطّ، وضعتْ: أي وَلَدَتْ. والضمير المؤنث يرجع إلى ما في بطنها. وأُنِّثَ لأنّها كانت أُنثى، أو لتأويله بالنفس أو الحبلة أو النسمة.

﴿قَالَتۡ﴾ امرأة عمران الناذرة تحسّراً وَحُزْناً في مخاطَبَةِ رَبِّها تَبارَكَ وَتَعالىٰ وليس بإخبار.

﴿رَبِّ﴾ مُنادَىٰ، أي: ياربّي. ﴿إِنِّي﴾ حرف مشبّه بالفعل وضمير الياء اسمه.

---

١. قصص الأنبياء ٢/ ٥٥، ح٣٠٥.
٢. سورة المائدة / ٢١.
٣. قصص الأنبياء ٢/ ٥٦، ح٣٠٧.

﴿وَضَعَتۡهَآ﴾ فعل وفاعل ومفعول، خبر إنّ.

﴿أُنثَىٰ﴾ حال من الضمير في وضعتها. وإنّما أُنث الضمير لأنّ الحال وذاالحال شيءٌ واحد.

﴿وَ﴾ حرف اعتراض، بداية الجملة المعترضة. الظاهر أنّها من الله لا من امرأة عمران.

﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ. ﴿أَعۡلَمُ﴾ خبر.

﴿بِمَا﴾ جار ومجرور، وما ترجع إلى المولود.

﴿وَضَعَتۡ﴾ فعل وفاعل وَقُرِئَ «وُضعتُ» وبها تكون مقالة امرأة عمران.

﴿وَ﴾ حرف عطف، رابِطٌ بين الجملتين المعترضتين، والثانية أيضاً مقولة الله تعالى لا امرأة عمران.

﴿لَيۡسَ﴾ فعل ماض من الأفعال الناقصة. ﴿ٱلذَّكَرُ﴾ اسم ليس، الرجل.

﴿كَٱلۡأُنثَىٰ﴾ جار ومجرور خبر ليس. كالمرأة في التحرير وخدمة بيت المقدس. وعادة يُحَرِّرُوْنَ الذكور فقط لا الإناث لما يلحقها من الحيض والنفاس وصيانةً من التبرّج في محيط العبادة. وكذا في الوجود الفوارق الذاتية بين ٱلتي لاتُنْكَرُ بين الجنسين.

﴿وَ﴾ حرف عطف أو استئناف لبداية مقالة امرأة عمران.

﴿إِنِّي﴾ حرف مُشَبَّهٌ بالفعل وضمير الياء اسمه.

﴿سَمَّيۡتُهَا﴾ فعل وفاعل ومفعول به، خبر إنّ.

﴿مَرۡيَمَ﴾ مفعولٌ ثان لسميت ومَعْنىٰ مريم في لغتهم الخادمة والعابدة على ما قيل. وبهذه التسمية يَظْهَرُ أَنَّ امرأة عمران كانَتْ تريد الوفاء بنذرها مع وجود التفاوت وٱلْحُزْنِ والتحسّر الظاهر في مقالتها.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿إِنِّيٓ﴾ حرف مشبه بالفعل والضمير اسمه.

﴿أُعِيذُهَا﴾ فعل ومفعول به، وفاعلها أنا المستتر، خبر إنّ؛ أي: أُجيرها. وٱلِاسْتِعاذَة من مسّ الشيطان أو طعنه أو اغوائه.

﴿بِكَ﴾ جار ومجرور أي بالله تعالى الذي هُوَ ربّها. ﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿ذُرِّيَّتَهَا﴾ معطوف على الهاء في أُعيذها، أي وأُعيذ ذرية مريم بالله تعالى؛ أي

نسلها.

﴿مِنَ﴾ حرف جر. ﴿ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ مجرور.

﴿ٱلرَّجِيمِ﴾ صفة للشيطان. الرجم: الرمي؛ أي المطرود من رحمة الله تعالى.

الروايات

في حسنة إسماعيل الجعفي قال: قلت لأبي‌جعفر عليه السلام إنّ المغيرة بن سعيد رَوى عنك أنّك قلت له: إنّ الحائض تقضي الصّلاة؟ فقال: ماله؟ لاوفّقه الله، إنّ امرأة عمران نذرت ما في بطنها محرَّراً والمحرَّر للمسجد يدخله ثمّ لايخرج منه أبداً ﴿فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰ﴾ فلمّا وضعتها أدخلتها المسجد فساهمت عليها الأنبياء فأصابت القرعة زكريّا وكفّلها زكريّا فلم تخرج من المسجد حتّى بلغت فلمّا بلغت ما تبلغ النّساء خرجت فهل كانت تقدر على أن تقضي تلك الأيام التي خرجت وهي عليها أن تكون الدّهر في المسجد؟[1]

ونحوها في تفسير العياشي[2].

وفي تفسير العياشي: وفي رواية حريز عن أحدهما عليهما السلام قال: نذرت ما في بطنها للكَنيسة أن تَخْدُم العُبّاد، وليس الذَّكر كالأُنثى في الخِدمة، قال: فشَبَّت وكانت تَخْدُمهم وتُناولهم حتّى بَلَغَت، فأمر زكريّا أن يتّخذ لها حِجاباً دون العُبّاد، فكان يَدْخُل عليها فيرى عندها ثَمَرة الشتاء في الصّيف، وثمرة الصّيف في الشِتاء، فُهنالك دعا وسأل ربّه أن يَهَبَ له ذَكَراً، فَوَهب له يحيى عليه السلام.[3]

وفيه: عن سَعْدٍ الاسكاف عن أبي‌جعفر عليه السلام قال: لقي إبليس عيسى بن مريم عليه السلام فقال: هل نالني من حَبائِلِك شيء؟ جَدّتُك التي قالت: ﴿إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ﴾ إلى ﴿ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾.[4]

---

١. الكافي ٥/ ٢٨٦، ح٤ (٣/ ١٠٥).

٢. تفسير العياشي ١/ ٣٠٤، ح٤٣ و١/ ٣٠٢، ح٣٨.

٣. تفسير العياشي ١/ ٣٠٢، ح٣٩.

٤. تفسير العياشي ١/ ٣٠٣، ح٤١؛ بحارالأنوار ١٤/ ٢٧١، ح٤، قال المجلسي رحمه الله: يعني كيف ينالك من حبائلي وجدّتك دعت حين ولدت والدتك أن يعيذها وذُريّتها من شرّ الشيطان الرجيم وأنت من ذُريّتها.

وفي تفسير الثعلبي عن أبي‌هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: حسبُكَ مِنْ النساء العالمين أربع: مريمُ بنتُ عمران وآسيةُ امرأةُ فرعون وخديجةُ بنتُ خويلد وفاطمةُ بنتُ محمّد ﷺ.[١]

ونحوها في تفسير الطبري[٢] وتفسير أبوالفتوح الرازي[٣] ومجمع البيان[٤].

وفي أمالي الطوسي في حديث زواج فاطمة عليها السلام من عليّ عليه السلام، قال عليٌّ عليه السلام: فزوّجني رسول الله ﷺ ثمّ أتاني فأخذ بيدي فقال: قم بسم الله وقل: «على بركة الله وماشاء الله لا قوة إلّا بالله توكلت على الله» ثمّ جائني حين أقعدني عندها عليها السلام ثمّ قال: «اللهم إنّهما أحبّ خلقك إليّ فأحبّهما وبارك في ذريّتهما واجعل عليهما منك حافظاً وإنّي أعيذهما وذريّتهما بك من الشيطان الرجيم»[٥].

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ (٣٧)

﴿فَ﴾ حرف عطف، عطف الآية الشريفة عَلىٰ دعاء امرأة عمران ونذرها وفعلها والوفاء به، حين ولدتها لفتها في خرقة وأتت بها إلى المسجد وقالت للأحبار: دونكم النذيرة.

﴿تَقَبَّلَهَا﴾ فعل ماض و«ها» مفعول به. والتقبّل: الرضا بالشيء مع عناية خاصة به كما تقدَّم. ومعناه: قبول الله تعالى نذرها ووفاؤها به حيث لم يسبق قبول التحرير لبيت المقدس قبلها في الأُنثى ومريم أوّل أُنثى تدخل محرّرة في بيت المقدس من أوّل

---

١. الكشف والبيان ٣/ ٥٥.
٢. تفسير الطبري ٣/ ٣٠٩.
٣. روض الجنان ٤/ ٢٩٤.
٤. مجمع البيان ٢/ ٤٣٥.
٥. أمالي الطوسي، المجلس الثاني ح١٣/ ٤٠، رقم ٤٤.

ولادتها أيضاً.

﴿رَبُّهَا﴾ فاعل فعل تقبّل. والضمير مُضافٌ إليه وَيمكن ارجاعُهُ إلى مريم أو والدتها، والأوّل أظهر.

﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ جار ومجرور متعلَّق بالتقبّل ونعت؛ والقبول يكون بالنسبة إلى نذرها ووفائها.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿أَنْبَتَهَا﴾ فعل ماض وفاعله هو مستتر يرجع إلى الله تعالى وٱلْهَاءُ مفعول به، الإنبات: الإنشاءُ وَٱلتَّرْبِيَةُ بما يصلح الحال، وَاعطاء الرشد وإفاضة الحياة الطيبة في نموها ورشدها.

﴿نَبَاتًا﴾ مفعول مطلق وَهُوَ هُنا ٱسْمُ مَصْدَرٍ وليس مَصْدَراً؛ لِأَنَّ مَصْدَرَ (أَنْبَتَ) الرُّباعِيّ: إِنْبات لا نَبات. يؤكد الانبات أو يبيّن نوعه بنعته الآتي.

﴿حَسَنًا﴾ نعت، أي جعل نُشُوءَها نشوءً حسناً وربّاها تربية حسنة وأصلح أمرها في جميع أحوالها.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿كَفَّلَهَا﴾ فعل ماض وفاعله هو مستتر يرجع إلى الله تعالى وٱلْهَاءُ مفعول به. أي كفّل الله إيّاها. الكفل: تضمن مؤنة الإنسان، والكفيل: الضامن.

﴿زَكَرِيَّا﴾ النبي عليه السلام وهو زوج خالة مريم وعديل عمران أَبِيْها. «وكان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وملوكهم فقال زكريا: أنا أحق بها، عندي اختها (أي أخت أُمّ مريم) فأبوا إلّا القرعة فانطلقوا ـ وهم سبعة وعشرون ـ إلى نهر وألقوا فيه أقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت أقلامهم فتكفلها»[1] زكريا.

﴿كُلَّمَا﴾ مفعول فيه. ﴿دَخَلَ﴾ فعل ماض.

﴿عَلَيْهَا﴾ جار ومجرور. ﴿زَكَرِيَّا﴾ فاعل.

﴿ٱلْمِحْرَابَ﴾ مفعول به، وهو مقام الإمام في المسجد وأصله أكرم موضع في

---

١. الوجيز في تفسير القرآن العزيز ١/ ٢٣٥.

المجلس وأشرفه؛ والمراد الغرفة التي بناها زكريا لها وهي في المسجد أو أشرف مواضعه. سمي به لأنّه محل محاربة الشيطان.

﴿وَجَدَ﴾ فعل ماض، فاعله هو يرجع إلى زكريا.

﴿عِندَهَا﴾ مفعول فيه والضمير مُضافٌ إِلَيْهِ يرجع إلى مريم.

﴿رِزْقًا﴾ مفعول به، والرزق هو مماللانسان الانتفاع به على وجه ليس لأحد منعه. وفي تَنْكِيْرِهِ إشعارٌ بكونه رزقاً غير معهود أو كان من الرزق المعهود وتنكيره يدل عَلىٰ وجود رزق ما دائماً عندها.

﴿قَالَ﴾ فعل وفاعل مستتر فيه وهو يرجع إلى زكريا حين يسأل مريم.

﴿يا﴾ حرف نداء. ﴿مَرْيَمُ﴾ منادىٰ.

﴿أَنَّىٰ﴾ مفعول فيه، خبر مقدّم. ﴿لَكِ﴾ جار ومجرور.

﴿هَـٰذَا﴾ مُبْتَدَأٌ مؤخر؛ والمراد: من أين جاءَكِ هذا الرّزقُ الذي لايُشْبِهُ أرزاق الدنيا؟ أي مِن أين لكِ هذا؟

﴿قَالَتْ﴾ فعل وفاعله ضميرٌ مستترٌ عائِدٌ علىٰ مَرْيَمَ.

﴿هُوَ﴾ مبتدأ. ﴿مِنْ عِندِ﴾ جار ومجرور.

﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه وخبر. والمراد: أنّه لَمْ يَأْتِنِيْ أَحَدٌ بِهٰذا ٱلرِّزْقِ بَلْ هو فَضْلُ ٱللهِ عَليَّ وتحفتُه إليَّ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ﴾ حرف مشبه بالفعل، الله اسمه، يرزق فعل وفاعل والضَّميرُ المُسْتَتِرُ يرجع إلى الله، خبر إنّ.

﴿مَن﴾ مفعول به. ﴿يَشَآءُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضميرٌ يرجع إلى الله تعالى.

﴿بِغَيْرِ﴾ جار ومجرور.

﴿حِسَابٍ﴾ مضاف إليه. وجملة إنّ الله إلى آخر الآية يحتمل أن تكون قول مريم أو أن تَكُوْنُ استئنافاً وإِخباراً من الله والثاني أُولى عند الشيخ[1] لأنّه ليس من الجواب.

والمراد بغير حساب أي بغير استحقاق على العمل لأنّه من تفضل الله تعالى،

---

١. التبيان ٢/ ٤٤٨.

ويمكن أن يكون معناه بغير تقتير كما يحسب الذي يخاف الإملاق.

الروايات

في تفسير العياشي عن إسماعيل الجعفي عن أبي‌جعفر عليه السلام، قال: إنّ امرأة عِمران لمّا نذَرَت ما في بطنها مُحرّراً، قال: والمُحَرّر للمسجد إذا وضعته أو دخل المسجد، فلم يَخْرُج من المسجد أبداً، فلمّا وَلَدت مريم ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ فَسَاهَمَ عليها النبيّون، فأصابت القُرعة زكريّا عليه السلام وهو زوج أُختها، وكَفَّلَها وأدخلها المسجد، فلمّا بَلَغَتْ ما تَبْلُغ النِساء من الطَّمث وكانت أجمل النساء، وكانت تُصلّي فيضيء المِحراب لنُورها، فدخل عليها زكريّا، فإذا عندها فاكهةُ الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشّتاء، فقال: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ فهُنالك دعا زكريّا ربّه قال: ﴿إِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي﴾[1] إلى ما ذَكَر الله من قِصّة زكريّا ويحيى.[2]

وفيه: عن سيف عن نجم عن أبي‌جعفر عليه السلام، قال إنّ فاطمة عليها السلام ضمِنَت لعليّ عليه السلام عَمَل البيت والعَجين والخُبز وقَمَّ البيت، وضمِنَ لها عليّ عليه السلام ما كان خلف الباب من نَقْل الحَطَب، وأن يجيء بالطعام، فقال لها يوماً: يا فاطمة، هل عندك شيء؟ قالت: لا، والذي عظَّم حقَّك، ما كان عندنا منذ ثَلاثة أيّام شيءٌ نُقريك[3] به. قال: أفلا أخبرتني؟ قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله نَهاني أن أسألك شيئاً، فقال: لاتسألي ابن عمَّك شيئاً، إن جاءك بشيءٍ عفواً، وإلّا فلا تسأليه.

قال: فَخَرَج الإمام عليه السلام فلقيَ رجُلاً فاستقرض منه ديناراً، ثمّ أقبل به وقد أمسى، فلقي المِقداد بن الأسود، فقال للمِقداد: ما أخرجك في هذه الساعة؟ قال: الجُوع، والذي عظَّم حقّك يا أميرالمؤمنين.

قال: قلت لأبي‌جعفر عليه السلام: ورسول الله صلى الله عليه وآله حيّ؟ قال: ورسول الله صلى الله عليه وآله حيّ.

---

١. سورة مريم / ٥.
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٠١، ح٣٧.
٣. من قرى الضيف: أضافه وأكرمه.

قال: فهو أخرجني، وقد استقرضتُ ديناراً، وسأوثِرك به؛ فدفعه إليه، فأقبل فوجد رسول الله ﷺ جالساً، وفاطمة تُصلّي، وبينهما شيءٌ مُغطّيٌ، فلمّا فَرَغت أجترّت[1] ذلك الشيء، فإذا جَفْنَة من خُبزٍ ولَحْم، قال: يا فاطمة، أنّىٰ لك هذا؟ قالت: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

فقال: رسول الله ﷺ: ألا أُحدِّثُك بمثلك ومثلها؟ قال: بلى، قال: مثل زكريّا إذ دخل على مريم المِحْراب، فوجد عندها رزقاً، قال: ﴿يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ فأكَلُوا منها شهراً، وهي الجَفْنَة التي يأكُل منها القائم عليه السلام، وهي عندنا.[2]

وفي تفسير الثعلبي وقصص الأنبياء له: أخبرنا عبدالله بن حامد بإسناده عن جابر بن عبدالله: أنّ رسول الله ﷺ أقام أيّاماً لم يُطعم طعاماً، حتّى شقّ ذلك عليه فطاف في منازل أزواجه، فلم يصب في بيت أحد منهنّ شيئاً، فأتى فاطمة رضي الله عنها فقال: «يا بنيّة هل عندكِ شيء آكلُ فإنّي جائع؟»

فقالت: لا والله بأبي أنتَ وأمّي، فلمّا خرج رسول الله ﷺ من عندها، بعثت إليها جارة لها برغيفين وبضعة لحم، فأخذته منها ووضعته في جفنة وغطّت عليه قالت: لأوثرنّ بها رسول الله ﷺ على نفسي ومَنْ عندي، وكانوا جميعاً محتاجين إلى شبعة من طعام، فبعثت حسناً وحسيناً إلى جدّهما رسول الله ﷺ، فرجع إليها، فقالت: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله قد أتانا الله بشيء فخبّأته لك، قال: «فهلمّي به»، فأُتي به فكشف عن الجفنة فإذا هي مملوءة خبزاً ولحماً، فلمّا نظرت إليه بهتت وعرفت أنّها من بركة الله، فحمدت الله تعالى وصلّت على نبيّه، فقال عليه السلام: «من أين لكِ هذا يا بنيّة؟» قالت: هو من عندالله إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب، فحمد رسول الله ﷺ وقال: «الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيّدة نساء بني إسرائيل، فإنّها كانت يرزقها الله رزقاً حسناً فسُئِلت عنه ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

فبعث رسول الله ﷺ إلى عليّ عليه السلام، ثمّ أكل رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن

---

١. أجتر الشيء: جَرّه.
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٠٣، ح٤٢.

والحسين وجميع أزواج النبيﷺ وأهل بيته جميعاً حتّى شبعوا.

قالت فاطمة: وبقيت الجفنة كما هي فأوسعت منها على جميع جيراني فجعل الله فيها بركة وخيراً.[١]

روي نحوها الزمخشري في الكشّاف[٢] والفخر الرازي في التفسير الكبير[٣] وأبوالسعود في تفسيره[٤] والسيوطي في الدر المنثور[٥] والآلوسي في روح المعاني[٦] وكلّهم من العامة، ومنّا الطوسي في التبيان[٧] والطبرسي في جوامع الجامع[٨] وأبوالفتوح الرازي في تفسيره[٩].

وفي أمالي الشَّيْخ ٱلطُّوْسِيّ قال: أخبرنا جماعة، عن أبي المفضّل، قال: حدّثنا عبدالرزاق بن سليمان بن غالب الأزدي بأرتاح، قال: حدّثنا أبو عبدالغني الحسن بن عليّ الأزدي المعاني، قال: حدّثنا عبدالوهاب بن همّام الحميري، قال: حدّثنا جعفر بن سليمان الضبعي البصري قدم علينا اليمن، قال: حدّثنا أبو هارون العبدي، عن ربيعة السعدي،قال: حدّثني حذيفة بن اليمان، قال: لمّا خرج جعفر بن أبيطالب من أرض الحبشة إلى النبيّﷺ قدم جعفر والنبيّﷺ بأرض خيبر، فأتاه بالفرع[١٠] من الغالية والقطيفة، فقال النبيﷺ لأدفعنّ هذه القطيفة إلى رجلٍ يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله؛ فمدّ أصحاب النبيّﷺ أعناقهم إليها، فقال النبيّﷺ أين عليّ؟ فوثب عمّار ابن ياسر فدعا عليّاًعليه السلام، فلمّا جاء قال له النبيّﷺ: يا عليّ، خذ القطيفة إليك؛ فأخذها عليّعليه السلام وأمهل حتّى قدم المدينة، فانطلق إلى البقيع، وهو سوق المدينة، فأمر صائغاً ففصل القطيفه سلكاً سلكاً، فباع الذهب، وكان ألف مثال، ففرّقه عليّعليه السلام في فقراء

---

١. تفسير الثعلبي الكشف والبيان ٣/ ٥٧؛ قصص الأنبياء للثعلبي / ٣٧٣.
٢. الكشّاف ١/ ٣٥٨.
٣. التفسير الكبير ٨/ ٤٣.
٤. تفسير أبيالسعود ٢/ ٣٨.
٥. الدر المنثور ٢/ ٢٠ و٢٣.
٦. روح المعاني ٣/ ١٨٧.
٧. التبيان ٢/ ٤٥١.
٨. جوامع الجامع ١/ ١٧١.
٩. روض الجنان ٤/ ٢٩٩.
١٠. فرع كلّ شيءٍ: أعلاه، والمراد بالنفيس العالي منهما.

المهاجرين والأنصار، ثمّ رجع إلى منزله، ولم يترك له من الذهب قليلاً ولا كثيراً، فلقيه النبيّ ﷺ من غدٍ في نفرٍ من أصحابه فيهم حذيفة وعمّار، فقال: يا عليّ، إنّك أخذت بالأمس ألف مثقالٍ، فاجعل غذائي اليوم وأصحابي هؤلاء عندك؛ ولم يكن عليّ عليه السلام يرجع يومئذٍ إلى شيءٍ من العروض ذهب أو فضّة، فقال حياءً منه وتكرّماً: نعم يا رسول الله، وفي الرحب والسعة، ادخل يا نبيّ الله أنت ومن معك. قال: فدخل النبيّ ﷺ ثمّ قال لنا: ادخلوا.

قال حذيفة: وكنّا خمسة نفر، أنا وعمّار وسلمان وأبوذرّ والمقداد رضي الله عنهم، فدخلنا ودخل عليّ على فاطمة عليها السلام يبتغي عندها شيئاً من زادٍ، فوجد في وسط البيت جفنة من ثريدٍ تفور، وعليها عُراق[1] كثير، كأنّ رائحتها المسك، فحملها عليّ عليه السلام حتّى وضعها بين يدي النبيّ ﷺ ومن حضر معه، فأكلنا منها حتّى تملّأنا، ولاينقص منها قليل ولا كثير، وقام النبيّ ﷺ حتّى دخل على فاطمة عليها السلام، وقال: أنّى لكِ هذا الطعام، يا فاطمة؟ فردّت عليه ونحن نسمع قولهما فقالت: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

فخرج النبي ﷺ إلينا مستعبراً، وهو يقول: الحمد لله الذي لم يمتني حتّى رأيت لإبنتي ما رأى زكريا عليه السلام لمريم؛ كان إذا دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً فيقول لها: يا مريم أنّى لك هذا؟ فتقول: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.[2]

وفيه: قال: أخبرنا جماعة عن أبي المفضّل، قال: حدّثنا محمّد بن جعفر بن قيس ابن مسكان أبوعمر المصيصي الفقيه من أصل كتابه، قال: حدّثنا عبدالله بن الحسين بن جابر أبومحمّد إمام جامع المصيصة، قال: حدّثني عبدالحميد بن عبدالرحمن بن بشير الحمّاني، قال: حدّثني عبدالله بن قيس بن الربيع، عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري، قال: أصبح عليّ عليه السلام ذات يوم ساغباً، فقال: يا فاطمة، هل عندك شيءٍ تطعميني؟ قالت: والذي أكرم أبي بالنبوّة، وأكرمك بالوصية، ما أصبح عندي شيءٍ

---

١. العُراق: العظم جُرّد لحمه.
٢. أمالي الشيخ الطوسي، المجلس التاسع والعشرون ح٧/ ٦١٤، رقم ١٢٧١.

يطعمه بشر، وما كان من شيءٍ أُطعمك منذ يومين إلّا شيءٍ كنت أُوثرك به على نفسي وعلى الحسن والحسين. قال: أعلى الصبيّين! ألا أعلمتني فآتيكم بشيءٍ؟ قالت: يا أباالحسن، إنّي لأستحي من إلهي أن أُكلّفك ما لاتقدر.

فخرج واثقاً بالله حسن الظنّ به، فاستقرض ديناراً، فبينا الدينار في يد عليّ عليه السلام إذا عرض له المقداد رضي الله عنه في يوم شديد الحرّ، قد لوّحته الشمس من فوقه وتحته، فأنكر عليّ عليه السلام شأنه، فقال: يا مقداد، ما أزعجك هذه الساعة؟ قال: خلّ سبيلي يا أبالحسن، ولاتكشفني عمّا ورائي. قال: إنّه لايسعني أن تجاوزني حتّى أعلم علمك. قال: يا أباالحسن، إلى الله ثمّ إليك أن تخلّي سبيلي، ولاتكشفني عن حالي. فقال عليّ عليه السلام: إنّه لايسعك أن تكتمني حالك. فقال: إذا أبيت، فوالذي أكرم محمّداً بالنبوّة وأكرمك بالوصيّه ما أزعجني إلّا الجهد، ولقد تركت عيالي بحالٍ لم‌تحملني لها الأرض، فخرجت مهموماً وركبت رأسي فهذه حالي. فهملت عينا عليّ عليه السلام بالدموع حتّى أخضلت دموعه لحيته، ثمّ قال: أحلف بالذي حلفت به، ما أزعجني من أهلي إلّا الذي أزعجك، ولقد استقرضت ديناراً فخذه؛ فدفع الدينار إليه، وآثره به علي نفسه.

وانطلق إلى أن دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فصلّى فيه الظهر والعصر والمغرب، فلمّا قضى رسول الله صلى الله عليه وآله المغرب مرّ بعليّ بن أبي‌طالب وهو في الصفّ الأوّل، فغمزه برجله، فقام عليّ عليه السلام مستعقباً خلف رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى لحقه على باب من أبواب المسجد، فسلّم عليه، فردّ رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا أباالحسن، هل عندك شيءٍ نتعشّاه فنميل معك؟ فمكث مطرقاً لايجير جواباً حياءً من رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يعلم ما كان من أمر الدينار، ومن أين أخذه، وأين وجَهه، وقد كان أوحى الله تعالى إلى نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله أن يتعشّى الليلة عند عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام، فلمّا نظر رسول الله إلى سكوته فقال: يا أباالحسن، مالك لا تقول: لا؛ فأنصرف، أو تقول: نعم؛ فأمضي معك؟ فقال حياءً وتكرّماً: فاذهب بنا.

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله يد علي بن أبي‌طالب عليه السلام فانطلقا حتّى دخلا على فاطمة الزهراء عليها السلام وهي في مصلّاها، قد قضت صلاتها، وخلفها جفنة تفور دخاناً، فلمّا سمعت كلام رسول الله صلى الله عليه وآله في رحلها خرجت من مصلّاها، فسلّمت عليه، وكانت

أعزّ النّاس عليه، فردّ عليها السلام، وسمح بيده على رأسها، وقال لها: يا بنتاه، كيف أمسيت رحمك الله. قالت: بخير، قال: غفرالله لك وقد فعل؛ فأخذت الجفنة، فوضعتها بين يدي النبيّ صلى الله عليه وآله، فلمّا نظر عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام إلى الطعام وشمّ رائحته، رمى فاطمة عليها السلام ببصره رمياً شحيحاً، فقالت له فاطمة عليها السلام: سُبحان الله، ما أشحّ نظرك وأشدّه! هل أذنبت فيما بيني وبينك ذنباً استوجبت به السخطة؟ قال: وأيّ ذنب أعظم من ذنبٍ أصبتِهِ؟ أليس عهدي بك اليوم الماضي، وأنت تحلفين بالله مجتهدة، ما طعمت طعاماً مذ يومين؟ قال: فنظرت إلى السماء فقالت: إلهي يعلم في سمائه ويعلم في أرضه أنّي لم أقل إلّا حقّاً. فقال لها: يا فاطمة، أنّى لك هذا الطعام الذي لم أنظر إلى مثل لونه قطّ، ولم أشمّ مثل ريحه قطّ، وما أكلت أطيب منه قطّ؟

قال: فوضع رسول الله صلى الله عليه وآله كفّه الطيّبة المباركة بين كتفي عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام، فغمزها، ثمّ قال: يا عليّ، هذا بدل دينارك، وهذا جزاء دينارك من عندالله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ ثمّ استعبر النبيّ صلى الله عليه وآله باكياً، ثمّ قال: الحمد لله الذي أبى لكم أن تخرجا من الدنيا حتّى يجزيكما، ويجزيك يا عليّ بمنزلة زكريا، ويجري فاطمة مجرى مريم بنت عمران، كلّما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً.[1]

نحوها في تفسير فرات الكوفي[2].

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ ﴿٣٨﴾

﴿هُنَالِكَ﴾ أي عند ذلك وفي ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب أو في ذلك الوقت، مفعول فيه، والأصل فيه الطرف من المكان نحو هنا للقريب وهنالك للبعيد وهناك لما بينهما. وزيدت اللام لتأكيد التعريف، لأنّ الأصل في زيادة

١. أمالي الشيخ الطوسي، المجلس التاسع والعشرون ح٨/ ٦١٥، رقم ١٢٧٢.
٢. تفسير فرات الكوفي / ٨٣، ح ٦٠.

«اللام» التعريف إلّا أنّها كسرت لالتقاء الساكنين كما في غيرها. ولايجوز إعرابها لأنّ فيها معنىٰ الحرف. وقد يستعار هنا وثَّمَ وحيث للزمان.

والمعنىٰ أنّ زكريا عليه السلام لمّا رأىٰ حال مريم عليها السلام في كرامتها على الله ومنزلتها ونزول رزق الله في المائدة السماوية وفواكه الصيف في الشتاء وفواكه الشتاء في الصيف على خلاف ما جرت به العادة، طمع في رزق الولد من العجوز العاقر وَاسمها ايشاع زوجته، وكان هو شيخاً كما قد يقال: بأنّ حنّة والدة مريم كانت كذلكِ ووالدها عمران.

﴿دَعَا﴾ وحيث طمع في أَنْ يُرْزَقَ وَلَداً، سأل وطلب من الله تعالى.

﴿زَكَرِيَّا﴾ فاعل دعا، وهو يعلم بأنّ الله يخرق العادة إذا اقتضت المصلحة بذلك، ولكن بعد رؤية كرامة مريم عند الله تعالى قوي في نفسه ما كان علمه، كما إن إبراهيم عليه السلام كان عالماً بإحياء الأموات حين سأل ذلك مشاهدة.

﴿رَبَّهُۥ﴾ مفعول به والضمير مُضافٌ إليه، سأل من ربّه فقط لا غيره.

﴿قَالَ﴾ زكريا في دعائه ومن بعده بيان لكيفية دعائه.

﴿رَبِّ﴾ منادىٰ وكان في الأصل ربّي مع اضافة الضمير ويحذف.

﴿هَبْ﴾ الأَصْلُ فيه أَنَّهُ فِعْلٌ أَمْرٍ لكِنّ مَجِيْئَهُ مِنَ ٱلدّاني إلىٰ ٱلْعالي لا يُسَوِّغُ تَسْمِيَتَهُ (فِعْلَ أَمْرٍ) بَلْ يُصْطَلَحُ عليه بِـ (الدُّعاءِ) والطلب والسؤال وفاعله أنت يا ربّي، والهبة تمليك الشيء من غير ثمن.

﴿لِى﴾ جار ومجرور، أي لهذا العبد الشيخ الكبير النبي.

﴿مِن لَّدُنكَ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، «أي من عندك، وإنّما يبن ولم يبن عند لأنّه استبهم استبهام الحروف. ولأنّه لايقع في جواب أين كما يقع عند نحو قوله: أين زيد؟ فتقول: عندك ولاتقول لدنك»[1].

والمراد بيان توحيد الله في دعاء زكريا النبي عليه السلام حيث يسأل ربّه فقط ومن عنده تعالى.

---

١. التبيان ٢/ ٤٤٩.

﴿ذُرِّيَّةً﴾ اسم جنس بمعنىٰ الأولاد والنسل، مفعول به لفعل ﴿هَبْ﴾. تقع على الجمع والواحد والذكر والأنثى.

﴿طَيِّبَةً﴾ نعت ووصف لذرية ولذا أُنّثت؛ وإلّا فَهُوَ قَدْ سَأَلَ ٱللهَ تعالىٰ أَنْ يَهَبَهُ وَلَداً ذَكَراً.

والطيب: ما يستطاب خَلْقُهُ وفعله بالذات أو بما يلائم صاحبه في ما يريده لأجله أو بما قرّره العقل والشرع، فالبلد الطيب ما يلائم حياة أهله من حيث الماء والجو والرزق وما يشاؤون والحياة الطيبة أو عيشتها: ما يلائم بعض أجزائها بعضاً ويسكن إليها قلب صاحبها ويرضى بها رضاءً من صميم قلبه أو كانت بما قرّرها العقل والشرع مع العافية والسلامة والرفاهية والعبادة وخير الدنيا والآخرة.

وقيل: الطيبة: المباركة.

﴿إِنَّكَ﴾ حَرْفٌ مُشَبَّهٌ بالفعل والضمير ٱسْمُهُ، قدّم ربّه لأنّه أقدم للإجابة وطلب الهبة من الله تعالى.

﴿سَمِيعُ﴾ خبره ومن أسماء الله تعالى، أي مجيبٌ وسامعٌ وقابلٌ للدعاء. ومنه قول القائل: سمع الله لِمَنْ حَمِدَه: أي قبل الله حمد مَنْ حمده وَدُعاءَهُ. «وَأَصْلُ السمع إدراك المسموع وإنّما قيل للقابل سامع لأنّ من كان أهلاً أن يسمع منه فهو أهل أن يقبل منه خلاف من لايعتد بكلامه فكلامه بمنزلة ما لم يسمع»[1].

﴿ٱلدُّعَآءِ﴾ مضاف. إنّك كثير الاجابة دائماً لدعاء الداعين.

الروايات

معتبرة السكوني عن أبيعبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الولد الصالح ريحانةٌ مِن الله قسَمَها بين عباده وإنّ ريحانتيَّ من الدنيا الحسن والحسين عليهما السلام سمَّيتُهما باسم سبطين من بني إسرائيل شَبَّراً وشَبِيراً.[2]

وفي معتبرته الأُخرى عنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الولدَ الصالحَ ريحانةٌ

---

١. التبيان ٢/ ٤٥٠.

٢. الكافي ١١/ ٣٢٧، ح١ (٦/ ٢).

من رياحين الجنة.[١]

وفي معتبرته الثالثة عنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سعادة الرجل الولد الصالح.[٢]

وفي معتبرته الرابعة عنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مِن نعمةِ الله على الرجلِ أن يُشْبِهَهُ وَلَدُه.[٣]

وفي معتبرة سَدِيرٍ عن أبي‌جعفر عليه السلام قال: من سعادة الرجل أن يكون له الولدُ يُعْرَفُ فيه شِبْهُهُ خَلْقُهُ وخُلْقُهُ وشَمائِلُهُ.[٤]

وفي صحيحة عبدالله بن سنان عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: لمّا لقي يوسف أخاه قال له: يا أخي كيف إستطعت أن تتزوّج النساء بعدي؟ قال: إنّ أبي أمرني وقال: إن استطعت أن تكون لك ذرّيّة تثقل الأرض بالتسبيح فافعل.[٥]

وفي معتبرة محمّد بن مسلم عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أكثروا الولد أكاثر بكم الأُمم غداً.[٦]

وفي معتبرة الريان بن شبيب قال: دخلت على الرضا عليه السلام في أوّل يوم من المحرّم فقال: يابن شبيب أصائم أنت؟ قلت: لا، فقال: إنّ هذا اليوم هو اليوم الذي دعا فيه زكريا عليه السلام ربّه عزّ وجلّ فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ فاستجاب الله له وأمر الملائكة فنادت زكريا ﴿وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾[٧] فمن صام هذا اليوم ثمّ دعا الله عزّ وجلّ استجاب الله له كما استجاب الله لزكريا، الحديث.[٨]

---

١. الكافي ١١/ ٣٣١، ح١٠ (٦/ ٣).
٢. الكافي ١١/ ٣٣٢، ح١١ (٦/ ٣).
٣. الكافي ١١/ ٣٣٣، ح١ (٦/ ٤).
٤. الكافي ١١/ ٣٣٣، ح٢ (٦/ ٤).
٥. الكافي ١١/ ٣٢٨، ح٤ (٦/ ٢).
٦. الكافي ١١/ ٣٢٨، ح٣ (٦/ ٢).
٧. سورة آل‌عمران / ٣٩.
٨. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/ ٢٩٩، ح٥٨.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: الولد الصالح أجمل الذِكْرَيْن.[١]

قتادة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيّما رَجُلٍ ماتَ وتَرَكَ ذُرِّيَّةً طيّبةً أجْرَى اللهُ عليه مِثلَ أجرِ عملهم لايَنْقِصُ مِنْ أجورِهِم شيئاً.[٢]

راجع في هذا المجال عنوان الولد في موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام.[٣]

﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ﴿٣٩﴾

﴿فَ﴾ حرف عطف، يدل على سرعة الإجابة من طلب الذرية الطيبة.

﴿نَادَتْهُ﴾ فعل ماض مؤنث ومفعول به، والضمير يرجع إلى زكريا النبي عليه السلام.

﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فاعل، والمنادي إمّا جبرئيل وحده أي نودي من جنس الملائكة فعلى هذا يكون ذهب مذهب الجمع كما يقولون: ذهب في السفن وإنّما خرج في سفينة، وخرج على البغال وإنّما ركب بغلاً واحداً. وإمّا جماعةٌ من الملائكة كأنّه قيل: النداء جاء من قِبل الملائكة وإنّما جاز ذلك لِلْعادَةِ ٱلْجارِيَةِ نحو قولهم: ناداه أهل العسكر أو أهل البلد.[٤]

﴿وَ﴾ حالية. وجملة بعدها في موضع الحال.

﴿هُوَ﴾ مبتدأ، يرجع إلى زكريا النبي عليه السلام. ﴿قَآئِمٌ﴾ خبر، أي قائماً في الصلاة.

﴿يُصَلِّى﴾ فعل مضارع وفاعله هو مستتر يرجع إلى زكريا. والمراد بالصلاة: هي العبادة المعهودة بين جميع الملل والأديان.

﴿فِى ٱلْمِحْرَابِ﴾ جار ومجرور يتعلّق بيصلّي. والمراد بالمحراب المسجد أو محرابه.

﴿أَنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، قُرِئَ بالفتح على إعمال المناداة وتقديره نادته بأنّ الله،

---

١. غررالحكم، ح١٦٦٥.
٢. الكشف والبيان ٣/ ٥٩؛ روض الجنان ٤/ ٣٠٢.
٣. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ١٢/ ٢٣٨.
٤. راجع التبيان ٢/ ٤٥١.

وقرأ حمزة وابن عامر بالكسر على الحكاية وإرادة القول.

﴿ٱللَّهَ﴾ اسم أنّ.

﴿يُبَشِّرُكَ﴾ فعل مضارع فاعله الضمير المستتر يرجع إلى الله، والضمير «ك» مفعول به، والجملة خبر أنّ. والبشارة والبشرى والتبشير: الإخبار بما يُفْرِحُ الإنسانَ غالباً وسمّي بذلك لأجل ظهور السرور في بشرة الوجه.

﴿بِيَحۡيَىٰ﴾ جار ومجرور، متعلَّق ببشّر، ويظهر منها أنّ الله سماه بهذه إلّاسم قبل ولادته وعند استجابه دعاء والده ولم يُسَمَّ قبله أحدٌ بهذا الاسم، ويحيى اسم وعَلَم عجميٌّ، وإن جعل عربيّاً فمنع الصرف فيه للتعريف ووزن الفعل. ومعناه: يعيش واختلف في وجه هذه التسمية: قال ابن‌عباس: لأنّ الله أحيا به عُقْرَ أُمِّه.

وقال قتادة: أنّه تعالى أحياه بالإيمان وهو مختار شيخ الطائفة.[١]

وقيل: لأنّه تعالى أحيا قلبه بالنبوة. وقيل: لمّا علم الله أنّه يستشهد والشهداء أحياء عند ربّهم يرزقون فسُمّي به. وقيل: أنّه يحيا بالعلم والحكمة أو يُحيي به النّاس بالهداية. وبينه وبين عيسى عليه السلام الشبه التام.

وعن ابن‌عباس: إنّ يحيى كان أكبر من عيسى بستة أشهر.[٢] وقتل: قبل رفع عيسى بمدّة يسيرة.[٣]

﴿مُصَدِّقَۢا﴾ حال من يحيى. أي يحيى يصدّق. وهذا التصديق كَأَنَّهُ وظيفته الأُولى ولذا ذكره الله تعالى أوّلاً.

﴿بِكَلِمَةٖ﴾ جار ومجرور، والمراد به عيسى المسيح عليه السلام حيث يقول الله تعالى: ﴿بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾[٤].

﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ جار ومجرور. ﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿سَيِّدٗا﴾ معطوف على مصدّقاً، يسود قومه وقد فاقهم لأنّه ما هَمَّ بمعصيةٍ.

---

١. التبيان ٢/ ٤٥١.
٢. تفسير أبي‌السعود ٢/ ٤٠.
٣. تفسير أبي‌السعود ٢/ ٤٠.
٤. سورة آل‌عمران / ٤٥.

والسيّد: مَعْناهُ ٱلْمالِكُ لَمَنْ يجب عليه طاعته، وسيّد القوم بمعنىٰ مالك السواد الأعظم. والحاصل: السيّد هو الذي يسود غيره إمّا في الزعامة وتولّى أُمُوْرِها أو في الفضائل المحمودة والأخلاق الكريمة فيكون فائقاً على غيره.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿حَصُورًا﴾ معطوف، أي الممتنع من الجِماع، هو الذي لا يأتي النساء، والمراد بذلك في الآية الممتنع عن ذلك للإعراض عن مشتهيات النفس زهداً.

وأمّا إذا كان الامتناع عن مرض أو آفة أو نقصان فليس بممدوح عندهم.

كانت الحصورية في دينهم مَطْلُوْبَةً وَمَرْغُوْباً بِها وَمُسْتَحَبَّةً ولكن في الدين المحمّدي صلى الله عليه وآله ليست بمطلوبةٍ بل غير مرغوب فيها وهي مكروهَةٌ. وبخلافِها النكاح الّذي يبلغ مرتبة الاستحباب والفضيلة. فهذا الحكم في شريعتنا منسوخ عند الكلّ.

﴿وَنَبِيًّا﴾ حرف عطف ومعطوف آخر. ووصف آخر ليحيى النبي عليه السلام بأنّه عليه السلام كان من أنبياء الله تعالى.

﴿مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ جار ومجرور، ومن هنا لتبيين الصفة وليس المراد به التبعيض لأنّ النبي لا يكون إلّا صالحاً. فالمراد به أنّ الأنبياء لابدّ أنْ يكونوا صالحين في أنفسهم بالضرورة. أو كان ناشئاً من الصالحين لأنّه كان من أصلاب الأنبياء عليهم السلام

الروايات

تفسير العياشي رفعه عن حسين بن أحمد عن أبيه عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ طاعة الله خدمته في الأرض، فليس شيءٌ مِن خدمته تَعْدِل الصلاة فمِنْ ثَمَّ نادت الملائكة زكريا ﴿وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ﴾.[1]

ورواها الصدوق مرفوعاً عن الصادق عليه السلام في الفقيه[2].

وفيه: عن إسماعيل الجعفي عن أبي‌جعفر عليه السلام ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾: والحصور: الذيي يأبي النساء ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾.[3]

---

١. تفسير العياشي ١/ ٣٠٦، ح٤٧.
٢. الفقيه ١/ ٢٠٨، ح٦٢٣.
٣. تفسير العياشي ١/ ٣٠٦، ح٤٦.

وفي التبيان: الحصور: هو الذي لا يأتي النساء وهو المروي عن أبي‌عبدالله عليه السلام.[١]

وفي صحيحة أبي‌حمزة عن أبي‌جعفر عليه السلام قال: وُلد يحيى رُفع إلى السماء فغُذّي بأثمار الجنة حتّى فَطم، ثمَّ نُزل إلى أبيه وكان يضيء البيت بنوره.[٢]

وعن سعد بن عبدالله رفعه قال: كان يحيىٰ بن زكريا يصلّي ويبكي حتّى ذهب لحم خدّه وجعل لبداً وألزقه بخدّه حتّى تجري الدموع عليه، وكان لاينام فقال له أبوه: يا بنيَّ إنّي سألتُ الله أن يرزقنيك لأفرح بك وتقرّ عيني، قم فصلِّ.

قال: فقال له يحيى: إنّ جبرئيل حدثني أنّ أمام النار مفازة لايجوزها إلّا البكّاؤون، فقال: يا بنيَّ فابك وحقّ لك أن تبكي.[٣]

وفي الروض عن أم سلّمة في حديث مفاخرة أزواج النبي صلى الله عليه وآله في حجرتها حيث دخلت فاطمة عليها السلام فضاق الكلامُ عليهنّ حيث يروونها وقالت عايشة: ما بالكم يا بني‌هاشم قد حُزْتم السيادة بأسرها أمّا أنتِ فسيدة نساء العالمين وأمّا أبوكِ فسيدُ ولد آدم وأمّا زوجكِ فسيّد العرب وأمّا أبناكِ فسيدا شباب أهل الجنة وأمّا عمّك فسيّد الشهداء، فما تركتم لأحدٍ بعدَ هذا سيادةً.

فقامت فاطمة عليها السلام وتقول: ﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾[٤].[٥]

وقد وَرَدَ في الروايات بأنّ: من جاد ساد[٦] ومن كرم ساد[٧] ومن حلم ساد[٨].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: لا شرف كالسؤدد.[٩]

---

١. التبيان ٢/ ٤٥٢.
٢. قصص الأنبياء ٢/ ٦٢، ح٢ للقطب الراوندي.
٣. قصص الأنبياء ٢/ ٦٣، ح٣.
٤. سورة النساء / ٥٤.
٥. روض الجنان ٤/ ٣٠٩.
٦. الكافي ٨/ ٢١ من طبع الغفاري.
٧. الفقيه ٣/ ٣٩١.
٨. بحارالأنوار ٧٤/ ٢١٠.
٩. غررالحكم، ح١٠٤٧٩.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ ﴿٤٠﴾

﴿قَالَ﴾ زكريا، هذه المقالة جملة مستأنفة من زكريا النبي﵇ تدل على استفهام تعجّب واستعلام من كيفية استجابة دعائه في طلب الولد. لا ردّاً على الله تعالى؛ بل هو ابتهاج إلى مناجاة الحبيب والحديث معه.

﴿رَبِّ﴾ منادى، هذه المناجاة. ﴿أَنَّىٰ﴾ مفعول فيه.

﴿يَكُونُ﴾ فعل مضارع، أي من أين يكون أو كيف يكون؟

﴿لِي﴾ جار ومجرور، خبر مقدم كان.

﴿غُلَٰمٌ﴾ اسم مؤخر لِكانَ، أي ولد والغلام هو الشابُّ من النّاس؛ والغلمة والاغتلام: شدّة طلب النِكاح وسمّي الغلام غلاماً لأنّه في حال يطلب في مثلها النكاح.

﴿وَ﴾ حالية. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿بَلَغَنِيَ﴾ فعل ماض ونون الوقاية و«ي» مفعول به.

﴿ٱلْكِبَرُ﴾ فاعل، فيه إشعارٌ إلى أنّ الكِبرَ يطالبني لا أنا أطالبه وأُريده، وفيه تفاوت واضح بينه وبين جمله «بلغتُ الكبر». مضافاً إلى إظهار أنّه لا يجد من نفسه شهوة النكاح لبلوغ الشيخوخة والهرم فيه وفي زوجته، قيل: «كانت له تسع وتسعون سنةً وقيل مائةٌ وعشرون سنة ولامرأته ثمان وتسعون سنة»[1].

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿ٱمْرَأَتِي﴾ مبتدأ، وضمير ياء يضاف إليه.

﴿عَاقِرٌ﴾ خبر، أي لا تلد، وعقر كلّ شيءٍ أصله. فعقر العاقر لانقطاع أصل النسل. يستعمل في الذكر والأُنثى.

يريد زكريا﵇ من عطف زوجته بأنّ فيها مانِعَيْنِ من الولادة وهما: الكبر والعقر.

---

١. جوامع الجامع ١/ ١٧٣.

﴿قَالَ﴾ فعل ماض فاعله ضميرٌ مستتر يرجع إلى الله تعالى فهذا إجابة الله تعالى عن مقالته، ولكن بواسطة الملك لقوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾[١].

﴿كَذَٰلِكَ﴾ جار ومجرور، مبتدأ أو خبر لمبتدأ محذوف والتقدير: الأمر كذلك أي الأمر الذي بشّرت به.

﴿ٱللَّهُ﴾ خبر، أو مبتدأ وخبره الجملة الآتية.

﴿يَفْعَلُ﴾ فعل مضارع يدل على الدوام. وفاعله ضميرٌ مستتر يرجع إلى الله تعالى.

﴿مَا﴾ مفعول به.

﴿يَشَآءُ﴾ فعل مضارع يدل على الدوام. فاعله ضميرٌ مستتر يرجع إلى الله تعالى.

والجملة: ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ كلام تَفْصِيْلِيٌّ في مقام التعليل لمضمون قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾

﴿قَالَ﴾ زكريا النبي عليه السلام. ﴿رَبِّ﴾ منادى، يحذف فيه ضمير الياء المضاف.

﴿ٱجْعَل﴾ فعل أمر في مقام الطلب والدعاء، فاعله أنت يا ربّ.

﴿لِّيٓ﴾ جار ومجرور.

﴿ءَايَةً﴾ مفعول به، أي علامةً دالة على شيءٍ؛ وهو يسأل ربّه أن يجعل له علامة لوقت الحمل للشكر والسرور. لا أنّه أخطأ بين وحي ربّه وهفوات الشيطان، لأنّ الأنبياء معصومون من الخطأ لا سيّما بالنسبة إلى شيءٍ يوجب الخلل في تعاليمهم.

﴿قَالَ﴾ أجابه الله تعالى.

---

١. سورة مريم / ٩.

﴿ءَايَتُكَ﴾ مبتدأ وأُضِيْفَ ٱلضَّمِيْرُ إِلَيْهِ، أي علامتك التي تريد وتدعو بها.

﴿أَلَّا﴾ حرف نصب بانضمام حرف نفي، أن لا.

﴿تُكَلِّمَ﴾ مضارع منصوب وفاعله أنت يا زكريا، وفي محلّ خبر. أي أنت لاتقدر على التكلّم مع النّاس وإن كنت قادراً على ذكر الله تعالى بلسانك.

﴿ٱلنَّاسَ﴾ مفعول به. ﴿ثَلَٰثَةَ﴾ مفعول فيه.

﴿أَيَّامٍ﴾ مضاف إليه، أي أنت لاتقدر على تكليمهم ثلاثة أيام متواليات فقط لا أكثر.

﴿إِلَّا﴾ حرف استثناء.

﴿رَمْزًا﴾ مستثنى، أي اشارة بِيَدٍ أَوْ رَأْسٍ أو غيرهما وأصله التحرك، فيكون الاستثناء منقطعاً لأنّ الاشارة ليست بكلام؛ ويمكن أن يكون متصلاً إن أُريد بالكلام مادلّ على الضمير أو «أنّ الممنوع منه إنّما هو التكلّم مع النّاس في شؤون الدنيا لا عدم التكلّم المطلق» معهم كما في المواهب[1].

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿ٱذْكُر﴾ فعل أمر فاعله أنت يا زكريا، أي أنت تقدر على ذكر الله تعالى بلسانك فاذكر.

﴿رَّبَّكَ﴾ مفعول به والضمير مضاف إليه.

﴿كَثِيرًا﴾ مفعول مطلق. ﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿سَبِّحْ﴾ فعل أمر فاعله أنت يا زكريا، قال الشيخ: «معناه هاهنا صلّ... أصل التسبيح التعظيم لله وتنزيهه عما لايليق به»[2]. يمكن تعليل كلامه لأنّ الأمر يقيد بالوقت.

وقال الطبرسي: «أراد التسبيح المعروف»[3].

﴿بِٱلْعَشِيِّ﴾ جار ومجرور، العشاء: من لدن غروب الشمس إلى أن يولي صدر

---

١. مواهب الرحمن ٥/ ٣١٠.
٢. التبيان ٢/ ٤٥٥.
٣. مجمع البيان ٢/ ٤٤٠.

الليل وأصله: الظلمة كما في التبيان[١].

وفي الكشّاف: «العشي: من حين تزول الشمس إلى أن تغيب»[٢].

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿ٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ جمع بكر: من حين طلوع الفجر إلى وقت الضحى وأصله التعجيل بالشيء.

والمراد: التسبيح أو الصلاة في أوّل النهار وآخره.

وَقَدْ وَرَدَت رِوايتانِ في ذَيْلِ الآيةِ في تفسير العياشي[٣] ورواية في قصص الأنبياء[٤] للقطب الراوندي تركتها لعلّة والله العالم.

﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ﴿٤٢﴾

﴿وَ﴾ استئناف أو عطف.

﴿إِذۡ﴾ مفعول به ومنصوب بفعل مقدّر وهو ٱذكر لأنّ المخاطب في حال تذكير وتعريف بناءً على استئناف «و»، وأمّا على عطف «و» فمعطوف على قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ﴾[٥]؛ وعلى القولين يكون شرحاً لاصطفاء آل‌عمران في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ﴾[٦].

﴿قَالَتِ﴾ فعل ماض مؤنث، ومكالمة الملائكة كرامة، والكرامة لاتختص بالأنبياء والأئمة بَلْ تشمل الأولياء والصالحين.[٧]

---

١. التبيان ٢/ ٤٥٥.
٢. الكشّاف ١/ ٣٦١.
٣. تفسير العياشي ١/ ٣٠٥، ح٤٤ و ٤٥.
٤. قصص الأنبياء ٢/ ٦١، ح١.
٥. سورة آل‌عمران / ٣٥.
٦. سورة آل‌عمران / ٣٣.
٧. التبيان ٢/ ٤٥٧.

﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فاعله. قيل: جبرئيل وحده. كلّموها شفاهاً كرامة لها، ويدلّ علىٰ أنّها مُحَدَّثة بتكلّمها مع الملائكة. وقيل: إرهاصاً لنبوة عيسى عليه السلام أو معجزة لزكريا وبواسطته والأوّل أَوْلى.

الإرهاص: الأمر الخارق العادة الذي ظهر من النبي صلى الله عليه وآله قبل بعثته.

﴿يا﴾ حرف نداء. ﴿مَرْيَمُ﴾ منادىٰ.

﴿إِنَّ﴾ حرف مُشَبَّهٌ بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾ اسم إنّ.

﴿ٱصْطَفَىٰكِ﴾ فعل ماض و«كِ» مفعول به وفاعله ضميرٌ مستتر يرجع إلى الله، خبر إنّ؛ أي إنّ الله اصطفاكِ بالنسبة إلى ما مضى عليكِ من قبولكِ من أُمّكِ وتربيتكِ وإكرامك برزق الجنة فاصطفاك من ذرية الأنبياء عليهم السلام بتفريغكِ للعبادة.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿طَهَّرَكِ﴾ فعل ماض و«كِ» مفعول به وفاعله ضَمِيْرٌ مستتر يرجع إلى الله. والتطهير ممّا يستقذر من الأقذار العارضة للنساء مثل الحيض والنفاس أو الأدناس العارضة لِأَفْعالِهِنَّ أو أفكارهنَّ من الكفر والشرك والمعصية؛ أعني الطهارة الظاهرية والباطنية، ويمكن الاستدلال بها لمقام العصمة لها.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿ٱصْطَفَىٰكِ﴾ مرّة أُخرى وتقدّمكِ على نساء زمانكِ لأنّ «الاصطفاء المتعدي بعلىٰ يفيد معنىٰ التقدم»[1] فاصطفاكِ الله لولادة كلمته ونبيّه عيسى عليه السلام من غير أب.

﴿عَلَىٰ نِسَآءِ﴾ جار ومجرور.

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مضاف إليه. في زمانكِ وعصركِ، لأنّ فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله سيّدة نساء العالمين مِنَ ٱلْأَوَّلِيْنَ وَٱلْآخِرِيْنَ، كما روي عن أبي جعفر عليه السلام؛[2] مضافاً إلى عدم وجود الاطلاق[3] في الآية الشريفة لأنّ المتعارف بالنسبة إلى هذه التعبيرات أَنَّها إِنَّما تَتُمُّ بالنسبة إلى عصرها وزمانها نحو: فلانة أجمل النساء أو أعلمهنَّ أو أتقاهنّ.

---

١. كما في الميزان ٣/ ١٨٩.
٢. التبيان ٢/ ٤٥٦؛ مجمع البيان ٢/ ٤٤٠.
٣. خلافاً لصاحب الميزان ٣/ ١٨٩.

وروي عن النبيﷺ أنّه قال: فُضّلتْ خديجة على نساء أمّتي كما فُضّلتْ مريم على نساء العالمين.[١]

وقال أبوجعفرعليه السلام: اصطفاها [مريم] أوّلاً من ذرية الأنبياء وطهّرها من السفاح، والثاني اصطفاها لولادة عيسى من غير فحل.[٢]

أقول: اَجْمَعَت[٣] الإماميّة على أنّ فاطمة الزهراءعليها السلام هي سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين، أي في جميع الأعصار والأمصار.

وأمّا العامة فهم بين مَنْ يقرّ على أنّها سيّدة نساء العالمين كابن عبدالبُر في الإستيعاب[٤].

ومَنْ يقول بأنّها سيّدة نساء العالمين ماعدا مريم بنت عمران كالجزري في أُسد الغابة[٥].

ومن يذهب إلى أنّها سيّدة نساء هذه الأُمة كالذهبي في تاريخ الإسلام[٦].

واعترف بذلك أبوالثّناءِ الآلوسي المتعصب في تسنّنه صاحب روح المعاني وَقالَ: «... والذي أميل إليه أنَّ فاطمة البتول أفضل النساء المتقدمات والمتأخرات من حيث إنّها بضعة رسول اللهﷺ بل ومن حيثيات أُخر أيضاً[٧].... وبعد هذا كلّه الذي يدور في خلدي أنّ أفضل النساء فاطمة ثمّ أُمّها...»[٨].

رواية أفضلية فاطمة الزهراء على نساء العالَمين من الأوّلين والآخرين بطريقنا فوق حدّ التواتر بل تكون من معتقداتنا القطعية المجمع عليه وكذلك مظلوميتها واستشهادها.

وأمّا بطريق أهل السنة فكذلك إجمالاً،لأجل روايتهم راجع مناقب آل أبيطالب[٩] لإبن شهرآشوب السروي والدر المنثور[١٠] للسيوطي وفضائل الخمسة من الصحاح الستة[١١] للسيّد

---

١. التبيان ٢/ ٤٥٦، مجمع البيان ٢/ ٤٤٠.
٢. التبيان ٢/ ٤٥٦، مجمع البيان ٢/ ٤٤٠.
٣. كما اعترف بالإتفاق الشيخ أبوالفتوح الرازي في تفسيره ٤/ ٣١٨ وابن شهرآشوب بالإجماع في المناقب ٣/ ٣٧١.
٤. الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٤/ ١٨٩٣، رقم ٤٠٥٧.
٥. أُسد الغابة في معرفة الصحابة ٧/ ٢٢٠، رقم ٧١٧٥.
٦. تاريخ الإسلام ٣/ ٤٣.
٧. روح المعاني ٣/ ٢٠٦.
٨. روح المعاني ٣/ ٢٠٧.
٩. مناقب آل أبيطالب ٣/ ٣٦٩.
١٠. الدر المنثور ٢/ ٢٣.
١١. فضائل الخمسة من الصحاح الستة ٣/ ١٦٩.

الفيروزآبادِيّ.

﴿يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿يا﴾ حرف نداء.

﴿مَرْيَمُ﴾ منادىٰ. قال في الميزان: «ولمّا كان النداء يوجب لَفْت[1] نظر المنادىٰ (اسم مفعول) وتوجيه فهمه نحو المنادي (اسم فاعل) كان تكرار النداء في المقام بمنزلة أن يقال لها: إن لك عندنا نبأ بعد نبأ فاستمعي لهما وأصغي إليهما: أحدهما ما أكرمك الله به من منزلة وهو مالك عندالله، والثاني ما يلزمك من وظيفة العبودية بالمحاذاة، وهو ما لله سبحانه عندك، فيكون هذا إيفائاً للعبودية وشكراً للمنزلة فيؤل معنى الكلام إلى كون قوله: ﴿يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ بمنزله التفريع لقوله: ﴿يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ أي إذا كان كذلك فاقنتي واسجدي واركعي مع الراكعين، ولايبعد أن يكون كلّ واحدة من الخصال الثلاث المذكورة في هذه الآية فرعاً لواحدة من الخصال الثلاث المذكورة في الآية السابقة، وإن لم يخل عن خفاء، فليتأمل»[2].

أقول: ويمكن أن يكون على عكسه بأنّ علة الاصطفاء هي القنوت والسجود والركوع والخضوع للحيّ القيوم والانقطاع إليه كما عن صاحب المواهب[3].

﴿ٱقْنُتِى﴾ فعل أمر مؤنث مبنيٌّ على حذف النون.

القنوت في اللغة يأتي بمعاني مختلفة منها: الدعاء، الطاعة، القيام والسكوت في الصلاة والامساك عن الكلام.[4]

قال الشيخ: «قيل في معني قوله ﴿ٱقْنُتِى﴾ ثلاثه أقوال: أحدها: قال سعيد بن

---

١. وفي المصدر «تلفيت». لأنّ تلفيت أو إلفات نظر من الغلط الفاحش.
٢. الميزان ٣/ ١٨٩.
٣. مواهب الرحمن ٥/ ٣٣٦.
٤. راجع القاموس المحيط ١/ ١٦١.

جبير: أنّ معناه أخلصي لربك العبادة. الثاني: قال قتادة: معناه أديمي الطاعة. الثالث: قال مجاهد: أطيلي القيام في الصلاة. وأصل القنوت: الدوام على الشيء»[١].

وفي الميزان: «القنوت هو لزوم الطاعة عن خضوع على ما قيل»[٢].

وفي الكشّاف: أُمِرَتْ بالصلاة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيآت الصلاة وأركانها»[٣].

وعن مجاهد لما قيل لها: ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ﴾ قامت حتّى ورم كعباها وقدماها.[٤]

﴿لِرَبِّكِ﴾ جار ومجرور يتعلق باقنتى، و«ك» مضاف إليه. وَالطاعة والعبادة والصلاة لابدّ أن تَكُوْنَ للربّ خالِصَةً مُخْلَصَةً، فاخْبِتْ لله وَأَخْلِصِ ٱلْعَمَلَ، لِأَنَّ ٱلنّاقِدَ بصيرٌ.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿ٱسۡجُدِي﴾ فعل أمر كسابقه، وأصله الانخفاض الشديد للخضوع وكذلك القول في الركوع إلّا أنّ السجود أشدّ انخفاضاً كما ذكره الشيخ.[٥] والسجود معروف. ولعلّ تقديم السجود على الركوع لأجل أهميته.

﴿وَ﴾ حرف عطف وليس للترتيب بل يدل على الجمع فقط. مضافاً إلى عدم إحراز أنّ صلاتها كانت بترتيب صلاة المسلمين من تقديم الركوع علىٰ السجود.

﴿ٱرۡكَعِي﴾ فعل أمر كسابقيه، والركوع هو الانحناء والانخفاض أو مطلق التذلّل.

﴿مَعَ﴾ ظرف، مفعول فيه، مَنْصُوْبٌ مَحَلًّا.

﴿ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ مضاف إليه قال الشيخ: «فيه قولان: أحدهما: افعلي مثل فعلهم،

---

١. التبيان ٢/ ٤٥٧.
٢. الميزان ٣/ ١٨٩.
٣. الكشّاف ١/ ٣٦٢ ونحوها في جوامع الجامع ١/ ١٧٣ ومختصراً في الوجيز في تفسير القرآن العزيز ١/ ٢٣٧.
٤. تفسير الطبري ٣/ ٣١٠.
٥. التبيان ٢/ ٤٥٧.

الثاني: قال الجُبّائي: أي في صلاة الجماعة»[١].

وقال مقاتل: «مع المصلين في بيت المقدس»[٢].

وفي الكشّاف: «ولتكن صلاتَكِ مع المصلين أي في الجماعة أو انظمي نفسك في جملة المصلين وكوني معهم في عدادهم ولاتكوني في عداد غيرهم»[٣].

ولكن الطبرسي لايقبل الجماعة وقال: «... أي كما يعمل الساجدون والراكعون لا أن يكون ذلك أمراً لها بأن تعمل السجود والركوع معهم في الجماعة»[٤].

وتبعه السبزواري وقال: «الأمر بالركوع مع الراكعين هو لزوم الصلاة... ولا دلالة لهذه الجملة على كون المعنىٰ منها لزوم صلاة الجماعة كما ذكره بعض المفسرين،بل المراد منها هو لزوم الموافقة مع المصلين والدخول في زمرتهم»[٥].

وقال الزمخشري: «ويحتمل أن يكون في زمانها من كان يقوم ويسجد في صلاته ولايركع وفيه من يركع فأمرت بأن تركع مع الراكعين ولاتكون مع مَن لايركع»[٦].

وقال ابن أبي‌جامِعٍ الحارِثِيّ: «في الجماعة أو مع مَنْ يركع في صلاته لا مع مَنْ لايركع»[٧].

فصارت المحتملات ثلاثة.

ولكن قال الثعالبي، «والقول عندي في ذلك: أنَّ مريم أُمِرَتْ بفَصْلَيْنِ ومَعْلَمَيْنِ مِن مَعَالِمِ الصلاة، وهما طُولُ القيام، والسُجُودُ، وخُصَّا بالذكْرِ لشرفهما، وهذانِ يَخْتَصَّان بصلاتها مفْرَدةً وإلّا فمن يصلّي وراء إمام، فليس يقال له: أَطِلْ قِيَامَكَ، ثمّ أمرتْ بعدُ بالصَّلاة في الجماعةِ، فقيل لها: ﴿وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾، وقُصِدَ هنا مَعْلَمٌ آخر من مَعَالِمِ الصلاةِ لئلَّا يتكرَّر اللفظ، ولم يرد في الآية الركوع والسجود الذي هو

---

١. التبيان ٢/ ٤٥٨.
٢. تفسير مقاتل بن سليمان ١/ ١٦٩.
٣. الكشّاف ١/ ٣٦٢ ونحوها في جوامع الجامع ١/ ١٧٣.
٤. مجمع البيان ٢/ ٤٤٠.
٥. مواهب الرحمن ٥/ ٣٣٤.
٦. الكشّاف ١/ ٣٦٢.
٧. الوجيز ١/ ٢٣٧.

منتظمٌ في ركْعَةٍ واحدةٍ، والله أعلم»[١].

﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ٤٤﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأٌ، إشارة إلى الإخبار عمّا تقدم مِنْ قصة مريم وزكريا ويحيى، قال الشيخ: «وفيه احتجاج على المشركين من حيث أنّه جاء بما لايعلم إلّا من أربعة أوجه، إمّا مشاهدة الحال أو قرأة الكتب، أو تعليم بعض العباد أو بوحي من الله، وقد بطلت الأوجه الثلاثة للعلم بأنّها لم تكن حاصلة للنبيﷺ فصح أنّه على الوجه الرابع بوحي من الله تعالى»[٢].

مضافاً إلى أنّ هذه القصص ـ ونحوها نحو قصة يوسف ـ لم تَرِدْ في الكتب السماوية السابقة المحرّفة بهذه البيانات ٱلْمُسْتَفِيْضَةِ.

﴿مِنۡ﴾ حرف جر، للتبعيض.

﴿أَنۢبَآءِ﴾ مجروره، جمع نباء بمعني خبر: الأنباء: الأخبار.

﴿ٱلۡغَيۡبِ﴾ مضاف إليه، مجموعه خبر المبتدأ. ومعنى الغيب: هو كُلُّ ما غاب عن الحواس الظاهرية والمعنوية. سواء كان من موجودات هذا العالَم في ما مضى ويأتي أو عالَم آخر. والغيب: خفاء الشيء عن الإدراك.

﴿نُوحِيهِ﴾ فعل مضارع ومفعول به، فاعله نحن مستتر. ٱلْإِيْحاءُ: هو إلقاء المعني إلى صاحبه وبالنسبة إلى الأنبياء عادة تتحقّق بإرسال ملك حامل الوحي أو الإلهام أو النوم أو غيرها.

﴿إِلَيۡكَ﴾ جار ومجرور متعلَّق بفعل ما قبلهما. أي إليك يا رسول اللهﷺ.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿مَا﴾ حرف نفي.

---

١. تفسير الثعالبي ٢/ ٤٤.
٢. التبيان ٢/ ٤٥٨.

﴿كُنتَ﴾ فعل ماض، «تَ» اسم كان. مخاطَباً لرسول اللهﷺ.

﴿لَدَيْهِمْ﴾ مفعول فيه، «هم» مضاف إليه، مجموعه خبر كان.

﴿إِذْ﴾ مفعول فيه، متعلّق بْالْفِعْلِ الآتي.

﴿يُلْقُونَ﴾ فعل مضارع، «و» فاعله ومعناه واضح أي يرمون ويطرحون للاقتراح.

﴿أَقْلَٰمَهُمْ﴾ مفعول به، والضمير مُضافٌ إليه ويرجع إلى زكريا وأصحابه، والمراد بالقلم هاهنا القدح الذي يضرب به القرعة ويُسَمّى سهماً أيضاً وأصله يرد بِمَعْنىٰ قطع طرف الشيء.

وَقِيْلَ: هي الأقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة اختاروها للقرعة تبركاً بها.[1] ورموها في الماء فارتفع قلم زكريا فوق الماء وَرَسَبَتْ أقلام الباقين من ٱلْأَحْبارِ.

وفي الآية تقدير أي «لينظروا» ثمّ يأتي ما بعدها.

﴿أَيُّهُمْ﴾ مبتدأ والضمير يضاف إليه. أو أيّهم يتعلّق بفعل محذوف نحو: يلقونها ليعلموا، أو يقولوا أيّهم.

﴿يَكْفُلُ﴾ فعل مضارع، فاعله ضميرٌ مستترٌ. خبر الْمُبْتَدَأُ، الكفالة: الضمان، الكافل: الذي يكفل انساناً يَعُوله ويُنْفِقُ عليه:

﴿مَرْيَمَ﴾ مفعول به،فهم ـ أحبار المعبد وسدنة بيت المقدس ـ يختصمون ويتشاحُّوْنَ في كفالة مريم لفضلها فقال زكريا: أنا أولى لأنّ خالتها عندي، وقال القوم: نحن أولى لأنّها بنت إمامنا لأنّ عمران والدها ـ كان إمام الجماعة.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿مَا﴾ حرف نفي.

﴿كُنتَ﴾ فعل ماض، «تَ» اسمه.

﴿لَدَيْهِمْ﴾ مفعول فيه والضمير مُضافٌ إليه، مجموعه خبر كان.

﴿إِذْ﴾ مفعول فيه، متعلّق بِالْفِعْلِ الآتي.

﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ فعل مضارع، «واو» فاعله. وفيه دلالة واضحة على أنّهم قد

---

١. كما في الكشّاف ١/ ٣٦٢.

بلغوا في التَّشاحِّ عليها إلى حدّ الخصومة.

قال الشيخ: «في وقت التَّشاحِّ قولان: أحدها: حين ولادتها وحمل أُمّها أيّاها إلى الكنيسة تشاحّوا في الذي يخصّها ويحضنها ويكفل بتربيتها وهو الأكثر.

وقال بعضهم: إنّه كان ذلك بعد كبرها وعجز زكريا عن تربيتها»[١].

أقول: الأوّل هو الأصح؛ لأنّ زكريا النبيعليه السلام شارك في عملية القرعة والآيات كانَتْ في مقام تفصيل مريم على نساء العالمين في زمانها، وردّ كفالتها لايناسب هذا المقام.

الروايات

في تفسير العياشي عن الحكم بن عتيبة، قال: سألتُ أباجعفرعليه السلام عن قول الله في الكتاب: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ اصطفاها مرَّتين، والاصطفاء إنّما هو مرَّة واحدة.

قال: فقال لي: يا حَكَم، إنّ لهذا تأويلاً وتفسيراً. فقلت له: ففسِّره لنا أبقاك الله.

قال: يعني اصطفاه إيّاها أوّلاً من ذُريَّة الأنبياء المُصْطَفين المرسلين، وطَهّرها من أن يكون في ولادتها من آبائها وأُمَّهاتها سِفاحٌ، وأصطفاها بهذا في القرآن ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ شكراً لله.

ثمّ قال لنبيّه محمّدصلى الله عليه وآله يُخْبِره بما غاب عنه من خَبَر مريم وعيسىعليهما السلام: يا محمّد ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ في مريم وابنها، وبما خَصَّهما الله به وفضَّلهما وأكْرَمهما حيث قال: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ يا محمّد، يعني بذلك الربُّ الملائكة ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ حين أُيْتِمَت من أبيها.[٢]

وفي رواية أُخرى، عن ابن خُرّزاد ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ حين أُيْتِمت من أبويها ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ يا محمّد ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في مريم عند ولادتها بعيسىعليه السلام أيّهم يَكْفُلها ويَكْفُل ولدها.

قال: فقلتُ له: أبقاك الله، فمن كَفَّلها؟ فقال: أما تَسْمَع لقوله تعالى؟ الآية.

---

١. التبيان ٢/ ٤٦٠.

٢. بحارالأنوار ١٤/ ١٩٢، ح٢.

وزاد علي بن مهزيار في حديثه ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[1]، قال: قلتُ: أكان يُصيب مريم ما يُصيب النساء من الطَّمَث؟ قال: نعم، ما كانت إلّا امرأة من النساء.

وفي رواية أُخرى ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾، قال: اسْتَهَمُوا عليها، فَخَرَج سَهْم زكريا، فكَفَّل بها.

وقال يزيد[2] بن رُكانة: اخْتَصَمُوا في بنت حمزة، كما اخْتَصَمُوا في مريم.

قال: قلتُ له: جُعِلت فداك، حمزة استنَّ السُّنن والأمثال، كما اخْتَصَمُوا في مريم اخْتَصَمُوا في بنت حمزة؟ قال: نعم.

﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قال: نساء عالَمِيها.

قال عليه السلام: وكانت فاطمة عليها السلام سيّدة نساء العالمين.[3]

أقول: ما ورد في زيادة علي بن مهزيار تنفيه شهادة الآية السابقة بتطهير مريم عليها السلام. فلا تتم الزيادة عندنا.

وفي صحيح حريز عمّن أخبره عن أبي‌جعفر عليه السلام قال: أوّل مَنْ سُوهم عليه مريم بنت عمران وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ والسهام ستة، الحديث.[4]

وفي روح المعاني: وعن الباقر عليه السلام أنّها كانت ستة.[5]

وفيه: قال الباقر عليه السلام: أوّل مَنْ سوهم عليه مريم بنت عمران ثمّ تلا: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ﴾.[6]

---

١. سورة آل‌عمران / ٣٦.
٢. في النسخ: زيد، تصحيف، والصحيح ما أثبتناه، انظر تهذيب الكمال ٩/ ٢٢١ و٣٢/ ١٢٢، وأسد الغابة ٥/ ١٠٩.
٣. تفسير العياشي ١/ ٣٠٦، ح٤٨؛ بحارالأنوار ١٤/ ١٩٣، ح٢.
٤. الفقيه ٣/ ٨٩، ح٣٣٨٨؛ الخصال ١/ ١٥٦، ح١٩٨.
٥. روح المعاني ٣/ ٢١٠.
٦. روح المعاني ٣/ ٢١١.

﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ ﴿٤٥﴾

شروع في قصة عيسى النبي عليه السلام.

﴿إِذْ﴾ مفعول به، والعامل فيه ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ في الآية السابقة، أو ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ فيها، أو أنّه بدل من ﴿إِذْ قَالَتِ﴾ في ثلاث آياتٍ قبلها.

﴿قَالَتِ﴾ فعل ماض مؤنث.

﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فاعله، والمراد بها جنسها فلا ينافي أن يكون جبرائيل وحده أو هو مع جند مِنْهُمْ كما يدلّ على الأوّل قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[1].

﴿يا﴾ حرف نداء. ﴿مَرْيَمَ﴾ منادىٰ.

﴿إِنَّ﴾ حرف مشبّه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾ اسم إنّ.

﴿يُبَشِّرُكِ﴾ فعل مضارع، فاعله ضمير مستتر يرجع إلى الله، ضمير «ك» مفعول به مجموعه خبر إنّ.

«التبشير: إخبار المرء بما يسرّ من الأمر سمّي بذلك لظهور السرور في بشرة وجهه عِنْدَ إخباره بما يسرّه. لأنّ أصله البَشَرة وهي ظاهر الجلد»[2].

﴿بِ﴾ حرف جر.

﴿كَلِمَةٍ﴾ مجروره. الكلمة في اللغة: هي اللفظ الواحد الدال على المعنىٰ وعلى الجملة سواء صح السكوت عليها مثل زيد قائم أو لم يصح مثل إن كان زيد قائماً، وأمّا في ٱلْمُصْطَلَحِ القرآني فَهِيَ التي يَظْهَرُ بها ما أراده الله تعالى من أمر نحو كلمة الإيجاد وهو قَوْلُهُ تعالى لشيءٍ ﴿كُن﴾ أو كلمة الوحي وَٱلْإِلْهَامِ.

والمراد بها عيسى عليه السلام لأنّ ولادته لم تكن على العادة وتحتاج إلى كلمة الإيجاد

---

١. سورة مريم / ١٧.
٢. التبيان ٢/ ٤٦١.

﴿كُن﴾ من غير تخلل بعض الأسباب العادية والشاهد عليه قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾[1].

أو أنّ الله تعالى يُظْهِرُ علىٰ يديه ما أراده من المعاجز والكرامات العديدة لأجل هداية النّاس وما اقتضاه من حكمته تعالى.

أو أنّ جميع الممكنات تدلّ على وجود الواجب تعالى ولكن دلالة الإنسان أتّم وفيهم دلالة الأنبياء والأئمة عليهم السلام أظهر وآكد.

﴿مِّنۡهُ﴾ جار ومجرور، والضمير يرجع إلى الله تعالى.

﴿ٱسۡمُهُ﴾ مُبْتَدَأٌ، والضمير مُضافٌ إليه ويرجع إلى المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ولم يؤنّث الضمير لأنّ الكلمة غير مقصود بها.

﴿ٱلۡمَسِيحُ﴾ خبر، وهو معرّب مشيحا بالعِبْرانيّة في كتب العهدين ومعناه المبارك. وهذا لقب اعطاه الله تعالى ولذا قال تعالى حكاية عنه: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ﴾[2].

﴿عِيسَى﴾ بدل، وهو معرّب من أيشوع بالعبرانية ومعناه السيّد وفسروه بالمخلِص وهو المنجي وبعض الأخبار تفسيره بيعيش وهو أنسب من جهة تسمية ابن زكريا بيحيى على ما مرّ من المشابهة التامة بينهما.

﴿ٱبۡنُ﴾ نعت وصفة جعلت من الأسماء لأنّها تُمَيِّز تمييزها، أو المراد اسمه المميّز له.

﴿مَرۡيَمَ﴾ نسبه الله إلى أُمّه مريم للتأكيد على أنّه مخلوق من غير أب، ورداً على مَن يسمّيه ابن الله، ولأنّ الخطاب لها؛ سبحان الله وَتعالى عمّا يقول المشركون.

﴿وَجِيهٗا﴾ حال من كلمة، «الوجيه: الكريم على من يسأله لأنّه لايردّه لكرم وجهه عنده خلاف من يبذل وجهه للمسألة فيرد، يقال منه وجه الرجل يوجه وجاهة وله جاه عند النّاس، وجاهة: أي منزلة رفيعة»[3] أو أي الوَجاهَة هي المقبولية[1] الجاه:

---

١. سورة النساء / ١٧١.
٢. سورة مريم / ٣٠ و٣١.
٣. التبيان ٢/ ٤٦١.

مقلوب قلبت واوه من أوّله إلى موضع العين منه فقيل جاه وإنّما هو وجه. الوجيه: ذوالجاه والشرف والقدر.

﴿فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ حرف جر ومجروره، أي أنّه عليه السلام كان وجيهاً في دنياه بالنبوة وظهور المعجزات والكرامات على يديه.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ ويكون من وجهاء الآخرة بالشفاعة وعلو الدرجة في الجنة.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿مِنَ﴾ حرف جرّ.

﴿ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ مجروره. إلى ثواب الله وكرامته، لأنّه المراد من التقرب إلى الله تعالى.

وحقيقة التقرب: سبق الإنسان سائر أفراد نوعه في سلوك ٱلطَّرِيۡقِ الذي أمره الله تعالى به كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾[٢].

ويظهر منها: أنّ كلّ مَنْ يكون وجيهاً في الدنيا والآخرة يَكُوْنُ مِنَ المقرّبين وعكسه.

نعم، ربّما لم يكن أَحَدٌ من النّاس وجيهاً في الدنيا ولكن قَدْ يكون في الآخرة وجيهاً ومن المقربين.

الروايات

في معاني الأخبار بسنده عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: إنّ الله عز وجل عهد إلَيَّ في عليٍّ عهداً، قلتُ: يا ربّ بيّنه لي، قال: استمع، قلت: قد سمعتُ، قال: إنّ عليّاً رأية الهدى وإمام أوليائي ونور من أطاعني وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين[٣]، من أحبّه أحبّني ومن أطاعه أطاعني.[٤]

أقول: ونحوها في أمالي الطوسي[٥] ورواها أبونُعَيْمٍ الأصفهاني في حلية الأُولياء[٦] وتفصيل

---

١. الميزان ٣/ ١٩٥.
٢. سورة الواقعة / ١٠ و١١.
٣. اشارة إلى قوله تعالى في سورة الفتح / ٢٦ ﴿وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾.
٤. معاني الأخبار / ١٢٦.
٥. أمالي الطوسي، المجلس التاسع، ح٢٠/ ٢٤٥، رقم ٤٢٨.
٦. حلية الأُولياء ١/ ٦٦.

الرواية مذكورة في تأويل الآيات الظاهرة[١].

وفي قصص الأنبياء للراوندي، قال الباقر عليه السلام: إنّها بُشّرت بعيسى عليه السلام فبيناهي ذات يوم في المحراب إذ تمثّل لها الروح الأمين ﴿بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾[٢]، الحديث.[٣]

وفي الزِّيارة الثانية لأميرالمؤمنين عليه السلام في مصباح الزائر للسيّد علي بن طاووس: فأنت كلمة الله.[٤]

وفي زيارته الخامسة: السلام على نعمة الله الشاملة وكلمته الباقية.[٥]

وورد في زيارة الإمام الجواد عليه السلام: السلام عليك يا كلمة الله.[٦]

وورد في زيارة الإمام الهادي عليه السلام: وأشهد أنّكَ... والموهوب له كلمة الله.[٧]

وورد في الزِّيارَةِ الخامسة للإمام الحجة عجل الله فرجه: السلام على حجة المعبود وكلمة المحمود.[٨]

وَقَدْ عَقَدَ العلّامةُ المجلسي باباً في أنّ عليّاً عليه السلام كلمة الله في بحارالأنوار[٩]، وباباً آخَرَ في أنّهم عليهم السلام كلمات الله فيه[١٠] فراجعها.

---

١. تأويل الآيات الظاهرة ٢/ ٥٩٦، ح١٠.
٢. سورة مريم / (١٩-١٧).
٣. قصص الأنبياء ٢/ ١٤٢، ح٣٦٩.
٤. مصباح الزائر / ١٣٦.
٥. مصباح الزائر / ١٥٠.
٦. مصباح الزائر / ٣٩٥.
٧. مصباح الزائر / ٤٠٦.
٨. مصباح الزائر / ٤٤١.
٩. بحارالأنوار ٣٦/ ٥٦ (١٥/ ٣٢٠).
١٠. بحارالأنوار ٢٤/ ١٧٣ (١٠/ ٤٨٩).

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَ﴾ حرف عطف، عطف الآية الشريفة والجملة المذكورة بَعْدَها علىٰ ما قَبْلَها.

﴿يُكَلِّمُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضَمِيْرٌ مستتر يرجع إلى عيسى النبي﵇.

﴿ٱلنَّاسَ﴾ مفعول به. ﴿فِي﴾ حرف جرّ.

﴿ٱلْمَهْدِ﴾ مجروره، المهد: ما يمّهد للصبي من مضجعه في رضاعه سمّي بالمصدر ومنه التمهيد. وجملة ﴿يُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ﴾ في محلّ النصب على الحال عطفاً على ﴿وَجِيهًا﴾ في الآية السابقة ويعني مكلِّماً، ومراده من كلامه في المهد قوله تعالى حِكايَةً عَنْهُ﵇: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[١]. ومن الواضح أنّ هذا التكلّم في أَوَّلِ ولادَتِهِ يكون من آيات الله تعالى.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿كَهْلًا﴾ عطف على الجملة السابقة، أو على ﴿فِي ٱلْمَهْدِ﴾ وهو ظرف ومحله النصب. والكهل من الكهولة وهو ما بين الشباب والشيخوخة «وقيل: بلوغ أربع وثلاثين سنة... وأصل الباب العلو فالكهل لعلو سنّه أو لعلو منزلته»[٢].

قال شيخنا التستري: «وفي غريب ابن قتيبة[٣]: الكُهُول من الرجال هم الذين جازوا الثلاثين. قال المفسرون[٤]: ابن الثلاثين، وهو مأخوذ من قولهم: اكْتَهَلَ النبات إذا تمّ وقوي قبل أن يهيج، ثمّ لايزال الرجل كهلاً حتّى يبلغ خمسين ويشيخ وليس له حدّ...»[٥].

---

١. سورة مريم / (٣٣-٣٠).
٢. التبيان ٢/ ٤٦٣.
٣. غريب القرآن ١/ ٢٣١ و٢٣٢.
٤. معاني القرآن ١/ ٢١٣؛ تفسير الطبري ٦/ ٣٩٢؛ تفسير القرطبي ٤/ ٨٥.
٥. حواشي مصحف ١/ ١٧٤.

وفيها بشارة أُخرى لمريم بأنّه يعيش إلى الكهولة، وتكلمّه في الكهولة أيضاً يكون من آيات الله تعالى.

«والمعروف أنّه أُرسل إلى النّاس وهو ابن ثلاثين سنة ورُفع إلى السماء بعد ثلاث سنين وهذا ما تدل عليه الأناجيل المعروفة ولكن ذكر جمهور المفسرين أنّ تكليمه النّاس إنّما هو بعد نزوله من السماء فإنّه لم يمكث في الأرض ما يبلغ به سنّ الكهولة»[١].

وفي الآية الشريفة ردّ على النصارى من كون عيسى إلهاً لأنّه يوجد فيه التغيير والتقلب في الأحوال والعمر وهذا ينافي ٱلْأُلُوْهِيَّةَ.

ويظهر مِنْ مبلغ عمره «أنّه لم يبلغ سن الشيخوخة وإنّما ينتهي إلى سن الكهولة»[٢] ولذا أخذ في طرفي عمره الصباوة والكهولة.

وظهور الآية الشريفة أنّ التكلّمين كليهما من خوارق العادة ومن آيات الله تعالى والتكلّم في المهد يكون كذلك وأمّا التكلّم في سنّ الكهولة لايكون كذلك إلّا بعد واقعة مهمّة وهي رفعه إلى السماء ونزوله منه بعد ظهور الإمام المنتظر المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف الحجة الثاني‌عشر عليه السلام حيث تَحْكِي روايات الفريقين[٣] أنّه يَنْزِلُ بعد الظهور من السماء ويصلي خلفه في بيت المقدس.

وَمِنْ أَجْلِ ٱلوقوف علىٰ تَسْمِية مراحل عُمُرِ الإنسان راجع روح المعاني[٤] للسيّد الآلوسي.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿مِنَ﴾ حرف جر.

﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ مجروره في محلّ النصب حالٌ أُخرى من الكلمة في الآية السابقة. ويُعدّ منهم. «مادة «صلح» تستعمل في المطابقة مع الواقع المطلوب من الشيء فصلاح الإنسان مطابقة أعماله الجوانحية والجوارحيّة في مرضاة الله تعالى. وقد وقع

---

١. كما في الميزان ٣/ ١٩٦؛ ومواهب الرحمن ٥/ ٣٤٧.

٢. كما في الميزان ٣/ ١٩٦.

٣. راجع كتابي الأربعون حديثاً في من يَمْلَأُ الأرض قسطاً وعدلاً / ٧٧، ح٣٧؛ وفضائل الخمسة ٣/ ٤٠١.

٤. روح المعاني ٣/ ٢١٧.

هذا ٱلْوَصْفِ لجمع من أنبياء الله تعالى منهم إبراهيم﵇ قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾١.

وإسحاق ويعقوب: قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾٢.

ويحيى﵇: قال تعالى: ﴿وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾٣.

وقال تعالى في شأن جمع من الأنبياء ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾٤.

ولوط: قال تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾٥.

وإسماعيل وإدريس وذوالكفل: قال تعالى في شأنهم: ﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ * وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾٦.

وفي طلب سليمان الذي استجابه الله تعالى قال جلَّ شأنه حكاية عنه: ﴿وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾٧.

ويونس صاحب الحوت: قال تعالى في شأنه: ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾٨.

والآيات الشريفة ليست في مقام الحصر.

أوّلاً: لما ثبت في محلّه من أنّه لا مفهوم للوصف.

وثانياً: أنّ كلمة (من) في بعضها تدلّ على عموميّة الصفة من الموصوف.

وثالثاً: الأدلّة العقليّة والنقليّة الدالّة على أنّ أهل التقوى مطلقاً ولو لم يكونوا

---

١. سورة النحل / ١٢٢.
٢. سورة الأنبياء / ٧٢.
٣. سورة آل‌عمران / ٣٩.
٤. سورة الأنعام / ٨٥.
٥. سورة الأنبياء / ٧٥.
٦. سورة الأنبياء ٨٥ و٨٦.
٧. سورة النمل / ١٩.
٨. سورة القلم / ٥٠.

من الأنبياء هم من الصالحين»[١].

وَيَظْهَرُ ممّا ذكرنا أنّ قَوْلَ السيد نعمة الله الجزائري[٢] من أنّ درجة الصالحين فوق النبوة ومن ثَمَّ ختم بها الصفات كما لايخفى، عجيب بل في غاية ٱلْغَرَابَةِ.

الرواية

في حسنة أو صحيحة يزيد الكناسي قال: سألت أباجعفر: أكان عيسى بن مريم حين تكلّم في المهد حجة الله على أهل زمانه؟ فقال: كان يومئذ نبيّاً حجّة الله غير مرسَل أما تسمع لقوله حين قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَىٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[٣] قلت: فكان يومئذ حجّة لله على زكريّا في تلك الحال وهو في المهد؟ فقال: كان عيسى في تلك الحال آية للنّاس ورحمة من الله لمريم حين تكلّم فعبّر عنها وكان نبيّاً حجّة على من سمع كلامه في تلك الحال، ثمَّ صمت فلم يتكلّم حتّى مضت له سنتان وكان زكريّا الحجّه لله ﷻ على النّاس بعد صمت عيسى بسنتين ثمَّ مات زكريّا فورثه ابنه يحيى الكتاب والحكمة وهو صبيٌّ صغيرٌ أما تسمع لقوله ﷻ: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[٤].

فلمّا بلغ عيسى سبع سنين تكلّم بالنبوَّة والرسالة حين أوحى الله تعالى إليه، فكان عيسى الحجّة على يحيى وعلى النّاس أجمعين وليس تبقى الأرض يا أبا خالد يوماً واحداً بغير حجّة لله على النّاس منذ يوم خلق الله آدم وأسكنه الأرض، فقلت: جعلت فداك أكان عليٌّ حجّة من الله ورسوله على هذا الأُمّة في حياة رسول الله ﷺ؟ فقال: نعم، يوم أقامه للنّاس ونصبه علماً ودعاهم إلى ولايته وأمرهم بطاعته، قلت: وكانت طاعة عليّ واجبة على النّاس في حياه رسول الله ﷺ وبعد وفاته؟ فقال: نعم، ولكنّه صمت فلم يتكلّم مع رسول الله ﷺ وكانت الطاعة لرسول الله ﷺ

---

١. مواهب الرحمن ٥/ (٣٤٩-٣٤٧).
٢. عقود المرجان ١/ ٣١١.
٣. سورة مريم / ٣٠-٣١.
٤. سوره مريم / ١٢.

على أُمّته وعلى عليّ عليه السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وكانت الطاعة من الله ومن رسوله على النّاس كلّهم لعليّ عليه السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وكان عليٌّ عليه السلام حكيماً عالماً.[١]

ونحوها ماجاءَ في قصص الأنبياء[٢] للراوندي.

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ ﴿٤٧﴾

﴿قَالَتْ﴾ فعل ماض مؤنث، فاعله ضميرٌ مستترٌ يَرْجِعُ إلى مريم.

﴿رَبِّ﴾ منادىٰ، خاطبتْ ربَّها مع تَكْلِيْم الملائكة إياها لأنّها تعلم بِأَنَّهُمْ لَيْسُوْا إلّا وَسائِط وَهُمْ يحملون كلام الله إليها فقط، أو أنّ الجملة تكون على نحو ٱلِاسْتِغاثَةِ المعترضة في الكلام كقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾[٣]؛ ويظهر من هذا الخطاب غاية التذلّل والخضوع.

قال الزمخشري: «ومن بدع التفاسير أنّ قولها ﴿رَبِّ﴾ نداء لجبرئيل عليه السلام بمعنىٰ يا سيّدي»[٤].

﴿أَنَّىٰ﴾ مفعول فيه أو استفهام بمعنىٰ كيف أو تعجّب أو استبعاد عادِيٌّ من أنّها صارت ذات وَلَدٍ من دون زوج.

﴿يَكُونُ﴾ فعل مضارع. ﴿لِي﴾ جار ومجرور، خبر مقدّم لكان الناقصة.

﴿وَلَدٌ﴾ اسم كان. ﴿وَ﴾ حالية.

﴿لَمْ يَمْسَسْنِي﴾ فعل مضارع مجزوم بلم وَهُوَ حرف جزم، «ن» وقاية، «ي» مفعول به. المسّ والمسيس كناية ظاهرة عن الوطي.

﴿بَشَرٌ﴾ فاعله. ويطلق على الواحد والجمع والتنكير للعموم والجملة تفيد عموم

---

١. الكافي ٢/ ٢٧٩، ح١ (١/ ٣٨٢).
٢. قصص الأنبياء ٢/ ١٤٤، ح٦.
٣. سورة مؤمنون / ٩٩.
٤. الكشّاف ١/ ٣٦٤.

النفي لا نفي العموم.

قال الشيخ: «إن قيل: سألت مريم عن خَلْقِ الولد من غير مسيس مع أنها لاتنكر ذلك في مقدور الله تعالى؟ قلنا: فيه وجهان: أحدهما: أنها استفهمت أيكون ذلك، وهي على حالتها من غير بشر أم على مجري العادة من بشر، كما يقول القائل: كيف تبعث بفلان في هذا السفر، وليس معه ما يركبه معناه، لأنّه قوي أم هناك مركوب؟ الثاني: إنّ في البشرة: التعجب ممّا خرج عن المعتاد فتعجبت من عظم قدرة الله كما يقول القائل عند الآية يراها: ما أعظم الله، وكما يقول القائل لغيره: كيف تهب ضيعتك، وهي أجل شيءٍ لك. وليس يشك في هبته وإنّما يتعجب من جوده»[1].

﴿قَالَ﴾ فعل ماض، فاعله ضَمِيْرٌ مستتر يرجع إلى الملك المتكلّم مع مريم وهو إمّا جبرئيل أو الروح.

﴿كَذَٰلِكِ﴾ جار ومجرور، ويمكن أن يكون كلاماً تاماً تقدير الأمر كذلك ومعناه أنّ الأمر الذي بُشِّرْتِ به أمرٌ مقضي لا مردّ له ويدل عليه قوله تعالى في سورة مريم ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾[2]. يرفع به رفع اضطراب مريم وتردد نفسها.

﴿ٱللَّهُ﴾ مُبْتَدَأٌ.

﴿يَخْلُقُ﴾ فعل مضارع يدل على الاستمرار، فاعله ضَمِيْرٌ مستتر يرجع إلى الله تعالى، خبر.

﴿مَا﴾ مفعول به.

﴿يَشَآءُ﴾ فعل مضارع، فاعله ضَمِيْرٌ يرجع إلى الله تعالى، إلى هنا رفع به العجز الذي يوهمه التعجب.

﴿إِذَا﴾ مفعول فيه، لِلْقَضاءِ ٱلْآتي.

﴿قَضَىٰٓ﴾ فعل ماض، فاعله ضَمِيْرٌ مستتر يرجع إلى الله تعالى أي أراد.

﴿أَمْرًا﴾ مفعول به. يَعْنِي شيئاً. ﴿فَ﴾ حرف رابط.

---

١. التبيان ٢/ ٤٦٤.

٢. سورة مريم / ٢١.

﴿إِنَّمَا﴾ أَداةٌ كافّة أو مكفوفة، مركبة من «إنّ» المؤكدة التي بطل عملها و«ما» ٱلزّائِدَة الكافة.

﴿يَقُولُ﴾ فعل مضارع فاعله ضَمِيْرٌ مستتر يرجع إلى الله تعالى.

﴿لَهُۥ﴾ جار ومجرور. والضمير يرجع إلى الأمر.

﴿كُن﴾ فعل أمر. فاعله أنت يا أمر. ﴿فَ﴾ حرف عطف.

﴿يَكُونُ﴾ فعل مضارع، فاعله ضَمِيْرٌ مستتر يرجع إلى الأمر. نفي لتوهم العُسْر والصعوبة على الله تعالى عَنْ ذلك علواً كبيراً؛ وهو إمّا إخبار بسرعة حصول مراد الله تعالى في كلّ شيءٍ أراد أو كلمة جعلها الله علامة للملائكة فيما يريد إيجاده.

﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَ﴾ حرف عطف على ﴿يُبَشِّرُكِ﴾ أو ﴿وَجِيهًا﴾ في الآية ٤٥، أو كلام مبتدأ فيكون حرف استئناف.

﴿يُعَلِّمُهُ﴾ فعل مضارع، مفعول به يرجع إلى عيسى بن مريم عليه السلام. فاعِلُهُ ضَمِيْرٌ مستتر يرجع إلى الله تعالى. وَقُرِئَ بالنون نعلّمه.

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ مفعول به. و«ال» يدل على الجنس والمراد به جنس الكتب السماوية. ويكون من قبيل ذكر العام قبل الخاص أو المجمل قبل المفصّل إعلاماً بعظم شأن الكتاب السماوي الإلهي. أو العلم بكلّيّات أسرار القضاء والقدر الثابتة في علمه الأزلي، لا الكتابة باليد وَٱلْخَطِّ كما عليه جماعةٌ من مُفَسِّرِيْ العامة.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾ معطوف، «ال» يدل على الجنس، والمراد بها الحقائق التي تكون في العالَم والعلم بها ينفع الإنسان ٱعتقاداً وعملاً في دُنْياهُ أو عُقْباهُ.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ هي الكتاب المنزَل على موسى عليه السلام في الميقات وبالألواح، وأمّا التي هِيَ موجودة عند اليهود من الأسفار فهم معترفون بانقطاع اتصال السند مابين

بخت‌نصر من ملوك بابل وكورش من ملوك ايران غير أنّ القرآن يصدّق أنّ التوراة الموجودة بأيديهم في زمن الرسول الأعظمﷺ غير مخالفة للتوراة ٱلْأَصْلِيَّةِ بالكلّية وإن لعبت بها يد التحريف.[١]

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿ٱلْإِنجِيلَ﴾ وهو الكتاب المنزَّل على عيسىعليه السلام ولا يَشْتَمِلُ إلّا على بعض نواسخ التوراة كما تدل عليه الآية ٥٠ من هذه السورة (آل‌عمران) من قوله: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ وبعض الأحكام الإثباتية والاخلاقيّة ويدلّ عليه قوله تعالى ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾[٢].

وأمّا الأناجيل الأربعة المنسوبة إلى متى ومرقس ولوقا ويوحنا فهي من الكتب المولَّفة بعد عيسىعليه السلام.

وكلاهما (التوراة والإنجيل) مشتملان على البشارة بالنبي الخاتمﷺ لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾[٣].

ويظهر من كلمة ﴿عِندَهُمْ﴾ أنّ البشارة موجودة حتّى في الكتب الموجودة المحرّفة من هذين الكتابين السماويين.

الروايات

وفي خبر أبي‌الجارود زياد بن المنذر عن أبي‌جعفرعليه السلام قال: لما ولد عيسى بن مريمعليه السلام كان ابن يوم كأنّه ابن شهرين، فلمّا كان ابن سبعة أشهر أخذت والدته بيده وجاءت به إلى الكتّاب. وأقعدته بين يدي المؤدّب فقال له المؤدّب: قل: بسم الله الرّحمن الرّحيم، فقال عيسىعليه السلام: بسم الله الرّحمن الرّحيم، فقال له المؤدّب: قل: أبجد، فرفع عيسىعليه السلام رأسه فقال: هل تدري ما أبجد؟ فعلاه بالدَّرة ليضربه، فقال: يا

---

١. راجع الميزان ٣/ ١٩٧.
٢. سورة المائدة / ٤٧.
٣. سورة الأعراف / ١٥٧.

مؤدّب لاتضربني إن كنت تدري وإلّا فاسألني حتّى أفسّر لك، قال: فسِّره لي، فقال عيسى عليه السلام: الألف آلاء الله، والباء بهجة الله، والجيم جمال الله، والدّال دين الله. (هوّز) الهاء هول جهنّم، والواو ويلٌ لأهل النّار، والزّاي زفير جهنّم. «حطّي» حطّت الخطايا عن المستغفرين. «كلمن» كلام الله لا مبدّل لكلماته. «سعفص» صاع بصاع والجزاء بالجزاء. «قرشت» قرشهم جهنّم فحشرهم. فقال المؤدّب: أيّتها المرأة خذي بيد ابنك فقد علم ولا حاجة له في المؤدِّب.[1]

ورواها قطب‌الدين الراوندي في قصص الأنبياء[2]، القرش: الجمع من هاهنا وهاهنا، يُضَمُّ بعضُه إلى بعض، والرواية مضافاً إلى ضعف سندها، مُطابِقَةٌ لبعض روايات العامة كما قال الآلوسي: «وقد صح أنّه عليه السلام لما ترعرع ـ وفي رواية الضَّحّاك عن ابن‌عباس لما بلغ سبع سنين ـ أسلمته أُمّه إلى المعلّم لكن الروايات متظافرة أنّه جعل يسأل المعلم كلّما ذكر له شيئاً عما هو بمعزل عن أن ينبض فيه ببنت شفة»[3].وعلو مقام مريم عليها السلام وشأنها ينفيها ويردّها بوضوح.

وفي مجمع البيان: روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: أُوتيتُ القران ومثليه.

قالوا: أراد به السنن، وقيل: أراد بذلك جميع ما علّمه من أصول الدين. ومثليه: هما التوراة والإنجيل.

﴿وَرَسُولا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿رَسُولاً﴾ منصوب بجهة مفعولية المطلقة لفعل مقدَّر نحو: أرسله الله رسولاً

---

١. التوحيد / ٢٣٦، ح١؛ معاني الأخبار / ٤٥، ح١.
٢. قصص الأنبياء ٢/ ١٤٥، ح٧.
٣. روح المعاني ٣/ ٢٢٠.

أو نجعله رسولاً، أو معطوف على ﴿وَجِيهًا﴾ ويكون من الأحوال المتعددة.

﴿إِلَىٰ﴾ حرف جرّ.

﴿بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ مجروره، والآية الشريفة صريحة في أنّ رسالة عيسى بن مريم مختصة بقوم بني إسرائيل وهم أولاد يعقوب النبي عليه السلام، وَلَمْ تكُنْ دعوته عالَمِيَّةً ولا بَعْثَتُهُ إِلىٰ ٱلنّاس كافَّةً.

ولكن العلّامة الطباطبائي[1] قام بحلّ مشكلة ليس حلّها من وظائفنا وهي كيف عيسى النبي عليه السلام يُرْسَلُ رسولاً إلى بني إسرائيل فقط كموسىٰ النبي عليه السلام في حال كون المسيحية اليوم تدعي العالَمِيَة وكيف يكون الرسول إلى قوم خاصِّيْنَ من أنبياء أُولي العزم؟!

وفرّق قدس سره بين الرسول والنبي بأنّ الثاني يكون منصباً للبعث والتبليغ، والأوّل هو ٱلَّذي لَهُ السفارة الخاصة التي تستتبع الحكم والقضاء بالحقِّ بين النّاس، فلم يستلزم الرسالة إلى قوم خاصِّين البعثة إليهم ومن الممكن أن يكون رسولاً إلى قوم خاصِّين كبني إسرائيل ولكن بعثته ودعوته كانت عامة.

وتبعه الفقيه السيّدُ السبزواري[2].

أقول: وفيه: الفرق بين النبي والرسول واضح في علم الكلام والثاني أعلى رتبةً ومقاماً من الأوّل ولكن في بيانه يكون عكساً هذا أوّلاً.

وثانياً: ما الدليل على أنّ أُولي العزم من الرسل يبعثون إلى كافة النّاس؟ لا إلى بعضهم، والآية في سورة البقرة[3] لا تدل على ذلك.

﴿أَنِّي﴾ إنّ من ٱلْحُرُوْفِ ٱلْمُشَبَّهَةِ بالفعل والضمير اسمه يرجع إلى عيسى النبي عليه السلام وبذلك يكونُ القولُ لَهُ.

﴿قَدۡ﴾ حرف تحقيق.

﴿جِئۡتُكُم﴾ فعل ماض وفاعله ومفعوله، مجموعه مع حرف تحقيقه يكون خبراً

---

١. الميزان ٣/ ١٩٨.
٢. مواهب الرحمن ٥/ ٣٥٤.
٣. سورة البقرة / ٢١٣.

لأنّ.

﴿بِـَٔايَةٍ﴾ جار ومجرور متعلِّق بفعل جئت، وتنوينه يدل على التفخيم والمراد بها نوع الآية لا العدد.

﴿مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه وهو ضميره الراجع إلى بني إسرائيل، ومجيء الرسول بالآية أي بالحجة والبرهان والمعجزة.

﴿أَنِّيٓ﴾ من ٱلْحُرُوْفِ ٱلْمُشَبَّهَةِ بالفعل والضمير اسمه.

﴿أَخۡلُقُ﴾ فعل مضارع وفاعله أنا مستتر يرجع إلى عيسى عليه السلام وٱلْخَلْقُ: هو الإيجاد سواء بلا مادة كخلق الروح أو معها كخلق الطير من الطين.

﴿لَكُم﴾ جار ومجرور. ﴿مِّنَ﴾ حرف جر.

﴿ٱلطِّينِ﴾ مجرور. والطين معروف. وجملة ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ﴾ بدل من الآية المذكورة ﴿بِـَٔايَةٍ﴾ أو خبر عن مُبْتَدَأٍ محذوف تقديره هو أنّي أخلق لكم.

﴿كَهَيۡـَٔةِ﴾ جار ومجرور. الهيئة: الشكل والصورة الخارجية.

﴿ٱلطَّيۡرِ﴾ مضاف إليه. الطير معروف جمع الطائر ولم يسمه من أيٍّ نوع ولكن عينّه الطبرسي بالخفاش وقال: «وفي التفسير أنّه صنع من الطين كهيئة الخفاش»[1].

﴿فَ﴾ حرف عطف.

﴿أَنفُخُ﴾ فعل مضارع فاعله أنا مستتر يرجع إلى عيسى عليه السلام، أي أنفخ فيه الروح، قال الشيخ: «وهو غير الحياة»[2]. ولكن الظاهر أنّه هو الحياة.

﴿فِيهِ﴾ جار ومجرور. ﴿فَ﴾ حرف عطف.

﴿يَكُونُ﴾ فعل مضارع واسمه ضمير مستتر. ﴿طَيۡرَۢا﴾ خبر كان.

﴿بِإِذۡنِ﴾ جار ومجرور.

﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. تصريح بأنّ الحياة هِيَ فعل الله تعالى فقط ولاتتحقّق إلّا بإذن الله تعالى. وصدور هذا الإعجاز من نبيّه هو بإذنه تعالى ورخصته.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

---

١. مجمع البيان ٢/ ٤٤٥.
٢. التبيان ٢/ ٤٦٨.

﴿أُبۡرِئُ﴾ فعل مضارع فاعله أنا مستتر. البُرْءُ: هو الشفاء والعافية. نسب إلى عيسى عليه السلام لأنّه المباشر في ذلك والسبب في ظهور المعجزة على يديه أو أنّه مجاز في الإسناد.

﴿ٱلۡأَكۡمَهَ﴾ مفعول به، هو الذي يُولد أَعْمىٰ، أو الأعمىٰ. وَٱلْكَمَهُ عند العرب ٱلْعَمىٰ.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿ٱلۡأَبۡرَصَ﴾ معطوف، البَرَص: مرض معروف جلدي تظهر فيه لمع بياض، والأبرص: هو الذي به داء البرص. ويقال للقمر أبرص لبياضه.

قال في مواهب الرحمن: «وإنّما خصّهما تعالى بالذكر لأنّهما داءان معضلان أعيىٰ الأطباء علاجهما ولم يتوصّلوا لحدّ الآن في إبرائهما وزوالهما مع تقدّم الطب وحذاقة الأطباء وكثرة جهودهم الكبيرة المتواصلة على علاجهما، أو لأنّ هذين المرضين معروفان يشاهدهما كلّ أحد فإذا برىٰ المريض بدعاء المسيح وبركته لايسع لأحد إنكاره فيكون أتمّ في الاحتجاج»[1].

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿أُحۡيِ﴾ فعل مضارع فاعله أنا مستتر، والكلام فيه الكلام في ﴿أُبۡرِئُ﴾.

﴿ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ مفعول به، جمع ميت والإتيان بالجمع يدلّ على التعدد والكثرة. «رُوي أنّه أحيا سام بن نوح وهم ينظرون»[2].

وفي تفسير الثعلبي: «قيل أحيا أربعة أنفس: عازر وكان صدّيقاً فأرسل أخته إلى عيسى أنّ أخاك عازر يموت فأته وكان بينه وبين داره ثلاثة أيّام فأتاه هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيّام، فقال لأخته: انطلقي بنا إلى قبره، فانطلقت معهم إلى قبره وهو في صخرة مطبقة؛ فقال عيسى: اللهم ربّ السموات السّبع والأرضين السّبع، إنّك أرسلتني إلى بني إسرائيل أدعوهم إلى دينك وأُخبرهم أنّي أُحيي الموتى بإذنك فأحيي عازر. قال: فقام عازر وودكه تقطر، فخرج من قبره وبقي وولد له.

---

١. مواهب الرحمن ٥/ ٣٥٦.
٢. الكشّاف ١/ ٣٦٥.

وابن العجوز مُرّ به ميّتاً على عيسى عليه السلام على سرير يحمل فدعا الله عيسى عليه السلام فجلس على سريره ونُزّل عن أعناق الرجال ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله فبقي وولد له.

والبنت العاقر قيل له: أتُحييها وقد ماتت أمس؟ فدعا الله فعاشت فبقيت وولد لها.

وسام بن نوح دعا عيسى عليه السلام بِاسْمِ الله الأعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه. فقال: قد قامت القيامة؟ قال: لا ولكني دعوتك بِاسْمِ الله الأعظم. قال: ولم يكونوا يشيبون في ذلك الزّمان. وكان سام قد عاش خمسمائة سنة وهو شاب، ثمّ قال: مُت. فقال: بشرط أن يعيذني الله من سكرات الموت. فدعا الله عز وجل ففعل.

قال الكلبي: كان عيسى عليه السلام يحيي الأموات بـ: يا حيّ يا قيّوم.»[1].

﴿بِإِذۡنِ﴾ جار ومجرور.

﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه يرجع إلى الثلاثة الأخيرة لأنّ الشفاءَ والإحياءَ هما فعل الله تعالى فقط، حَصَلا لِعِيْسىٰ عليه السلام عَلىٰ سبيلِ ٱلْإِعْجازِ وبإذن من الله تعالى.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿أُنَبِّئُكُم﴾ فعل مضارع، فاعله أنا مستتر، «كم» ضمير يرجع إلى قومه بني إسرائيل ومفعول به أي أخبركم وأعلمكم وهو أخبار بالمغيبات.

﴿بِمَا﴾ جار ومجرور، ما يحتمل أن تكون موصولة. ويحتمل أن تكون مع ما بعدها بمنزلة المصدر أي أكلكم قال الشيخ: «الأوّل أجود»[2].

﴿تَأۡكُلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعل.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿مَا﴾ معطوف.

﴿تَدَّخِرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعل. الإذخار: الافتعال من الذُخر وهو خبء الشيء لتأتيه وأُبدلت الدّال من الذال في تدخرون لتعديل الحروف أو بوجهين الجهر

---

١. الكشف والبيان ٣/ ٧٢؛ ونحوها في روض الجنان ٤/ ٣٣٢.
٢. التبيان ٢/ ٤٦٩.

واختلاف المخرج لأنّ الدال موافقة لِلتّاءِ بالمخرج والدال بالجهر.[١]

﴿فِي﴾ حرف جر.

﴿بُيُوتِكُمْ﴾ مجروره و«كم» مضاف إليه يرجع إلى قوم عيسى النبي عليه السلام وهم بنوإسرائيل، جار ومجروره يتعلَّق بفعل تدّخرون.

﴿إِنَّ﴾ حرف مشبهة بالفعل. ﴿فِي﴾ حرف جر.

﴿ذَٰلِكَ﴾ مجروره، جار ومجرور مجموعه خبر إنّ، اشارة إلى المعاجز ٱلْأَرْبَعِ المذكورة.

﴿لَآيَةً﴾ اللام المُزَحْلَقَة[٢]، وآية اسم إنّ. ﴿لَّكُمْ﴾ جار ومجرور.

﴿إِن﴾ حرف شرط. ﴿كُنتُم﴾ فعل ماضي، والضمير اسم كان.

﴿مُّؤْمِنِينَ﴾ خبره. بالله تعالى إذ كان لايصح العلم بمدلول المعجزة إلّا لمن آمن بالله لأنّ العلم بالمرسِل قبل العلم بالرسول. وبنوإسرائيل يدعون أنّهم مؤمنون بالله تعالى.

فيقول المسيح عليه السلام لهم: بأنّكم إن كنتم مؤمنين بالله تعالى فهذه المعاجز تدلّ على أنّي رسول الله إليكم فآمنوا بي وبرسالتي.

أو مصدّقين بالمعاجز فيكون الإيمان ناشِئاً منها.

الروايات

خبر عبدالله بن سُليم العامري عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: إنّ عيسى بن مريم جاء إلى قبر يحيى بن زكريا عليه السلام وكان سأل ربّه أن يحييه له فدعاه فأجابه وخرج إليه من القبر فقال له: ما تريد منّي؟ فقال له: أُريد أن تؤنسني كما كنت في الدُّنيا فقال له: يا عيسى ما سكنت عنّي حرارة الموت[٣] وأنت تريد أن تعيدني إلى الدُّنيا وتعود عليَّ حرارة

---

١. راجع التبيان ٢/ ٤٦٩.

٢. اللام المُزَحْلَقَة: هي لام الابتداء أصلاً ولكنّها تَزَحْلَقَتْ بعد إنّ المكسورة عن صدر الجملة كراهية ابتداء الكلام بموكِّدين فسُمِّيت بذلك وهي حرف للتوكيد مبنيٌّ على الفتح لا محلّ له من الأعراب. موسوعة النحو والصرف والإعراب/ ٥٦٠.

٣. في بعض النسخ [مرارة الموت].

الموت، فتركه فعاد[١] إلى قبره.[٢]

أقول: ولكن في بعض الروايات أنّه كان حيّاً في زمن رفع عيسى عليه السلام وبعد رفعه بسنين قتل اليهود يحيى بن زكريا عليه السلام.[٣]

معتبرة أبان بن تغلب وغيره عن أبي‌عبدالله عليه السلام أنّه سئل هل كان عيسى بن مريم أحيى أحداً بعد موته حتّى كان له أكلٌ ورزقٌ ومدَّةٌ وولدٌ؟ فقال: نعم، إنّه كان له صديق مواخ له في الله تبارك وتعالى وكان عيسى عليه السلام يمرُّ به وينزل عليه وإنَّ عيسى غاب عنه حيناً ثمَّ مَرَّ به ليسلّم عليه فخرجت إليه أُمّه فسألها عنه، فقالت: مات يا رسول الله، فقال: أفتحبّين أن تراه؟ قالت: نعم، فقال لها: فإذا كان غداً [فـ]آتيك حتّىٰ أُحييه لك بإذن الله تبارك وتعالي فلمّا كان من الغد أتاها فقال لها: انطلقي معي إلى قبره، فانطلقا حتّى أتيا قبره فوقف عليه عيسى عليه السلام ثمّ دعا الله عزّ وجلّ فانفرج القبرُ وخرج ابنها حيّاً، فلمّا رأتْهُ أُمُّهُ ورَآها بكيا، فَرَحِمَهُما عيسى عليه السلام فقال له عيسى: أتحبُّ أن تبقي مع أُمّك في الدُّنيا؟ فقال: يا نبيَّ الله بأكل ورزق ومدَّة أم بغير أكل ولا رزق ولا مدَّة؟ فقال له عيسى عليه السلام: بأكل ورزق ومدَّة وتُعَمَّرُ عشرين سنةً وتزوَّجُ ويولَدُ لك؟ قال: نعم إذاً، قال: فدفعه عيسى إلى أُمّه فعاش عشرين سنة وتزوَّج ووُلِدَ له.[٤]

الرواية معتبرة الإسناد على القول باعتبار أبي‌جميلة وهو مفضل بن صالح ورواها العياشي في تفسيره مرسلاً[٥].

وفي صحيحة أبي‌بصير قال: دخلت على أبي‌جعفر عليه السلام فقلت له: أنتم ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم، قلت: رسول الله صلى الله عليه وآله وارث الأنبياء، عَلِمَ كلّما علموا؟ قال لي: نعم، قلت: فأنتم تقدرون على أن تحيوا الموتى وتبرؤا الأكمه والأبرص؟ قال: نعم بإذن الله، ثمّ قال لي: أُدْن منّي يا أبامحمّد فدنوت منه فمسح على وجهي وعلى عيني

---

١. في بعض النسخ [وعاد].
٢. الكافي ٥/ ٦٤٠، ح٣٧ (٣/ ٢٦٠).
٣. كمال الدين / ٢٢٦.
٤. الكافي ١٥/ ٧٤٨، ح٥٣٢ (٨/ ٣٣٧).
٥. تفسير العياشي ١/ ٣٠٨، ح٥١.

فأبصرت الشمس والسّماء والأرض والبيوت وكلَّ شيءٍ في البلد[١] ثمّ قال لي: أتحبَّ أن تكون هكذا ولك ماللنّاس وعليك ما عليهم يوم القيامة أو تعود كما كنت ولك الجنّة خالصاً؟ قلت: أعود كما كنتُ، فمسح على عيني فعدتُ كما كنتُ.

قال: فحدّثت[٢] ابن أبي‌عمير بهذا، فقال أشهد أنَّ هذا حقٌّ كما أنَّ النّهار حقٌّ.[٣]

وفي مرسلة ومرفوعة محمّد بن أبي‌عمير عمّن ذكره رفعه قال: إنّ أصحاب عيسى عليه السلام سألوه أن يُحيي لهم ميتاً، قال: فأتىٰ بهم إلى قبر سام بن نوح، فقال له: قُم بإذن الله يا سام بن نوح. قال: فانشقَّ القبر، ثمّ أعاد الكلام فتحرَّك، ثمّ أعاد الكلام فخرج سام بن نوح.

فقال له عيسى عليه السلام: أيُّهما أحبُّ إليك، تبقى أو تعود؟ قال: فقال: يا روح الله، بل أعود، إنّي لأجد حُرْقة الموت ـ أو قال: لَذْعَة الموت ـ في جوفي إلى يومي هذا.[٤]

ونحوها في قصص الأنبياء[٥].

وفي مرسلة الهذلي عن رجل قال: مكث عيسى عليه السلام حتّى بلغ سبع سنين، أو ثمان سنين، فجعل يُخْبِرهم بما يأكُلُون وما يَدَّخِرون في بيوتهم، فأقام بين أظهرهم يُحيي الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص، ويُعَلِّمهم التوراة، وأنزل الله عليه الإنجيل، لما أراد الله عليهم حُجَّة.[٦]

وفي رواية مجلس الرضا عليه السلام مع أهل الأديان وأصحاب المقالات:... قال الرضا عليه السلام: لقد اجتمعت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسألوه أن يحيي لهم موتاهم، فوجّه معهم علي بن أبي‌طالب عليه السلام فقال له: اذهب إلى الجبّانة فناد بأسماء هؤلاء الرّهط الّذين يسألون عنهم بأعلىٰ صوتك يا فلان ويا فلان ويا فلان يقول لكم محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله:

---

١. في بعض النسخ [في الدار].
٢. فاعله علي بن الحكم الضرير المذكور في السند وهو الذي يروي عن أبي‌بصير بواسطة مثنّىٰ الحناط هذه الصحيحة.
٣. الكافي ٢/ ٥٢٣، ح٣ (١/ ٤٧٠).
٤. تفسير العياشي ١/ ٣٠٨، ح٥٠؛ بحارالأنوار ١٤/ ٢٣٣، ح٢.
٥. قصص الأنبياء ٢/ ١٤٨، ح٩.
٦. تفسير العياشي ١/ ٣٠٨، ح٤٩؛ بحارالأنوار ١٤/ ٢٣٣، ح١.

قوموا بإذن الله ﷻ، فقاموا ينفضون التّراب عن رؤوسهم، فأقبلت قريش تسألهم عن أُمورهم، ثمّ أخبروهم أنّ محمّداً قد بعث نبيّاً، وقالوا: وددنا أنا أدركناه فنؤمن به ولقد أبرأ الأكمه والأبرص والمجانين وكلّمه البهائم والطير والجنّ والشّياطين ولم نتّخذه رباً من دون الله ﷻ، الحديث.[١]

وفي خبر أحمد بن عامر الطائي عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: كان علي بن أبي‌طالب عليه السلام بالكوفة في الجامع إذ قام إليه رجلٌ من أهل الشام فسأله عن مسائل فكان فيما سأله أن قال له: أخبرني عن ستّة لم يركضوا في رحم؟ فقال: آدم، وحواء، وكبش إبراهيم، وعصا موسى، وناقة صالح، والخفاش الّذي عمله عيسى بن مريم فطار بإذن الله ﷻ.[٢]

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ ﴿٥٠﴾

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿مُصَدِّقًا﴾ عطف على ﴿رَسُولاً﴾ في الآية السابقة؛ أو منصوب بإضمار فعل دلّ عليه، قد جئتكم أي وقد جئتكم مصدّقاً؛ أو عطف على قوله ﴿لَآيَةً﴾، أي جئتكم حال كوني مصدّقاً.

والتصديق لايكون إلّا فيما تبرهن عند صاحبه ولكن التقليد قد يكون فيما لايتبرهن.

﴿لِّمَا﴾ جار ومجرور. ﴿بَيْنَ﴾ ظرف منصوب، مفعول فيه.

﴿يَدَيَّ﴾ مضاف إليه والضمير أيضاً يضاف إليه، أي: أنزل قبلي وما أنزل فيه من البشارة بي وَبالْأَنْبياءِ قبلي.

---

١. التوحيد / ٤٢٣.
٢. الخصال ١/ ٣٢٢، ح٨.

﴿مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾ جار ومجرور. وتصديقه للتوراة التي بين يديه إنّما هو تصديق لما علّمه الله تعالى من التوراة كما في الآية ٤٨ من هذه السورة، هو التوراة الأصلية النازلة على موسى عليه السلام، فلا دلالة في تصديقه على كونها غير محرّفة في زمن عيسى عليه السلام كما في الميزان[1].

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿لِ﴾ حرف نصب.

﴿أُحِلَّ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله «أنا» مستتر، والإحلال هو الاطلاق في الفعل. أي جئتكم لأُحِلّ بعض ما حرّم في شريعة موسى عليه السلام لأنّ الله تعالى حرّم على قوم موسى عليه السلام بعض الطيبات لظلمهم كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ﴾[2].

عيسى النبي عليه السلام بشهادة هذه الآية حلّل بعض ٱلۡمُحَرَّمَاتِ الواردة في التوراة ونسخها.

﴿لَكُم﴾ جار ومجرور أي لبني إسرائيل. ﴿بَعۡضَ﴾ مفعول به.

﴿ٱلَّذِي﴾ مضاف إليه. ﴿حُرِّمَ﴾ فعل ماض، فاعله ضمير مستتر يرجع إلى الله تعالى.

﴿عَلَيۡكُمۡ﴾ جار ومجرور، أي عيسى حلّل لهم بعض محرمات شريعة موسى عليه السلام نحو: لحوم الإبل، والثروب ـ وهي الشحوم الرقيقة التي تغشي الكرش والأمعاء ـ والشحوم وبعض الطيور ممّا لا صِيْصِيّة له ـ الصِيْصِيّة شوكة كالتي في رجل الديك ـ وبعض الحيتان والأسماك، ولكن اختلفوا في إحلاله لهم السبت.

﴿وَجِئۡتُكُم﴾ واو حرف عطف، وجئتكم فعل ماض وفاعله ومفعوله.

﴿بِـَٔايَةٖ﴾ تأكيد لما سبق وتثبيت للحجة وتمهيد لما سيأتي في قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

﴿مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، أي كلّ ما أتى به عيسى عليه السلام إنّما هو من عندالله تعالى دفعاً للغلو فيه.

---

١. الميزان ٣/ ٢٠١.
٢. سورة النساء / ١٦٠.

﴿فَٱتَّقُواْ﴾ حرف عطف وفعل أمر وفاعله.

﴿ٱللَّهَ﴾ مفعول به، وهذه ـ تقوى الله ـ هي دعوة جميع الأنبياء والمرسلين.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿أَطِيعُونِ﴾ فعل أمر وفاعله ونون الوقاية ومفعول به وهو الضميرُ الياء المحذوف، وإطاعة عيسى النبي﵇ معطوفَةٌ على تقوى الله تعالى وَهِيَ من مراتبها.

الرواية

في صحيحة محمّد الحلبي عن أبي عبدالله﵇ قال: كان بين داود وعيسي﵉ أربعمائة سنة وثمانون سنة، وأُنزل على عيسى في الإنجيل مواعظ وأمثالٌ وحدودٌ، وليس فيها قصاصٌ ولا أحكام حدود ولا فرض مواريث، وأُنزل عليه تخفيف ما كان نزل على موسى﵇ أنّه قال لبني إسرائيل: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ﴾ وأمر عيسى﵇ من معه ممّن تبعه من المؤمنين أن يؤمنوا بشريعة التوارة وشرايع جميع النبيّين والإنجيل.

قال: ومكث عيسى﵇ حتّى بلغ سبع سنين أو ثمانياً، فجعل يخبرهم بما يأكلون وما يدّخرون في بيوتهم، فأقام بين أظهرهم يحيي الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص، ويعلّمهم التوراة، وأنزل الله تعالى عليه الإنجيل لمّا أراد أن يتّخذ عليهم حجّة.

وكان يبعث إلى الروم رجلاً لايداوي أحداً إلّا برئ من مرضه، ويبرئ الأكمه والأبرص، حتّى ذكر ذلك لملكهم، فأُدخل عليه، فقال: أتبرئ الأكمه والأبرص؟ قال: نعم، قال: فأتى بغلام منخسف الحدقة لم ير شيئاً قطّ، فأخذ بندقتين فبندقهما، ثمّ جعلهما في عينيه ودعا فإذا هو بصير، فأقعده الملك معه وقال: كن معي ولاتخرج من مصري، وأنزله معه بأفضل المنازل.

ثمّ إنّ المسيح﵇ بعث آخر وعلّمه ما به يحيي الموتى، فدخل الروم وقال: أنا أعلم من طبيب الملك، فقالوا للملك ذلك، قال: اقتلوه، فقال الطبيب: لاتقتله أدخله، فإن عرفت خطأه قتلته ولك الحجّة، فأُدخل عليه، فقال: أنا أُحيي الموتى، فركب الملك والنّاس إلى قبر ابن الملك مات في تلك الأيّام، فدعا رسول المسيح﵇ وأمّن طبيب الملك الذي هو رسول المسيح﵇ أيضاً الأوّل، فانشقّ القبر فخرج ابن الملك، ثمّ جاء

يمشي حتّى جلس في حجر أبيه، فقال: يا بنيّ، من أحياك؟

قال: فنظر فقال: هذا وهذا، فقاما فقالا: إنّا رسولا المسيح عليه السلام إليك، وإنّك كنت لاتسمع من رسله إنّما تأمر بقتلهم إذا أتوك فتابع، وأعظموا أمر المسيح عليه السلام حتّى قال فيه أعداء الله ما قالوا، واليهود يكذّبونه ويريدون قتله.[1]

رواها العياشي مرسلاً ومختصراً في تفسيره[2].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۗ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ۝٥١﴾

﴿إِنَّ﴾ حرف مشبهة بالفعل وكلام مستأنف. ﴿ٱللَّهَ﴾ اسمه.

﴿رَبِّي﴾ خبره والضمير مُضافٌ إليه. تصريح بعبودية عيسى عليه السلام وَبِنَفْيِ الغلو والحلول والتثليث.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿رَبُّكُمۡ﴾ معطوف والضمير مُضافٌ إليه؛ واشتراك بين عيسى عليه السلام وبني إسرائيل في العبودية لله تعالى، اشارة إلى اعتقاد الحقّ.

﴿فَ﴾ حرف ربط.

﴿ٱعۡبُدُوهُ﴾ فعل أمر وفاعله ومفعوله. وإذا كان الله هو الربّ فَلابُدَّ للنبي عيسى عليه السلام وَأُمَّتِهِ من بني إسرائيل، وعبادته وإطاعته في جميع الأُمور اشارة إلى العمل.

﴿هَٰذَا﴾ مبتدأ، إشارة إلى العلم بِرُبُوْبِيَّةِ الله تعالى لهم وعبادته وإطاعته، أي لأَجمع بين الاعتقاد والعمل.

﴿صِرَٰطٞ﴾ خبر، أي الطريق.

﴿مُّسۡتَقِيمٞ﴾ نعت، أي الذي لا أعوجاج فيه، والصراط المستقيم هو العلم والإيمان بالربوبية وعِبادَةُ الربّ تَعالىٰ وإطاعته في جميع الأحوال والأُمور وهو دين الله الحَقِّ تباركَ وَتعالى.

---

١. قصص الأنبياء ٢/ ١٤٦، ح٨ للراوندي؛ بحارالأنوار ١٤/ ٢٥١، ح٤٣.
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٠٩، ح٥٢.

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾

بعد ما ذكره الله تعالى إلى هنا من قصة عيسى عليه السلام شرع في هذه الآية وما بعدها ببيان ما آل إليه أمره وما جرى بينه وبين قومه بني إسرائيل من عنادٍ وكفرٍ.

﴿فَ﴾ استئناف. ﴿لَمَّآ﴾ مفعول فيه.

﴿أَحَسَّ﴾ فعل ماضٍ من الإحساس، وهو الإدراك بالحسّ في مقابل الإدراك بالعقل، أي إِذْ عَلِمَ عيسى منهم الكفر بِحَواسِّهِ، أي ظهر منهم الكفر بحيث أحسّه عيسى منهم.

﴿عِيسَىٰ﴾ النبي عليه السلام فاعله.

﴿مِنۡهُمُ﴾ جار ومجرور والضمير يرجع إلى قومه بني إسرائيل، متعلَّق بِفِعْلِ أحسّ.

﴿ٱلۡكُفۡرَ﴾ مفعول به وهُوَ رجوعهم عَنِ الإيمان.

﴿قَالَ﴾ فعل ماض فاعله ضَمِيْرٌ مستتر يرجع إلى عيسى عليه السلام. ﴿مَنۡ﴾ مُبْتَدَأٌ.

﴿أَنصَارِيٓ﴾ خبره والضمير مُضافٌ إليه ويرجع إلى عيسى عليه السلام. الأنصار: جمع نصير على وزان فعيل بمعنى فاعل وهو بمعنىٰ العون، مثل شريف وأشراف وشهيد وأشهاد. وأضاف الأنصار إلى نفسه لبيان أن نصرة الرسول نصرة الله.

﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ جار ومجرور. قال الزمخشري: «من صلة أنصارى مضمناً معنى الإضافة، كأنّه قيل: مَنْ الذين يضيفون أنفسهم إلى الله ينصروننني كما ينصرني، أو يتعلَّق بمحذوف حالاً مَنْ الياء، أي من أنصارى ذاهباً إلى الله ملتجئاً إليه»[1].

وهذا القيد ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ يوجب التحريض والتشويق إلى لقاء الله تعالى، نحو قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾[2]، والآية الواردة في سورة الصف تَرْفَعُ

---

١. الكشّاف ١/ ٣٦٦.

٢. سورة البقرة / ٢٤٥.

الإجمال عن هذه الآية ـ على فرض إجمالها ـ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾[1].

﴿قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ﴾ فعل وفاعل، الحواريون جمع الحواري وأصل المادة يَدُلُّ على البياض والتخلّص من كلّ عيب أو لأنّهم كانوا قصّارين يُبَيِّضُوْنَ الثيابَ، أو نقاء قلوبهم وخلوصهم في أنفسهم والأخير أَوْلىٰ.

وهم الذين أرسلهم عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل للوعظ والإرشاد. وكانوا مبلِّغين شريعته ودينه. وفي عددهم خلاف، وَالمشهور علىٰ أنّهم ٱثْناعَشَرَ، وقيل: سبعون.

وظهر ممّا ذكرنا من وجه تسميتهم وفعلهم أنّ الحواري أخصُّ من الصاحب ولم يستعمل في القرآن الكريم هذا اللفظ إلّا بالنسبة إلى خواصّ عيسى عليه السلام.

﴿نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ مبتدأ وخبر ومضاف إليه أي نحن الذين نَسْتَجِيْبُ لِدَعْوَتِكَ، ونكون من أنصار نبي الله ودينه.

﴿ءَامَنَّا﴾ فعل ماض وفاعله، إقرار بإيمانهم من قبل. والإيمان مقول بالتشكيك ويمكن بلوغهم إلى المراتب العالية منه بصيرورتهم أَنْصارَ اللهِ فيكون تفسيراً لأنصار الله، أو لاأقل أنّه مِنْ لوازمه.

﴿بِٱللَّهِ﴾ جار ومجرور، متعلِّق بآمنّا. ﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿ٱشۡهَدۡ﴾ فعل أمر فاعله أنت. طلبوا من عيسى الشهادة على إيمانهم الظاهر في أقوالهم وجوارحهم وأعمالهم وتبليغهم لأنّ الرسل يوم القيامة يشهدون لقومهم وعليهم. ونفس طلب الشهادة من رسول الله يدلّ على ٱلْمُراتِبِ العالية من الإيمان.

وفي تفسير الثعالبي: «ويحتمل أن يكون خطاباً لله تعالى كقوله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع: «اللهم أشهدْ»»[2].

---

١. سورة الصف / ١٤.
٢. تفسير الثعالبي ٢/ ٥٠.

﴿بِ﴾ حرف جرّ زائد. ﴿أَنَّا﴾ حَرْفٌ مُشَبَّهٌ بالفعل والضمير اسمه.

﴿مُسْلِمُونَ﴾ خبره. لله تعالى ولنبيّه. ومنه يَظْهَرُ أنّ الإسلام هو الدين الوحيد لجميع أنبياء الله تعالى بل هو أساس جميع الأديان الإلٰهية، كما نقل عن الحواريين في سورة المائدة الآية ١١١، وَما جاءَ مِنْ دُعاءِ إِبْراهِيْمَ وإسماعيل في سورة البقرة ١٢٨، ونفي اليهودية وَٱلنَّصْرانِيَّة عن إبراهيم في سورة آل‌عمران الآية ٦٧.

قال الشيخ: «في الآية حجة على من زعم أنّ المسيح والذين آمنوا به كانوا نَصارىٰ فبيّن الله تعالى أنّهم كانوا مسلمين كما بيّن ذلك في قصة إبراهيم عليه السلام...»[١].

الروايات

وفي تفسير القمي:رُوي عن ابن أبي‌عمير عن رجل عن أبي‌عبدالله عليه السلام في قوله: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾ أي لمّا سمع وراى أنّهم يكفرون.[٢]

وفي معتبرة علي بن فضال قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: لم سمّي الحواريون الحواريين؟ قال: أمّا عند النّاس فإنّهم سمّوا حواريين لأنّهم كانوا قصارين يخلصون الثياب من الوسخ بالغَسْل ـ وهو اسم مشتق من الخبز الحوّار ـ وأمّا عندنا فسُمّي الحواريون الحواريين لأنّهم كانوا مخلصين في أنفسهم ومخلصين لغيرهم من اوساخ الذنوب بالوعظ والتذكير.

قال: فقلت له: فلم سمّي النصاري نصاري؟ قال: لأنّهم من قرية اسمها ناصرة من بلاد الشام نزلتها مريم وعيسى عليهما السلام بعد رجوعهما من مصر.[٣]

الخبز الحُوّارَي: الخبز الذي يصنع من الدقيق الأبيض وهو لبابه.

وفي رواية ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع أهل الأديان:... قال الجاثليق: أخبرني عن حواري عيسى بن مريم كم كان عِدّتهم؟ وعن علماء الإنجيل كم كانوا؟ قال الرضا عليه السلام: على الخبير سقطت، أمّا الحواريون فكانوا اثنى‌عشر رجلاً وكان أفضلهم وأعلمهم ألوقا، وأمّا عُلماءُ النصارى فكانوا ثلاثة رجال: يوحنّا الأكبر بأج ويوحنّا

---

١. التبيان ٢/ ٤٧٤.
٢. تفسير القمي ١/ ١٠٣.
٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/ ٧٩، ح١٠.

بقرقيسيا، ويوحنّا الديلمي بزجان وعنده كان ذكر النبيﷺ وذكر أهل بيته وأُمّته وهو الذي بَشَّر أُمّة عيسى وبني إسرائيل به، الحديث.[١]

وَفي تفاسير العامة[٢] قصص وحكايات عن الحواريين وكيفية تعامل عيسىعليه السلام معهم وترجم بعضها الشيخ أبوالفتوح الرازي إلى الفارسية في تفسيره[٣]، فراجعها إن شئت.

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ ﴿٥٣﴾

﴿رَبَّنَآ﴾ منادىٰ والضمير مُضافٌ إليه وحُذِفَ حرف النداء، وهو حكاية قول الحواريين ومقول قولهم وحذف القول مبالغة في التضرّع ولبيان نفس الحكاية وأنّ الداعي أهمل نفسه أمام المدعو ولايرى لنفسه شأناً.

﴿ءَامَنَّا﴾ فعل ماض وفاعله، أي صدَّقنا، ذكروا إيمانهم بالله تعالى وبنبيّه عيسىعليه السلام، لأنّهم لم‌يعدلوا عنه، بعد ظهور الكفر من بني إسرائيل كما مرّ في الآية السابقة.

﴿بِمَآ﴾ جار ومجرور، وما موصولة تدل على العموم.

﴿أَنزَلْتَ﴾ فعل ماض وفاعله، من الوحي على عيسى النبيعليه السلام.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿ٱتَّبَعْنَا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. الإتباع: سلوك طريقة الداعي على الإجابة إلى ما دعا إليه.

﴿ٱلرَّسُولَ﴾ مفعول به، والإيمان بالله ونبيّه يستلزم متباعة الرسول والعمل بما جاء به.

﴿فَ﴾ تفريع على الإيمان والاتباع.

---

١. كتاب التوحيد / ٤٢١.

٢. راجع تفسير الطبري ٣/ ٣٣٣؛ وتفسير الثعلبي ٣/ ٧٦؛ وتفسير أبي‌السعود.٢/ ٤٩؛ وروح المعاني ٣/ ٢٣٣.

٣. روض الجنان ٤/ (٣٤٠-٣٣٨).

﴿ءَامَنَّا﴾ فعل أمر بِمَعْنىٰ ٱلدُّعاءِ، فاعله أنت يا ربنا، نا مفعول به، أي أثبت أسماءنا.

﴿مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ أي مع أسماء الشاهدين لنفوز بمثل مافازوا، وننال من الكرامة مثل مانالوا، ونستمتع بالدخول في جملتهم والانضمام إليهم. وحقيقة المشاهدة: الإخبار بالشيء عن الرؤية، والمراد بالشاهدين هنا، الشاهدون بالحقّ ٱلْمُنْكِرُوْنَ للباطل. الشاهدون لأنبيائك بالحقّ والصدق.

روايتان

في مناقب ابن شهرآشوب عن الإمام الكاظم﵇ في قوله تعالى: قال: نحن هم نشهَدُ للرُسُل على أُمَمِها.[١]

وفي المجمع: روي أنّهم اتبعوا عيسى وكانوا إذا جاعوا قالوا: يا روح الله جعنا فيضرب بيده على الأرض سهلاً كان أو جبلاً فيُخْرِجُ لكلِّ إنسان منهم رغيفين يأكلهما، وإذا عطشوا قالوا: يا روح الله عَطَشْنا فيضرب بيده على الأرض سهلاً كان أو جبلاً فيخرج ماءٌ فيشربون، قالوا: يا روح الله من أفضل منّا إذا شئنا أطعمتنا وإذا شئنا سقيتنا وقد آمنّا بك واتبعنا؟ قال: أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالكراء.[٢]

﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ ﴿٥٤﴾

﴿وَ﴾ استئناف.

﴿مَكَرُواْ﴾ فعل ماض وفاعله، يرجع إلى بني إسرائيل الذين أحسّ عيسى منهم الكفر واضمارهم الكفر، أصل المكر: الالتفات، والمكر: الاحتيال على العبد لالتفات المكروه عليه وتوجه الضرر إليه. ومكر بني إسرائيل أنّهم وكلوا به من يقتله

١. المناقب ٤/ ٢٨٣.
٢. مجمع البيان ٢/ ٤٤٨.

غِيْلَةً.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿مَكَرَ ٱللَّهُ﴾ فعل وفاعل. والمكر وإن كان قبيحاً فإنّما أضافه الله تعالى إلى نفسه لمزاوجة الكلام ومشابهته مِمّا يَصْطَلَحُ عليه بِـ (ٱلْمُشاكَلَةِ) كما في قَوْلِهِ تعالىٰ: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثْلُهَا﴾[١] مَعَ أَنّ الجزاءَ علىٰ ٱلسَّيِئَةِ لَيْسَ سَيِّئَةً كما هُوَ مَعْلُوْمٌ بِالضَّرُوْرَةِ ٱلْأَوَّلِيَّةِ، وَهُوَ أحد وجوه البلاغة. ومكر الله تعالى إمّا عقوبتهم على مكرهم في الدنيا والآخرة أو خيبة مكرهم وعوده إليهم كما ألقا الله تعالى شبه المسيح عليه السلام على من دلّ عليه.

﴿وَ﴾ استئناف. ﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدا.

﴿خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ خبره ومضاف إليه، أي أنّه أقواهم مكراً وأنفذهم كيداً في مقابلة مكرهم.

الرواية

وفي حسنة الحسن بن علي بن فضال عن أبي الحسن الرضا عليه السلام في حديث: وسألته عن قوله تعالى ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾[٢] وعن قوله: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[٣] وعن قوله: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾[٤] وعن قوله: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾[٥]، فقال: إنّ الله تعالى لايسخر ولايستهزئ ولايمكر ولايخادع، ولكنه تعالى يجازيهم جزاء السخرية وجزاء الاستهزاء وجزاء المكر [و] الخديعة، تعالى الله عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً.[٦]

---

١. سورة الشورى / ٤٠.
٢. سورة التوبة / ٧٩.
٣. سورة البقرة / ١٥.
٤. سورة آل‌عمران / ٥٤.
٥. سورة النساء / ١٤٢.
٦. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/ ١٢٩، ح٢٦؛ والتوحيد / ١٦٣، ح١.

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿٥٥﴾

﴿إِذْ﴾ ظرف والعامل فيه «مكر الله» أو «خير الماكرين»، أو تقديره: ذاك واقع «إذ قال الله».

﴿قَالَ ٱللَّهُ﴾ فعل وفاعل.

﴿يَٰعِيسَىٰٓ﴾ حرف نداء ومنادىٰ، وعيسى في موضع الرفع لأنّه منادىٰ مفرد ولكن لايبين فيه لأنّه منقوص، وَمَحَلُّهُ ٱلنَّصْبُ كما هُوَ شَأْنُ كُلِّ مُنادىٰ وعيسى لاينصرف لاجتماع العجمة والتعريف على قول الزجاج و...[1].

﴿إِنِّى﴾ من ٱلْحُرُوْفِ ٱلْمُشَبَّهَةِ بالفعل والضمير اسمه، يرجع إلى الله تعالى.

﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ خبره والضمير مَضافٌ إليه ويرجع إلى عيسى عليه السلام. ومادّة توفّىٰ تدلّ على أخذ الشيء أخذاً تامّاً. ولاتدلّ على الموت إلّا بالعناية وهو الأخذ والحفظ، لأنّ النفس الإنسانية مأخوذة ومحفوظة حين الموت وبعده ولاتنعدم، حتّى ترجع إلى الجسد بإذن الله تعالى في يوم القيامة الموعودة.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿رَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ الرفع ضد الوضع وهو يستعمل في ما يشتمل على العلّو، معنوياً كان أو ماديّاً، والأوّل نحو قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[2]، والثاني نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾[3]. وقوله ﴿إِلَىَّ﴾ يدل على أنّ الرفع هُنا معنويٌّ ومادّيٌّ لأنّ المراد به الرفع إلى السماء ومقرّ الملائكة، كما يظهر من رواية العياشي الآتية.

---

١. راجع التبيان ٢/ ٤٧٧.
٢. سورة المجادلة / ١١.
٣. سورة البقرة / ١٢٧.

وَضَميرُ الخطاب يدلّ على أنّ رفعه عليه السلام إلى السماء كانَ بروحه وجسده ومع كونه حيّاً، فتكون الآية الشريفة دالّةً على ردّ اليهود من أدّعاء صلبهم وقتلهم عيسى كما يدلّ عليه أيضاً قوله تعالى: ﴿... وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ... وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا * بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾[1] وكذلك ردّ على نصارى من إقرارهم بالصلب والقتل من جانب اليهود كما أعْتَرَفَتْ به الأناجيل الأربعة الفعلية.

﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ التطهير من الكفار هو إبعاده منهم وعدم مخالطتهم ومجالستهم والحضور في مجتمعهم، فالمراد من الطهارة هي المعنوية منها وتدلّ على أنّ الرفع كان جسمانياً وروحانياً حتّى يصدق التطهير.

﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ وعد من الله تعالى بالنسبة إلى متبعي عيسى عليه السلام بأنّ الله تعالى جعلهم فوق الذين كفروا به إلى يوم القيامة بحسب السلطة والسيطرة والحكم. وقيل[2]: بحسب الحجة والبرهان ولكن تفوّق الحجة لايكون بالجعل ولايختص بالدنيا.

والمراد بالذين كفروا هم اليهود الذين كانُوْا يسعون في قتل عيسى عليه السلام وصلبه وإن لم يوفقوا.

والمُرادُ بالذين اتبعوك مُتَّبِعُو عيسى عليه السلام حقيقة لا النصارى اليوم ٱلْقائِلُوْنَ بالتثليث وقتل عيسى عليه السلام وصلبه وتعطيل الشريعة والكفر بمَنْ بشّر به عيسى عليه السلام وهو نبيّنا رسول الله محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله، وعليه يكون متبعو عيسى عليه السلام حقيقةً هم ٱلْمُسْلِمِيْنَ[3] اليوم لا النصارى كما عليه قَتادَةُ[4] وغيره كصاحب المجمع[5] والجوامع[6] والسيّد

---

١. سورة النساء / (١٥٨-١٥٧).
٢. يراها الشيخ أقوى وأظهر، راجع التبيان ٢/ ٤٧٨.
٣. هٰذا هُوَ الإعرابُ الرّاجح وبه نَزَل القرآنُ الكريم فى مِثلِ قَوْلِهِ تعالىٰ: ﴿... فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ...﴾ [سورة المائدة / ١٧٧]. ﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [سورة القصص / ٥٨] وللرَّفْعِ (أي المسلمون) وَجْهٌ لٰكِنَّهُ غَيْرُ وَجِيْهٍ.
٤. راجع تفسير الطبري ٣/ ٣٤١؛ وتفسير أبي‌السعود ٢/ ٥٢.
٥. مجمع البيان ٢/ ٤٥٠.
٦. جمع الجوامع ١/ ١٧٧.

الجزائري[١].

﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف وهنا للتراخي الرتبي والترقي من كلام إلى آخر لا على التراخي في الزمان.

﴿إِلَيَّ﴾ جار ومجرور خبر مقدم، والتفات من الغيبة إلى الخطاب.

﴿مَرْجِعُكُمْ﴾ مبتدأ مؤخر والضمير مُضافٌ إليه، ويرجع إلى عيسى عليه السلام وتابعيه وكافريه. والله سبحانه هو مرجعهم جميعاً.

﴿فَ﴾ حرف عطف وتفريع بالرجوع.

﴿أَحْكُمُ﴾ فعل مضارع وفاعله أنا مستتر، وتفسير الحكم يأتي في الآيتين ٱلْآتِيَتَيْنِ.

﴿بَيْنَكُمْ﴾ مفعول فيه والضمير مُضافٌ إليه يرجع إلى ما مرّ.

﴿فِيمَا﴾ جار ومجرور. ﴿كُنتُمْ﴾ فعل ماض والضمير اسم كان، يرجع إلى ما مرّ.

﴿فِيهِ﴾ جار ومجرور، والضمير يرجع إلى «ما».

﴿تَخْتَلِفُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر كان، في أمر الدين وعيسى عليه السلام.

يعني إنّ الله تعالى يحكم في يوم القيامة في خلافات تابعي عيسى عليه السلام والكافِرِيْنَ بِهِ وحكمه تعالى هو الحقّ الحقيق بالتَّصْدِيْق وَٱلرّافِعُ للخصومة بينهم، وفيه فَصْلُ القضاء بِلامراء.

الروايات

في تفسير القمي[٢] رواية صحيحة الإسناد ذكر فيها أن مَن أُلقي عليه شبح عيسى عليه السلام يكون من أصحابه المؤمنين فراجعها.

وفي العياشي عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: رُفع عيسى بن مريم عليهما السلام بمِدْرَعةٍ صوف من غزل مريم عليها السلام ومن نسج مريم ومن خياطة مريم فلمّا انتهى إلى السماء نُودي: يا عيسى الق عنك زينة الدنيا.[٣]

---

١. عقود المرجان ١/ ٣١٨.
٢. تفسير القمي ١/ ١٠٣.
٣. تفسير العياشي ١/ ٣١٠، ح٥٣.

المدرعة: جبة مشقوقة المقدم وهي ثوب من كتان كان يلبسه عظيم أحبار اليهود.

في صحيحة محمّد بن مسلم عن أبي‌جعفر عليه السلام: الغسل في سبعة عشر موطناً: ليلة سبع عشرة من شهر رمضان وهي ليلة التقاء الجمعين ليلة بدر، وليلة تسع عشرة وفيها يكتب الوفد وفد السنة، وليلة إحدي وعشرين وهي الليلة التي مات فيها أوصياء النبيين عليهم السلام وفيها رفع عيسى بن مريم وقبض موسى عليه السلام، الحديث.[1]

وفي خبر أبي‌رافع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ جبرئيل نزل عليَّ بكتاب فيه خبر الملوك ـ ملوك الأرض ـ قبلي وخبر من بُعث قبلي من الأنبياء والرُّسل ـ وهو حديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة إليه ـ قال: لما ملك أشج بن أشجان وكان يسمّى الكليّس و[كان قد] ملك مائتين وستّاً وستّين سنة، ففي سنة إحدى وخمسين من ملكه بعث الله عزّ وجلّ عيسى بن مريم عليه السلام واستودعه النور والعلم والحكمة وجميع علوم الأنبياء قبله وزاده الإنجيل وبعثه إلى بيت المقدّس إلى بني إسرائيل يدعوهم إلى كتابه وحكمته وإلى الإيمان بالله ورسوله فأبى أكثرهم إلّا طغياناً وكفراً، فلمّا لم يؤمنوا به دعا ربّه وعزم عليه فمسخ منهم شياطين ليريهم آية فيعتبروا، فلم يزدهم ذلك إلّا طغياناً وكفراً، فأتى بيت المقدّس فمكث يدعوهم ويرغبّهم فيما عندالله ثلاثاً وثلاثين سنة حتّى طلبته اليهود وادَّعت أنّها عذَّبته ودفنته في الأرض حيّاً وادَّعى بعضهم أنّهم قتلوه وصلبوه، وما كان الله ليجعل لهم سلطاناً عليه وإنّما شبّه لهم وما قدروا على عذابه ودفنه ولا على قتله وصلبه لقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[2] فلم يقدروا على قتله وصلبه لأنّهم لو قدروا على ذلك كان تكذيباً لقوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾[3] بعد أن توفّاه عليه السلام فلمّا أراد أن يرفعه أوحى إليه أن يستودع نورالله وحكمته وعلم كتابه شمعون بن حمون الصّفا خليفته على المؤمنين ففعل ذلك فلم يزل شمعون يقوم بأمر الله عزّ وجلّ ويحتذي بجميع مقال عيسى عليه السلام في قومه من بني إسرائيل ويجاهد الكفّار، فمن أطاعه وآمن به وبما جاء به

---

١. الخصال ٢/ ٥٠٨، ح١.
٢. سورة آل‌عمران / ٥٥.
٣. سورة النساء / ١٥٨.

كان مومناً ومن جحده وعصاه كان كافراً، الحديث.[١]

وفي العيون عن الرضا عليه السلام في حديث: وجميع الأئمة الأحد عشر بعد النبي قتلوا منهم بالسيف وهو أميرالمؤمنين والحسين عليهما السلام والباقون قتلوا بالسم، قتل كلّ واحد منهم طاغية زمانه وجرى ذلك عليهم على الحقيقة والصحة لا كما تقوله الغلاة والمفوضة لعنهم الله، فإنّهم يقولون: أنّهم لم يقتلوا على الحقيقة وإنّه شبه للنّاس أمرهم فكذبوا عليهم غضب الله، فإنّه ما شبه أمر أحد من أنبياء الله وحججه النّاس إلّا أمر عيسى بن مريم عليه السلام وحده، لأنّه رفع من الأرض حيّا وقبض روحه بين السماء والأرض، ثمّ رفع إلى السماء ورد عليه روحه، وذلك قول الله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ﴾[٢] وقال عزّ وجلّ: حكاية لقول عيسى عليه السلام يوم القيمة ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[٣]، الحديث.[٤]

ذكر أحد عشر منهم لأنّ الإمام الثاني عشر حيٌّ يُرزق وغائب عن الأنظار وهو المهدي المنتظَر ـ عجل الله تعالى فرجه الشريف وسهّل مخرجه وعجّل ظهوره وجعلنا من شيعته وأعوانه وأنصاره والمستشهدين بين يديه آمين ـ.

في تفسير الثعلبي: عن أبي‌جعفر منصور الدوانيقي حدّث بسنده عن ابن‌عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كيف[٥] تهلك أُمّة أنا في أوّلها وعيسى في آخرها والمهدي من أهل بيتي في أوسطها.[٦]

---

١. كمال الدين ١/ ٢٢٤، ح٢٠.
٢. سورة آل‌عمران / ٥٥.
٣. سورة المائدة / ١١٧.
٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/ ٢١٤، ح٢.
٥. وفي بعض المصادر «لن تهلك»، رواها الحافظ أبونُعيم الأصفهاني في الأربعون حديثاً في المهدي، الحديث الأربعون؛ السيوطي في العرف الوردي (الحاوي ٢/ ٦٤)؛ والمتقي الهندي في كنزالعمال ١٤/ ٢٢٦، ح٣٨٦٧١؛ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٥/ ٣٩٥؛ والثعلبي نفسه في قصص الأنبياء / ٢٢٧؛ وابن المغازلي في المناقب / ٣٩٦، ح٤٤٨؛ والحموي في فرائد السمطين ٢/ ٣٤٠، ح٥٩٣ و٥٩٢؛ والسلمي في عقد الدرر / ١٤٧.
٦. الكشف والبيان ٣/ ٨٢.

في تفسير الطبري: قال رسول الله ﷺ لليهود: إنّ عيسى لم يمت وإنّه راجع إليكم قبل يوم القيامة.[١]

ورواها الطبرسي في المجمع[٢].

وفي مجمع البيان[٣]: قد صح عنه ﷺ أنّه قال: كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم؛ رواه البخاري[٤] ومسلم[٥] في الصحيح[٦].

وفي تفسير الثعالبي[٧]: وأجمعت الأُمّة على ما تضمّنه الحديث المتواتر من أنّ عيسى عليه السلام في السماء حيّ وأنّه يَنْزِلُ في آخر الزمان... .

وفي روض الجنان[٨]: في حديث مقتل أميرالمؤمنين عليه السلام: ولقد ضُربتُ في الليلة التي قبض فيها يوشع بن نون، وقُبضتُ في الليلة التي عُرِج فيه بعيسى بن مريم.

وفيه[٩]: توضيح لرواية عامية وتصحيحها على مذهب أهل البيت عليهم السلام وذكر ماورد من أخبارهم فراجعه.

---

١. تفسير الطبري ٣/ ٣٣٩.
٢. مجمع البيان ٢/ ٤٤٩.
٣. مجمع البيان ٢/ ٤٤٩.
٤. صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم، الرقم ٣٤٤٩.
٥. صحيح مسلم ١/ ١٣٦، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبيّنا.
٦. وأخرجه عبدالرزاق في المصنَّف ١١/ ٤٠٠، رقم ٢٠٨٤١؛ ونعيم بن حماد المروزي في كتاب الفتن / ٣٥١؛ وأحمد في المسند ٢/ ٣٣٦؛ وابن المنادي في الملاحم / ٥٧؛ وأبوعوانة في مسنده ١/ ١٠٦؛ وابن حبّان في صحيحه ١٥/ ٢٠٣، ح٦٨٠٢؛ وابن منده في الإيمان / ٤١٣؛ والبغوي في مصابيح السنة ٣/ ٥١٦، ح٤٢٦١.
٧. تفسير الثعالبي ٢/ ٥١.
٨. روض الجنان ٤/ ٣٤٩.
٩. روض الجنان ٤/ ٣٥٢.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّصِرِينَ﴾ ﴿٥٦﴾

﴿فَ﴾ تفريع على ماتقدّم.

﴿أَمَّا﴾ حرف شرط، تفصيل بعد الإجمال، وهو تفصيل حكم الله تعالى بين بني إسرائيل فيما ٱخْتَلَفُوْا فيه بالآية السابقة ولايختص بهم.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبتدا. ﴿كَفَرُواْ﴾ فعل وفاعل، من بني إسرائيل وغيرهم.

﴿فَ﴾ حرف ربط أو تفريع على الكفر.

﴿أُعَذِّبُهُمْ﴾ فعل وفاعل ومفعول به، خبر. العذاب: هو استمرار الآلام، لأنّ أصله استمرار الشيء. نَسَبَ العذاب إلى نفسه للإشارة إلى قطعيته حتّى يرجع بعضهم.

﴿عَذَابًا﴾ مفعول مطلق. ﴿شَدِيدًا﴾ نعته.

﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ وعذابهم في الدنيا هو تسليط وحكم المؤمنين عليهم وذلّتهم بالأسر والسبي والقتل والخسف والجزية وكلّ ما فعل بهم على وجه الاستخفاف والإهانة.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿ٱلْأَخِرَةِ﴾ والعذاب فيها هو الخلود في النار.

﴿وَ﴾ حالية. ﴿مَا﴾ حرف نفي.

﴿لَهُم﴾ جار ومجرور، خبر مقدّم، والضمير يرجع إلى الذين كفروا من بنيإسرائيل وغيرهم.

﴿مِّن﴾ حرف جر.

﴿نَّصِرِينَ﴾ مبتدأ مؤخر مجرورٌ لَفْظاً، أي ليس لهم أعوان يدفعون عنه العذاب وفيه دلالة على عدم وجود الشفاعة لهم. النصرة هي المعونة عَلىٰ العدو خاصة في قَوْلٍ، ولكن المعونة هي زيادة في القوة وقد تكون على العدو وغير العدو، كما عليه الشيخ[1].

---

١. التبيان ٢/ ٤٧٩.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿وَ﴾ حرف عطف، عطف الآية على سابقتها.

﴿أَمَّا﴾ حرف شرط. ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبتدا.

﴿ءَامَنُواْ﴾ برسول الله ـ الذي هنا هو عيسى عليه السلام ـ واتبعوه ـ الذين هم المسلمون فعلياً ـ، ولأنّ حقيقة الإتباع هي الإيمان والعمل الصالح.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿عَمِلُواْ﴾ فعل وفاعل.

﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مفعول به، وفيها: إشارة إلى أن الإيمان يستلزم العمل الصالح.

﴿فَ﴾ تفريع.

﴿يُوَفِّيهِمۡ﴾ فعل مضارع وفاعله ضَمِيْرٌ مستتر ـ يرجع إلى الله ـ وضمير «هم» مفعول به وكلّه خبر. أتى بصيغة الغياب تعظيماً لهم وَلِأَجْوْرِهِمْ. وقد مرّ مَعْنىٰ التوفية بأنّه: الأخذ تماماً وكمالاً.

﴿أُجُورَهُمۡ﴾ مفعول به ثان والضمير مُضافٌ إليه، أي أجر عملهم وثوابه.

قال الشيخ: «في الآية دلالة على بطلان القول بالتحابط لأنّه تعالى وعد بتوفية الأُجور ولم يشرط الإحباط، فوجب حمل الكلام على ظاهره»[1].

وقال السيّد نعمةالله الجزائري: «الأخبار الواردة بالإحباط مستفيضة على ما لايخفى على الممارس، نعم، هي بمعنىٰ الموازنة وإبقاء الزائد ـ كما ذهب إليه طائفة من المتكلّمين ـ لا بمعنىٰ الإحباط المتأخّر للمتقدّم كيف كان، لما يلزم من الظلم. وعلى ما من الموازنة يكون قد وفىٰ جميع أُموره لأنّ الزائد قد بقي له والساقط بموازنته قد وفاه أيضاً، إذ لو لم ينتفع به إسقاط الذنوب لبقيت عليه تبعاتها، فهو قد رأى خير ما عمل وشرّ ما عمل»[2].

---

١. التبيان ٢/ ٣٨٠.

٢. عقود المرجان ١/ ٣١٩.

وَمُقْتَضىٰ المقابلة[١] بين الآيتين أن يكون الجزاء على الأعمال في داري الدنيا والآخرة، ففي الدنيا بالنسبة إلى المؤمنين الغلبة والنصرة والسلطة والحكم والفوقية والذكر الجميل وفي الآخرة الجنة والرِضوانُ ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[٢].

﴿وَ﴾ استئناف. ﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدا.

﴿لَا﴾ حرف نفي. ﴿يُحِبُّ﴾ فعل وفاعل، خبر. المحبّة: هي الإرادة.

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ مفعول به.

قال الشيخ: «في الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة في أنّ الله تعالى يريد الظلم، لأنّه قال: ﴿لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وإذا لم يحب الظالم، لم يحب فعل الظلم لأنّه إنّما لم يجز محبّة الظالم لظلمه»[٣].

وهذه الجملة الأخيرة تأكيد لمضمون ما ورد في الآية السابقة، وبيان للطائفة الثالثة وهم الذين يَنْسِبُوْنَ أنفسهم إلى عيسىٰ عليه السلام بالقول فقط، من دون الإيمان وٱلاعْتِقادِ الواقعي والعمل الصالح المستلزم له. ولعلّه هو سرّ ختم الآية الشريفة الواردة فيها بالرحمة والجنّة وهي على القاعدة تختم بأسماء الرحمة والمغفرة أو بمدح مَنْ نزلت الآية في حقّهم، بالعدول إلى عدم محبوبية الظالمين له تعالى.

﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْـَٔايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾ ﴿٥٨﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ، إشارة إلى الإخبار عن عيسى وزكريا ويحيى والحواريِّين واليهود من بني إسرائيل. أتى بما يدلّ على البعد للإشارة إلى عظيم منزلة المشار إليه وكرامته وشرفه.

﴿نَتْلُوهُ﴾ فعل مضارع وفاعله نحن مستتر والضمير مفعول به مجموعه خبرٌ لمبتدأ.

---

١. نبّه عليه في مواهب الرحمن ٥/ ٣٩٥.
٢. سورة التوبة / ٧٢.
٣. التبيان ٢/ ٤٨٠؛ ونحوها في روض الجنان ٤/ ٣٥٧.

نتلوه: أي نَقْرَؤُهُ ونكلمك به. وقيل: نأمر جبرئيل[١] أن يتلوه عليك.

والتلاوة: هِيَ إظهارُ الكلامِ على جِهَةِ الحِكايةِ، وهيئة المضارع تدل على استمرار الوحي.

﴿عَلَيْكَ﴾ جار ومجرور، متعلّق بنتلوه. أي عليك يا رسولَ اللهِ الأعْظَمَ الخاتَمِ ﷺ للأنبياء والمرسلين.

﴿مِنَ ٱلْآيَٰتِ﴾ جار ومجرور، أي من جملة الآيات والحجج الدالَّةِ على صدق نبوتك إذا علمتهم بما لايعلمه إلّا قارِئُ كتاب أو معلَّم ولستَ بواحد مِنْهُما فلم يبق إلّا أَنَّك قد عرفته من طريق الوحي.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿ٱلذِّكْرِ﴾ معطوف، والمراد به القرآن الكريم.

﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ نعت، لأنّه أُحكِمَتْ آياتُهُ بخلوصها من الباطل وَٱلْمُتْقَنُ نظمه المشتمل على الحكمة ولايدخله الباطل والهزل.

وفي الآية الشريفة إشارة إلى خِتامِ قصة عيسى النبي عليه السلام.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ ﴿٥٩﴾

﴿إِنَّ﴾ من ٱلْحُرُوْفِ ٱلْمُشَبَّهَةِ بالفعل، تَدُلُّ على التأكيد بداية. اجمال بعد تفصيل أو فذلكة كلام الوحي حول ولادة عيسى عليه السلام رداً على اليهود الذين يتهمون أُمّه العذراء وعلى النصارى الذين زعموا أنّه ابن الله تعالى.

﴿مَثَلَ﴾ ٱسْمُ ﴿إِنَّ﴾. ﴿عِيسَىٰ﴾ مضاف إليه، أي مثله في الخلقة.

﴿عِندَ﴾ مفعول فيه. ﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه.

﴿كَ﴾ حرف جر يأتي للمشابهة. ﴿مَثَلِ﴾ مجروره.

﴿ءَادَمَ﴾ مضاف إليه، مجموع ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾: خبر إنّ. والآية تدل على أن خلقة

---

١. فيه عِدَّةُ لُغاتٍ لكِنَّ أَفْصَحَها: جِبْرِيْلُ، وَبِها نَزَلَ ٱلْقُرْآنُ ٱلْكَرِيْمُ.

عيسى عليه السلام كخلقة آدم عليه السلام خلقة كونية ولكنّها خارقة للسنة الجارية في التوالد والتناسل من الاحتياج إلى الأب كما إنَّ خلقة آدم عليه السلام خارقة لها من ضرورة الوالدين.

فعيسى النبي عليه السلام مخلوق لله تعالى وليس ٱبْنَهُ وَلا لَهُ مرتبة الأُلوهية، لأنّ المخلوق لايكون إِلٰهاً.

﴿خَلَقَهُۥ﴾ فعل ماض وفاعله ضَمِيْرٌ مستتر يرجع إلى الله تعالى، والضمير مفعول به يرجع إلى آدم.

﴿مِن تُرَابٍ﴾ جار ومجرور، فخلق الله تعالى آدم من تراب.

﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف يدل على الترتيب. ﴿قَالَ﴾ الله تعالى.

﴿لَهُۥ﴾ لآدم عليه السلام. ﴿كُن﴾ فعل أمر، فاعله ذات الباري جل شأنه.

﴿فَيَكُونُ﴾ أي يوجد ويحدث ويخلق بعد إرادة الله تعالى به ويدل على نفي التدريج بالنسبة إلى خلقة آدم فكذلك بالنسبة إلى خلقة عيسى عليه السلام كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1].

روايتان

في تفسير العياشي عن حريز عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: إنّ أميرالمؤمنين عليه السلام سُئل عن فضائله، فذكر بعضها، ثمّ قالوا به زِدنا. فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أتاه حَبْران من أحبار النصارى، من أهل نجران، فتكلَّما في أمر عيسى عليه السلام، فأنزل الله تعالى هذه الآية إلى آخر الآية، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذ بيد عليّ والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام، ثمّ خرج ورفع كَفَّه إلى السماء، وفرَّج بين أصابعه، ودعاهم إلى المُبَاهَلة.

قال: وقال أبوجعفر عليه السلام، وكذلك المُبَاهَلة، يُشَبّك يده في يده يرفعهما إلى السماء، فَلَمّا رآه الحَبْران قال أحدهما لصاحبه: والله لئن كان نبيّاً لنَهْلِكنّ، وإن كان غير نبيّ كَفَانا قومه، فكَفّا وٱنْصَرَفا.[2]

وفي مجمع البيان: «قيل نزلت الآيات في وفد نجران العاقب والسيّد ومن معهما قالوا لرسول الله: هل رأيت ولداً من غير ذكر؟ فنزل ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ

---

١. سورة يس / ٨٢.

٢. تفسير العياشي ١/ ٣١٠، ح٥٤؛ بحارالأنوار ١٤/ ٣٤١، ح٨.

ءَادَمَ﴾ الآيات فقرأها عليهم عن ابن‌عباس وقتادة والحسن فلما دعاهم رسول الله إلى المباهلة استنظروه إلى صبيحة غد من يومهم ذلك فلما رجعوا إلى رجالهم، قال لهم الأسقف: انظروا محمّداً في غد فإن غدا بولده وأهله فاحذروا مباهلته وإن غدا بأصحابه فباهلوه فإنّه على غير شيءٍ، فلما كان الغد جاء النبيﷺ آخذاً بيد عليَّ بن أبي‌طالب‌عليه السلام والحسن‌عليه السلام والحسين‌عليه السلام بين يديه يمشيان وفاطمة‌عليها السلام تمشي خلفه وخرج النصارى يقدمهم أسقفهم فلما رأي النبيﷺ قد أقبل بمن معه سأل عنهم فقيل له: هذا ابن عمه وزوج ابنته وأحبّ الخلق إليه وهذان ابنا بنته من علي‌عليه السلام وهذه الجارية بنته فاطمة أعز النّاس عليه وأقربهم إلى قلبه وتقدم رسول الله فجثا على ركبتيه قال أبوحارثة الاسقف جثا والله كما جثا الأنبياء للمباهلة فرجع ولم يقدم على المباهلة، فقال السيّد: ادن يا ابا حارثة للمباهلة، فقال: لا إني لأرى رجلاً جريئا على المباهلة وأنا أخاف أن يكون صادقاً ولئن كان صادقا لم يحل والله علينا الحول وفي الدنيا نصراني يطعم الماء، فقال الأسقف: يا أباالقاسم إنّا لانباهلك ولكن نصالحك فصالحنا على ما ينهض به فصالحهم رسول اللهﷺ على ألفي حلّة من حلل الأواقي قيمة كلّ حلّة أربعون درهماً فما زاد أو نقص فعلى حساب ذلك وعلى عارية ثلاثين درعاً وثلاثين رمحاً وثلاثين فرساً إن كان باليمن كيد، ورسول الله ضامن حتّى يؤديها وكتب لهم بذلك كتاباً، وروي أن الاسقف قال لهم: إني لأرى وجوهاً لوسألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله فلاتبتهلوا فتهلكوا ولايبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة، وقال النبي: والذي نفسي بيده لو لا عنوني لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم الوادي عليهم ناراً ولما حال الحول على النصارى حتّى يهلكوا كلّهم، قالوا: فلما رجع وفد نجران لم يلبث السيّد والعاقب إلّا يسيراَ حتّى رجعا إلى النبي وأهدى العاقب له حلّة وعصا وقدحاً ونعلين وأسلما»[1].

---

١. مجمع البيان ٣/ ٤٥١ و٤٥٢.

﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ ﴿٦٠﴾

﴿ٱلۡحَقُّ﴾ مبتدأ. أي هذا القول في عيسى وآدم هو الحقّ أو هذه الآيات الشريفة هِيَ الحقّ.

﴿مِن رَّبِّكَ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه مجموعه خبر لمبتدأ.

﴿فَلَا تَكُن﴾ حرف ربط وحرف جزم وفعل مضارع مجزوم، واسم كان أنت مستتر، يمكن أن يرجع إلى النبيﷺ أو لكلّ سامع.

﴿مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ جار ومجرور، خبر كان. الامتراء: الشك.

فيها تشجيع للنبيﷺ في المحاجة مع النصارى وإبطال دعاويهم وتهييجٌ لزيادة اليقين والثبات وإنّما نَسب الامتراء إلى النبيﷺ لوجهين:

الأوّل: أنّ المخاطب الواقعي غيره على نحو: «إياك عنّي واسمعي يا جارة» وهو شائع في المحاورات.

الثاني: لِإبطال دعاوي اليهود والنصارى وعدم صحة انتساب هذه الدعاوي إلى رسول اللهﷺ.

﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ ﴿٦١﴾

﴿فَ﴾ الفاء للتفريع وهو تفريع عملية المباهلة على التعليم الإلهي بالبيان الذي مرّ في عيسى مع ما أكده في ختمه بقوله: ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾.

﴿مَنۡ﴾ الذي. ﴿حَآجَّكَ﴾ أي: خاصمك وجادلك يا محمّدﷺ.

﴿فِيهِ﴾ أي في عيسى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ أو في الحقِّ الوارد في قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَقُّ مِن

رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾.

﴿مِنۢ﴾ حرف جر. ﴿بَعْدِ﴾ مجروره.

﴿مَا﴾ مضاف إليه.

﴿جَآءَكَ﴾ فعل ماض فاعله ضَمِيْرٌ مستتر يرجع إِلىٰ الحقّ الذي أُنْزِلَ عليه أو العلم الذي كذلك.

﴿مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ جار ومجرور متعلَّق بالفعل السابق، سمّي ما جاء إليه بِـ «ٱلْعِلْمِ» تأييداً لنفسه الشريفة وتطيباً بأنّه ﷺ يغلب بإذن الله تعالى.

﴿فَ﴾ حرف ربط. ﴿قُلْ﴾ فعل أمر، فاعله أنت يا محمّد ﷺ.

﴿تَعَالَوْاْ﴾ فعل أمر وفاعله، أصله من العُلُو وهو الارتفاع، تعاليتُ: أي جئتُ من الارتفاع إلّا أنّه استعمل في كلِّ مجيءٍ.

﴿نَدْعُ﴾ فعل مضارع فاعله نحن، أي الرسول الأعظم ﷺ لا الرسول ﷺ والنصارى.

﴿أَبْنَآءَنَا﴾ مفعول به والضمير مُضافٌ إليه. والمراد به الإمامان الحَسَنُ والحُسَيْنُ عليهما السلام باتِفاقِ أهل العِلمِ مِنَ الخاصّةِ والعامّةِ.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿أَبْنَآءَكُمْ﴾ أي أنتم يا نصارى تدعون أبناءكم.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿نِسَآءَنَا﴾ أي نحن ندعو نساءنا والمراد بهنَّ سيّدة نساء العالمين الصِّدِّيقة الشهيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها باتفاق أهل العلم من الخاصة والعامة.

﴿وَنِسَآءَكُمْ﴾ أي وأنتم تدعون نساءكم، ويمكن أن تحمل لفظة «النساء» هنا بقرينة ذكر الأبناء قبله على البنات كما ورد في قوله تعالى بالنسبة إلى عمل فرعون لبني إسرائيل: ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ﴾[1].

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿أَنفُسَنَا﴾ أراد به نفسه ﷺ ونفس علي عليه السلام لأنّه لم يحضر غيرهما من الرجال

---

١. سورة القصص / ٤.

باتفاق أهل العلم من الخاصة والعامة.

﴿وَأَنفُسَكُمْ﴾ أَيْ تَعالَوْا أنتم يا نصارى نجران بأنفسكم.

﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف يدل على الترتيب، أي بعد الحضور والاجتماع.

﴿نَبْتَهِلْ﴾ فعل مضارع فاعله نحن أي طَرَفا المباهلة. الابتهال أصله من البَـهْلة بالفتح والضم وهي اللعنة، ثمّ كثر استعماله في الدعاء والمسألة إذا كانَتْ مع إِصْرارٍ وَإِلْحاحٍ.

﴿فَ﴾ حرف عطف وتفريع.

﴿نَجْعَل﴾ فعل مضارع فاعله نحن. ولم يقل نسأل إِشارة إلى كونها دعوة مستجابة لأنّ امتياز الحقّ والباطل يتوقف عَلَيْها.

﴿لَّعْنَتَ ٱللَّهِ﴾ مفعول به ومضاف إليه. واللعنة: هي المباعدة من رحمة الله عقاباً على المعصية فلذلك لايجوز أن يلعن من ليس بعاص.

﴿عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ حرف جرّ ومجروره. أي على الكاذبين في أحد طرفي المباهلة.

والحاصل: إنَّ الآية الشريفة عدّت الْإِمامَيْنِ الحَسَنَ والحُسَيْنَ عليهما السلام أَبْنَيْ رَسُوْلِ الله صلى الله عليه وآله وَمِنْها يَظْهَرُ أنّ ابن البنت ابن حقيقة.

«قال ابن أبي‌علان: فيها دلالة على أنّ الحسن والحسين كانا مكلَّفين في تلك الحال، لأنّ المباهلة لا تجوز إلّا مع البالغين»[1].

وعدّت ابنة رسول الله فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين عليها السلام المرأة الوحيدة الّتي يمكن انتسابُها للرّسُوْل الأعظم صلى الله عليه وآله بكونها مِنْ صُلْبِهِ بِلاواسِطَةٍ.

وعدّت أمير المؤمنين عليه السلام علي بن أبي‌طالب عليه صلوات المصلين نفس رسول الله صلى الله عليه وآله فيكون أفضل من جميع الصحابة، بل الأنبياء الماضين للقطع بأنّ الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله هُوَ أفضل الأنبياء عليهم السلام فنفسه يكون كذلك.[2]

---

١. التبيان ٢/ ٤٨٥.

٢. كما نقله الفخر الرازي في تفسيره ٨/ ٨١ عن محمود بن الحسن الحمصي من أصحابنا ـ رضي الله تعالى عنهم ـ ولم يتمكن من ردّه فراجعه.

وتدل على أنهما [الحسن والحسين عليهما السلام] أفضل الصحابة، بل الأنبياء السّالِفِيْنَ بعين ما مرّ في أبيهما.

وتدل على أنّ أمّهما أفضل نساء الأولين والآخرين في جميع الأعصار والأمصار.

وهذه الآية هي من أفضل المناقب بالنسبة إلى أصحاب الكساء الخمسة وأهل بيت العصمة والطهارة.

قال الزمخشري في الكشّاف: «وفيه دليل لا شيءَ أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وآله لأنّه لم يرو أحد من موافق ولا مخالف أنّهم أجابوا إلى ذلك»[١].

وقال البيضاوي في أنوار التنزيل: «وهو دليل على نبوّته وفضل من أتى بهم من أهل بيته»[٢].

وقال الآلوسي في روح المعاني: «في هذه القصة اوضح دليل على نبوته صلى الله عليه وآله وإلّا لما امتنعوا عن مباهلته ودلالتها على فضل آل الله ورسوله صلى الله عليه وآله ممّا لايمتري فيها مؤمن...»[٣].

واستدلت الشيعة[٤] في كتبهم الكلامية بهذه الآية الشريفة لإثبات خلافة بلافصل أميرالمؤمنين علي بن أبي‌طالب عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنّه عليه السلام بنص الآية الشريفة يكون نفس النبي صلى الله عليه وآله وإذا فقدنا النبي صلى الله عليه وآله فمَنْ أُولى بالخلافة؟ هل هو إلّا نفس النبي صلى الله عليه وآله وهو أميرالمؤمنين عليه السلام؟! والجواب واضح.

وناقش الآلوسي في روح المعاني[٥] هذ االاستدلال بوجوه ثلاثة:

الأوّل: لانسلم أنّ المراد بأنفسنا الأمير عليه السلام، بل المراد نفسه الشريفة صلى الله عليه وآله ويجعل

---

١. الكشّاف ١/ ٣٧٠.

٢. تفسير البيضاوي / ٧٤ من طبع الحجري.

٣. روح المعاني ٣/ ٢٤٩.

٤. كما استدلتُ بها في كتابيَّ «ولايت وامامت» / ٨٢؛ و«سه مقاله در اصل امامت» / ٣٥، المطبوعان باللغة الفارسية.

٥. راجع روح المعاني ٣/ ٢٤٩ و٢٥٠.

الأمير داخلاً في الأبناء.

ويرد عليه: الضمير يرجع إلى الرسول الأعظمﷺ في «أنفسنا»، فنفسه الشريفةﷺ داخل في الضمير فالمراد بنفسه يكون الأميرعليه السلام، وجعل الأمير في الأبناء مكابرة واضحة. ولذا قبل في دليله الثاني دخول الأميرعليه السلام في «أنفسنا».

الثاني: لو سلّمنا أنّ المراد بأنفسنا الأميرعليه السلام ولكن لانسلّم أنّ المراد من النفس ذات الشخص إذ قد جاء لفظ النفس بمعنى القريب والشريك في الدين والملّة... وحينئذ لا تلزم المساواة التي هي عماد استدلالهم... .

ويرد عليه: نحن لا ندعي أنّ المراد بالنفس ذات شخص الرسول الأعظمﷺ لوضوح أنّهما إثنان إبناعمٍّ وختن وصهر وأحدهما ثلاثين سنة أصغر من الآخر. بل ندعي المساواة في الفضل وأُولوية التصرف والإمامة والخلافة على النّاس ولاندعي المساواة في النبوة والخاتمية والبعثة إلى كافه النّاس، لأنّ النبي الخاتم هو محمّدﷺ بلا ريب وإشكال وبالإجماع.

الثالث: لودلّ على خلافة الأمير لزم كون الأمير إماماً في زمنهﷺ وهو باطل بالاتفاق وإن قيد بوقت دون وقت فمع أنّ التقييد ممّا لا دليل عليه في اللفظ لايكون مفيداً للمدعىٰ إذ هو غير متنازع فيه لأنّ أهل السنة يثبتون إمامته في وقت دون وقت.

ويرد عليه: الآية الشريفة تدل على خلافتهعليه السلام بلافصل بعد النبيﷺ ولايلزم منه كون الأمير إماماً في زمنهﷺ، لأنّ النبيﷺ يكون رسولاً وإماماً كما كان جده إبراهيمعليه السلام وبعد ارتحاله إلى عالم الآخرة تمت النبوه لأنّه هو الرسول الخاتمﷺ ولكن الإمامة تكون باقية إلى يوم القيامة، فمَنْ الإمام بعدهﷺ؟ هل يستحقها مَنْ غير نفسه أو من يشهد كتاب الله أنّه نفس النبيﷺ؟ والعقل حاكم والجواب واضح.

وهذه الطرحات مناقشات في مقابل الوجدان. وإلى الله المشتكى من التعصب والعناد والحمد له للهداية والولاية.

الروايات

في صحيحة أبي‌بصير أو خبره[١] عن أبي‌عبدالله عليه السلام: ... وأمّا الابتهال: فرفع يديك تجاوز بهما رأسك، الحديث.[٢]

وفي صحيحة محمّد بن مسلم وزرارة عن أبي‌عبدالله عليه السلام: ... والابتهال أن تَمُدَّ يديك جميعاً.[٣]

وفي معتبرة أبي‌مسروق وهو عبدالله النهدي عن أبي‌عبدالله عليه السلام: ... فقال لي: إذا كان ذلك فادعهم إلى المباهلة،قلت: وكيف أصنع؟ قال: أصلح نفسك ثلاثاً وأظنّه قال: وصُمْ واغتسل وأبرز أنت وهو إلى الجبّان فشبّك أصابعك من يدك اليمنى في أصابعه، ثمَّ أنصفه وأبداً بنفسك وقل: «اللّهم ربَّ السّماوات السبع وربَّ الأرضين السبع، عالم الغيب والشهادة الرَّحمن الرَّحيم، إن كان أبومسروق جحد حقّاً وادَّعى باطلاً فأنزل عليه حسباناً من السّماء أو عذاباً أليماً»[٤] ثمَّ ردَّ الدَّعوة عليه فقل: «وإن كان فلانٌ جحد حقّاً وادّعى باطلاً فأنزل عليه حسباناً من السّماء أو عذاباً أليماً» ثمّ قال لي: «فإنّك لاتلبث أن ترى ذلك فيه»، فوالله ما وجدتُ خَلْقاً يجيبني إليه.[٥]

وفي صحيحة أبي العباس البقباق عن أبي‌عبدالله عليه السلام في المباهلة قال: تُشَبِّكُ أصابعَكَ في أصابعه ثمَّ تقول: «اللّهمَّ إن كان فلانٌ جحد حقّاً وأقرَّ بباطل فأصبه بحسبان من السّماء أو بعذاب من عندك». وتُلاعنه سبعين مرَّة.[٦]

وفي خبر أبي‌حمزة الثمالي عن أبي‌جعفر عليه السلام قال: والساعة التي تباهل فيها مابين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.[٧]

يظهر من الروايات أنّ عملية المباهلة تكون من المعاجز الخالدة للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، ولذا

---

١. إذا كان في السند أبيه أو غيره.
٢. الكافي ٤/ ٣٢٦، ح٥ (٢/ ٤٨١).
٣. الكافي ٤/ ٣٢٧، ح٧ (٢/ ٤٨١).
٤. الجبان ـ بالضم والتشديد: الصحراء، والحسبان بالضم: العذاب والبلاء.
٥. الكافي ٤/ ٤٠٠، ح١، باب المباهلة (٢/ ٥١٣).
٦. الكافي ٤/ ٤٠٢، ح٢ (٢/ ٥١٤).
٧. الكافي ٤/ ٤٠٢، ح٤ (٢/ ٥١٤).

علّمها الأئمةعليهم السلام بشيعتهم، كما ذكرها ابن فهد الحلي في فصل كيفية الدعاء في كتابه «عُدّة الداعي ونجاح الساعي»[١].

واستعانة النبيصلى الله عليه وآله في عملية المباهلة بعليٍّ وفاطمة والحسن والحسينعليهم السلام بأمر من الله تعالى في الآية الشريفة مذكورة في تفاسير العامة أيضاً:

منها: جامع البيان عن تأويل القرآن للطبري.[٢]

ومنها: الكشف والبيان للثعلبي.[٣]

ومنها: الكشّاف للزمخشري.[٤]

ومنها: أنوار التنزيل للبيضاوي.[٥]

ومنها: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري.[٦]

ومنها: لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن البغدادي.[٧]

ومنها: مدارك التنزيل، للنسفي.[٨]

ومنها: التفسير الكبير، للفخر الرازي.[٩]

ومنها: الدر المنثور، للسيوطي.[١٠]

ومنها: روح المعاني، للآلوسي.[١١]

---

١. عدّة الداعي ونجاح الساعي / ٢٤٨.
٢. جامع البيان عن تأويل القرآن ٣/ ٣٥١ و٣٥٢.
٣. الكشف والبيان ٣/ ٨٥.
٤. الكشّاف ١/ ٣٦٨.
٥. أنوار التنزيل / ٧٤ من الطبعة الحجرية (١/ ١٦٣).
٦. غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٣/ ٢١٣.
٧. لباب التأويل في معاني التنزيل ١/ ٢٦٥.
٨. مدارك التنزيل ١/ ٢٦٤.
٩. التفسير الكبير ٨/ ٨٠.
١٠. الدر المنثور ٢/ ٣٨ و٣٩.
١١. روح المعاني ٣/ ٢٤٩.

ولأجل رواياتهم في هذا الشأن راجع كتابي الغدير[١] وفضائل الخمسة[٢].

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ﴿٦٢﴾

﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل.

﴿هَٰذَا﴾ اسمه، إشارة إلى قصص عيسى عليه السلام من قبل ولادته إلى حين رفعه من ٱلأَرْضِ.

﴿لَهُوَ﴾ اللام المَزَحْلَقَة، وضمير فصل لا محلّ له من الإعراب وَيُسَمِّيْهِ الكوفيون عماداً، ومن المحتمل أن يكون اسماً موضعه رفع بالابتداء. والقصص خبر إنّ والجملة أيضاً خَبَرٌ ثانٍ لإنّ. وقد مرّ أنّ اللام المزحلقه «هي لام الابتداء أصلاً لكنها تَزَحْلَقَتْ بعد إنّ المكسورة عن صدر الجملة كراهية ابتداء الكلام بمؤكدين فسُمِّيت بذلك، وهي حرف للتوكيد مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب»[٣].

وهي تدخل على أشياء منها: ضمير الفصل نحو هذه الآية الشريفة.

وفي تأكيد الجملة بإنّ واللام وضمير الفصل دلالة على أنّ هذا هو الحقّ لا غيره ممّا تدعيه النصارى في عيسى عليه السلام.

﴿ٱلْقَصَصُ﴾ خبر إنّ، جمع القصة، يقال: اقتصصتُ الحديث وقصصته قصاً وقصصاً: رويتُه على جهته، وهو من اقتصصت الأثر أي اتبعته. والقصص: الخبر الذي تَتَتابَعُ فيه المعاني وأصله اتباع الأثر ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾[٥].

---

١. الغدير ٧/ (١٢٩-١٢٤).
٢. فضائل الخمسة ١/ (٢٩٦-٢٩٠).
٣. موسوعة النحو والصرف والأعراب / ٥٦٠.
٤. سورة القصص / ١١.
٥. سورة الكهف / ٦٤.

﴿ٱلۡحَقُّ﴾ صفة للقصص. ﴿وَ﴾ حرف استئناف.

﴿مَا﴾ حرف نفي. ﴿مِنۡ﴾ حرف جرّ.

﴿إِلَٰهٍ﴾ مجروره، خبر مقدّم. ﴿إِلَّا﴾ حرف استثناء.

﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ مؤخر.

وفي الميزان: «الكلام مشتمل على قصر القلب أي ما قصصناه هو الحقّ فقط دون ما تدعيه النصارى في أمر عيسى عليه السلام»[1].

وأنت تعلم: بأنّ القصر هو تخصيص شيءٍ بشيءٍ بطريق مخصوص كتخصيص المبتدأ بالخبر بواسطة إنّما، أو بواسطة لا وإلّا، ففي الآية تخصص قصة عيسى عليه السلام الراوية في القرآن الكريم هو الحقّ ولكن بالقلب. ونفي الربوبية عن عيسى عليه السلام وحصرها في الله تعالى. ولازمه إبطال التثليث والحلول في عيسى عليه السلام.

وهذه الجملة كالنتيجة للآيات الشريفة المتقدمة وتفيد قصر الأُلوهية في الله عزّ وجلّ وتدلّ على توحيد الذات وتنفي الشرك في العبودية وفي مقام الذات.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿إِنَّ﴾ حرف مشبهة بالفعل.

﴿ٱللَّهَ﴾ اسمه. ﴿لَهُوَ﴾ اللام المزحلقة وضمير فصل لا محلّ له.

﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ خبر إنّ.

﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ خبره ثان. فيه تأكيد بليغ وتشجيع لنفس النبي صلى الله عليه وآله بأنّ الله لايعجز عن نصرته وتأييده صلى الله عليه وآله، وأنّ الله لايعجزه شيءٍ لأنّه عزيز مقتدر وحكيم في أفعاله وهذه الجملة تفيد توحيد الأفعال وتنفي التشريك في الفعل.

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ٦٣﴾

﴿فَ﴾ حرف استئناف. ﴿إِن﴾ حرف شرط وجازم.

﴿تَوَلَّوۡاْ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله، «التولّي عن الحقّ هو اعتقاد خلافه بعد

---

١. الميزان ٣/ ٢٢٧.

ظهوره لأنّه كالإدبار عنه بعد الإقبال. وتولّىٰ عنه خلاف تَوَلّىٰ إليه... وهو الزوال بالوجه عن جهته إلى غيره، فأصل التولي كون الشيء يلي غيره من غير فصل بينه وبينه،.فقيل: تولّى عنه أي زال عن جهته»[1].

تَوَلِّيهم عن الحقّ والاعتقاد به في شأن عيسىٰ عليه السلام وتوحيد الله تعالى ونفي التثليث أو التولّىٰ عن عملية المباهلة لأنّها طَرِيْقٌ لإظهار الحقّ وإبطال الباطل فيكون التولّىٰ عنها توليّاً عن الحقّ وإظهاره.

﴿فَ﴾ حرف ربط أو تفريع. ﴿إِنَّ﴾ حرف مشبهة بالفعل.

﴿ٱللَّهَ﴾ اسمه. ﴿عَلِيمُۢ﴾ خبره.

﴿بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ جار ومجرور. الإفساد ضد الإصلاح، وهو إيقاع الشيء على خلاف ما توجبه الحكمة. وإخفاء الحقّ وإظهار الباطل وإفساد عقائد النّاس وإضلالهم والإعراض عن التوحيد والقول بالتثليث كلّه إفساد ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ وخص الله تعالى علمه بالمفسدين تهديداً لهم وتخويفاً لهم، لعلّهم بعد علمهم بأنّ الله عليم بأعمالهم الإفسادية يرجعون إلى الحقّ كما ورد في شأن السيد والعاقب بأنهما لم يلبثا إلّا يسيراً حتّى رجعا إلى النبي صلى الله عليه وآله وأهدى العاقب له حلّة وعصا وقدحاً ونعلين وأسلما.[2]

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ﴿٦٤﴾

﴿قُلْ﴾ فعل أمر، فاعله أنت أيُّها الرسول الأعظم. ﴿يَا﴾ حرف نداء.

﴿أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ منادىٰ ومضاف إليه، والمراد بهم أمّا نصارى نجران أو يهود

---

١. التبيان ٢/ ٤٨٧.

٢. راجع مجمع البيان ٢/ ٤٥٢.

المدينة قال الشيخ: «وقد روىٰ ذلك أصحابنا»[١] أو ٱلْفَرِيْقانِ من أهل الكتاب كما يدل عليه ظاهر الآية وهو الأفضل، فالمراد بهم عامة أهل الكتاب.

﴿تَعَالَوْاْ﴾ فعل أمر، «واو» الجمع فاعله، أي أنتم يا أهل الكتاب.

﴿إِلَىٰ كَلِمَةٍ﴾ حرف جرّ ومجروره، والكلمة هنا كناية عن الإجتماع والإتحاد في العمل، بِحَيْثُ نجتمع على كلمة واحِدَةٍ ونعمل بِها وننشرها. «والكلمة: كلام فيه شرح قصة» قاله الزجاج.[٢]

﴿سَوَآءٍ﴾ مصدرٌ يستعمل وصفاً بمعنىٰ مساوي الطرفين أي مرضي الطرفين. والمراد بهذه الكلمة هي ما تأتي من كلمة التوحيد ومقتضاها وهي عدم عبودية غير الله تعالى.

﴿بَيْنَنَا﴾ مفعول فيه والضمير مُضافٌ إليه. والمراد به نحن ٱلمسلمين[٣].

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿بَيْنَكُمْ﴾ معطوف والضمير يضاف إليه. والمراد به أنتم يا أهل الكتاب.

﴿أَلَّا﴾ حرف نصب ونفي، وهذا أوان الشروع في الكلمة التي يدعو إليها.

﴿نَعْبُدَ﴾ فعل مضارع منصوب، فاعله نحن مستتر، والمراد به توحيد العبادة ونفي عبادة غير الله تعالى.

﴿إِلَّا﴾ حرف استثناء. ﴿ٱللَّهَ﴾ مفعول به.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿لَا﴾ حرف نفي.

﴿نُشْرِكَ﴾ فعل مضارع منصوب بالفتحة الظاهرة معطوف على ألّا نعبدَ وفاعله نحن مستتر.

﴿بِهِۦ﴾ جار ومجرور والضمير يرجع إلى الله تعالى.

﴿شَيْـًٔا﴾ مفعول به. والنكرة في سياق النفي تدل على العموم. أي نفي كلّ أنواع الشرك في الأُلوهية والعبودية والخَلق والفعل.

---

١. التبيان ٢/ ٤٨٨.

٢. مجمع البيان ٢/ ٤٥٤.

٣. (بالنَّصْبِ علىٰ ٱلاختصاص) وَهُوَ الأَوْلىٰ هنا وليس خَبَرَ المبتدأ (نحن) كما قد يَتَوَهَّمُهُ الكثيرُ.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿لَا﴾ حرف نفي.

﴿يَتَّخِذَ﴾ فعل مضارع منصوب، معطوف على لا نشركَ.

﴿بَعْضُنَا﴾ فاعله، والضمير مُضافٌ إليه. ﴿بَعْضًا﴾ مفعولٌ به أَوَّلُ.

﴿أَرْبَابًا﴾ مفعول به ثانٍ. جمع ربّ، والنكرة في سياق النفي تدل على العموم والمراد به الربوبية في الطاعة، لا الشرك في الذات أو العبادة بل الطاعة، بأنّ يطيع إنساناً في معصية الله تعالى لأنّه أمره بها.

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه.

قال العلامة الطباطبائي: «من اعطاء البرهان في طيّ الدعوى والبيان، إذ المتساويان في الوجود يمتنع كون أحدهما ربّاً والآخر مربوباً»[1].

﴿فَ﴾ حرف استئناف. ﴿إِن﴾ حرف شرط جازم.

﴿تَوَلَّوْا۟﴾ فعل مضارع مجزوم بِحَذْفِ النون، فاعله «واو». خطاب لأهل الكتاب.

﴿فَ﴾ حرف ربط وتفريع.

﴿قُولُوا۟﴾ فعل أمر و«واو» فاعله، خطاب للمؤمنين وأمر بإعلان مخالفة المشركين وتهديد وتوبيخ لهم.

﴿ٱشْهَدُوا۟﴾ فعل أمر و«واو» فاعله. وهذا مقول القول. استشهاد بأنّ النبي الخاتمﷺ واتباعه على الدين المرضي عندالله وهو الإسلام.

﴿بِ﴾ حرف جر. ﴿أَنَّا﴾ حرف مشبهة بالفعل و«نا» اسمه.

﴿مُسْلِمُونَ﴾ خبره، وفيه اشارة إلى أنّ التوحيد في العبادة من لوازم الإسلام.

الروايات

قال الشيخ: روي عن أبي‌عبدالله عليه السلام أنّه قال: ما عبدوهم من دون الله وإنّما حرّموا لهم حلالاً وأحلّوا لهم حراماً فكان ذلك اتخاذ الأرباب من دون الله[2].

---

١. تفسير البيان ٢/ ٢٣٩.

٢. التبيان ٢/ ٤٨٨؛ مجمع البيان ٢/ ٤٥٥.

وقال الطبرسي: وقد روي أيضاً أنّه لما نزلت هذه الآية[١] قال عدي بن حاتم: ما كنّا نعبدهم يا رسول الله! فقال أما كانوا يحلّون لكم ويحرّمون فتأخذون بقولهم؟ فقال: نعم، فقال النبيﷺ: هو ذاك.[٢]

قال محمد بن الحسن الشيباني: روي عن جعفر بن محمّدعليه السلام: أنّ الكلمة هاهنا هي شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول اللهﷺ وأنّ عيسى عبدالله وأنّه مخلوق كآدم.[٣]

قال الشيخ أبوالفتوح الرازي: وفي الحديث: مَنْ أَطاعَ مخلوقاً في معصيةِ اللهِ فكأنّما سَجَدَ سجدةً لغير الله.[٤]

في صحيح البخاري وصحيح مسلم كتب رسول اللهﷺ إلى هرقل عظيم الروم وفيه: بسم الله الرّحمن الرّحيم. من محمّد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أمّا بعد فإنّي ادعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم. وأسلم يؤتك الله أجرك مرّتين، فإن تولّيت فإنّ عليك إثم الإريسين و﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾.[٥]

وفي سيرة الحلبي كتب رسول اللهﷺ إلى المُقُوقِس عظيم القبط:

بسم الله الرّحمن الرّحيم. من محمّد عبدالله ورسوله إلى المُقُوقِس عظيم القبط. سلامٌ على من اتبع الهدى. أمّا بعد فإنّي أدعوك بدعاية الإسلام. أسلمْ تَسْلِمْ يؤتك الله أجرك مرّتين فإن تولّيتَ فعليك إثم كلِّ القبط ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ

---

١. بل روي أنّه حين نزلت: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ سورة التوبة / ٣١. كما في الوجيز في تفسير القرآن العزيز ١/ ٢٤٣؛ وعقود المرجان ١/ ٣٢٣؛ وتفسير أبي‌السعود ٢/ ٥٥.

٢. مجمع البيان ٢/ ٤٥٥.

٣. نهج البيان / مخطوط، نقل عنه في البرهان ١/ ٦٣٩، ح١٧٣٤.

٤. روض الجنان ٤/ ٣٧١.

٥. صحيح البخاري ١/ ٦؛ ومسلم ٥/ ١٦٥؛ ومسند أحمد ١/ ٢٦٣؛ كنزالعمال ٤/ ٣٨٤؛ وتفسير الثعلبي ٣/ ٨٦؛ وروض الجنان ٤/ ٣٧٢؛ وسنن البيهقي ٩/ ١٧٨.

بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.١

﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿يَا﴾ حرف نداء.

﴿أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ منادىٰ ومضاف إليه، والمراد بهم اليهود والنصارى.

﴿لِمَ﴾ مركب من حرف الجر «اللام» و«ما» الاستفهامية، فيكون جاراً ومجروراً.

﴿تُحَآجُّونَ﴾ فعل مضارع وفاعله (واو). «الحجاج والمحاجّة واحد وهو الجدال إمّا بحجة أو شبهة وقد يسمّي الجدال بإبهام الحجة حجاباً»٢.

﴿فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ جار ومجرور متعلَّق بالفعل السابق، وهم يدّعون أنّ إبراهيم يهوديٌّ أَوْ نَصْرانيٌّ وقال الله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾٣؟

﴿وَ﴾ حالية. ﴿مَآ﴾ حرف نفي.

﴿أُنزِلَتِ﴾ فعل ماض مؤنث مجهول. ﴿ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾ نائِبُ فاعِلٍ.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿ٱلْإِنجِيلُ﴾ معطوف.

احتجاج بتأخر نزول الكتابين عن إبراهيم فكيف يكون هو يهودياً أو نَصْرانِيّاً.

﴿إِلَّا﴾ حرف استثناء.

﴿مِنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى النبي إبراهيم عليه السلام

---

١. سيرة الحلبي ٣/ ٢٩٦ و٢٩٧.
٢. التبيان ٢/ ٤٩٠.
٣. سورة البقرة / ١٤٠.

وبينهﷺ وبين موسى ألف سنة وبينه وبين عيسى ألفان، فكيف يكون إبراهيم على دين لم يحدث إلّا بعد عهده إلّا بأزمنة متطاولة؟[١]

﴿أَ﴾ حرف استفهام. ﴿فَ﴾ حرف عطف أو تفريع.

﴿لَا﴾ حرف نفي.

﴿تَعْقِلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. يا أهل الكتاب، إذا كان نزول الكتابين بعدهﷺ فكيف يمكن أن يكون هوﷺ مِنْ أتباعهما؟ أفلا تدبّرون في استحالة هذا الأمر؟ وهل هذا القول إلّا العصبية واللجاج؟

﴿هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦٦﴾

﴿هَـٰٓ﴾ حرف تنبيه يدخل على ضمير الرفع، مبنيٌّ على السكون لا محلّ له من الإعراب.«وعن الأخفش ﴿هَـٰٓأَنتُمْ﴾: هوآ أنتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء. ومعنىٰ الاستفهام التعجب من حماقتهم»[٢].

﴿أَنتُمْ﴾ مُبْتَدَأ، خطاب لأهل الكتاب. ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ بدل، ويمكن أن يكون خبراً.

﴿حَـٰجَجْتُمْ﴾ فعل ماض وفاعله. خبر، أنتم يا أهل الكتاب، ويمكن أن يكون جملة مستأنفة مبيّنة للجملة الأُولىٰ، «يعني أنتم هؤلاء الأشخاص الحَمْقىٰ وبيان حماقتكم وقلّة عقولكم أنّكم جادلتم»[٣].

﴿فِيمَا﴾ جار ومجرور. ﴿لَكُم﴾ جار ومجرور، خبرٌ مقدّمٌ. والضمير يرجع إليهم.

﴿بِهِۦ﴾ جار ومجرور والضمير يرجع إلى «ما». ﴿عِلْمٌ﴾ مُبْتَدَأٌ مؤخر.

لايقال: إلى هنا تثبت لهم علماً في المحاجّة التي وقعت بينهم كالعلم بوجوده

---

١. الكشّاف ١/ ٣٧١.
٢. الكشّاف ١/ ٣٧١.
٣. الكشّاف ١/ ٣٧١.

ونبوّته وأولاده وأحفاده.

لأنّا نقول: هذه الأُمور لَعَلَّها من الواضحات ولاتعدّ من العلم، بل الآية الشريفة تُوَضِّحُ بَلْ تُؤَسِّسُ قواعد المحاجّة والبحث العلمي، بأنّ المناظِر والباحث لابدّ له من العلم بالمسألة المبحوث عنها والمناظرة فيها، ولاأَقَلَّ مِنْ أَنْ يكونَ له بعضُ مراتب العلم، لا الجهل بالمسألة. ويأتي في ختام هذه الآية كلام في هذا الباب فانتظر.

﴿فَ﴾ حرف عطف. ﴿لِمَ﴾ جار ومجرور كما مرّ في الآية السابقة.

﴿تُحَآجُّونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. يا أهل الكتاب. ﴿فِيمَا﴾ جار ومجرور.

﴿لَيْسَ﴾ فعل ماض من الأفعال الناقصة. ﴿لَكُم﴾ جار ومجرور، خبر مقدم.

﴿بِهِۦ﴾ جار ومجرور، والضمير يرجع إلى «ما». ﴿عِلْمٌ﴾ اسم ليس.

وإلى هنا تنفي ٱلْآيَةُ ٱلكريمةُ عنهم العلم، وتثبته لله تعالى في ما بعد؛ والنكرة في سياق النفي تفيد العموم وهو عدم كون النبي إبراهيم عليه السلام من اليهود والنصارى.

﴿وَ﴾ استئناف. ﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ.

﴿يَعْلَمُ﴾ فعل مضارع وفاعله؛ خبر.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿أَنتُمْ﴾ مبتدأ، يا أهل الكتاب.

﴿لَا﴾ حرف نفي. ﴿تَعْلَمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر.

قال العلّامة الطباطبائي: «ليس المراد بجهلهم به جهلهم بنزول التوراة والإنجيل بعده وهو ظاهر، ولا ذهولهم عن أن السابق لايكون تابعاً للاحقّ فإنّه خلاف ما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، فإنّه يدلّ على أن الأمر يكفي فيه أدنى تنبيه، فهم عالمون بأنّه كان سابقاً على التوراة والإنجيل لكنّهم ذاهلون عن مقتضى علمهم وهو أنّه لايكون حينئذ يهودياً ولا نصرانياً، بل على دين الله الذي هو الإسلام لله.

لكن اليهود مع ذلك قالوا: إن الدين الحقّ لايكون إلّا واحداً وهو اليهودية فلا محالة كان إبراهيم يهودياً، وقالت النصارى مثل ذلك فنصرت إبراهيم، وقد جهلوا في ذلك أمراً وليس بذهول، وهو أن دين الله واحد، وهو الإسلام لله، وهو واحد مستكمل بحسب مرور الزمان واستعداد النّاس من حيث تدرجهم بالكمال،

واليهودية والنصرانية شعبتان من شعب كمال الإسلام الذي هو أصل الدين، والأنبياء عليهم السلام بمنزلة بناة هذا البنيان، لكلٍّ منهم موقعة فيما وضعه من الأساس وممّا بنا عليه من هذا البنيان الرفيع.

وبالجملة: فاليهود والنصارى جلهوا أنّه لايلزم من كون إبراهيم مؤسساً للإسلام وهو الدين الأصيل الحقّ ثمّ ظهور دين حقّ بإسم اليهودية أو النصرانية، وهو اسم شعبة من شعب كماله ومراتب تمامه أن يكون إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً بل يكون مسلماً حنيفاً متلبساً باسم الإسلام الذي أسسه وهو أصل اليهودية والنصرانية دون نفسهما، والأصل لاينسب إلى فرعه بل ينبغي أن يعطف الفرع عليه.

وتسمية إبراهيم مسلماً لا يهودياً ولا نصرانياً غير عدّه تابعاً لدين النبي وشريعة القرآن ليرد الإشكال بأنّه كما كان متقدماً على نزول التوراة والإنجيل فلاينبغي أن يعد يهودياً أو نصرانياً كذلك كان متقدماً على نزول القرآن وظهور الإسلام فلاينبغي أن يعد مسلماً (حذو النعل بالنعل).

وذلك أن الإسلام بمعني شريعة القرآن من الاصطلاحات الحادثة بعد نزول القرآن وانتشار صيت الدين المحمّدي، والإسلام الذي وصف به إبراهيم هو أصل التسليم لله سبحانه والخضوع لمقام ربوبيته فالإشكال غير متوجه من أصله.

ولعلّ هذا الذي ذكرناه من وجه جهلهم بمعنىٰ الدين الأصيل، وكونه حقيقة ذات مراتب مختلفة ومتدرجة في الاستكمال هو المراد بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾»[1].

أقول: ما ذكره قدس سره من: «أنّ الإسلام بمعني شريعة القرآن من الاصطلاحات الحادثة بعد نزول القرآن وانتشار صيت الدين المحمّدي» غير تام. لما ورد من تسمية هذا الدين الشريف في القرآن الكريم بالإسلام نحو قوله تعالى: ﴿...هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[2]، أو الآية السابقة:

---

١. الميزان ٣/ ٢٥٢ و٢٥٣.
٢. سورة الحج / ٧٨.

﴿فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾[1] أو ما يأتي في هذه السورة: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[2].

نعم، التسمية من النبي إبراهيم عليه السلام كما مرّ في سورة الحج ويأتي في قوله تعالى: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[3].

﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧﴾

﴿مَا﴾ حرف نفي. ﴿كَانَ﴾ فعل ماض من ٱلْأَفْعالِ الناقصة.

﴿إِبۡرَٰهِيمُ﴾ اسمه.

﴿يَهُودِيّٗا﴾ خبره. اليهودية: ملّة محرّفة عن شرع موسى عليه السلام وقيل في إطلاق الصفة بيهود قولان: ١. أنّهم ولد يهود. ٢. أنّه مأخوذ من هاد يهود، إذا رجع.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿لَا﴾ حرف نفي.

﴿نَصۡرَانِيّٗا﴾ معطوف. النَّصْرانِيَّةُ ملّة محرّفة عن شرع عيسى عليه السلام وقيل في إطلاق الصفة بها قولان: ١. أنّه مأخوذ من ناصرة قرية بِفِلَسْطِيْن المحتلّة فعليّاً. ٢. أنّه مِنْ نصر المسيح عليه السلام.

وَقَدْ مرّ في الآية السابقة عدم معقولية أنّ إبراهيم كان منهما.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿لَٰكِن﴾ حرف استدراك.

﴿كَانَ﴾ من الأفعال الناقصة، واسمه ضَمِيْرٌ مستتر يرجع إلى النبي إبراهيم عليه السلام.

﴿حَنِيفٗا﴾ خبره، «قيل في معنىٰ الحنيف قولان: أحدهما: المستقيم الدين لأنّ

---

١. سورة آل‌عمران / ٦٤.
٢. سورة آل‌عمران / ٨٥.
٣. سورة الأنعام / ١٦٣.

الحنف هو الاستقامة في اللغة...، والثاني: إنّ الحنيف هو المائل إلى الحق في الدين فيكون مأخوذاً من الحنف في القدم وهو الميل»[١] وعلى المعنىٰ الثاني، يكون إبراهيم مائِلاً إلى التوحيد ولازمه نفي الشرك.

﴿مُّسۡلِمٗا﴾ خبره الثاني، مرّ كيفية إطلاق الإسلام عليه‌السلام. أو أنّه كان على بعض شريعة الإسلام، كما كانَ أصحاب النبي‌صلى‌الله‌عليه‌وآله في صدر الإسلام وقبل استكماله؛ والأوّل: هو الإسلام بالمعنىٰ العام كما مرّ من العلّامة الطباطبائي‌رحمه‌الله في الميزان. والثاني: الإسلام بالمعنىٰ الخاصّ وهو دين خاتم الأنبياء محمّدصلى‌الله‌عليه‌وآله.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿مَا﴾ حرف نفي.

﴿كَانَ﴾ من الأفعال الناقصة. ضميرهُ المستتر اسمه، يرجع إلى إبراهيم‌عليه‌السلام.

﴿مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ جار ومجرور خبره. نفىٰ الله تعالى الشرك من أَبي الأديان التوحيدي، لأنّ كان بين العرب الجاهلي مَنْ يزعم أنّ الحنيفية هي الوثنيّة حتّى أهل، الكتاب يسمّونهم: الحنفاء، فَنفاها الله تعالى.

ومن الواضح أنّ أَتْباعَ اليهودية وَٱلنَّصَٰرَىٰ يُعَدُّوْنَ من المشركين لإشراكهم به تعالى عزيراً والمسيح‌عليهما‌السلام.

الروايات

وفي صحيحة عبدالله بن مسكان عن أبي‌عبدالله‌عليه‌السلام في قول الله عزّوجلّ: ﴿حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا﴾ قال: خالصاً مُخْلِصاً ليس فيه شيءٌ من عبادة الأُوثان.[٢]

في العياشي عن عبيدالله الحلبي عن أبي‌عبدالله‌عليه‌السلام، قال: قال أمير المؤمنين‌عليه‌السلام: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا﴾ لا يهوديّاً يُصلّي إلى المغرب، ولا نصرانيّاً يُصلّي إلى المشرق ﴿وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا﴾ يقول: كان على دين محمّدصلى‌الله‌عليه‌وآله.[٣]

ونحوها في خبر جابر عن أبي‌جعفرعليه‌السلام المروي في الكافي.[٤]

---

١. التبيان ٢/ ٤٩٣.
٢. الكافي ٣/ ٤٤، ح١ (٢/ ١٥).
٣. تفسير العياشي ١/ ٣١٢، ح٦٠؛ بحارالأنوار ١٢/ ١١، ح٢٩ و٢٦/ ٢٨٧، ح٦٤.
٤. الكافي ١٥/ ٨٣٣، ح٥٧٥ (٨/ ٣٨١).

وعن أبي‌جعفر عليه السلام: إنّ اليهود قالت: كان إبراهيم يهودياً، وقالت النصارى: كان نصرانياً، فأكذبهم الله في ذلك بإنزال هذه الآية.١

﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾

الآية الشريفة في مقام التعليل بنسبة إلى إسلام إبراهيم عليه السلام.

﴿إِنَّ﴾ من الحروفِ ٱلْمُشَبَّهَةِ بالفعل.

﴿أَوْلَى﴾ اسمه، أحقّ النّاس بنصرة إبراهيم بالمعونة أو الحجة. أُولى: أفعل التفضيل مِن وليه يليه وَلْيَاً، وهو بمعنىٰ أقرب أي أقرب النّاس إلى إبراهيم في الدخول في ولايته من كان متبعاً له ولهذا النبي صلى الله عليه وآله.

﴿ٱلنَّاسِ﴾ مضاف إليه. ﴿بِإِبْرَٰهِيمَ﴾ جار ومجرور.

﴿لَلَّذِينَ﴾ لام مزحلقة وخبر إنّ.

﴿ٱتَّبَعُوهُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعوله. الاتباع: جريان الثاني على طريقة الأوّل من حيث هو عليه، تعريض بِأَهْلِ الكتاب لعدم اتباعهم إيّاه في إسلامه لله تعالى بالتبعية يلحق التابع بالمتبوع والتمرّد يفصله منه، فمن أطاع أحداً فهو منه ومن عصاه فليس منه كما قال الله تعالى نقلاً من إبراهيم عليه السلام: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾٢.

﴿وَ﴾ حرف عطف، يعطف مابعده على ضمير المفعول في ﴿ٱتَّبَعُوهُ﴾، وقيل: الجملة وهي: ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾ معطوفة على الموصول قبله فيكون من عطف الخاص على العام. وقيل: إنّه معطوف على إبراهيم، والأوّل الأظهر.

﴿هَٰذَا﴾ معطوف.

---

١. التبيان ٢/ ٤٩٠.

٢. سورة إبراهيم / ٣٦.

﴿ٱلنَّبِيُّ﴾ بدله، المراد به النبي الأعظم الخاتم محمّدﷺ. أفرد النبيﷺ عن المؤمنين بعده واتباع إبراهيم قبله، إجلالاً لهﷺ وصوناً لمقامه أن يطلق عليه الاتباع.

﴿وَٱلَّذِينَ﴾ حرف عطف ومعطوفه.

﴿ءَامَنُواْ﴾ فعل ماض وفاعله، أي آمنوا بالله تعالى وبهذا النبيﷺ، فيكون ٱلْمُؤْمِنُوْنَ من أُمّتهﷺ.

﴿وَ﴾ استئناف. ﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ.

﴿وَلِيُّ﴾ خبر.

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ مضاف إليه. وولاية إبراهيمعليه السلام وهذا النبيﷺ داخِلَتانِ في ولاية الله تعالى.

الروايات

صحيحة عمر بن يزيد قال: قال أبوعبداللهعليه السلام: أنتم والله من آل محمّد. فقلت: من أنفسهم جعلت فداك؟ قال: نعم، والله من أنفسهم ثلاثاً. ثمّ نظر إليَّ ونظرتُ إليه فقال: يا عمر إنّ الله يقول في كتابه: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.[١]

ونحوها مرسلاً عنه في تفسير العياشي[٢] وأمالي الشيخ الطوسي[٣].

خبر عبدالله بن سليمان الصيرفي قال: سمعت أباجعفرعليه السلام يقول: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ثمّ قال: أنتم والله على دين إبراهيم ومنهاجه وأنتم أولى النّاس به.[٤]

رواها العياشي[٥] مرسلاً عن أبي الصباح الكناني.

حسنة عبدالله بن عجلان عن أبيجعفرعليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ

---

١. تفسير القمي ١/ ١٠٥.
٢. تفسير العياشي ١/ ٣١٢، ح٦١.
٣. أمالي الطوسي، المجلس الثاني، ح٢٢/ ٤٥، رقم٥٣.
٤. المحاسن ١/ ٢٤٤، ح٥٧.
٥. تفسير العياشي ١/ ٣١٣، ح٦٣.

بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ قال: هم الأئمة عليهم السلام ومن اتبعهم.[١]

روى نحوها العياشي[٢] عن علي بن النعمان.

الرضي رفعه إلى أميرالمؤمنين عليه السلام في كتابه إلى معاوية ـ عليه الهاوية ـ :... فاسلامنا قد سُمع وجاهليتنا لا تُدفع وكتاب الله يجمع لنا ما شدَّ عنّا وهو قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فنحن مرّة أولى بالقرابة وتارة أولى بالطاعة، الكتاب.[٤]

أبومنصور الطبرسي مرفوعاً عن أميرالمؤمنين عليه السلام في خطبته على الناكثين بعد قرأة الآيتين الماضيتين في كتابه قال: فنحن أولى النّاس بإبراهيم ونحن ورثناه ونحن أولى الأرحام الذين ورثنا الكعبة ونحن آل إبراهيم، أفترغبون عن ملّة إبراهيم، وقد قال الله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾[٥]، يا قوم أدعوكم إلى الله ورسوله وإلى كتابه وإلى ولي أمره وإلى وصيِّه ووارثه من بعده فاستجيبوا لنا واتبعوا آل إبراهيم واقتدوا بنا فإنّ ذلك لنا آل إبراهيم فرضاً واجباً والأفئدة من النّاس تهوى إلينا وذلك دعوة إبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ﴾[٦]، الخطبة.[٧]

الزمخشري في ربيع الأبرار: قال علي عليه السلام: إنّ أولى النّاس بالأنبياء أعلمهم بما جاءوا به ثمّ تلا: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ الآية، ثمّ قال: إنّ ولي محمّد صلى الله عليه وآله من اطاع الله وإن بَعُدَتْ لُحْمَتُهُ، وإنّ عدوّ محمّد صلى الله عليه وآله من عصى الله وإن قَرُبَتْ قَرَابَتُهُ.[٨]

---

١. الكافي ٢/ ٣٧٢، ح٢٠ (١/ ٤١٦).
٢. تفسير العياشي ١/ ٣١٣، ح٦٢.
٣. سورة الأنفال / ٧٥.
٤. نهج‌البلاغة، الكتاب ٢٨.
٥. سورة إبراهيم / ٣٦.
٦. سورة إبراهيم / ٣٧.
٧. الاحتجاج ١/ ١٦٠.
٨. ربيع الأبرار ٣/ ٥٦٠.

رواها الرضي في نهج البلاغة[١] والطبرسي في مجمع البيان[٢].

﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿وَدَّت﴾ فعل ماض مؤنث. «الودّ هو المحبة. ويأتي بمعنىٰ التمنّي إذا كان المحبّ مشتغلاً بمقدمات ما يحبّه فيكون الودّ حينئذ أخص[٣] من التمنّى»[٤].

﴿طَّآئِفَةٌ﴾ فاعل. «الطائفة: الجماعة من النّاس، وكان الأصل فيه أنّ النّاس وخاصة العرب كانوا أوّلاً يعيشون شُعُوْباً وقبائل بدويين يطوفون صيفاً وشتائاً بِمَواشِيْهِمْ في طلب الماء والكَلَأ، وكانوا يطوفون وهم جماعة تحذّراً من الغيلة والغارة فكان يقال لهم جماعة طائفةَ، ثمّ اقتصر على ذكر الوصف (الطائفة) للدلالة علىٰ الجماعة»[٥]، والمراد بها هنا وُجَهاؤُهُمْ وَرُؤَساؤُهُمْ من الأحبار والقسيسين.

﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. من يدلّ على الجنس، أهل الكتاب هم اليهود والنصارى.

﴿لَوْ﴾ هنا «حرف مصدري واستقبال مبنيٌّ على السكون لا محلّ له من الإعراب ولا عمل له. يُرادِفُ أن ويؤوّل ما بعدها بمصدر يُعرب حسب موقعه في الجملة وأكثره وُقُوْعُهُ بعد «ودّ»»[٦].

﴿يُضِلُّونَكُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعوله. «الإضلال: الإهلاك بالدخول في الضلال، وأصل الضلال: الهلاك من قوله: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٧] أي هلكنا»[٨].

---

١. نهج البلاغة، الحكمة ٩٢.
٢. مجمع البيان ٢/ ٤٥٨.
٣. بل الصحيح هو الأعم.
٤. مواهب الرحمن ٦/ ٥٨.
٥. الميزان ٣/ ٢٥٤.
٦. موسوعة النحو والصر والإعراب / ٥٨٦.
٧. سورة سجدة / ١٠.
٨. التبيان ٢/ ٤٩٥.

﴿وَ﴾ حالية. ﴿مَا﴾ حرف نفي.

﴿يُضِلُّونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. ﴿إِلَّآ﴾ حرف استثناء.

﴿أَنفُسَهُمۡ﴾ مفعول به والضمير مُضافٌ إليه يرجع إلى أهل الكتاب. وحرف النفي والاستثناء يَدُلّانِ على الحصر، أي أنّهم يضلون أنفسهم فقط ولا غير، ولا يتمكنون ولا يوفقون من إضلال المؤمنين.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿مَا﴾ حرف نفي.

﴿يَشۡعُرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. وهم لايشعرون بأنهم يضلون أنفسهم فقط، لأنّ «أوّل الفضائل الإنسانية الميل إلى الحقّ واتباعه، فحبّ صرف النّاس عن الحقّ إلى الباطل»[1]. «لا يتحقّق إلّا بعد ضلالتهم وإعراضهم عن الحقّ وبُعدهم عن الكمال الذي أعده الله تعالى لهم»[2].

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ٧٠﴾

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ حرف نداء ومنادى ومضاف إليه.

﴿لِمَ تَكۡفُرُونَ﴾ جار ومجرور وفعل مضارع وفاعله. الكفر: الجحد، استفهام انكاريٌّ توبيخيٌّ. وللكفر أقسام: الجلّي والصريح، والخفي والمستور.

﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، والمراد بها: المعارف الإلهية بعد ورود البيان ووضوح الحقّ والأحكام المقدسة، وهذا الكفر يلازم مع الكفر بالله تعالى في فرض توجّه الجاحد لها أنّها من الله تعالى، والمراد هنا بآيات الله هي نبوة النبي الخاتم محمّد ﷺ.

﴿وَ﴾ حالية. ﴿أَنتُمۡ﴾ مبتدأ يا أهل الكتاب.

﴿تَشۡهَدُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر. الشهادة: الخبر بالشيء عن مشاهدة

---

١. الميزان ٣/ ٢٥٤.

٢. مواهب الرحمن ٦/ ٥٨.

أو الحضور والعلم عن حسٍ، لأنّهم يشاهدون الآيات والعلائم المذكورة في حقّ النبي محمّدﷺ موجودة في التوراة والإنجيل، وإذا خلوا يشهدون بصحة نبوة ٱلنَّبِيِّ الخاتم محمّدﷺ.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ ﴿٧١﴾

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ حرف نداء ومنادى ومضاف إليه، عتاب لجميعهم بفعال بعضهم وهم أحبارهم وقسسهم بجهة رِضاهُمْ بهذه الأفعال القبيحة، وهو كثير الورود في القرآن الكريم.

﴿لِمَ تَلۡبِسُونَ﴾ جار ومجرور وفعل مضارع وفاعله. «اللَبس: بفتح اللام: القاء الشبهة والتمويه: أي تظهرون الحق في صورة الباطل»[1]، استفهام إنكاري توبيخي.

﴿ٱلۡحَقَّ﴾ مفعول به، وهو آيات الله، المعارف الإلهية والأحكام المقدسة. ولعلّ ٱلْمُرادَ هنا نبوة نبيّنا محمّدﷺ.

﴿بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ جار ومجرور. ﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿تَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعول به. كتمان الحق «بستره وعدم إظهاره أو بتحريف الكتاب... أو بتمويه الحقّ...»[2]. وكتمان الحقّ من أعظم الكبائر.

﴿وَ﴾ حالية. ﴿أَنتُمۡ﴾ مبتدأ.

﴿تَعۡلَمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر. أي تعلمون الحق وتعرفونه: أي تعلمون أنّ النبي مُحَمَّداًﷺ خاتم الأنبياء وتعرفون ذلك وتكتمون وتنكرون.

---

١. الميزان ٣/ ٢٥٦.
٢. مواهب الرحمن ٦/ ٦٠.

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٧٢﴾

﴿وَ﴾ استئناف. ﴿قَالَت طَّآئِفَةٌ﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، ومن بيانية. وهو من اليهود.

في الكشّاف: «قيل: تواطأ اثناعشر من أحبار يهود خيبر وقال بعضهم لبعض: ادخلوا في دين محمّد أوّل النهار من غير اعتقاد، واكفروا به آخر النهار وقولوا: إنّا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمّداً ليس بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه وبطلان دينه، فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينهم.

وقيل: هذا في شأن القبلة لما صرفت إلى الكعبة قال كعب بن الأشرف لأصحابه: آمنوا بما أُنزل عليهم من الصلاة إلى الكعبة وصلوا إليها في أوّل النهار، ثمّ اكفروا به في آخره وصلوا إلى الصخرة، ولعلّهم يقولون: هم أعلم منّا وقد رجعوا فيرجعون»[1].

﴿ءَامِنُواْ﴾ فعل أمر و«ٱلْواوُ» فاعله ويرجع إلى جماعة من أهل الكتاب ـ اليهود هنا ـ وهذه بداية مقول قولهم وهو: إظهار الإيمان بالنسبة إلى نبوة نبيّنا محمّدﷺ، لا واقعه.

﴿بِٱلَّذِىٓ﴾ جار ومجرور.

﴿أُنزِلَ﴾ فعل ماض مجهول، تعبير منهم لايجاد الشبهة حيث هم ينكرون انزاله من الله تعالى.

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ﴾ حرف جر ومجروره.

﴿ءَامَنُواْ﴾ فعل ماض وفاعله، بنبوة محمّدﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين وهم المسلمين.

﴿وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾ مفعول فيه ومضاف إليه، أي أوّله.

---

١. الكشّاف ١/ ٣٧٣.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿ٱكۡفُرُوٓاْ﴾ فعل أمر وفاعله. يرجع إلى جماعة من أهل الكتاب ـ وهم اليهود هنا ـ.

﴿ءَاخِرَهُۥ﴾ مفعول فيه والضمير مُضافٌ إليه، يرجع إلى النهار.

﴿لَعَلَّهُمۡ﴾ من ٱلۡحُرُوۡفِ ٱلۡمُشَبَّهَةِ بالفعل للترجي والضمير اسمه، يرجع إلى المسلمين. أي لعلّ المسلمين يشكون في دينهم ويقولون: ما رجعوا وهم أهل كِتابٍ وعلمٍ إلّا لأمر قد تبيّن لهم فـ.

﴿يَرۡجِعُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر لعلّ. أي يرجع المسلمون برجوع أهل الكتاب عَنْ دينهم الحقّ. لِإِدْخالِ الشبهة والشك في دينهم ظناً بأنّ رجوعكم لخلل ظهر لكم.

ولعلّ هذا هو حكمة حكم الإعدام للمرتد الملي ـ الذي كان كافراً فأسلم ثمّ رجع عن دين الحقّ والإسلام وكَفَرَ مجدداً ـ حيث يُمْهَلُ ثلاثة أيام حتّى يَتُوْبَ وإن لم يتب يحكم عليه بالإعدام إذا كان رجلاً وأمّا إذا كانت امرأة فَتُحْبَسُ وَيُضَيَّقُ عليها في الحبس حتّى تَتُوْبَ وَتُطْلَقَ وإلّا تبقىٰ في الحبس مدىٰ حياتها.

الرواية

ورد في تفسير القمي: وفي رواية أبي الجارود عن أبيجعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا قَدِم المدينة وهو يُصلّي نحو بيت المَقْدِس، أعجب ذلك اليهود، فلمّا صرَفَه الله عن بيت المَقْدِس إلى البيت الحرام وَجَدَت[1] اليهود من ذلك، وكان صَرْفُ القبلة صلاةَ الظهر، فقالوا: صلّى محمّد الغداةَ واستقبل قبلتنا، فآمنوا بالذي أُنزل على محمّد وجه النهار واكفروا آخره، يعنون القِبلة حين استقبل رسول الله صلى الله عليه وآله المسجد الحرام ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ إلى قبلتنا.[2]

---

١. أي غضبت.

٢. تفسير القمي ١/ ١٠٥.

﴿وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٧٣﴾

﴿وَ﴾ حرف عطف، عَطَفَ هذه الآية علىٰ ما قَبْلَها وفيها تتمة مقالة ﴿طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ في الآية السابقة.

﴿لَا تُؤۡمِنُوٓاْ﴾ فعل نهي وفاعله، أي لاتؤمنوا يا أهل الكتاب بِمُحَمَّدٍﷺ ولاتصدّقوه.

﴿إِلَّا﴾ حرف استثناء. والنفي وإلّا يدلان على الحصر. ﴿لِمَن﴾ جار ومجرور.

﴿تَبِعَ﴾ فعل ماض وفاعله ضميرٌ مستتر يرجع إلى مَنْ.

﴿دِينَكُمۡ﴾ مفعول به والضمير مضاف إليه. إلى هنا تتمة مقالة أهل الكتاب وهم اليهود في الآية السابقة، وهم يعرفون بأنّ النبي الخاتمﷺ الموعود به في أديانهم هو الذي كانَ يصلي أوّلاً نحو بيت المقدس ثمّ بعد مدّة تحولت قبلته نحو المسجد الحرام ولكن قالوا: لاتصدّقوا هذا الأمر ـ أي تحويل القبلة ـ وآمنوا به في أوّل النهار واكفروا آخره، حتّى لايعرف المسلمون حقيّة دينهم وصحة نبوة نبيهم، ويبقى سؤددكم، فمعنىٰ الآية ـ على الظاهر والعلم عند الله ـ عدم تصديق أهل الكتاب أمر تحويل القبلة وبالمآل نبوة النبي الخاتمﷺ وصدور الأمر من أحبارهم بعدم جواز الإيمان والتصديق إلّا للتابعين لمذهبهم فقط ولا غير.

ثمّ أجابهم الله تعالى بقوله:

﴿قُلۡ﴾ فعل أمر، فاعله أنت يا محمّدﷺ. ﴿إِنَّ﴾ من ٱلحروف ٱلۡمُشَبَّهَةِ بالفعل.

﴿ٱلۡهُدَىٰ﴾ اسمه. ﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾ خبره ومضاف إليه.

معناه ـ على الظاهر ـ الهداية التي يَحْتاجُ إليها المؤمنون هِيَ الهداية الإلهية دون هدايتكم، بل الهداية لاتَتُمُّ إلّا بالهداية الإلهية والربانيّة وَهُدىٰ الله هو الهدى لا غيره، فالمؤمنون لايحتاجون إلى هدايتكم أيها اليهود خاصة وأهل الكتاب عامة.

﴿أَن يُؤۡتَىٰٓ﴾ حرف نَصْبٍ وفعل مضارع منصوب بالفتحة المقدرة ومجهول، تتمة لنقل كلام اليهود فإنّهم قالوا بذلك، أي مخافة أي يؤتىٰ.

﴿أَحَدٌ﴾ نائب فاعله، أي أحد من المؤمنين المعني به وهو رسولهم ونبيّهم الخاتمﷺ.

﴿مِّثۡلَ مَآ﴾ مفعول به ومضاف إليه.

﴿أُوتِيتُمۡ﴾ فعل ماضٍ مجهول، والضمير نائب فاعله. من أمر الكتاب السماوي والنبوة والرسالة والقبلة الخاصة بل الدين الكامل التام العالَمي بل آخر الأديان الإلهية.

﴿أَوۡ﴾ حرف عطف.

﴿يُحَآجُّوكُمۡ﴾ فعل مضارع منصوب بحذف النون، «واو» فاعله، «كم» مفعول به، أي يُحاج هذا النبي الذي آتاه الله مثل ما آتاكم ومَنْ تبعه معكم في إبطال دينكم.

﴿عِندَ﴾ مفعول فيه.

﴿رَبِّكُمۡ﴾ مضاف إليه والضمير أيضاً مُضافٌ إليه. إلى هنا تمت مقالة أهل الكتاب واليهود خاصة. ثمّ أجابهم الله تعالى بقوله من عدم اختصاص الهداية الإلهية في زمن حجية دينهم بهم، بل هي فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده الذين اصطفاهم.

﴿قُلۡ﴾ فعل أمر فاعله أنت يا محمّدﷺ. ﴿إِنَّ﴾ من ٱلحروف ٱلْمُشَبَّهَةِ بالفعل.

﴿ٱلۡفَضۡلَ﴾ اسمه، قال الراغب ٱلْأَصْفَهانِيُّ: «كلُّ عَطِيَّةٍ لاتَلْزَمُ مَنْ يُعْطي يُقالُ لها: فضلٌ»[1]. الفضل: الزيادة.

﴿بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، ومجموعه خبر «إنّ».

﴿يُؤۡتِيهِ﴾ فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدّرة، فاعله هو مقدّر يرجع إلى الله تعالى، والضمير (ـه) مفعول به. يرجع، إلى الفضل.

﴿مَن﴾ مفعول به ثان.

﴿يَشَآءُ﴾ فعل مضارع فاعله ضميرٌ مستتر يرجع إلى الله تعالى.

﴿وَ﴾ حرف استئناف أو عطف.

---

١. المفردات / ٣٩٦.

﴿ٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ مبتدأ وخبره وخبر ثان. والله واسع في كثرة فضله وعميم كرمه بحيث لايعلمه أحدٌ حتّىٰ خزّان غيبه تعالى، ولكن هو عليم بأن يؤتى الفضل والهداية لأيّ من عباده المكرمين وعلى حسب مصالحهم.

قال الطبرسي: «وفي هذه الآيات معجزة باهرة لنبيّنا إذ فيها إخبارٌ عن سرائر القوم التي لايعلمها إلّا علّام الغيوب وفيها دفع لِمَكايِدِهِمْ ولطف للمؤمنين في الثبات على عقائدهم»[1].

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾

قد مرّ الآية الشريفة في ذيل آية ١٠٥ من سورة البقرة.

﴿يَخْتَصُّ﴾ فعل مضارع فاعله ضميرٌ مستتر يرجع إلى الله تعالى. الاختصاص: انفراد بعض الأشياء بمعنىً دون غيره ونقيضه الاشتراك. والاختصاص لا يكون إلّا على الإضافة لأنّه اختصاص بكذا دون كذا.

﴿بِرَحْمَتِهِۦ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. والمراد بالرحمة هنا المخصوصة منها لا الرحمة العامة التي يدل عليها قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾[2].

قال في الميزان: «في تبديل الفضل [في الآية السابقة] بالرحمة[3]... دلالة على أنّ الفضل وهو العطية غير الواجبة من شعب الرحمة»[4].

أقول: بل هو من الرحمة الخاصة لا العامة فيصدق أنّها النبوة كما مرّ في سورة

---

١. مجمع البيان ٢/ ٤٦١.
٢. سورة الأعراف / ١٥٦.
٣. كَذا جاءَ في (الميزان) وَٱلْوَجْهُ أَنْ يُقالَ: «في تَبْدِيْلِ ٱلرَّحْمَةِ بِالْفَضْلِ...»؛ لِأَنَّ (ٱلباءَ) إِنَّما تَدْخُلُ علىٰ ٱلْمُبْدَلِ مِنْهُ لا علىٰ ٱلْمُبْدَلِ في الاستبدال والإبدال كما في قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [سورة البقرة / ٦١] وقدم تقدّم التنبيهُ عليه.
٤. الميزان ٣/ ٢٦٠.

البقرة[١].

﴿مَن﴾ مفعول به.

﴿يَشَآءُ﴾ فعل مضارع يدل على استمرار اختصاص هذه الرحمة وفاعله ضميرٌ مستتر يرجع إلى الله. وبالاستمرار يدل على الوصاية والإمامة والولاية، كما مَرَّتْ رواياته في ذيل آية ١٠٥ من سورة البقرة فلا نعيدها.

﴿وَ﴾ حرف استئناف أو عطف. ﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ. ﴿ذُو ٱلۡفَضۡلِ﴾ خبره ومضاف إليه.

﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾ نعت. وهذه الجملة الأخيرة بمنزلة التعليل للمعاني السابقة بأنّ صاحب الفضل العظيم بيده إعطاء الفضل لمن يشاء وبيده اختصاصه لمن يشاء واختصاص رحمته لمن يشاء ويعمل على طبق علمه بمصالح عباده وما هو اللائق بحالهم من الفضل والرحمة.

نسأل الله ٱلۡمَزِيْدَ من رحمته العامة والخاصة ومن فضله العميم والله واسع عليم وذوالفضل العظيم والحمدلله ربّ العالمين.

الرواية

وفي بشارة المصطفىﷺ لشيعة المرتضىعليه السلام لأبي‌جعفر محمّد بن أبي‌القاسم محمّد ابن علي الطبري عن سعيد بن زيد بن أرطاة عن كميل بن زياد عن أميرالمؤمنينعليه السلام في حديث قال: يا كميل، قال رسول اللهﷺ لي قولاً، والمهاجرون والأنصار متوافرون يوماً بعد العصر، يوم النصف من شهر رمضان قائماً على قدميه فوق منبره: عليٌّ وابناي منه الطيبون منّي وأنا منهم، وهم الطيبون بعد أُمّهم، وهم سفينةٌ من ركبها نجا ومن تخلَّف عنها هوىٰ، الناجي في الجنة والهاوي في لَظىٰ.

يا كميل: ﴿ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

يا كميل: علام يحسدوننا، والله أنشأنا من قبل أن يَعرفونا، أفَتراهم بحسدهم إيّانا عن ربّنا يُزَيْلونَنا؟![٢]

---

١. ذيل الآية ١٠٥ منها.

٢. بشارة المصطفىﷺ لشيعة المرتضىعليه السلام / ٣٠.

﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧٥﴾

والآية الشريفة يُذْكَرُ فيها بعض مختصات أهل الكتاب.

﴿وَ﴾ استئناف.

﴿مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ حرف جر ومجروره ومضاف إليه، خبر مقدم. يمكن أن يأتي بضمير منهم لأنّ الآيات السابقة نزلت فيهم ولكن أتى بِالاسْمِ الظاهر بدلاً من الضمير حتّى يشعر بأنّهم بعض منهم مضافاً إلى أنّ الوصف مشعر بالعلّيّة أي أنّهم حيث يروون أنفسهم أهل الكتاب يجوزون لأنفسهم أن يفعلوا في أموال غيرهم ما شاؤوا وفيه نوع توبيخ لهم.

﴿مَنْ﴾ مُبْتَدَأٌ مؤخر، قيل[1]: هو عبدالله بن سلام استودعه رجل من قريش ألفاً ومأتي أوقية[2] ذهباً فأداه إليه.

﴿إِن﴾ حرف شرط جازم.

﴿تَأْمَنْهُ﴾ فعل مضارع مجزوم والضمير مفعول به وفاعله أنت.

﴿بِقِنطَارٍ﴾ جار ومجرور. ومعنى ٱلْبَاءِ إلصاقُ الأمانة. وَقَدْ وَقَعَ الخلاف في مقدار القنطار من ألفٍ وَمِئَتَيْ مثقال وَسَبْعِيْنَ ألفاً ومأة رطل وَمِلْءِ مَسْك[3] ثور ذهباً، والمراد به المال الكثير.

﴿يُؤَدِّهِۦٓ﴾ فعل مضارع مجزوم بحذف حرف العلّة، جواب الشرط. والضمير مفعول به وفاعله هو أي الأمين منهم.

﴿إِلَيْكَ﴾ جار ومجرور متعلّق بيؤده. ﴿وَ﴾ حرف عطف.

---

١. القائل هو الزمخشري في الكشّاف ١/ ٣٧٤ وابن أبي‌جامع العاملي في الوجيز ١/ ٢٤٦.
٢. الأوقية: تساوي نصف سدس الرطل، وكانت في القديم وزن أربعين درهماً.
٣. المَسْكُ: الجِلْدُ.

﴿مِنْهُم﴾ جار ومجرور خبر مقدّم. والضمير يرجع إلى أهل الكتاب.

﴿مَّنْ﴾ مبتدأٌ مؤخر. قيل[١]: هو فتحاص أو فخاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش ديناراً فجحده وخانه.

﴿إِن﴾ حرف شرط جازم. ﴿تَأْمَنْهُ﴾ كسابقه.

﴿بِدِينَارٍ﴾ جار ومجرور، والمراد به المال القليل في مقابل المال الكثير الذي مرّ تحت عنوان القنطار. والمقابلة بينهما من المُحَسِّنات البديعية.

﴿لَّا يُؤَدِّهِۦٓ﴾ لا نافية وفعل مضارع مجزوم، جواباً للشرط. والضمير مفعول به، وفاعله «هو».

﴿إِلَيْكَ﴾ جار ومجرور.

قيل: الْمُؤْمُنُوْنَ على الكثير النصارى لغلبة الأمانة عليهم، والخائنون في القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم.

﴿إِلَّا﴾ حرف استثناء. ﴿مَا﴾ مصدرية.

﴿دُمْتَ﴾ فعل ماض مبني على السكون والضمير اسمه.

﴿عَلَيْهِ﴾ جار ومجرور. ﴿قَآئِمًا﴾ خبر دام.

ولعلّ المراد بالقيام عليه هو اسْتِعْمالُ القوة والقدرة والعنف عليه في أخذ الأمانة منه.

﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ. ومن هنا تعليل لخيانتهم في الأمانات.

﴿بِأَنَّهُمْ﴾ حرف جرّ، حرف مُشَبَّهٌ بالفعل، والضمير اسمه، يرجع إلى الخائنين.

﴿قَالُوا۟﴾ فعل ماض وفاعله خبر إنّ. ﴿لَيْسَ﴾ من أفعال الناقصة يدل على النفي.

﴿عَلَيْنَا﴾ جار ومجرور خبر ليس مقدّم.

﴿فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ جار ومجرور. مرادهم من الْأُمِّيِّيْنَ غير أهل الكتاب، حيث أنّهم يَرَوْنَ غيرهم أُمِّيِّيْنَ.

﴿سَبِيلٌ﴾ اسم ليس، أي ليس لهم أن يأخذوا أمواله منّا. بل لنا أن نعمل في

---

١. القائل هو الزمخشري في الكشّاف ١/ ٣٧٤؛ والبيضاوي في أنوار التنزيل ٢/ ٢٦؛ والطبرسي في مجمع البيان ٢/ ٤٦٢؛ وابن أبي‌جامعٍ في الوجيز ١/ ٢٤٦.

أموال غير أهل الكتاب ما نَشاءُ فليس لأموالهم عِنْدَنا حُرْمَةٌ.

﴿وَ﴾ استئناف.

﴿يَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ فعل مضارع، جار ومجرور، مفعول به، وحيث أنّهم ينسبون اعتقادهم وأفعالهم إلى الله تعالى، ينفيه الله تعالى ويعدّ قولهم كَذِباً صُراحاً ويصفه كذلك.

﴿وَ﴾ حالية. ﴿هُمْ﴾ مبتدأ.

﴿يَعْلَمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبره، أي وهم يعلمون هذا الكذب وأنّ الله تعالى لا يجيز لهم ذلك.

والمراد بالآية الشريفة أنّ الخائنين في الأمانات في أهل الكتاب أكثر من غيرهم وإن كان المؤدون للأمانات فيهم موجودين أيضاً على نحو الأقلية من غيرهم، هذا أوّلاً.

وثانياً: الخائنون منهم إذا كان طرفهم مِنْ أَهْلِ ٱلْقُدْرَةِ والاستيلاء والعنف يؤدون إليه وإلّا فلا؛ يعني أَنَّهُمْ يَسْتَسْلِمُوْنَ للعنف والزور فقط.

الروايات

عن النبيﷺ لما نزلت هذه الآية قال: كذب أعداءُ الله ما من شيءٍ كان في الجاهلية إلّا وهو تحت قَدَمَيَّ إلّا الأمانة فإنّها مؤدّاة إلى البرِّ والفاجِرِ.[١]

وعنهﷺ: ثلاث من كنّ فيه فهو منافق وإن صلى وصام وزعم أنّه مؤمن: من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان.[٢]

وعنهﷺ: من ائتمن على الأمانة فأداها ـ ولو شاء لم يؤدهاـ زوّجه الله من الحور العين ما شاء.[٣]

وعنهﷺ: الأمانة تحرُّ الرزقَ والخيانة تجرُّ الفقر.[٤]

---

١. تفسير الطبري ٣/ ٣٧١؛ الكشّاف ١/ ٣٧٥؛ مجمع البيان ٢/ ٤٦٣؛ روض الجنان ٤/ ٣٩٤.
٢. مجمع البيان ٢/ ٤٦٣؛ روض الجنان ٤/ ٣٩٤.
٣. مجمع البيان ٢/ ٤٦٣؛ روض الجنان ٤/ ٣٩٤.
٤. روض الجنان ٤/ ٣٩٦.

رواها الكليني بسند معتبر في الكافي[١].

وفي الخبر: لا ايمان لِمَنْ لا أمانة له.[٢]

الروايات الواردة في الأمانة كثيرة جدّاً فإن شئت راجع في هذا المجال كتابي موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام[٣].

﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٧٦﴾

﴿بَلَىٰ﴾ حرف جواب مبنيٌّ على السكون لا محلّ له من الإعراب يُستعمل بعد النفي فيجعله إثباتاً، فيرد الله بهذا الحرف كلامهم حيث قالوا: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾[٤] فنفاه وأثبته بأنّ عليهم في الأُميين سَبِيْلاً، فيجوز لغيرهم أخذ أموالهم من أهل الكتاب بل يجب عليهم أداء الأمانة والوفاء بالعهد والدَيْن.

﴿مَنْ﴾ مبتدأ.

﴿أَوْفَىٰ﴾ فعل ماض وفاعله ضميرٌ مستتر، خبر، أي وفى، قال الشيخ: «وفىٰ وأُوفىٰ لغتان، فأهل الحجاز يقولون أُوفيت وأهل نجد يقولون وفيت»[٥].

﴿بِعَهْدِهِۦ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، والمراد بالعهد: ما أخذ الله الميثاق عليه من عباده أن يؤمنوا به ويعبدوه ويراعوا أمره ونهيه وأحكامه. وعلى هذا الضمير في «عهده» يرجع إلى الله تعالى.

ويحتمل إِرجاع الضمير إلى «من» في ﴿مَنْ أَوْفَىٰ﴾ أي كلّ من أوفىٰ بما عاهد عليه واتقى الله في ترك الخيانة والغدر.

والأوّل أولى وأظهر.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

---

١. الكافي ٥/ ١٣٣.
٢. روض الجنان ٤/ ٣٩٥.
٣. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ١/ ٤٢٠.
٤. سورة آل‌عمران / ٧٥.
٥. التبيان ٢/ ٥٠٥

﴿ٱتَّقَىٰ﴾ فعل ماض فاعله ضَمِيْرٌ مستتر، أي اتقى من الخيانة ونقض العهد.

﴿فَ﴾ حرف ربط وتفريع. ﴿إِنَّ﴾ من ٱلْحُرُوْفِ ٱلْمُشَبَّهَةِ بالفعل ورد للتأكيد.

﴿ٱللَّهَ﴾ اسمه. ﴿يُحِبُّ﴾ فعل مضارع وفاعله ضَمِيْرٌ مستتر يرجع إلى الله، خبره.

﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾ مفعول به. من أوّل التفريع إلى آخر الآية «من قبيل وضع الكبرى موضع الصغرى إيثاراً للإيجاز، والتقدير فإنّ الله يحبّه لأنّه متق والله يحبُّ المتقين، والمراد أنّ كرامة الله لعباده المتقين حبّه لهم... لا أن يحمل قوماً على أكتاف عباده من صالح وطالح ويطلقهم ويخلى بينهم وبين ما يشاؤون وما يعملون فيقولوا يوماً: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾[1] ويوماً: نحن ﴿أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾[2] ويوماً: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾[3] فيهديهم ذلك إلى إفساد الأرض وإهلاك الحرث والنسل»[4].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٧٧﴾

﴿إِنَّ﴾ من ٱلْحُرُوْفِ ٱلْمُشَبَّهَةِ بالفعل ورد للتأكيد لما بعده. ﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسمه.

﴿يَشْتَرُونَ﴾ فعل مضارع و«الواو» فاعله، أي يبيعون ويستبدلون.

﴿بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. مرّ في الآية السابقة معنىٰ عهد الله وهو ما أخذ الله الميثاق عليه من الإيمان والعمل به.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿أَيْمَـٰنِهِمْ﴾ معطوف والضمير مضاف إليه، أي الأَيْمان الكاذبة.

﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ مفعول به ونعته. والثمن القليل يكون من متاع الدنيا من الترؤُّسِ

---

١. سورة آل‌عمران / ٧٥.
٢. سورة الجمعة / ٦.
٣. سورة المائدة / ١٨.
٤. الميزان ٣/ ٢٦٤.

وَٱلارتِشاءِ والخيانة في الأمانة لأنّه قليل في جنب ما يفوتهم من ثواب الآخرة ويحصل لهم بسبب نقض العهود والخيانة من العقاب والعذاب.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ.

﴿لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ﴾ لا نافية للجنس واسمه، وَٱلْجَارُّ وَٱلْمَجْرُوْرُ خبره، والكل خبر ٱلْمُبْتَدَأِ وكذلك خبر إنّ الواردة في صدر الآية. والخَلاقُ: النصيب.

﴿فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ جار ومجرور، أي أنّهم يتركون نصيبهم في الآخرة بما يأخذوا من قباله في الدنيا بالخيانة ونقض العهد.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿لَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ حرف نفي، فعل مضارع ومفعول به وفاعله. أي إنّ الله لايحبّهم حتّى يكلّمهم ولأنّ الكلام يَنْشَأُ من الحبّ والله يريد احتقارهم فلايكلّمهم. أو لايكلْمهم بما يسرّهم بل يكلّمهم بما يَسُوْءُهُمْ وقت الحساب.

﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ﴾ حرف عطف وحرف نفي وفعل مضارع وفاعله ضميرٌ مستتر يرجع إلى الله وجار ومجرور. والمراد بالنظر هو الرحمة والإحسان، أي لايرحمهم.

﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ مفعول فيه ومضاف إليه. وَهُوَ ظرف عدم التكليم والنظر.

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾ حرف عطف وحرف نفي وفعل مضارع وفاعله ضميرٌ مستتر ومفعول به، أي لايطهّرهم في الدنيا والآخرة مِنْ دنس ذنوبهم بالمغفرة والعفو بل يعاقبهم عليها، ولايحكم بأنّهم أزكياء ومطهرون بل يحكم بأنّهم كفرة فسقة فجرة.

﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ حرف عطف، وجار ومجرور خبر مقدّم، مبتدأ مؤخر ونعته. أليم: أي مؤلم موجع.

الروايات

قد كتبت بعض الروايات الواردة ذيل هذه الآية في ذيل آية ١٧٤ من سورة البقرة فراجعها ولانعيدها وأمّا غيرها:

الكليني بإسناده عن محمّد بن مسلم عن أبيجعفر عليه السلام قال: انزل في العهد ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ...﴾ الخ، والخلاق: النصيب، فمن لم يكن له نصيبٌ في

الآخرة فبأيّ شيءٍ يدخل الجنة؟!١

العياشي رفعه عن سلمانﷺ قال: ثلاثة لاينظر الله إليهم يوم القيامة: الأشمط الزان، ورجل مِفْلِسٌ مَرِحٌ مختالٌ، ورجل اتخذ يمينه بضاعة، فلا يشتري إلّا بيمينٍ ولايبيع إلّا بيمين.٢

الشَّمَط: بياض شعر الرأس يخالط سواده وهو كناية عن كبر السنّ.

العياشي رفعه عن أبي‌معمر السعدي قال: قال علي بن أبي‌طالبؑ في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ يعني لاينظر اليهم بخيرٍ لمن لايرحمهم.

وقد يقول العرب للرجل السيّد أو للملك: لاتنظر إلينا يعني أنّك لاتُصيبنا بخير، وذلك النظر من الله إلى خلقه.٣

الشيخ الطوسي بإسناده عن عبدالله عن النبيﷺ قال: مَنْ حلف على يمين يقتطع بها مال أخيه لقي الله ﷻ وهو عليه غضبان، فأنزل الله تصديق ذلك في كتابه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾ قال: فبرز الأشعث بن قيس فقال: فيَّ نزلت، خاصمتُ إلى رسول اللهﷺ فقضىٰ عليَّ باليمين.٤

روى الطبرسي أوّلها إلى غضبان في المجمع٥ عن تفسير الكلبي عن ابن مسعود وعنه في صحيح مسلم.

وبإسناد الطوسي عن عَدي قال: اختصم امرؤ القيس ورجل من حضر موت إلى رسول اللهﷺ في أرض، فقال: ألك بينة؟ قال: لا. قال: فيمينه، قال: إذن، والله يذهب بأرضي. قال: إن ذهب بأرضك بيمينه كان ممّن لاينظُر الله إليه يوم القيامة ولايُزَكيّه وله عذاب أليم. قال: ففزع الرجل وردّها إليه.٦

الزمخشري قال: قيل جاءت جماعة من اليهود إلى كعب بن الأشرف في سنة

---

١. الكافي ٣/ ٨٦، ح١ (٢/ ٣٢).
٢. تفسير العياشي ١/ ٣١٥، ح٧١.
٣. تفسير العياشي ١/ ٣١٥، ح٧٢.
٤. أمالي الطوسي، المجلس الثاني‌عشر، ح٨٣/ ٣٥٨، رقم ٧٤٣.
٥. مجمع البيان ٢/ ٤٦٤.
٦. أمالي الطوسي، المجلس الثاني‌عشر، ح٨٤/ ٣٥٨، رقم ٧٤٤.

أصابتهم ممتارين، فقال لهم: هل تعلمون أنّ هذا الرجل رسول الله؟ قالوا: نعم، قال: لقد هممت أنّ أميركم وأكسوهم فحرمكم الله خيراً كثيراً. فقالوا: لعلّه شبه علينا فرويداً حتّى نلقاه. فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته ثمّ رجعوا إليه وقالوا: قد غلطنا وليس هو بالنعت الذي نعت لنا ففرح ومارهم.[١]

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧٨﴾

﴿وَ﴾ حرف عطف، على قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ﴾[٢].

﴿إِنَّ﴾ من الحروفِ المُشَبَّهَةِ بالفعل، جاء للتأكيد.

﴿مِنْهُمْ﴾ جار ومجرور، خبر إنّ. والضمير يرجع إلى أهل الكتاب لا سيّما اليهود منهم في هذه الآية.

﴿لَ﴾ «ل» مزحلقة: وهي كما مرّ لام الابتداء لكنّها تزحلقت بعد إنّ المكسورة عن صدر الجملة كراهية ابتداء الكلام بمؤكدين فَسُمِّيَتْ بذلك، وهي حَرْفٌ للتوكيد مبنيٌّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب.

﴿فَرِيقًا﴾ اسم إنّ، أي طائفة، منهم: كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وحيّ بن أخطب وشعبة بن عمرو وأبوياسر كما عن مقاتل[٣] وهم محوا نعت رسول الله ﷺ من التوراة وكتبوا بأيديهم نعتاً آخَرَ للرسول الخاتم ﷺ.

﴿يَلْوُۥنَ﴾ فعل مضارع و«واو» فاعله. اللّيّ: الفتل من قولك: لويتُ يدَهُ: إذا فتلتَها. وأصله فتل الحبل، وليّ الرأس واللسان إمالتهما، قال الله تعالى: ﴿لَوَّوْا

---

١. الكشّاف ١/ ٣٧٦.
٢. سورة آل‌عمران / ٧٥.
٣. تفسير مقاتل بن سليمان ١/ ١٧٨.

رُءُوسَهُمْ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾[٢].

﴿أَلْسِنَتَهُم﴾ مفعول به ومضاف إليه. جمع اللسان على التذكير، وأمّا ألسن فَهُوَ جمعه على التأنيث.

﴿بِٱلْكِتَٰبِ﴾ جار ومجرور. قيل: أي تحريف الكتاب ـ أي التوراة في شأن نزولها ـ بقلبه عن وجهه هو لي اللسان به، لأنّه فتله عن جهته. وفي الميزان: «الظاهر أنّ المراد بذلك أنّهم يقرأون ما افتروه من الحديث على الله سبحانه بألحان يقرأون بها الكتاب تلبيساً على النّاس ليحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب»[٣]، وهذا الكتاب الأوّل هو الذي كتبوه بأيديهم ويلون بألسنتهم حتّى يَظُنَّ النّاسُ أنّه كتاب الله فينسبونه إلى الله تعالى.

﴿لِ﴾ حرف نصب.

﴿تَحْسَبُوهُ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ومفعول به، أي لتظنوه؛ «والفرق بين حسبت وزعمت: أن زعمت يحتمل أن يكون يقيناً أو ظناً، وحسبت لايحتمل اليقين أصلاً»[٤].

﴿مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ جار ومجرور، وهو الكتاب الذي أنزله الله تعالى عليهم.

﴿وَ﴾ حالية. ﴿مَا﴾ حرف نسخ ونفي.

﴿هُوَ﴾ اسم ما.

﴿مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ جار ومجرور، خبر ما، أي ليس ما يلون بألسنتهم من الكتاب الذي أنزله الله تعالى عليهم. كرر لفظه لدفع الخطا بأنّه ليس من كتاب الله تعالى، وأنّه أرفع منزلة من أن يشتمل على مثل تلك المفتريات.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿يَقُولُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.

﴿هُوَ﴾ مبتدأ، أي ما يلون بألسنتهم ويكتبون بأيديهم وينسبونه إلى الله تعالى

---

١. سورة المنافقين / ٥.
٢. سورة النساء / ٤٦.
٣. الميزان ٣/ ٢٦٦.
٤. التبيان ٢/ ٥٠٩.

وكتابه.

﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، خبر. ﴿وَ﴾ حالية.

﴿مَا﴾ حرف نسخ ونفي. ﴿هُوَ﴾ اسم ما، أي ما يلون.

﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ خبر ما. وفيه إطلاق النفي يدل على عمومه. تكرير لفظ الجلالة لأجل التأكيد، كما مرّ في تكرير لفظ الكتاب.

قال الشيخ: دلالة على أنّ المعاصي ليست من عندالله بخلاف ما تقوله المجبرة ولا من فعله لأنّها لو كانت من فعله لكانت من عنده وليس لهم أن يقولوا أنّها من عنده خلقاً وفعلاً، وليست من عنده إنزالاً ولا أمراً...»[١].

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿يَقُولُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، يدل على أنّ سيرتهم هي الاستمرار على نسبة الكذب إلىٰ الله تعالى ٱللَّهُ عَنْ ذٰلِكَ عُلَوّاً كَبِيراً وكذا بالنسبة إلى الأفعال السابقة كلّها صيغ المضارع تدل على الاستمرار على هذه السيرة الفاسدة وأنّ هذا العمل هو دأبهم على نحو الاستمرار.

﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ جار ومجرور.

﴿ٱلْكَذِبَ﴾ مفعول به. تكذيب بعد تكذيب بعد تكذيب.

﴿وَ﴾ حالية. ﴿هُمْ﴾ مبتدأ.

﴿يَعْلَمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبره. فالاتيان بالكذب منهم ليس على سبيل الخطأ بل هم متعمدون في كذبهم وهم يعلمون ما عليهم من العقاب.

الزمخشري قال: «وعن ابن‌عباس: هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الأشرف غيّروا التوراة وكتبوا كتاباً بدّلوا فيه صفة رسول الله ﷺ، ثمّ أخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم»[٢].

---

١. التبيان ٣/ ٥٠٩.

٢. الكشّاف ١/ ٣٧٧.

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ ﴿٧٩﴾

هذه الآية الشريفة ردّ على النصارى كما أنّ الآية السابقة كانت ردّاً على اليهود. وتدلّ على تطهير شأن عيسى عليه السلام ممّا يعتقده النصارى في حقّه من أنّه إِلَهٌ.

﴿مَا﴾ حرف نفي. ﴿كَانَ﴾ فعل ماض.

﴿لِبَشَرٍ﴾ جار ومجرور خبر كان مقدّم. اللام للملك، أي لايملك ذلك بمعنىٰ لايحق أن يقول كذا أو يفعل كذا، نحو قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾[1].

البشر: أي الإنسان. والبشر: «يقع على القليل والكثير وهو بمنزلة المصدر مثل الخلق وغيره تقول: هذا بشر وهؤلاء بشر...»[2]، والمراد به هنا أنبياء الله تعالى.

﴿أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ﴾ حرف نصب، فعل مضارع منصوب، مفعول به، فاعله، اسم كان.

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ مفعول به ثان، المراد به هنا الكتب السماوية. ﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿ٱلْحُكْمَ﴾ معطوف، أي القضاء والحكم بين النّاس. ﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿ٱلنُّبُوَّةَ﴾ معطوف، أي: مقام النبوة.

﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف للترتيب عطف على ﴿أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ﴾، أي بعد أَنْ يُعْطِيَهُ اللهُ تعالى الكتابَ السَّماوِيَّ وَيَجْعَلَهُ حاكماً وقاضياً بين النّاس ونبيّاً مِنْ لَدُنْهُ تَبارَكَ وَتَعالىٰ.

﴿يَقُولَ﴾ فعل مضارع منصوب. ذاك الذي أعطاه الله.

﴿لِلنَّاسِ﴾ جار ومجرور، أي لأُمَّته.

﴿كُونُوا۟﴾ فعل أمر مبني على حذف النون، «واو» اسم كان.

---

١. سورة آل‌عمران / ١٦١.

٢. التبيان ٢/ ٥١٠.

﴿عِبَادًا﴾ خبر كان، جمع عبد ويأتي غالباً[١] منسوباً إلى الله تعالى: عباد الله.

﴿لِّي﴾ جار ومجرور، أي لهذا المدعي. ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه.

والمراد: لايمكن لبشر أن يعطيه الله هذه النعم الإلهية الكبرى وهو يدعو النّاس إلى عبادة نفسه من دون الله. بل أن أعطاه الله تعالى هذه الامور فلا محالة هو يدعو إلى عبادة الله تعالى. فإيماء إلى أن النبي عيسى﵇ أيضاً كذلك يدعو إلى الله تعالى لا إلى نفسه.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿لَٰكِن﴾ حرف استدراك أي ولكن يقول للنّاس:

﴿كُونُوا﴾ كسابقه.

﴿رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ خبر كان. الرباني: هو الذي يربّ أمر النّاس بتدبيره له وإصلاحه إيّاه... فيكون العالم ربانيّاً لأنّه بالعلم يدَّبر الأمر ويصلحه، أو أنّه مضاف إلى علم الربّ وهو على الدين الذي أمر به الربّ على نحو يَكُوْنُ شديد الاختصاص بالربّ وكثير الاشتغال بعبوديته. وعن علي﵇: كونوا علماء فقهاء.[٢]

﴿بِمَا﴾ جار ومجرور، الباء للسببية وما مصدرية بتقدير القول، أي ولكن بسبب أن تقولوا وتفعلوا هكذا.

﴿كُنتُمْ﴾ فعل ماض مبني على السكون والضمير اسم كان.

﴿تُعَلِّمُونَ﴾ فعل مضارع من التعليم وفاعله، خبر كان، أي بسبب تعليمكم الكتاب. وقرأه ٱلْحَسَنُ البصريُّ تَعَلَّمُون: على مَعْنىٰ تتعلّمون من التعلُّم.

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ مفعول به الكتاب السماوي. ﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿بِمَا﴾ مرّ. ﴿كُنتُمْ﴾ مرّ، اسم كان.

﴿تَدْرُسُونَ﴾ خبره. الدراسة أَخَصُّ من ٱلتَّعليم فإنّه يستعمل غالباً فيما يتعلّم مِنَ الكتاب وقرأه سعيد بن جبير تُدَرِّسُونَ بتشديد من التدريس حملاً على قوله تُعَلِّمُون بِقِراءَتِهِ.

---

١. قُلْنا: غالِباً، لِأَنَّ كلمة (عِباد) قَدْ تأتي قليلاً منسوبةً إلىٰ غَيْرِ ٱلله تَعالىٰ كما في قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ [سورة النور / ٣٢].

٢. مجمع البيان ٢/ ٤٦٦.

والحاصل: النبي يدعو النّاس ويأمرهم بعبادة الله لا إلى عبادة نفسه، ويدعو النّاس إلى تعلّم الكتاب الذي أنزله الله عليه وَدِراسَتِهِ وفهمه والعمل به.

الروايات

وفي العيون عن النبيﷺ قال: لاترفعوني حقّي فإنّ الله اتخذني عبداً قبل أن يتخذني نبيّاً، ثمّ تلا هذه الآية.[١]

رُوي عن النبيﷺ أنّه قال: ما من مؤمن ولا مؤمنة ولا حرّ ولا مملوك إلّا ولله عليه حقّ واجب أن يتعلّم من العلم ويتفقه فيه.[٢]

وعن أميرالمؤمنينعليه السلام: الرباني من يَرُبُّ العلمَ بالعمل.[٣]

وعن محمّد بن الحنيفة ـ وهو ابن أميرالمؤمنينعليه السلام ـ أنّه قال يوم مات ابن‌عباس: مات رباني هذه الأُمة.[٤]

قال الشيخ أبوالفتوح الرازي مانصه بالفارسية: «در خبر می‌آید در باب معجزات رسولﷺ که: مردی انصاری شتری داشت در مدینه، مدّتی دراز بود که آن شتر را داشت. چون شتر پیر شد و از کار باز ماند، خواست تا او را بکشد. چون آلت نَحْر حاصل کرد و آهنگ شتر کرد، شتر بجست و آمد تا به در مسجد رسولﷺ. چون به در مسجد رسید آواز داد که: السلام علیك یا رسول الله؛ سلام خدای بر تو باد ای رسول خدای. چون رسول روی به او کرد، او سر بر زمین نهاد و رسول راﷺ سجده کرد. آنگه سر برداشت و به زبانی فصیح گفت: یا رسول الله به شکایت فلان آمده‌ام به نزدیك تو، مدّتی دراز است تا خدمت او می‌کنم. اکنون چون پیر شدم و از کار بازماندم مرا بخواهد کشت. رسولﷺ کس فرستاد و آن مرد را بخواند و گفت: یا فلان! این شتر را به من فروش یا به من بخش. او گفت: ای رسول الله! تن و جان من فدای تو باد، حُکمِ من و مالِ من تو راست.

---

١. عیون أخبار الرضاعليه السلام ٢/ ٢٠٠، ح١.
٢. مجمع البیان ٢/ ٤٦٦؛ روض الجنان ٤/ ٤٠٥ و٤٠٦.
٣. روض الجنان ٤/ ٤٠٥.
٤. مجمع البیان ٢/ ٤٦٦؛ روض الجنان ٤/ ٤٠٥ و٤٠٦.

رسولﷺ آن شتر از او قبول کرد و او را آزاد کرد، و او در مدینه می‌گردید، او را از هیچ آبی و گیاهی منع نمی‌کردند و می‌گفتند: هذا عتيقُ رسول الله؛ این آزادکرد رسول خداست.

این جا اشارتی است، و آن آن است که شتری که به حمایت رسول آمد، رسول او را بخواست وآزاد کرد، و همه کس او را حرمت داشت. هفتاد سال است تا دست در فِتْراك[1] او زده‌ای و خویشتن بر او و بر خانه او بسته، امید باشد که فردا تو را شفاعت و حمایت کند و از آتش دوزخ برهاند، چنان که آن شتر را از کشتن برهانید.

صحابه رسول که آن دیدند گفتند: یا رسول الله! بهیمه‌ای تو را سجده می‌کند، دستور باش تا ما تو را سجده کنیم؟ رسولﷺ گفت: لاينبغي السّجود إلّا لله؛ سجده جز خدای را نشاید کرد، واگر رخصت بودی که مخلوق مخلوقي را سجده کند، من بفرمودمی تا زنان شوهران را سجده کردندی»[2].

﴿وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۚ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ٨٠﴾

﴿وَ﴾ حرف عطف، يعطف الآية على سابقتها. ﴿لَا﴾ حرف نفي.

﴿يَأۡمُرَكُمۡ﴾ فعل مضارع منصوب، فاعله ضميرٌ مستتر يرجع إلى النبي، «كم» مفعول به.

﴿أَن﴾ حرف نصب. ﴿تَتَّخِذُواْ﴾ فعل مضارع منصوب، «واو» فاعله.

﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾ مفعول به، كما أنّ الصابئين يعبدون الملائكة والعرب ٱلْجَاهِلِيُّوْن يَزْعُمُوْنَ أَنَّهُنَّ بنات الله.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

---

١. تسمه‌ای است که با آن چیزی را به اسب می‌بندند، ترك اسب. یعنی شفاعت.
٢. روض الجنان ٤/ ٤٠٢ و٤٠٣.

﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ معطوف، كقول اليهود في عزير أنّه ابن الله والنصارى في عيسى أنّه ابن الله.

﴿أَرۡبَابٗا﴾ مفعول به ثان. والربّ غير الآلهة، والأوّل: هو الذي يدبّر الامور والثاني: هو الذي يُعبد.

﴿أَ﴾ استفهام إنكاري. ﴿يَأۡمُرُكُم﴾ قَدْ مرّ.

﴿بِٱلۡكُفۡرِ﴾ جارومجرور. ﴿بَعۡدَ﴾ مفعول فيه.

﴿إِذۡ﴾ مضاف إليه. ﴿أَنتُم﴾ مبتدأ.

﴿مُّسۡلِمُونَ﴾ خبره، أي تسلمون إلى الله بإجابة دعوة النبي، فالمراد به الإسلام بالمعنىٰ الأعم الذي يشمل جميع الأديان الإلهية.

﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ ﴿٨١﴾

ردّ على أهل الكتاب بأنّ الأنبياء كلّهم يصدّقون مَنْ قبلهم منهم ويستبشرون بمن بعدهم منهم؛ هذا هو ميثاق الله تعالى من الأنبياء وأُممهم، فإنكار أهل الكتاب نُبُوَّةَ الرسول الخاتم ﷺ هُوَ على خلاف هذا الميثاق.

﴿وَ﴾ حرف استئناف.

﴿إِذۡ﴾ مفعول به، العامل في إذ محذوف وتقديره: أُذكر إذ، ويكون «إذ» ظرفية.

﴿أَخَذَ ٱللَّهُ﴾ فعل وفاعل.

﴿مِيثَٰقَ﴾ مفعول به، يأتي تفصيل هذا الميثاق في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ...﴾.

﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ مضاف إليه.

﴿لَ﴾ اللام الموطِّئة، مبنيٌّ على الفتح، وهي الداخلة على أداة الشرط للدلالة على

أنّ الجواب بعدها.

﴿مَآ﴾ مفعول به ثان.

﴿ءَاتَيْتُكُم﴾ فعل ماض وفاعله ومفعوله، والضمير يرجع إلى النبيين واممهم لما يأتي من قوله: ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾.

﴿مِّن كِتَٰبٍ﴾ جار ومجرور، المراد به جنس الكتب السماوية للأنبياء عليهم السلام.

﴿وَحِكْمَةٍ﴾ حرف عطف ومعطوف. مرّ معنىٰ الحكمة فيما سبق.

﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف للترتيب، هذا هو بداية الميثاق المأخوذ.

﴿جَآءَكُمْ﴾ فعل ماض ومفعول به. والضمير يرجع إلى النبيين واممهم.

﴿رَسُولٌ﴾ فاعله.

﴿مُّصَدِّقٌ﴾ نعت، أي يأخذ الله الميثاق من النبي الذي يأتي أن يصدِّق الأنبياء ٱلذين سَلَفُوْا.

﴿لِّمَا﴾ جار ومجرور، وما موصولة ولام للإبتداء. ويمكن أن تَكون ما شرطية وجزاؤها قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾ ولعلّ هذا أحسن لأنّ دخول اللام المحذوف قسمها في الجزاء أشهر والمعنىٰ عليه أسلس وأوضح والشرط في موارد المواثيق أعرف والمعنىٰ حينئذ: مهما آتيتكم من كتاب وحكمة ثمَّ جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه. وأمّا قراءة كسر اللام في ﴿لِّمَا﴾ فاللام فيها للتعليل وما موصولة والترجيح لقراءة الفتح، كما في الميزان.[1]

﴿مَعَكُمْ﴾ مفعول فيه ومضاف إليه من الكتاب والحكمة.

﴿لَ﴾ لام جواب أو قسم. ﴿تُؤْمِنُنَّ﴾ فعل مضارع وفاعله ونون تأكيد ثقيلة.

﴿بِهِۦ﴾ جار ومجرور، وهو الميثاق المأخوذ من النبي السابق أن يؤمن بالنبي اللاحق الآتي المصدِّق له. والضمير يرجع إلى النبي الآتي وآخرهم الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿لَ﴾ جواب.

﴿تَنصُرُنَّهُۥ﴾ فعل مضارع وفاعله ونون تأكيد ثقيلة ومفعول به، والضمير يرجع

---

١. الميزان ٣/ ٣٣٣.

إلى النبي الآتي المصدِّق. إلى هنا تمَّ ميثاق الله تعالى من الأنبياء وإجماله تبشير السلف بالخلف وتصديق الخلف للسلف.

﴿قَالَ﴾ فعل ماض وفاعله مستتر يرجع إلى الله تعالى.

﴿ءَ﴾ استفهام للتقرير. ﴿أَقْرَرْتُمْ﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿أَخَذْتُمْ﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ﴾ جار ومجرور.

﴿إِصْرِى﴾ مفعول به ومضاف إليه. الإصر: هو العهد، والمعنىٰ: أأقررتم أنتم بالميثاق وأخذتم على ذلكم عهدي من أُممكم.

﴿قَالُوٓاْ﴾ فعل ماضٍ والضمير فاعله يرجع إلى أنبياء الله تعالى.

﴿أَقْرَرْنَا﴾ فعل ماضٍ و«نا» فاعله.

﴿قَالَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضميرٌ مستتر يرجع إلى الله تعالى.

﴿فَ﴾ حرف ربط. ﴿ٱشْهَدُواْ﴾ فعل أمر وفاعله يرجع إلى أنبياء الله تعالى وأممهم.

﴿وَ﴾ حالية. ﴿أَنَاْ﴾ مبتدأ، أي الله تعالى.

﴿مَعَكُم﴾ مفعول فيه ومضاف إليه، أي مع الأنبياء وأممهم.

﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ جار ومجرور، خبره.

الروايات

في معتبرة عبدالله بن مُسكان، عن فيض بن أبي شيبة، قال: سمعتُ أباعبدالله عليه السلام يقول، وتلا هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ الآية، لتؤمننّ برسول الله صلى الله عليه وآله، ولتَنْصُرُنَّ عليّاً أميرالمؤمنين عليه السلام ـ قال ـ : نعم والله من لدن آدم وهلمّ جرّا، فلم يبعث الله نبيّاً ولا رسولاً إلّا ردّ جميعهم إلى الدنيا حتّى يقاتلوا بين يدي عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام.[1]

وروى صاحب كتاب (الواحدة) قال: روى أبومحمد الحسن بن عبدالله الأُطروش الكوفيّ، قال: حدّثنا عبدالله بن جعفر بن محمّد البجليّ، قال: حدّثني أحمد

---

١. مختصر البصائر الدرجات / ٢٥.

ابن محمّد بن خالد البرقيّ، قال: حدّثني عبدالرّحمن بن أبي نجران، عن عاصم بن حُمَيد، عن أبي‌حمزة الثُّماليّ، عن أبي‌جعفر الباقر عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى أحَدٌ واحِدٌ، تفرَّد في وَحْدانيته، ثمّ تكلّم بكلمةٍ فصارَت نوراً، ثمّ خلَق من ذلك النور محمّداً صلى الله عليه وآله، وخلقنَي وذُرّيتي، ثمّ تكلّم بكلمةٍ فصارت روحاً فأسكنها الله تعالى في ذلك النور، وأسكنه في أبداننا، فنحن رُوح الله وكلماته، وبنا احتجّ على خَلْقِه، فمازِلْنا في ظُلّةٍ خَضْراء حيث لا شمس ولا قمر، ولا ليل ولا نهار، ولا عَيْن تَطْرِف نعبُدهُ ونُقدّسه ونُسبّحه قبل أن يَخلُقَ خَلْقَه، وأخذ ميثاق الأنبياء بالإيمان والنُّصْرة لنا، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ يعني ﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾ بمحمّد صلى الله عليه وآله ولتَنْصُرُنّ وصيَّه، فقد آمنوا بمحمّدٍ صلى الله عليه وآله ولم ينصُروا وصيَّه، وسيَنْصُرونه جميعا. وإنّ الله أخذ ميثاقي مع ميثاق محمّد صلى الله عليه وآله بالنصرة بعضنا لبعضٍ، فقد نصَرْتُ محمّداً صلى الله عليه وآله وجاهَدْتُ بين يدَيه، وقتَلتُ عدوّه، ووَفَيْتُ الله بما أخذ عليّ من الميثاق والعَهْد والنّصرة لمحمّد صلى الله عليه وآله، ولم ينصُرْني أحَدٌ من أنبيائه ورُسُله، وذلك لمّا قَبَضَهم الله إليه، وسوف يَنْصُرونني.[١]

قال علي بن إبراهيم: حدّثني أبي، عن ابن أبي‌عُمَير، عن ابن مُسكان، عن أبي‌عبدالله عليه السلام، قال: ما بعث الله نبيّاً من لَدُن آدم عليه السلام فهَلُمَّ جَرّا إلّا ويرجع إلى الدنيا وينصُر أمير المؤمنين عليه السلام، وهو قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾ يعني رسول الله ﴿وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ يعني أمير المؤمنين عليه السلام، ثمّ قال لهم في الذَرّ: ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾ أي عَهْدي ﴿قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ﴾ الله للملائكة: ﴿فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾». وهذه مع الآية التي في سورة الأحزاب في قوله: ﴿أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ الآية، والآية التي في سورة الأعراف في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قد كُتِبَت هذه الثلاث آيات في ثلاث سُورٍ.[٢]

الرواية صحيحة الاسناد.

---

١. مختصر بصائر الدرجات / ٣٢؛ تأويل الآيات ١/ ١١٦، ح٣٠.
٢. تفسير القمي ١/ ١٠٦.

العياشي عن حبيب السِّجستاني، قال: سألت أباجعفر عليه السلام عن قول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ فكيف يؤمن موسى بعيسى عليهما السلام وينصرُه ولم يُدرِكه؟ وكيف يؤمن عيسى بمحمّد عليهما السلام وينصُره ولم يُدرِكُه؟

فقال: يا حبيب، إنّ القرآن قد طُرح منه آيٌ كثيرةٌ، ولم يُزَد فيه إلّا حروفٌ أخطأتْ بها الكَتَبة، وتوهَّمتها الرجال، وهذا وَهْم، فاقرأها: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ﴾ ـ أمم ـ ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ هكذا أنزَلها ـ يا حبيب ـ فوالله ما وَفَتْ أُمّةٌ من الأُمم التي كانت قبل موسى عليه السلام بما أخَذ الله عليها من الميثاق لكلّ نبيّ بعثَه الله بعد نبيّها، ولقد كذّبت الأُمّة التي جاءها موسى عليه السلام، لمّا جاءها موسى عليه السلام، ولم يؤُمنوا به ولا نصُروه إلّا القليل منهم، ولقد كذّبت أُمّة عيسى عليه السلام بمحمّدٍ صلى الله عليه وآله ولم يُؤمنوا به ولا نصَروه لمّا جاء إلّا القليل منهم.

ولقد جَحَدت هذه الأُمّة بما أخَذ عليها رسول الله صلى الله عليه وآله من الميثاق لعليّ بن أبي‌طالب عليه السلام يوم أقامَهُ للنّاس وَنصَبَه لهم، ودَعاهم إلى ولايته وطاعته في حياته، وأشهَدَهم بذلك على أنفسهم،فأيّ ميثاقٍ أوكَد من قول رسول الله صلى الله عليه وآله في علي بن أبي‌طالب عليه السلام؟! فوالله ما وَفَوا، بل جَحَدوا وكذّبوا.[1]

يمكن حمل الرواية على التحريف المعنوي وهو لا بأس به ووقع على نحو القطع والجزم.

عن بُكَير، قال: قال أبوجعفر عليه السلام: إنّ الله أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا وهم ذَرٌّ يوم أخَذَ الميثاق على الذَرّ بالإقرار له بالربوبيّة، ولمحمّدٍ صلى الله عليه وآله بالنبوّة، وعرَض الله على محمّدٍ صلى الله عليه وآله أئمّته الطيبيّن وهم أظِلّة وخَلقَهم من الطينة التي خلَق منها آدم: وخلق أرواح شيعتنا قبل أبدانهم بألفَي عام، وعرَض عليهم وعرّفهم رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام، ونحن نَعْرِفهم في لَحْنِ القول.[2]

عن زرارة، قال: قلت لأبي‌جعفر عليه السلام: أرأيت حين أخَذَ الله الميثاق على الذَرّ في

---

١. تفسير العياشي ١/ ٣١٥، ح٧٣.
٢. تفسير العياشي ١/ ٣١٧، ح ٧٤.

صُلب آدمعليه السلام، فعرَضهم على نفسه، كانت مُعاينة منهم له؟

قال: نعم، يا زرارة، وهم ذَرٌّ بين يديه، وأخَذ عليهم بذلك الميثاق بالربوبية له، ولمحمّدصلى الله عليه وآله بالنبوة، ثمَّ كَفَل لهم بالأرزاق، وأنساهم رؤيته[1] وأثبت في قلوبهم معرفته، فلابدّ من أنْ يُخْرِجَ الله إلى الدنيا كلّ مَنْ أخذ عليه الميثاق فَمَنْ جَحَدَ ممّا أخذ عليه الميثاق لمحمّدصلى الله عليه وآله وآله، لم ينفَعْه إقرارُه لربّه بالميثاق، ومن لم يَجْحَدْ ميثاق محمّدٍ وآلهعليهم السلام نفَعَه الميثاق لربّه.[2]

عن فَيْض بن أبي‌شَيْبَة، قال: سمعتُ أباعبداللهعليه السلام يقول، وتلا هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ إلى آخر الآية. قال: «لتُؤمننّ برسول اللهصلى الله عليه وآله، ولتَنْصُرنّ أمير المؤمنينعليه السلام.

قلت: ولَتَنْصُرَنّ أمير المؤمنين؟! قال: «نعم، من آدَم فَهَلُمّ جَرّاً، ولا يبعَثُ الله نبيّاً ولا رسولاً إلّا رُدّ إلى الدنيا حتّى يُقاتِل بين يدَى أمير المؤمنينعليه السلام.[3]

عن سَلّام بن المُستنير، عن أبي‌عبداللهعليه السلام قال: لقد تَسمَّوا باسمٍ ما سمّى الله به أحَداً إلّا عليّ بن أبي‌طالبعليه السلام، وما جاء تأويله.

قلت: جُعلتُ فداك متى يجيء تأويله؟

قال: إذا جاء جمَع الله أمامه النبيّين والمومنين حتّى يَنْصُروه، وهو قول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ فيومَئِذٍ تُدْفَع رأية رسول اللهصلى الله عليه وآله اللواء إلى عليّ بن أبي‌طالبعليه السلام، فيكون أمير الخلائق كلِّهم أجمَعين، يكون الخلائق كلّهم تحت لِوائِه، ويكون هم أميرُهم، فهذا تأويله.[4]

قال الشيخ الطوسي: إنّما أخذ الله ميثاق النبيين الماضين بتصديق محمّدصلى الله عليه وآله وهذا

---

١. في نسخة: «ربوبيته».
٢. تفسير العياشي ١/ ٣١٧، ح٧٥.
٣. تفسير العياشي ١/ ٣١٨، ح٧٦.
٤. تفسير العياشي ١/ ٣١٨، ح٧٧.

قول علي عليه السلام.[١]

الطوسي روىٰ عن أبي‌عبدالله عليه السلام أنّه قال تقديره: وإذا أخذ الله ميثاق أمّم النبيين بتصديق كلّ أمة نبيّها والعمل بما جاءهم به، وإنّهم خالفوهم فيما بعد وما وفوا به وتركوا كثيراً من شريعته وحرّفوا كثيراً منه.[٢]

قال الطوسي: ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: عليكم وعليهم، وروي ذلك عن علي بن أبي‌طالب عليه السلام.[٣]

الحسن بن أبي‌الحسن الدَّيلمي، في (كتابه) بإسناده عن فَرَج بن أبي‌شَيبة، قال: سمِعتُ أباعبدالله عليه السلام يقول وقد تلا هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾: يعني رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ يعني وصيَّه أميرالمؤمنين، ولم يَبْعَثِ الله نبيّاً ولا رسولاً إلّا وأخَذَ عليه الميثاق لمحمّد صلى الله عليه وآله بالنُبوّة ولعليّ عليه السلام بالإمامة.[٤]

﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿فَ﴾ حرف عطف. ﴿مَن﴾ مبتدأ.

﴿تَوَلَّىٰ﴾ فعل ماض فاعله ضميرٌ مستتر، أي فمن أعرض عن هذا الميثاق بالنسبة إلى الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله. قال الشيخ: «التولي عن الإيمان بالنبي صلى الله عليه وآله كفر ـ بلا خلاف ـ»[٥].

وقال الطبرسي: من أعرض عن الإيمان بمحمّد صلى الله عليه وآله بعد هذه الدلالات

---

١. التبيان ٢/ ٥١٣.
٢. التبيان ٢/ ٥١٤.
٣. التبيان ٢/ ٥١٦.
٤. نقل عنه في البرهان ١/ ٦٤٧، ح٥؛ تأويل الآيات ١/ ١١٦، ح٢٩.
٥. التبيان ٢/ ٥١٦.

والحجج وبعد أخذ الميثاق على النبيين...»[١].

﴿بَعْدَ﴾ مفعول فيه.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الميثاق والدلالات والحجج الواضحة. مجموع جملة ﴿تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ خبر للمبتدأ.

﴿فَ﴾ حرف ربط. ﴿أُولَٰئِكَ﴾ مبتدأ.

﴿هُمُ﴾ عمادٌ عند الكوفيين، والعماد عندهم فصل جاء ليؤذن أنّ الخبر معرفة أو ما قارب المعرفة ولا موضع له من الإعراب.[٢]

ويحتمل أن يكون إعرابه رفعاً بأنّه مبتدأ ثان والفاسقون خبره والجملة خبر أولئك.[٣]

﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ خبر. أصل الفسق: الخروج عن أمر الله إلى حال توبقه، وأنّما لم يقل الكافرون مع ما مضى من أنّ اعراض عن النبيﷺ كفر، لأنّ المراد الخارجون في الكفر إلى أفحش مراتب الكفر ولذا قيل للخارج عن أمر الله تعالى إلى أفحش منازل الكفر: فاسق.

الرواية

الطبرسي عن عليعليه السلام أنّه قال: لم يبعث الله نبيّاً آدم ومَنْ بعده إلّا أخذ عليه العهد لئن بعث الله محمّداً وهو حيٌّ ليؤمننَّ به ولينصرنّه وأمره بأن أخذ العهد بذلك على قومه.[٤]

---

١. مجمع البيان ٢/ ٤٦٨.
٢. التبيان ٢/ ٥١٦.
٣. التبيان ٢/ ٥١٦.
٤. مجمع البيان ٢/ ٤٦٨.

﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ٨٣﴾

﴿أَ﴾ استفهام. ﴿فَ﴾ ربط وتفريع على الآية السابقة.

﴿غَيۡرَ﴾ مفعول به مقدم. ﴿دِينِ ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه.

﴿يَبۡغُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. حيث لم يُقِرَّ أهل الكتاب بالنبي الخاتمﷺ وقد أُخِذَ منهم الميثاق على الإيمان به، فهم يبغون غير دين الله الوحيد ـ أي الإسلام ـ بالمَعنىٰ العامّ وكذا دين الله بعد بعثة النبيﷺ وهو الإسلام بالمعنىٰ الخاص.

﴿وَ﴾ حالية.

﴿لَهُۥ﴾ جار ومجرور، الضمير يرجع إلى الله تعالى، وهذا تعليل للزوم ابتغاء دين الله وعدم الخروج منه.

﴿أَسۡلَمَ﴾ فعل ماض، لعلّ المراد بهذا الإسلام هو التكويني منه، حيث أن جميع مَنْ في السموات والأرض مسلمون ومنقادون لأمر الله تعالى تكويناً فلابدّ للإنسان أن ينقاد له تشريفاً وَٱسْتِسْلاماً.

﴿مَن﴾ فاعله. ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ جار ومجرور.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾ معطوف.

﴿طَوۡعٗا﴾ حال، أي طائعاً وراضياً، كما تقول: أتاني ركضاً أي راكضاً.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿كَرۡهٗا﴾ معطوف، أي كارهاً لما أراد الله فيهم من الفقر والمرض والموت ونحوها.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿إِلَيۡهِ﴾ جار ومجرور.

﴿يُرۡجَعُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، وهذا سبب آخر للزوم ابتغاء الإسلام لأنّ مرجعهم إلى الله وهو مولاهم الحقّ لا إلى ما يهديهم إليه كفرهم وشركهم.

الروايات

العياشي رفعه عن عمار بن أبي الأحوص عن أبي‌عبدالله عليه السلام في حديث طويل: «... وذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهًا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾ قال: توحيدهم لله تعالى.[١]

وفيه: عن رِفاعة بن موسى، قال: سمعتُ أباعبدالله عليه السلام يقول: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهًا﴾، قال: إذا قام القائم عليه السلام لا تبقى أرض إلّا نودي فيها بشهادة أن لا إله إلّا الله، وأن محمّداً رسول الله.[٢]

وفيه: عن ابن بُكَير، قال: سألتُ أباالحسن عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهًا﴾.

قال: أُنزلت في القائم عليه السلام إذا خرج باليهود والنَّصارى والصَّابئين والزَّنادِقة وأهل الرِّدَّة والكُفّار في شرق الأرض وغَرْبها، فَعَرَض عليهم الإسلام، فمن أسلم طَوعاً أمره بالصلاة والزكاة، وما يُؤمر به المسلم ويَجب لله عليه، ومَنْ لم يُسلم ضَرَب عُنُقَه حتّى لايبقى في المشارق والمغارب أحدٌ إلّا وحّد الله تعالى.

قلت له: جُعِلت فداك، إنَّ الخلق أكثر من ذلك؟ فقال: إنّ الله إذا أراد أمراً قلَّل الكثير، وكثَّر القليل.[٣]

الطوسي بإسناده عن عبدالله بن العباس في هذه الآية: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهًا﴾. قال: أسلمتِ الملائكة في السماءِ والمؤمنون في الأرض طوعاً أوّلهم وسابقهم مِن هذه الأمة علي بن أبي‌طالب عليه السلام ولكلِّ أُمّةٍ سابق وأسلم المنافقون كَرْهاً، وكان علي بن أبي‌طالب عليه السلام أوّل الأُمّة إسلاماً، وأوّلُهم من رسول الله للمشركين قتالاً، وقاتل من بعده المنافقين ومَنْ أسلم كَرْهاً.[٤]

الطوسي بإسناده عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن موسى بن

---

١. تفسير العياشي ١/ ٣٢٠، ح٧٨.
٢. تفسير العياشي ١/ ٣٢٠، ح٨١.
٣. تفسير العياشي ١/ ٣٢٠، ح٨٢.
٤. أمالي الطوسي، المجلس الثامن عشر، ح ١٠/ ٥٠٣، رقم ١١٠٣.

جعفر عليه السلام قال: كنت عند سيّدنا الصادق عليه السلام إذ دخل أشجع السُّلميّ[١] يمدَحُه فوجده عليلاً فجلس وأمسَك، فقال له سيّدنا الصادق: عد عن العِلّة، واذكر ما جئت له، فقال له:

البسكَ اللهُ مِنْهُ عافيةً في نومِكِ المُعتري وفي أَرَقِكْ
يُخرِجُ من جسمكِ السِّقامَ كما أخرجَ ذُلَّ السؤالِ من عُنُقِكْ

فقال: يا غلام أيش معك؟ قال: أربعمأة درهمٍ. قال أعطها للأشجع.

قال: فأخذها وشكر وولّىٰ. فقال: رُدّوه.

فقال: يا سيّدي، سألتُ فاعطيتَ فأغنيتَ، فلم رَدَدْتني؟

قال: حدثني أبي عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: خيرُ العَطاء ما أبقى نِعمةً باقيةً، وإنّ الذي أعطيتُك لا يبقىٰ لك نعمةً باقيةً. وهذا خاتمي فإن أُعطيتَ به عشرة آلاف درهم، وإلّا فَعُدْ إليَّ وقت كذا وكذا أُوفك إيّاها.

قال: يا سيّدي قد اغنيتني وأنا كثير الأسفار وأحصَل في المواضع المفزعة فتُعَلِّمني ما آمَنُ به على نفسي؟

قال: إذا خِفْتَ أمراً فاترك يمينك على أُمّ رأسِك واقرأ برفيع صوتك: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ قال أشجع: فحَصَلتُ في وادٍ تعبث فيه الجنّ، فسمعت قائلاً يقول: خذوه. فقرأتُها، فقال قائل: كيف نأخذه وقد احتَجَز بآيةٍ طيبةٍ.[٢]

---

١. شاعر مفلق مكثر معدود في فحول الشعراء، عدّه ابن شهرآشوب من شعراء أهل البيت المتكلّفين راجع معالم العلماء / ١٥٣؛ تاريخ بغداد ٧/ ٤٥؛ أعيان الشيعة ٣/ ٤٤٧.

٢. أمالي الطوسي، المجلس العاشر، ح ٨٤/ ٢٨١، رقم ٥٤٦.

﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾

خطاب للنبي الخاتمﷺ وأمر له بأن يقول عن نفسه وعن أُمّته ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ...﴾. وهذا البيان منهﷺ وفاءٌ للميثاق الذي أُخذ منهﷺ من تصديق مَنْ سَلَفَ مِنَ ٱلْأَنْبياءِعليهم السلام وتعريض بِالْكُفّارِ من أهل الكتاب من أنّهم لم يَفُوْا بميثاق الله الذي أخذ من أنبيائهم وأُممهم. والآية الشريفة تدل على أنّ الميثاق المعهود الذي مرّ أُخِذَ من جميع الأنبياءعليهم السلام حتّى من خاتمهم وأفضلهمﷺ وَقَدْ وَفىٰ هو وأُمّته به، وقد مرّ نظيرها في سورة البقرة[1] ولأجل سرّ تكريرها راجع روض الجنان[2].

﴿قُلۡ﴾ فعل أمر، فاعله أنت يا خاتم الأنبياء والمرسلينﷺ.

﴿ءَامَنَّا﴾ فعل ماض وفاعله. أتى بضمير «نا» لانضمام الأُمّة إلى نبيّها. أي أنت يا رسولَ الله مع أُمتّك الأُمّة المرحومة.

﴿بِٱللَّهِ﴾ جار ومجرور، أوّل الإيمان هو الإيمان بتوحيد الله تعالى. لأنّ لازِمَ ٱلْإِيْمانِ بِالْأَنْبياءِ الذين هم رُسُل الله هو الإيمانُ بالله تعالى.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿مَآ﴾ معطوف.

﴿أُنزِلَ﴾ فعل ماض مجهول، حُذف فاعله تعظيماً وتكريماً وظهوراً في ما قبله.

﴿عَلَيۡنَا﴾ جار ومجرور، أي على أُمَّتنا بواسطة نبينا محمّدﷺ. فأوّلاً نحن نُؤْمِنُ بالله وثانياً بما أنزل اللهُ على نبيّنا محمّدﷺ خاتم الأنبياءعليهم السلام ثمّ ثالثة نُؤْمِنُ بما يأتي.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿مَآ﴾ معطوف.

﴿أُنزِلَ﴾ قَدْ مرّ. وثالثة نُؤْمِنُ بما أنزل الله على الأنبياء السّالِفِيْنَ من لدن إبراهيم خليل الله وقبله وبعده.

---

١. سورة البقرة / ١٣٦.

٢. روض الجنان ٤/ ٤١٦.

﴿عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ جار ومجرور. وإبراهيم عليه السلام هو أبو الأنبياء عليهم السلام.

﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ﴾ حرف عطف ومعطوف، وهو الِابن الأوّل لإبراهيم عليه السلام من زوجته الثانية هاجر. وهو ـ إسماعيل ـ جدّ نبينا محمّد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿وَإِسۡحَٰقَ﴾ حرف عطف ومعطوفه، وهو الإبن الثاني لإبراهيم من زوجته الأُولى سارا.

﴿وَيَعۡقُوبَ﴾ وهو ابن إسحاق وحفيد إبراهيم عليهم السلام.

﴿وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾ جمع سبط، وَهُمْ أولاد يعقوب وذِرِّيَّتُهم ٱثْنَتاعَشَرَةَ قَبِيلَةَ من ٱثْنَيْ‌عشر ٱبْناً. والأسباط في بني إسرائيل بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل.

والسبط في اللغة: الشجر، فَالْأَسْباط الذين هم من شجرة واحدة، أي أب واحد.

والمراد بِهِم: الأنبياء من ذريّة يعقوب وأسباط بني إسرائيل كداود وسليمان ويونس وأيوب وغيرهم.

﴿وَمَآ﴾ حرف عطف ومعطوف. ﴿أُوتِيَ﴾ فعل ماض مجهول.

﴿مُوسَىٰ﴾ نائب فاعل، وهو كليم الله وهو من أنبياء بني إسرائيل.

﴿وَعِيسَىٰ﴾ حرف عطف ومعطوفه، وهو ابن مريم وروح الله ومن أنبياءِ بني إسرائيل.

﴿وَٱلنَّبِيُّونَ﴾ حرف عطف ومعطوفه، جمع النبي. وهو مَنْ أَنْبَأَهُ الله تعالى، تعميم للكلام ليشمل آدم ونوحاً ومن دونهما.

﴿مِن رَّبِّهِمۡ﴾ حرف جر ومجرور ومضاف إليه، أي ينبئون من ربّهم.

﴿لَا نُفَرِّقُ﴾ حرف نفي وفعل مضارع وفاعله نحن مستتر. التفريق: جعل الشيء مفارقاً لغيره، ومعناه الواضح بأنّنا نرى جميع الأنبياء مَبْعُوْثِيْنَ من لَدُنِ الربّ وَنُؤْمِنُ بجميعهم من دون فرق بينهم. جمع بين الأنبياء من الأسباط وغيرهم وبأنّا مؤمنون بجميعهم.

﴿بَيۡنَ﴾ مفعول فيه. ﴿أَحَدٖ﴾ مضاف إليه.

﴿مِّنۡهُمۡ﴾ جار ومجرور، من النبيين. ﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿نَحْنُ﴾ مبتدأ. أي المسلمون المؤمنون بالنبي الخاتم ﷺ.

﴿لَهُۥ﴾ جار ومجرور، الضمير يرجع إلى الله تعالى.

﴿مُسْلِمُونَ﴾ خبر، أي مستسلمون بالطاعة في جميع ما أَمَر اللهُ تعالى به ودعا إليه ومؤمنون بالله وجميع الأنبياء عليهم السلام.

قد مرّتِ الروايات الواردة في ذيل هذه الآية في نظيرها الواردة في سورة البقرة[1] فراجعها والحمد لله.

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ ﴿٨٥﴾

﴿وَ﴾ حرف عطف أو استئناف، إذا كان عطفاً يعطف على آخر الآية السابقة ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ ويكون عطف تفسير.

﴿مَن﴾ مبتدأ جازم، أي اسم شرط جازم في محلّ رفع مبتدأ.

﴿يَبْتَغِ﴾ فعل مضارع مجزوم بحذف حرف العلّة، فاعله ضميرٌ مستتر، خبر. الابتغاء: الطلب، بغى فلان كذا: أي طلبه.

﴿غَيْرَ﴾ مفعول فيه.

﴿ٱلْإِسْلَٰمِ﴾ مضاف إليه. وهو الاستسلام لأمر الله تعالى بطاعته وترك معاصيه. والمراد به هنا الإسلام بِالْمَعْنىٰ الخاص ـ أي شريعة خاتم الأنبياء محمّد المصطفى ﷺ ـ لا المعنىٰ العام وهو دين الله الذي أنزله على جميع أنبيائه ورسله كما مرّ في ذيل قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾[2]، وإن كان العام موجوداً في ضمن الخاص.

﴿دِينًا﴾ تمييز، أي يدين به ويعتقد به ويعمل عليه.

﴿فَلَن﴾ حرف ربط وحرف نصب.

﴿يُقْبَلَ﴾ فعل مضارع مجهول منصوب بلن الناصبة. ضميرُهُ مستتر نائب فاعله، يرجع إلى ذلك الدين الذي يدين به غير الإسلام. وقبول العمل هو أن يرضى الله ذلك

---

١. سورة البقرة / ١٣٦.

٢. سورة آل‌عمران / ٦٧.

العمل ويرضىٰ عن فاعله ويثيبه عليه.

﴿مِنْهُ﴾ جار ومجرور، أي من الذين يدين بدين غير الإسلام.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿هُوَ﴾ مبتدأ، يرجع إلى من يدين بغير الإسلام بالمعنىٰ الخاص.

﴿فِي ٱلْآخِرَةِ﴾ جار ومجرور.

﴿مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ جار ومجرور، خبر. الخسران: ذهاب رأس المالٍ.

وَيظهر من الآية الشريفة بأنّ الدين والإسلام والإيمان فيها بمعنى واحدٍ.

الروايات

قال أميرالمؤمنين﵇: ... ثمّ إنّ هذا الإسلام دين الله الذي اصطفاه لنفسه، واصطنعه على عينه، وأصفاه خيرة خلقه، وأقام دعآئمه على محبّته، أذلّ الأديان بعزّه، ووضع الملل برفعه، وأهان أعداءَهُ بكرامته، وخذل محادِّيه بنصره، وهدم أركان الضّلالة بركنه، وسقى مَنْ عطش من حياضه، وأتأق الحياض بمواتحه، ثمّ جعله لا انفصام لعروته، ولا فَكَّ لحلقته، ولا انهدام لأساسه، ولا زوال لدعائِمِهِ، ولا انقلاعَ لشجرته، ولا انقطاع لمدّته، ولا عفاءَ لشرائِعِهِ، ولا جَذَّ لفروعه، ولا ضَنْكَ لطرقه، ولا وُعُوثَةَ لسهولته، ولا سواد لوضحه، ولا عِوَجَ لانتصابه، ولا عَصَلَ في عوده، ولا وَعَثَ لفجّه، ولا انطفاءَ لمصابيحه، ولا مرارةَ لحلاوتِهِ، فهو دعائِمُ أساخَ في الحقّ أسْنَاخَهَا، وثَبَّتَ لها أسَاسَهَا، وينابيع غَزُرَتْ عيونُهَا، ومصابيحُ شَبَّتْ نيرانها، ومَنَارٌ اقتدى به سُفَّارُهَا، وأعلامٌ قُصِدَ بها فِجَاجُهَا، ومناهِلُ رَوِيَ بها وُرَّادُها، جعل الله فيه منتهى رضوانِهِ، وذروةَ دعائِمِهِ، وسَنَامَ طاعِتِهِ، فهو عندَ الله وثيقُ الأركان، رفيعُ البنيان، منيرُ البرهانِ، مضيءُ النّيرانِ، عزيزُ السّلطانِ، مُشْرِفُ المَنَارِ، مُعْوِذُ المَثَارِ، فَشَرِّفُوهُ، واتَّبِعُوهُ، وأدُّوا إليهِ حَقَّهُ، وَ ضَعُوهُ مواضِعَهُ، الخطبة.[1]

وقال﵇: الحمد لله الذي شَرَعَ الإسلام فسَهَّلَ شرائِعَهُ لمن وَرَدَهُ، وأعزّ أركانَهُ على مَنْ غالبه، فجعله أمناً لمن عَلِقَهُ، وسِلْماً لمن دخله، وبرهاناً لمن تكلّم به، وشاهداً

---

١. نهج‌البلاغة، خطبة ١٩٨

لمن خاصم به، ونوراً لمن استضاء به، وفهماً لمن عَقَلَ، ولبّاً لمن تدبّر، وآيةً لمن تَوَسَّمَ، وتبصرةً لمن عَزَمَ، وعبرةً لمن اتّعظ، ونجاةً لمن صدّق، وثقةً لمن توكّل، وراحةً لمن فَوَّضَ، وجنّةً لمن صبر، فهو أبلجُ المناهجِ، وأوضحُ الولائِجِ، مشرفُ المنارِ، مشرقُ الجوادِّ، مضيءُ المصابيحِ، كريمُ المضمارِ، رفيعُ الغايةِ، جامعُ الحَلْبَةِ، متنافسُ السُّبْقَةِ، شريفُ الفُرسَانِ، التصديقُ مِنْهَاجُهُ، والصالحاتُ مَنَارُهُ، والموتُ غايَتُهُ، والدّنيا مِضْمَارُهُ، والقيامةُ حَلْبَتُهُ، والجنَّةُ سُبْقَتُهُ، الخطبة.[١]

وورد في الحديث: التسليم لعلي بن أبي‌طالب عليه السلام بالولاية.[٢]

ولأجل الروايات الواردة حول الإسلام راجع موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام[٣].

﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ ﴿٨٦﴾

﴿كَيْفَ﴾ أصلها للاستفهام والمراد بها هنا الإنكار أي إنكار أن تقع هداية هذا القوم مع هذه الفعال. والاستفهام كما يمكن أن يأتي للسؤال يمكن أن يأتي للتعجيز والتوبيخ وغيرهما، وكَيْفَ هنا حالٌ.

﴿يَهْدِى ٱللَّهُ﴾ فعل مضارع وفاعله، أي إنّ الله لايهديهم.

قال الشيخ أبوالفتوح الرازي رحمه الله مانصه: «امّا مراد بـ«هدايت» در آيت محتمل است وجوه را: يكى الطاف كه خداى تعالى با مؤمنان كند كه ايشان را آن لطف باشد در ثبات برايمان، و آن در حقّ كافران اگر بكند لطف نباشد، چنان كه در شاهد آن كس كه دعوتى سازد و جماعتى را به طعام و مهمانى خود خواند، خواندن او بر عموم همه را لطف باشد، آنگه از ايشان جماعتى بيايند و جماعتى نيايند. آنان كه بيايند ايشان را شمعى پيش فرستد، و چون به در سراى رسند استقبال كند و اين لطف باشد،

---

١. نهج‌البلاغة، خطبة ١٠٥

٢. المناقب ٣/ ٩٥.

٣. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ١/ ٢٥٦.

ولكن در حقّ آنان كه آمده نباشند، اين معانى در حقّ ايشان لطف نبود ـ لإمرٍ يرجع إليهم ـ براى كارى كه راجع باشد به ايشان نه با ميزبان، و اين وجهى نيكو و معتمد است.

وجهى دگر آن است كه: خداى تعالى حكم نكند به هدايت آنان كه به اين صفت باشند.

وجهى دگر آن كه: مراد به «هدىٰ» ثواب بود، أي كيف يثيب الله؛ خداى چگونه ثواب دهد و هدايت ره بهشت كند آنان را كه به اين صفت باشند!»[1].

﴿قَوْمًا﴾ مفعول به، قيل: هم قوم أرادُوْا من النبيﷺ إن يحكم لهم بالإسلام وفي قلوبهم الكفر فَأَطْلَعَهُ اللهُ على أسرارهم وما في ضمائرهم.[2]

وقيل: هم قوم من أهل الكتاب الذين كانوا يؤمنون بالنبيﷺ قبل مبعثه بما يجدونهم في كتبهم من صفاته ودلائله فلمّا بعثه الله جحدوا ذلك وانكروه.[3]

﴿كَفَرُواْ﴾ فعل ماض وفاعله «واو»، «والمراد بالكفر هنا هو الكفر بعد ظهور الحقّ وتمام الحجة فيكون كفراً عن عناد مع الحقّ ولجاج مع أهله وهو البغي بغير الحق والظلم الذي لايهتدي صاحبه إلى النجاة والفلاح»[4].

﴿بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾ مفعول فيه، مضاف إليه ومضاف إليه.

قال الطبرسي: «والمراد بالإيمان هاهنا إظهار الإيمان دون الإيمان الذي يستحق به الثواب وليس في الآية ما يدلّ على أنّهم قد كانوا في باطنهم مؤمنين مستحقين الثواب فزال ذلك بالكفر فلا متعلّق للمخالف به»[5].

﴿وَ﴾ حرف عطف يدل على تفسير، أو «واو» حالية، والجملة بعدها حالية بتقدير قد.

---

١. روض الجنان ٤/ ٤١٩ و٤٢٠.
٢. التبيان ٢/ ٥٢٢.
٣. التبيان ٢/ ٥٢١.
٤. الميزان ٣/ ٣٤٠.
٥. مجمع البيان ٢/ ٤٧١.

﴿شَهِدُوٓاْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله «واو». الشهادة هي إعلان الإيمان، أو من المشاهدة بمعني أنّهم رأوا حقيقة النبيﷺ واوصافه وأخلاقه ومعاجزه وكراماته وصدقه فاعترفوا برسالته ونبوّته.

قال في الميزان: «... فإن كان المراد بهم أهل الكتاب فشهادتهم هو مشاهدتهم أنّ آيات النبوة التي عندهم منطبقة على رسول اللهﷺ ... وإن كان المراد بهم أهل الردّة من المسلمين فشهادتهم هي إقرارهم بالرسالة لا إقراراً صوريّاً مبنيّاً على الجهالة والحمية ونحوهما بل إقراراً مستنداً إلى ظهور الأمر...»[1].

﴿أَنَّ﴾ حرف مُشَبَّهٌ بالفعل يأتي للتأكيد.

﴿ٱلرَّسُولَ﴾ اسمه، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين محمّدﷺ.

﴿حَقٌّ﴾ خبره، كما هو كذلك. ﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿جَآءَهُمُ﴾ فعل ماض والضمير مفعول به، يرجع إلى الذين كفروا بعد إيمانهم.

﴿ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ فاعله، أي البراهين والحجج وأفضلها القرآن الكريم؛ وقيل: ماجاءَهُمْ ما في كتب أهل الكتاب من البشارة بالرَّسُوْلِ الخاتم محمّدﷺ.

﴿وَ﴾ استئناف. ﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ.

﴿لَا يَهۡدِى﴾ فعل مضارع منفي بلا. فاعله ضميرٌ مستتر يرجع إلى الله، خبر.

قال الطبرسي: «المراد الهداية المختصة بالمهتدين دون الهداية العامة المرادة في قوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ﴾[2]»[3].

﴿ٱلْقَوْمَ﴾ مفعول به.

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ نعته والمراد بالظلم هنا هو الكفر، والوصف مشعرٌ بالعلّيّة أي: لايهديهم مع وجود هذا الوصف فيهم. أي: لايسلك بالقوم الظالمين مسلك المهتدين ولايثيبهم ولايهديهم إلى طريق الجنة.

ورد في رواية هذه الآية وما بعدها: «كلّها في أعداء آل محمّد الذين ينقضون

---

١. الميزان ٣/ ٣٤٠.
٢. سورة فصّلت / ١٧.
٣. مجمع البيان ٢/ ٤٧١.

عهد الله في أمير المؤمنين عليه السلام»[1].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ (٨٧)

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ، اشارة إلى الذين كفروا بعد إيمانهم المذكورين في الآية السابقة.

﴿جَزَآؤُهُمۡ﴾ مبتدأ ثانٍ والضمير مُضافٌ إليه، يرجع إليهم، والجزاء يكون على الأعمال.

﴿أَنَّ﴾ من ٱلْحُرُوْفِ ٱلْمُشَبَّهَةِ بالفعل. ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ جار ومجرور، خبر إنّ مقدم.

﴿لَعۡنَةَ ٱللَّهِ﴾ اسم إنّ ومضاف إليه مجموع الجملة خبر لِلْمُبْتَدَأِ الثاني، والجميع أن مع ٱلْمُبْتَدَأِ الثاني خبر لِلْمُبْتَدَأِ الأوّل.

اللَّعْنُ: أصله: الطرد، وَهُوَ الدعاء عَلىٰ قوم بإبعادهم من رحمة الله ومغفرته.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ معطوف، أي أنّ الملائكة يدعون عليهم بأن يبعدهم الله من رحمته.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿ٱلنَّاسِ﴾ معطوف وكذلك النّاس أي جميع طبقاتهم وصنوفهم.

﴿أَجْمَعِينَ﴾ تأكيد وتغليظ في الزجر عمّا فعله ٱلْكافِرُوْنَ.

والآية الشريفة تَدُلُّ على جواز لعن الذين كفروا بعد إيمانهم.

وقد مرّ هذا المضمون في آية ١٦١ من سورة البقرة وذكرتُ الرواياتِ الواردةَ في ذيلها هناك فراجعها ولانعيد.

---

١. علل الشرائع / ٨٩، ح٥.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ ﴿٨٨﴾

﴿خَٰلِدِينَ﴾ حال، الخلود في اللغة: طول المكث، ولذلك يقال: خلّده في السجن وخلّد الكتاب في الديوان. قال الشيخ: «إلّا أنّ خلود الكفار المراد به التأبيد بلا خلاف بين الأُمّة»[١].

﴿فِيهَا﴾ جار ومجرور، أي في اللعنة وَبِواسِطَتِها يدخلون في النار خالدين فيها.

﴿لَا يُخَفَّفُ﴾ فعل مضارع مجهول منفي. «التخفيف: هو تغيير الشيء مِنْ حال الصعوبة إلى السهولة، وهو تسهيل لما فيه كلفة ومشقة، وأصله من خفة الجسم ضد ثقله»[٢].

﴿عَنْهُمُ﴾ جار ومجرور، الضمير يرجع إلى الملعونين. ﴿ٱلْعَذَابُ﴾ نائِبُ فاعِلٍ.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿لَا﴾ حرف نفي.

﴿هُمْ﴾ مبتدأ، أي ٱلْمَلْعُوْنُوْنَ الداخلون في نار جهنم ٱلْخَالِدُوْنَ فيها.

﴿يُنظَرُونَ﴾ فعل مضارع مجهول، واو نائِبُ فاعله. خبر، الإنظار: تأخير العبد لينظر في أمره، أي «لايمهلون وإنّما نفىٰ إنظارهم للانابة لما علم من حالهم أنّهم لايُنيبون كما قال: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾[٣]»[٤].

مرّت الآية الشريفة بعينها في سورة البقرة آية ١٦٢ وذكرت الروايات الواردة حولها هناك فَراجِعْها.

---

١. التبيان ٢/ ٥٢٤.
٢. التبيان ٢/ ٥٢٥.
٣. سورة الأنعام / ٢٨.
٤. التبيان ٢/ ٥٢٥.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٨٩﴾﴾

﴿إِلَّا﴾ حَرْفُ ٱسْتِثْناءٍ، المستثنى منه هم الذين كفروا بعد إيمانهم.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ المستثنىٰ.

﴿تَابُواْ﴾ فعل ماض، «واو» فاعله، أي تابوا من الكفر ورجعوا إلى الإيمان وأَصلحوا ضمائرهم وعزموا على أن يثبتوا على الإسلام.

﴿مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، أي من بعد كفرهم الحديث.

﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿أَصۡلَحُواْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله «واو»، أي أصلحوا ضمائرهم، لا أفعالهم وأعمالهم، وإن كان الإيمانُ وإِصلاحُ الضمير يَتْبَعانِ العمل الصالح ولكن التوبة من كلّ شيءٍ بحسبه، فالتَّوْبَةُ من الكفر هي الإسلام والإيمان، والتوبة من الذنب هي تركه وعدم العود إليه، والتوبة من ترك الواجب هي الاتيان به وقضاؤه.

قال الطبرسي مؤيداً لما ذكرناه: «إذ لو مات قبل فعل الصالحات مات مؤمناً بالإجماع»[1].

﴿فَ﴾ حرف عطف وترتيب، أي يترتب مابعده بعد الاتيان بما قبله، يعني يترتب الغفران بعد التوبة أو لتشبيه مابعده بالجزاء.

﴿إِنَّ﴾ من حروف مُشَبَّهٌ بالفعل جاء للتأكيد. ﴿ٱللَّهَ﴾ اسم إنّ.

﴿غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ خبره وخبر ثان. إنّ الله يغفر الذنوب ورحيم يعفو عن المجرمين ويعطيهم بعد توبتهم الجنّة.

قال الشيخ: «وذكر المغفرة في الآية دليل على أنّ إسقاط العقاب بالتوبة تفضّل، لأنّه لو كان واجباً لما استحقّ بذلك الأثم بأنّه غفور، لأنّه لايقال: هو غفور، إلّا فيما له المؤاخذة فأمّا ما لايجوز المؤاخذة به فلايجوز تعليقه بالمغفرة»[2].

---

١. مجمع البيان ٢/ ٤٧٢.
٢. التبيان ٢/ ٥٢٦.

الرواية

وقال: «ورُوي عن أبي‌عبدالله عليه السلام إنّها نزلت في الحارث بن سُوَيد بن الصامت وكان ارتد بعد قتله المُجَذَّر بن ديار [زياد] البَلَويّ غدراً في الإسلام، وهرب وحديثه مشروح ثمّ ندم، فكاتب قومه سلوا رسول الله صلى الله عليه وآله هل لي توبة، فنزلت الآيات إلى قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ فرجع فأسلم.[١]

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾﴾

هذه الآية الشريفة وما بعدها تعليل لما مرّ من قوله تعالى: ﴿كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾ وهي كبرىٰ كلّيّة تنطبق على صغراها وفردها، وما يظهر في معناها هو: «أنّ الذي يكفر بعد ظهور الحقّ وتمام الحجة عليه ولايتوبُ بعده توبة مصلحة إنّما هو أحد رجلين إمّا كافر يكفر ثمّ يزيد كفراً فيطغي، ولا سبيل للصلاح إليه فهذا لايهديه الله ولا يقبل توبته لأنّه لايرجع بالحقيقة بل هو منغمر في الضلال، ولا مطمع في اهتدائه.[مفاد هذه الآية].

وإمّا كافر يموت على كفره وعناده من غير توبة يتوبها فلايهديه الله في الآخرة بأن يدخله الجنة إذ لم يرجع إلى ربّه ولا بدل لذلك حتّى يفتدي به، ولا شفيع ولا ناصر حتّى يشفع له أو ينصره»[٢]. [مفاد الآية الآتية]

﴿إِنَّ﴾ من ٱلحروف ٱلمُشَبَّهَةِ بالفعل، يأتي للتأكيد. ﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسمه.

﴿كَفَرُواْ﴾ فعل ماض و«واو» فاعله. ﴿بَعۡدَ﴾ مفعول فيه.

﴿إِيمَٰنِهِمۡ﴾ مضاف إليه، والضمير مُضافٌ إليه، أي بعد إقرارهم بالله تعالى من

---

١. التبيان ٢/ ٥١٩؛ ونحوها في مجمع البيان ٢/ ٤٧١.
٢. الميزان ٣/ ٣٤١.

أنّه خالقهم كما يحكي الله تعالى عنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾١، ولكنّهم كفروا بعد هذه الاقرار بكفرهم بأنبياء الله تعالى ثمّ بالله.

﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف.

﴿ٱزْدَادُواْ﴾ فعل ماض، «واو» فاعله، يرجع إلى الذين كفروا. ﴿كُفْرًا﴾ تمييز.

قال الشيخ: «قيل: في المعنىٰ بهذه الآية أربعة أقوال:

أحدها: قال ابن‌عباس: هي فرقة ارتدت ثمّ عزمت على إظهار التوبة على جهة التورية فاطلع الله نبيّه على ذلك بإنزال هذه الآية.

وقال أبوالعالية: لم تقبل توبتهم من ذنوب أصابوها مع الإقامة على كفرهم.

وقال قتادة: هم اليهود آمنوا بموسى وكفروا بعيسى ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا﴾ بمحمّدﷺ ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ عند حضور موتهم.

وقال الحسن: هم اليهود والنصارى كفروا بالنبيﷺ ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ التي كانت في حال إيمانهم»٢.

﴿لَّن تُقْبَلَ﴾ فعل مضارع مجهول منصوبٌ بـ «لن» الناصبة النافية.

﴿تَوْبَتُهُمْ﴾ نائب فاعل ومضاف إليه، وجملة ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ خبر إنّ.

والوجه في عدم قبول توبتهم لأنّهم ماتوا في الكفر واستمرُّوا عليه ولم يتوبوا في حياتهم الدنيوية، أو أنّها لم تقع على وجه الاخلاص الذي ذكره الطبرسي٣.

قال الطبري: «... فالذي لاتقبل منه التوبة هو الإزدياد على الكفر بعد الكفر، لايقبل الله توبة صاحبه ما أقام على كفره لأنّ الله لايقبل من مشرك عملاً ما أقام على شركه وضلاله، فأمّا إن تاب من شركه وكفره وأصلح فإنّه كما وصف به نفسه غفور رحيم»٤.

وقال: «... التوبة من العبد غير كائنة إلّا في حال حياته فأمّا بعد مماته فلا توبة،

---

١. سورة الزخرف / ٨٧.
٢. التبيان ٢/ ٥٢٧.
٣. مجمع البيان ٢/ ٤٧٢.
٤. تفسير الطبري ٣/ ٤٠٠.

وقد وعد الله ﷻ عباده قبول التوبة منهم مادامت أرواحهم في أجسادهم ولا خلاف بين جميع الأُمّة في أنّ كافراً لو أسلم قبل خروج نفسه بطرفة عين أنّ حكمه حكم المسلمين في الصلاة عليه والموارثة وسائر الأحكام غيرها، فكان معلوماً بذلك أنّ توبته في تلك الحال لو كانت غير مقبولة، لم ينتقل حكمه من حكم الكفار إلى حكم أهل الإسلام، ولا منزلة بين الموت والحياة يجوز أن يقال: لايقبل الله فيها توبة الكافر فإذا صحّ أنّها في حال حياته مقبولة، لا سبيل بعد الممات إليها، بطل قول الذي زعم أنّها غير مقبولة عند حضور الأجل...»[1].

ولكن قال الشيخ الطوسي بعد نقل مقالته: «وهذا الذي قاله ليس بصحيح لأنّه لايمتنع أن نتعبد بإجراء أحكام الإسلام عليه وإن كان اسلامه على وجه من الإلجاء لايثبت معه استحقاق الثواب عليه، كما أنّا تعبّدنا بإجراء أحكام الإسلام على المنافقين وإن كانوا كفاراً. وإنّما لم يجز قبول التوبة في حال الإلجاء إليه، لأنّ فعل الملجِأ كفعل المكرَه في سقوط الحمد والذم. وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾[2] وقال: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾[3]»[4].

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ مبتدأ.

﴿هُمُ﴾ عماد، وهو ضمير منفصل يأتي لإزالة اللبس في الكلام فيفصل بين المبتدأ والخبر.

﴿ٱلضَّآلُّونَ﴾ خبره. والمراد بالضلال يمكن أن يكون: الهلاك كما قال تعالى: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[5] أي هلكنا.

---

١. تفسير الطبري ٣/ ٤٠١.
٢. سورة النساء / ١٨.
٣. سورة غافر ٨٥ و٨٤.
٤. التبيان ٢/ ٥٢٨.
٥. سورة السجدة / ١٠.

أو: الضالون من الدين، لأنّهم كافرون حقّاً وماتوا على الكفر.

أو: الضالون عن طريق الجنة، لأنّ الكافر لا يدخل فيها.

وفي الميزان: «﴿وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾ باشتماله على اسمية الجملة والإشارة البعيدة في اولئك وضمير الفصل والاسمية واللام في الخبر يدلّ على تأكّد الضلال فيهم بحيث لاترجي هدايتهم»[1].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾

﴿إِنَّ﴾ من الحروف ٱلْمُشَبَّهَةِ بالفعل جاء للتأكيد. ﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسمه.

﴿كَفَرُواْ﴾ فعل ماض وفاعله. ﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿مَاتُواْ﴾ فعل ماض وفاعله. ﴿وَ﴾ حالية.

﴿هُمۡ﴾ مبتدأ. ﴿كُفَّارٞ﴾ خبره، أي يموتون في حال الكفر.

﴿فَ﴾ حرف تفريع، أي فرّع عدم قبول توبتهم لأنّهم ماتوا في حال الكفر.

﴿لَن يُقۡبَلَ﴾ فعل مضارع مجهول منصوب بلن الناصبة النافية للأبد.

﴿مِنۡ أَحَدِهِم﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى الذين ﴿مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ﴾.

﴿مِّلۡءُ﴾ نائِبُ فاعلٍ. «المِلءَ اصله المِلْأ: وهو تطفيح الإناء. ومنه الملأ: الأشراف، لأنّهم يملأون العين هيبة وجلالة. ومنه رجل مليء بالأمر: وهو أملأ به من غيره، والملأ اسم للمقدار الذي يملأ. والمَلَأ بفتح العين مصدر ملأت الأناء ملأ... قال الزجاج: ومن قال: هما سواء فقد غلط»[2].

«وقد شبّه [الله] ﷻ الأرض بالإناء الذي يملأه الذهب، فتضمّن الكلام

---

١. الميزان ٣/ ٣٤١.

٢. التبيان ٢/ ٥٢٨.

استعارة بليغة، وإنّما ذكر [الله] ﷻ ملء الأرض ذهباً، لأنّه غاية ما يعظم عند الإنسان فيبذله للخلاص»[١].

﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾ مضاف إليه.

﴿ذَهَبًا﴾ تمييز. وجملة ﴿فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبًا﴾ خبر إنّ.

﴿وَ﴾ فيها أقوال:

الأوّل: «قال قوم هي زائدة، أجاز ذلك الفراء.

قال الزجاج: وهذا غلط، لأنّ الكلام يجب حمله على فائدة إذا أمكن ولا يحمل على الزيادة.

الثاني: إنّها دخلت لتفصيل نفي القبول بعد الإجمال... لئلا يتطرق عليه سوء التأويل»[٢].

الثالث: إنّها حالية.

الرابع: «إنّها للعطف، والتقدير: لو تقرب إلى الله بملء الأرض ذهباً لم ينفعه ذلك مع كفره ولو افتدى من العذاب كذلك لم يقبل منه وهذا اختيار ابن الانباري قال: وهذا أوكد في التغليظ لأنّه تصريح بنفي القبول من جميع الوجوه»[٣].

الخامس: قال الفخر: «وهو وجه خطر ببالي... حكم تعالى بأنّه لايقبل منهم ملء الأرض ذهباً ولو كان واقعاً على سبيل الفداء تنبيهاً على أنّه لما لم يكن مقبولاً بهذا الطريق فبأن لا يكون مقبولاً منه بسائر الطرق أولى»[٤].

أقول: وجه الفخر توضيح للوجه الرابع بل عينه لا غيره.

﴿لَوِ﴾ حرف شرط.

﴿ٱفۡتَدَىٰ﴾ فعل ماض فاعله ضميرٌ مستتر، «الفدية: البدل من الشيء في إزالة

---

١. مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٦/ ١٣٦.
٢. التبيان ٢/ ٥٢٩.
٣. التفسير الكبير ٨/ ١٣٢.
٤. التفسير الكبير ٨/ ١٣٢.

الأذية. ومنه قوله: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[1] لأنّه بدل منه في إزالَةِ الذبح عنه، ومنه فداء الأسير بغيره، لأنّه بدل منه في إزالة القتل والأسر عنه»[2].

فالفداءُ: استنقاذ المحبوب بالنفس أو غالباً بالمال.

﴿بِهِۦ﴾ جار ومجرور. والضمير يرجع إلى ملء الأرض ذهباً، يعني: تفوت منهم التوبة في الدنيا ـ والتوبة من الكفر هو الإيمان ـ ولا بدل لها يحلّ محلّها في الآخرة حتّى مثل ﴿مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا﴾. والبدل إنّما يكون من فائت يفوت الإنسان.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ. ﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم.

﴿عَذَابٌ﴾ مبتدأ مؤخر.

﴿أَلِيمٌ﴾ نعت، وجملة ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ خبر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ وفيها مبالغة في التحذير وإنّهم لايرفعون العذاب بأيّ وجه كان وإقناطهم من العفو تفضلاً.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿مَا﴾ حرف نفي.

﴿لَهُم﴾ جار ومجرور، خبر مقدم.

﴿مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ جار ومجرور، مبتدأ مؤخر. و«من» زائدة زيدت للاستغراق. نفي لِلانْتِفاع من ناصرين يوم القيامة وهم الشفعاء الحقيقيون. لأنّ شرط الشفاعة هو الإيمان.

والحاصل: الآيات ٱلثَّلاثُ الأخيرة قسمت الكفار إلى ثلاثة أقسام:

الأوّل: قسم منهم تابوا بعد الكفر وأسلموا وآمنوا وَأَصْلَحُوْا نُفُوْسَهُمْ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بالنسبة إليهم ويقبل توبتهم ويغفر لَهُمْ.

الثاني: قسم منهم كفروا بعد إيمانهم وإسلامهم وازدادوا كفراً يَوْماً بعد يوم، ولأجل الإصرار والتوغل في الكفر لم يوفقّوا للتوبة المقبولة لأنّهم ﴿هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾.

الثالث: قسم منهم ماتوا على الكفر ولم يُؤْمِنُوْا بالنبي الخاتمﷺ ووصيّه الحق وهو أميرالمؤمنينعليه السلام وأولاده الأحد عشر فإنّهم مخلَّدون في العذاب وَلاتُقْبَلُ منهم فدية وليس لهم شفعاء في يوم القيامة.

---

١. سورة الصافات / ٧.

٢. التبيان ٢/ ٥٢٩.

أعاذنا الله من الكفر والنفاق والنار والعذاب ورزقنا الله التوبة والشفاعة والرحمة والمغفرة والعفو يوم الحساب. آمين يا ربَّ العالمين ونحن لا نرجوا إلّا كرمه وعفوه ومغفرته وجنّته وأنّه جَوادٌ كريم.

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٩٢﴾

عدم قبول الفدية في الآية السابقة لئلا يودي إلى ترك الانفاق ولذا جاء بهذه الآية الشريفة.

﴿لَن تَنَالُواْ﴾ حرف نصب وفعل مضارع منفي منصوب، وفاعله «واو». النيل: الوصول والإصابة، لن تنالوا: أي لن تصلوا ولن تصيبوا ولن تدركوا ولن تبلغوا.

﴿ٱلۡبِرَّ﴾ مفعول به، وهو التوسع في فعل الخير. قال الراغب: «البَرُّ خلاف البحر، وتُصُوِّرَ منه التَّوَسُّعُ فاشْتُقَّ منه البِرُّ: أي التَّوَسُّعُ في فِعْلِ الخَيرِ»[١].

و«ال» في ﴿ٱلۡبِرَّ﴾ إمّا للحقيقة: أي حقيقة البرّ أو للعهد، أي ذلك البرّ المعهود الذي جعله الله تعالى للأبرار.

قال الشيخ: «الفرق بين البِرِّ والخير: أنّ البِرَّ هو النفع الواصل إلى الغير مع القصد إلى ذلك، والخير يكون خيراً وإن وقع عن سهوٍ. وضد البِرِّ: العقوق. وضد الخير: الشرُّ، فبذلك بيّن الفرق بينهما»[٢].

وقال: «قيل في معنىٰ البِرّ قولان: أحدهما: البِرّ من الله بالثواب في الجنة. الثاني: البرّ بفعل الخير الذي يستحقون به الأجر. وقال السُّدّي وعمرو بن ميمون: البرّ: الجنة»[٣].

---

١. المفردات / ٣٧.
٢. التبيان ٢/ ٥٣١.
٣. التبيان ٢/ ٥٣٠.

وقال في الميزان: «مراده من فعل الخير أعمٌّ ممّا هو فعل القلب كالاعتقاد الحقّ والنيّة الطاهرة، أو فعل الجوارح كالعبادة لله والإنفاق في سبيل الله تعالى، وقد اشتمل على القسمين جميعاً قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ...﴾[1] الخ. ومن انضمام الآية إلى قوله: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ﴾ الآية، يتبيّن أنّ المراد بها أنّ إنفاق المال على حبّه أحد أركان البرّ التي لا تَتُمُّ إلّا باجتماعها، نعم، جَعَل الانفاقَ غايةً لنيل البرّ لايخلو عن العناية والاهتمام بأمر هذا الجزء بخصوصه لما في غريزة الإنسان من من التعلّق القلبي بما جمعه من المال، وعَدَّه كأنّه جزءٌ من نفسه إذا فقده فكأنّه فقد جزءً من حياة نفسه بخلاف سائر العبادات والأعمال التي لايظهر معها فوت ولا زوال منه»[2].

﴿حَتَّىٰ تُنفِقُواْ﴾ حرف نصب وفعل مضارع منصوب. و«واو» فاعله. ومعنىٰ الإنفاق واضح.

﴿مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ جار ومجرور وفعل مضارع وفاعله. مراده من ﴿مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ هو المال، إنّما كني بهذا اللفظ عن المال لأنّ جميع النّاس يحبّون المال. وقيل: ما تحبّون من نفائس أموالكم دون أراذلها.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿مَا﴾ مفعول به، وحرف جازم.

﴿تُنفِقُواْ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله. ترغيبٌ للإنفاق وَتَطْيِيْبٌ لنفوس المنفقين بأنّ الله تعالى عالم بانفاقهم.

﴿مِن شَيْءٍ﴾ جار ومجرور. من بيانية، والشيء عام يشمل ما تحبون وغيره.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ حرف ربط، حرف مُشَبَّهٌ بالفعل، اسمه، جار ومجرور، خبره.

قال الشيخ: «إنّما جاء على جهة جواب الشرط وإن كان الله يعلمه على كلِّ حالٍ لأمرين:

أحدهما: لأنّ فيه مَعْنىٰ الجزاء، فتقديره: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ يجازيكم ﴿بِهِۦ﴾ قلّ أو كثر لأنّه ﴿عَلِيمٌ﴾ به لا يخفى عليه شيءٍ منه.

---

١. سورة البقرة / ١٧٧.
٢. الميزان ٣/ ٣٤٤.

الثاني: فإنّه يعلمه الله موجوداً على الحدّ الذي تفعلونه من حُسن النية أو قبحها»[١].

الروايات

الكليني عن علي عن أبيه عن عمر بن عبدالعزيز عن يونس بن ظبيان عن أبي‌عبدالله عليه السلام: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ﴾ ما ﴿تُحِبُّونَ﴾ هكذا فَاقْرَأْها.[٢]

الرواية ضعيفة الإسناد بعمر لأنّه مخلَّط ويونس لأنّه ضعيف ورواها العياشي في تفسيره[٣] عن يونس مرسلة.

نقل ابن طاوس عن مجلد عتيق في قِراءَةِ أهل البيت مرسلاً: حدثني أبوالعباس، قال: أخبرنا الحسن بن القاسم، قال: حدثنا علي بن إبراهيم، قال: حدّثني أبي، عن يونس بن ظبيان عن أبي‌عبدالله عليه السلام: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، بميم واحدة.[٤]

وفي صحيحة أبي‌ولاد الحناط قال: سألتُ أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾[٥] ما هذا الإحسان؟ فقال: الإحسان أن تُحسن صحبتهما وأن لا تكلّفهما أن يسألاك شيئاً ممّا يحتاجان إليه وإن كنّا مستغنيين، أليس يقول الله عزّ وجلّ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، الحديث.[٦]

رواها الصدوق في الفقيه[٧] والعياشي في تفسيره[٨].

وفي خبر يونس عمّن ذكره عن أبي‌عبدالله عليه السلام أنّه كان يتصدَّق بالسُّكر، فقيل له: أتتصدّق بالسكر؟ فقال: نعم، إنّه ليس شيءٌ أحبَّ إليَّ منه، فأنا أُحِبُّ أن أتَصَدَّقَ

---

١. التبيان ٢/ ٥٣٠.
٢. الكافي ١٥/ ٤٣٥، ح٢٠٩ (٨/ ١٨٣).
٣. تفسير العياشي ١/ ٣٢١، ح٨٤.
٤. سعد السعود / ٢٤٥، رقم ٤٢.
٥. سورة الاسراء / ٢٣.
٦. الكافي ٣/ ٤٠٣، ح١ (٢/ ١٥٧).
٧. الفقيه ٤/ ٤٠٧، ح٥٨٨٣.
٨. تفسير العياشي ٢/ ٢٨٥، ح٣٩.

بأحبِّ الأشياء إليَّ.[١]

ونحوها في التهذيب[٢].

العياشي روي عن المفضل بن عمر قال: دخلتُ على أبي‌عبدالله عليه السلام يوماً ومعي شيٌ فَوَضَعْتُهُ بين يديه، فقال: ما هذا؟ فقلتُ: هذه صِلَة مواليك وعبيدك؛ قال: فقال لي: يا مُفَضَّل، إنّي لأقبل ذلك، وما أقبله من حاجتي إليه، وما أقبله إلّا لِيَزّكّوا به.

ثمّ قال: سَمِعتُ أبي يقول: مَن مَضَت له سنة لم يَصِلْنا من ماله، قَلَّ أو كثُر، لم يَنْظُر الله إليه يوم القيامة، إلّا أن يعفو الله عنه.

ثمّ قال: يا مُفضَّل، إنّها فريضةٌ فرضها الله على شيعتنا في كتابه، إذ يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ فنحن البِرَّ والتقوى، وسبيل الهدى، وباب التقوى، لايُحْجَب دُعاؤنا عن الله، اقْتَصِرُوا على حَلَالكم وحَرَامكم فاسألوا عنه، وإيّاكم أن تسألوا أحداً من الفُقهاء عَمّا لا يَعْنيكم وعَمّا سَتَر الله عنكم.[٣]

قال علي بن إبراهيم القمي: أي لن تنالوا الثواب حتّى تَرُدّوا إلى آل محمّد عليهم السلام حقَّهم من الخمس والأنفال والفيء.[٤]

قال الطبرسي: وقد روي عن أبي‌الطفيل قال: اشترىٰ عليٌّ ثوباً فأعجبه فتصدّق به، وقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من آثر على نفسه آثره الله يوم القيامة بالجنّة، ومن أحبَّ شيئاً فجعله لله قال الله تعالى يوم القيامة قد كان العباد يكافؤن فيما بينهم بالمعروف وأنا أُكافيك اليوم بالجنّة.[٥]

---

١. الكافي ٧/ ٣٦١، ح٣ (٤/ ٦١).
٢. التهذيب ٤/ ٣٣١، ح١٠٣٦.
٣. تفسير العياشي ١/ ٣٢١، ح٨٥؛ بحارالأنوار ٩٦/ ٢١٦، ح٤.
٤. تفسير القمي ١/ ١٠٧.
٥. مجمع البيان ٢/ ٤٧٣.

إلى هنا انتهى الجزء الثالث من أجود البيان في تفسير القرآن بيد مؤلِّفه الفاني العبد هادي النجفي في مساء يوم الإثنين النصف من شهر صفر الخير سنة ١٤٣٣هـ . ق بمدينة أصبهان صانها الله تعالى عن الحدثان.

والحمد لله أوّلاً وَآخِراً وظاهراً وباطناً وصلى الله على محمّد وآله الطيبين الطاهرين المعصومين.

فهرس الكتاب

سورة البقرة

الآية (٢٥٣) ٧
الروايات ٩
الآية (٢٥٤) ١٩
الرواية ٢٠
الآية (٢٥٥) ٢١
الروايات ٢٣
الآية (٢٥٦) ٢٧
الروايات ٣٨
الآية (٢٥٧) ٣٠
الروايات ٣٢
الآية (٢٥٨) ٣٤
الروايات ٣٦
الآية (٢٥٩) ٣٨
الروايات ٤٠
الآية (٢٦٠) ٤٩
الروايات ٥٢
الآية (٢٦١) ٥٥
الروايات ٥٨
الآية (٢٦٢) ٥٩

الروايات ٦٠
الآية (٢٦٣) ٦٣
الروايات ٦٤
الآية (٢٦٤) ٦٧
الروايات ٦٨
الآية (٢٦٥) ٧١
الروايات ٧٤
الآية (٢٦٦) ٧٥
الروايات ٧٨
الآية (٢٦٧) ٧٩
الروايات ٨٠
الآية (٢٦٨) ٨٥
الروايات ٨٧
الآية (٢٦٩) ٩١
الروايات ٩٦
الآية (٢٧٠) ٩٩
الآية (٢٧١) ١٠٢
الروايات ١٠٤
الآية (٢٧٢) ١٠٥
الروايات ١٠٧
الآية (٢٧٣) ١٠٨
الروايات ١١٠
الآية (٢٧٤) ١١١
الروايات ١١٢
اعتراف العامة بأنّها نزلت في أمير المؤمنين علىعليه السلام ١١٤
الآية (٢٧٥) ١١٥
الآية (٢٧٦) ١١٩
الروايات ١٢٠
الآية (٢٧٧) ١٢٢

الآية (٢٧٨) ١٢٤
الروايات ١٢٥
الآية (٢٧٩) ١٢٧
الروايات ١٢٨
الآية (٢٨٠) ١٣١
الروايات ١٣٣
الآية (٢٨١) ١٣٧
الآية (٢٨٢) ١٤١
الروايات ١٤٤
الآية (٢٨٣) ١٤٨
الروايات ١٤٩
الآية (٢٨٤) ١٥١
الروايات ١٥٢
الآية (٢٨٥) ١٥٣
الروايات ١٥٦
الآية (٢٨٦) ١٦٠
الروايات ١٦٣

سورة آل‌عمران / ١٦٥

فضل سورة آل‌عمران ١٦٧
الآية (١) ١٧٠
الآية (٢) ١٧٠
الآية (٣) ١٧١
الروايات ١٧٣
الآية (٤) ١٧٤
الروايات ١٧٥
الآية (٥) ١٧٦
الآية (٦) ١٧٧
الروايات ١٧٨

الآية (٧) ١٨١
الروايات ١٩٠
الآية (٨) ١٩٣
الروايات ١٩٤
الآية (٩) ١٩٦
الرواية ١٩٦
الآية (١٠) ١٩٧
الروايات ١٩٨
الآية (١١) ٢٠٠
الآية (١٢) ٢٠٢
الرواية ٢٠٢
الآية (١٣) ٢٠٣
الرواية ٢٠٤
الآية (١٤) ٢٠٥
الروايات ٢٠٨
الآية (١٥) ٢١٠
الروايات ٢١٢
لطيفةٌ ٢١٣
الآية (١٦) ٢١٣
الروايات ٢١٤
الآية (١٧) ٢١٥
الروايات ٢١٦
لطيفةٌ ٢١٨
الآية (١٨) ٢١٨
الروايات ٢٢١
الآية (١٩) ٢٢٥
الروايات ٢٢٨
الآية (٢٠) ٢٣٠
الآية (٢١) ٢٣٢

الروايات ٢٣٣
الآية (٢٢) ٢٣٤
الآية (٢٣) ٢٣٥
الروايات ٢٣٧
الآية (٢٤) ٢٣٨
الآية (٢٥) ٢٣٩
الآية (٢٦) ٢٣٩
الروايات ٢٤١
الآية (٢٧) ٢٤٤
الروايات ٢٤٧
الآية (٢٨) ٢٤٨
الروايات ٢٥٠
الآية (٢٩) ٢٥١
الآية (٣٠) ٢٥٣
الرواية ٢٥٥
الآية (٣١) ٢٥٦
الروايات ٢٥٧
الآية (٣٢) ٢٦٠
الروايات ٢٦١
الآية (٣٣) ٢٦١
الروايات ٢٦٣
الآية (٣٤) ٢٦٥
الروايات ٢٦٦
الآية (٣٥) ٢٦٩
الروايات ٢٧١
الآية (٣٦) ٢٧٢
الروايات ٢٧٤
الآية (٣٧) ٢٧٥
الروايات ٢٧٨

الآية (٣٨) ٢٨٣
الروايات ٢٨٥
الآية (٣٩) ٢٨٧
الروايات ٢٨٩
الآية (٤٠) ٢٩١
الآية (٤١) ٢٩٢
الآية (٤٢) ٢٩٤
اَجْمَعَت الإِماميّة على أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام هي سيّدة نساء العالمين ... ٢٩٦
الآية (٤٣) ٢٩٧
الآية (٤٤) ٣٠٠
الروايات ٣٠٢
الآية (٤٥) ٣٠٤
الروايات ٣٠٦
الآية (٤٦) ٣٠٨
الرواية ٣١١
الآية (٤٧) ٣١٢
الآية (٤٨) ٣١٤
الروايات ٣١٥
الآية (٤٩) ٣١٦
الروايات ٣٢١
الآية (٥٠) ٣٢٤
الرواية ٣٢٦
الآية (٥١) ٣٢٧
الآية (٥٢) ٣٢٨
الروايات ٣٣٠
الآية (٥٣) ٣٣١
روايتان ٣٣٢
الآية (٥٤) ٣٣٢
الرواية ٣٣٣

الآية (٥٥) ٣٣٤
الروايات ٣٣٦
الآية (٥٦) ٣٤٠
الآية (٥٧) ٣٤١
الآية (٥٨) ٣٤٢
الآية (٥٩) ٣٤٣
روايتان ٣٤٤
الآية (٦٠) ٣٤٦
الآية (٦١) ٣٤٦
جواب مناقشات الآلوسي في إثبات خلافة أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الآية ٣٤٩
الروايات ٣٥١
إقرار العامة بنزول آية المباهلة في شأن الخمسة الطيبة ٣٥٢
الآية (٦٢) ٣٥٣
الآية (٦٣) ٣٥٤
الآية (٦٤) ٣٥٥
الروايات ٣٥٧
الآية (٦٥) ٣٥٩
الآية (٦٦) ٣٦٠
الآية (٦٧) ٣٦٣
الروايات ٣٦٤
الآية (٦٨) ٣٦٥
الروايات ٣٦٦
الآية (٦٩) ٣٦٨
الآية (٧٠) ٣٦٩
الآية (٧١) ٣٧٠
الآية (٧٢) ٣٧١
الرواية ٣٧٢
الآية (٧٣) ٣٧٣
الآية (٧٤) ٣٧٥

الرواية ٣٧٦
الآية (٧٥) ٣٧٧
الروايات ٣٧٩
الآية (٧٦) ٣٨٠
الآية (٧٧) ٣٨١
الروايات ٣٨٢
الآية (٧٨) ٣٨٤
الآية (٧٩) ٣٨٧
الروايات ٣٨٩
الآية (٨٠) ٣٩٠
الآية (٨١) ٣٩١
الروايات ٣٩٣
الآية (٨٢) ٣٩٧
الرواية ٣٩٨
الآية (٨٣) ٣٩٩
الروايات ٤٠٠
الآية (٨٤) ٤٠٢
الآية (٨٥) ٤٠٤
الروايات ٤٠٥
الآية (٨٦) ٤٠٦
الآية (٨٧) ٤٠٩
الآية (٨٨) ٤١٠
الآية (٨٩) ٤١١
الرواية ٤١٢
الآية (٩٠) ٤١٢
الآية (٩١) ٤١٥
الآية (٩٢) ٤١٨
الروايات ٤٢٠

بعض منشورات مكتبة آيةالله النجفي

١ـ تبصرة الفقهاء (ثلاث مجلّدات)، لآيةالله العظمىٰ الشيخ محمّدتقي الرازي النجفي الأصفهاني قدس سره صاحب هداية المسترشدين، تحقيق: السيّد صادق الحسيني الإشكوري.

٢ـ رسالهٔ صلاتيه، له أيضاً، بالفارسية، تحقيق: الشيخ مهدي الباقري السياني.

٣ـ شرح هداية المسترشدين، لآيةالله العظمىٰ الشيخ محمّدباقر النجفي الأصفهاني نجل صاحب الهداية (المتوفىٰ عام ١٣٠١ ق)، تحقيق: الشيخ مهدي الباقري السياني.

٤ـ اشارات ايمانيه، لآيةالله العظمىٰ الشيخ محمّدتقي آقاالنجفي الأصفهاني (المتوفىٰ عام ١٣٣٢ ق)، تحقيق: مهدي الرضوي مع مساعدة انجمن مفاخر فرهنگی ايران.

٥ـ مجدالبيان در تفسير قرآن، تأليف: آيةالله العظمىٰ حاج شيخ محمّدحسين نجفى اصفهانى، گزينش و ترجمه: سيّد مهدى حائرى قزوينى.

٦ـ نقد فلسفة دارون، لآيةالله العظمىٰ الشيخ ابوالمجد محمّدالرضا النجفي الأصفهاني (المتوفىٰ عام ١٣٦٢ ق)، تحقيق: الدكتور حامد ناجي الأصفهاني مع مساعدة مكتبة المجلس الشورىٰ الإسلامي.

٧ـ الآراءُ الفقهية ـ المكاسب المحرمة ـ والبيع (٥ مجلّد)، لآيةالله الشيخ هادي النجفي.

٨ـ ترجمة ارشاد الأذهان، للعلّامة الحلّي، المترجم إلى الفارسية: آيةالله الشيخ مهدي النجفي الأصفهاني (المتوفىٰ عام ١٣٩٣ ق) مع مساعدة انجمن مفاخر فرهنگی ايران.

٩ـ أساور من ذهب در احوال حضرت زينب سلام الله عليها، لآيةالله الشيخ مهدي النجفي الأصفهاني (المتوفىٰ ١٣٩٣ ق) بالفارسية، تحقيق: جويا جهانبخش.

١٠ـ الآرائك في علم أصول الفقه، لآيةالله الشيخ مهدي النجفي الأصفهاني (المتوفىٰ عام ١٣٩٣ ق)، مع مساعدة The open school شيكاگو آمريكا.

١١ـ غرقاب (تراجم أعلام القرن الحادي عشر وما بعده)، للسيّد محمّدمهدي الموسوي الشفتي (المتوفىٰ عام ١٣٢٦ ق)، تحقيق: مهدي الباقري السياني ومحمود النعمتي.

١٢ـ ترجمة توحيد المفضل إلى إنجليسة، ترجم بأمر آيةالله الشيخ مهدي النجفي الأصفهاني، مع مساعدة The open school شيكاگو آمريكا، ومنشورات انصاريان قم.

١٣ـ الكنز الجلي لولدي علي (گنج‌نامه)، للشيخ هادي النجفي، ترجمة علي‌اصغر حبيبي.

١٤ـ سه سفرنامه، للشيخ هادي النجفي.

١٥ـ معراج مؤمن، له أيضاً.

١٦ـ سه مقاله در اصل امامت، له أيضاً.

المطبوع من آثار المؤلِّف

العربية

موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام (١٢ مجلّد)

الآراء الفقهية قسم المكاسب المحرمة والبيع (١) و (٢) يقع إلى الآن في (٥ مجلد)

أجود البيان في تفسير القرآن (الجزء الثالث)

الأربعون حديثاً في من يملأ الأرض قسطاً وعدلاً(*)

يوم الطّف

ألف حديثٍ في المؤمن

الكنز الجلّي لولدي علي(*)

كتاب إبليس اللعين

الفارسية

قبيلهٔ عالمان دين

از چشمهٔ خورشيد

ولايت و امامت

سه مقاله در اصل امامت

معراج مؤمن

اندوختهٔ خداوند (ترجمة الأربعون حديثاً)

گنج‌نامه (ترجمة الكنز الجلّي)

سه سفرنامه

وادى مقدس

مقدمات على الكتب:

مقدمة تبصرة الفقهاء(*)، تأليف المحقّق التقي صاحب هداية المسترشدين. وطبعت ترجمتها في مجموعة مقالات مؤتمر الشيخ محمّدتقي الإيوانكي الرازي النجفي الأصفهاني.

مقدمة شرح هداية المسترشدين، تأليف آيةالله العظمىٰ الشيخ محمّدباقر النجفي الأصفهاني

مقدمة غرقاب، تأليف السيّد محمّدمهدي الشفتي حفيد حجةالإسلام الشفتي

مقدمهٔ رسالهٔ صلاتيه، تأليف محقّق تقي صاحب هداية المسترشدين

مقدمه و تصحيح و تحقيق رساله امجديه، چاپ چهارم، تأليف آيةالله العظمىٰ علّامه ابوالمجد شيخ محمّدرضا نجفى اصفهانى

مقدمهٔ أساور من ذهب در شرح حال حضرت زينب عليها السلام، تأليف آيةالله حاج شيخ مهدى نجفى

مقدمهٔ زندگانى چهارده معصوم عليهم السلام، تأليف مرحوم حجّةالإسلام شيخ غلامحسين رحيمى

مقدمهٔ اختران فضيلت ج٢، تأليف حجةالإسلام حاج شيخ ناصرالدّين انصارى قمى

تحت الطبع

تقريرات دروس علم رجال

(*) الكتب المترجمة إلى الفارسية.